T. C.
MİLLÎ E... BAKANLIĞI
RAGIP P... ...PLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı:

سورة آل عمران ١٨٥

سورة بقره ٢٣

سورة المائدة ٣١١

سورة النساء ٣٤٦

سورة الانعام

سورة الفاتحة ١٨	سورة البقره ٢٣
سورة ال عمران ١٨٥	سورة النساء ٣٤٦
سورة المايده ٣١١	سورة الانعام ٣٥٤

ومن يطع الله والرسول الاية ٢٧٨

واعبدوا الله ولا تشركوا (عظه) ٢٦٧

او عبدوا الى فخود

٢١ اصطر

اوراقه

T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 69/1

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وقفي عنه ١١٧٥

91

113

وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم الاية ٣٨٦

يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم ٣٣٥

قال تعالى ولكن كونوا ربانيين تفصيل رباني ٣٠٧

قال تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير الى قوله والله يحب المحسنين ٢٢٧

وما محمد ابا احد من رجالكم الاية صاحب الشيطان من بعد رقبل محمد ٢٢٦

انما وليكم الله ورسوله ٣٣٥

اعرابي احد سيف الرسول وقصة له ٣٤٩

قال تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا الى آخر والناس والى قوله ولا يذكرون الله الا قليلا في اواخر النساء ٣٠٢

اسامي نار ٣٠٣

ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ٢٢٥

فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا الاية ٢٢٧

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا ٢٣٥

فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي الاية ٢٤٥

فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ٢٠٣

وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ٢٢٢

ان ينصركم الله فلا غالب لكم ٢٣٢

وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين الاية ٢٢٨

وهو الذي انزل من السماء ماء الاية ٣٨٥

قال الحواريون نحن انصار الله ٢٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم
الحمد لله الذي نزل على عبده الكتاب تبصرة وذكرى
لاولي الالباب واودعه من العلوم والحكم العجب العجاب
وجعله اجل الكتب قدرا واغزرها علما وابلغها في الخطاب
قرانا عربيا غير ذي عوج ولا مخلوق ولا شبهة فيه ولا ارتياب واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له العزيز الوهاب الذي
عنت لقيوميته الوجوه وخضعت لعظمته الرقاب واشهد
ان سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله
المبعوث من اشرف القبايل واكرم الشعاب الى خير امة بافضل
كتاب صلى الله وسلم عليه وعلى اله واصحابه خير ال وافضل
اصحاب وبعد فان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذي
استقل بالسنة والفرض ونزل به امين السما الى امين الارض قد
اودع الله فيه علم كل شي وابان فيه كل هدى وغي وفيه من
القصص والاخبار ما يذكر اولي الابصار ومن المواعظ والامثال
ما يزدجر به اولوا الفكر والاعتبار الى غير ذلك من علوم لا يقدر
قدرها الا من علم حصرها وقد رايت ان اشتغل به مدا عمري

وابذل

وابذل فيه جهدي وفكري بان اكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمن
نكتا من التفسير واللغات وشيا من الاعراب والقراءات التقطتها
من تفسير عده واكثرها من تفسير القرطبي مستمده وربما تعرضت
لحكم الاية على مذهب الامام الشافعي وغيره من العلما وقبل الشروع
فيه اذكر مقدمة فيها جمل من فضايل القران والترغيب فيه وما
ينبغي لصاحبه ان ياخذ نفسه به وما يلزمه من تعظيم القران وحرمته
وبيان سبب جمع القران وكتب عثمان رضي الله عنه المصاحف
وترتيب سور القران واياته وشكله ونقطه وبيان معنى السورة
والاية والكلمة والحرف وغير ذلك مما ستراه ان شا الله تعالى وعلى الله
الكريم اعتمادي واليه تفويضي واستنادي واساله النفع به لي ولسائر
المسلمين امين ذكر جمل من فضايل القرآن والترغيب فيه عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب تبارك
وتعالى من شغله قراة القرآن عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين
قال وفضل كلام الله على ساير الكلام كفضل الله على خلقه واخرج
الترمذي والدارمي وغيرهما من طريق الحارث الاعور عن علي رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتن
قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبا ما قبلكم
وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه
من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدي من غيره اضله الله وهو حبل الله
المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ
به الاهوا ولا تلتبس به الالسنه ولا تشبع منه العلما ولا تخلق على

كثرة الرد ولا تنقضي عجايبه من قال به صدق ومن عمل به اجر
ومن حكم به عدل ومن دُعي به هدي الى صراط مستقيم واخرج
الدارمي من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا القران احب الى الله
من السموات والارض ومن فيهن واخرج الحاكم وغيره من حديث
عبد الله بن عمرو من قرا القران فقد استدرج النبوة من بين جنبيه
غير انه لا يوحى اليه واخرج البزار من حديث انس ان البيت الذي
يقرا فيه القران يكثر خيره والبيت الذي لا يقرا فيه القران يقل
خيره واخرج الطبراني من حديث ابن عمر ثلاث لا يهولهم الفزع
الاكبر ولا ينالهم الحساب هم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب
الخلايق رجل قرا القران ابتغا وجه الله وام به قوما وهم به راضون
الى اخره واخرج ابو يعلى والطبراني من حديث ابي هريرة القران غنى
لا فقر بعده ولا غنى دونه واخرج احمد وغيره من حديث عقبة بن
عامر لو كان القران في اهاب ما اكلته النار قال ابو عبيدة اراد بالاهاب
قلب المومن وجوفه الذي قد وعى القران وقال غيره معناه ان من
جمع القران ثم دخل النار فهو شر من الخنزير وقال ابن الانباري معناه
ان النار لا تبطله وتقلعه من الاسماع التي وعته والافهام التي حصلته
كقوله في الحديث الاخر وانزل عليك كتابا لا يغسله الما اي لا يبطله
ولا يقلعه من اوعيته الطيبة ومواضعه لانه وان غسله الما في الظاهر
لا يغسله بالقلع من القلوب واخرج الطبراني في الصغير من حديث
انس من قرا القران يقوم به انا الليل [illegible] النهار يحل حلاله ويحرم
حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار وجعله رفيق السفرة الكرام البررة

حتى

حتى اذا كان يوم القيامة كان القران حجة له واخرج الطبراني من حديث
انس حملة القران عرفا اهل الجنة واخرج النساي وغيره من حديث
انس اهل القران هم اهل الله وخاصته واخرج مسلم من حديث جابر
ابن عبد الله خير الحديث كتاب الله واخرج الشيخان من حديث عايشة
الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا القران ويتتعتع
فيه وهو عليه شاق له اجران والتتعتع التردد في الكلام عيا وصعوبة
وانما كان له اجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة ودرجات الماهر
فوق ذلك لانه قد كان القران متتعتعا عليه ثم ترقى عن ذلك الى شبه
بالملكية واخرج الشيخان من حديث ابي موسى مثل المومن الذي يقرا القران
مثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المومن الذي لا يقرا القران
كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرا القران كمثل
الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لا يقرا القران كمثل
الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها واخرج الشيخان من حديث عثمان خيركم
وفي لفظ افضلكم من تعلم القران وعلمه واخرج الطبراني من حديث ابن عباس
من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله به من الضلالة ووقاه يوم
القيامة سوء الحساب واخرج الديلمي من حديث علي رضي الله عنه
حملة القران في ظل الله يوم لا ظل الا ظله **واما** ما ورد في سور بعينها
فسياتي في اوايل السور **ذكر** ما ينبغي لحامل القران ان ياخذ نفسه به
ولا يغفل عنه فاول ذلك ان يخلص في طلبه لله تعالى روى مسلم عن ابن عمر
مثل صاحب القران كمثل صاحب الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها
وان اطلقها ذهبت واذا قام صاحب القران فقراه بالليل والنهار ذكره

وان لم يفهم به نسبه • وينبغي ان يكون لله حامدًا ولنعمه شاكرًا ولقضايه
صابرًا وعليه متوكلًا وبه مستعينًا واليه راغبًا وبه معتصمًا وللموت ذاكرًا
وله مستعدًا وان يكون خايفًا من ذنبه راجيًا عفو ربه وان يكون عالمًا
باهل زمانه متحفظًا من شيطانه ساعيًا في خلاص نفسه ونجاة مهجته •
وان يكون اهم اموره الورع في دينه واستعمال تقوى الله فيما امره به
ونهاه • قال ابو مسعود ينبغي لقاري القران ان يعرف بليله اذا الناس
نايمون وبنهاره اذا الناس مفطرون • وبكايه اذا الناس يضحكون وبصمته
اذا الناس يخوضون • وبخشوعه اذا الناس يختالون • وبحزنه اذا الناس يفرحون •
وقال عبد الله بن عمر لا ينبغي لحامل القران ان يخوض مع من يخوض ولا يجهل
مع من يجهل • ولكن يعفو ويصفح لحق القران • وينبغي ان ياخذ نفسه بالتصاون
عن الشبهات ويروض نفسه بالحلم والوقار وترك التكبر والاعجاب
ويتجافى عن الدنيا وابنايها ويترك الجدال والمرا وان يكون ممن يومن شره
ويرجى خيره ويتعلم احكام القران فيفهم عن الله مراده فينتفع بما يقرا
ويعمل بما يتلو فما اقبح لحامل القران ان يتلو فرايضه واحكامه عن ظهر
قلبه وهو لا يفهم ما يتلو ولا يدريه فما مثل من هذه حالته الا كمثل الحمار
يحمل اسفارا • واما ما يلزم حامل القران وقاريه من تعظيم القران ٥
وحرمته فمن ذلك ان لا يمسه الا وهو طاهر • ويسن ان يقراه على طهارة
كاملة لانه افضل الاذكار وقد كان صلى الله عليه وسلم يكره ان يذكر
الله الا على طهر • قال النووي واذا كان قاري القران يقرا فعرضت له
ريح امسك عن القراة حتى يتم خروجها • ويسن ان يستاك ويطيب
فاه اذ هو طريق القران وان يستوي له قاعدًا ان كان في غير صلاة وان
لا يكون

لا يكون متكيا وان يستقبل القبلة لقراته وان يكون في مكان نظيف
وافضله المسجد وان يتمضمض كلما تنخع فروي عن ابن عباس انه كان يفعل
ذلك وان يمسك عن القراة اذا تثاءب وان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم
عند ارادة القراة واذا قطعها اعراضا او بكلام اجنبي استانف الاستعاذة
وان كان يتعلق بالقراة فلا • وليحافظ على قراة البسملة اول كل سورة ٥
غير براءة لان اكثر اهل العلم على انها اية فاذا اخل بها كان تاركًا
لبعض الختمة عند الاكثرين • واذا اخذ في سورة لم يشتغل بشي حتى يفرغ منها
الا من ضرورة وان يقرا بترتيل وترسيل وتدبر وتفكر ويستعمل فيه ذهنه
وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به • وان يقف على اية الوعد فيرغب الى الله ٥
ويساله من فضله وعلى اية الوعيد فيستجير بالله منه وعلى امثاله فيتمثلها
وان يلتمس غرايبه وان يعطي كل حرف حقه من الادا حتى يبرز الكلام
باللفظ تاما فان له بكل حرف عشر حسنات • قال النووي ومن الادب
اذا قرا نحو وقالت اليهود عزير ابن الله • وقالت اليهود يد الله مغلولة
ان يخفض بها صوته كذا كان النخعي يفعل ويستحب البكا عند قراءة القران
والتباكي لمن لا يقدر عليه والحزن والخشوع • ويسن تحسين الصوت بالقراة
لحديث ابن حبان وغيره زينوا القران باصواتكم • وفي لفظ عند الدارمي
حسنوا القران باصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القران حسنا ٥
فان لم يكن حسن الصوت حسنه ما استطاع بحيث لا يخرج الى حد
التمطيط • ووردت احاديث تقتضي استحباب رفع الصوت بالقراة
واحاديث تقتضي الاسرار وخفض الصوت • قال النووي والجمع بينهما
ان الاخفا افضل حيث خاف الريا او تاذى مصلون او نيام بجهره والجهر

افضل في غير ذلك لان العمل فيه اكثر وفايدته تتعدى الى السامعين
ولانه يوقظ القلب ويزيد في النشاط والقراءة في المصحف افضل من
حفظه لان النظر فيه عبادة مطلوبة ولا تجوز قراة القران بالعجمية مطلقا
سوا كان يحسن العربية ام لا في الصلاة ام خارجها وروى عن ابي حنيفة
جوازها ووجه المنع انه يذهب اعجاز القران المقصود منه ولا تجوز القراة
بالشاذ وهو ما لم يثبت من قرآات التابعين لغرابته او ضعف اسناده
وهو ما زاد على العشر وقيل ما زاد على السبع والاولى ان يقرا على ترتيب
المصحف • قال النووي لان ترتيبه لحكمة فلا يتركها الا ما ورد كما في صبح
الجمعة والوتر • ويسن الاستماع لقراءة القران وسجود التلاوة عند
قراءة اياتها واذا انتهت قراته فليقل صدقت ربنا وبلغت رسلك الكرام
ونحن على ذلك من الشاهدين اللهم اجعلنا من شهداء الحق القايمين
بالقسط ويدعو بما احب ولا يقرا القران في الاسواق ولا في مواطن اللغط
ومجمع السفها وكره قوم القراة في الحمام والطريق قال النووي ومذهبنا
لا نكره فيهما وكرهها الشعبي في بيت الرحا وهي تدور ويكره اتخاذ
القران معيشة يتكسب بها ولا يتوسد المصحف ولا يرمي به الى صاحبه
اذا ناوله ولا يصغر المصحف فقد روى ان عمر راى مصحفا صغيرا فضرب
من كتبه بالدرة • وورد النهي عن ان يقال مصيحف ومسيجد ويكره ان
يقول نسيت اية كذا بل يقول انسيتها لحديث الصحيحين في النهي عن ذلك
ونسيان القران كبيرة صرح به النووي في الروضة وغيرها لحديث
ابي داود وغيره عرضت علي ذنوب امتي فلم ار ذنبا اعظم من سورة
من القران او اية اوتيها رجل ثم نسيها والايمة الثلاثة على وصول

ثواب

ثواب القراة للميت ومذهب الشافعي خلافه لقوله تعالى وان ليس
للانسان الا ما سعى • قال النووي والاوقات المختارة للقراة افضلها
ما كان في الصلاة ثم الليل ثم نصفه الاخير وهي بين المغرب والعشا
محبوبة وافضل النهار بعد الصبح ولا يكره في شي من الاوقات لمعنى فيه
ويختار من الايام يوم عرفة ثم الجمعة ثم الاثنين والخميس • ومن الاعشار
العشر الاخير من رمضان والاول من ذي الحجة • ومن الشهور رمضان ويختار
لابتدايه ليلة الجمعة ولختمه ليلة الخميس • ويستحب صوم يوم الختم وان
يحضره اهله واصدقاؤه وان يكبر من سورة الضحى الى اخر القران • واذا
فرغ من ختمه ان يشرع في اخرى عقب الختم لحديث الترمذي وغيره احب
الاعمال الى الله الحال المرتحل الذي يضرب القران الى اخره كلما حل ارتحل
تنبيه اعلم ان حفظ القران فرض كفاية على الامة صرح به الجرجاني
في الشافي والعبادي وغيرهما • قال الجويني والمعنى فيه ان لا تنقطع عدد
التواتر فيه فلا يتطرق اليه التبديل والتحريف فان قام بذلك قوم يبلغون
هذا العدد سقط عن الباقين والا اثم الكل • وتعليمه ايضا فرض كفاية
وهو من افضل القرب **ذكر سبب جمع القران** وكتب عثمان رضي الله عنه
المصاحف اعلم ان القران كان في مدة النبي صلى الله عليه وسلم متفرقا
في صدور الرجال قد كتب الناس منه في صحف وفي جريد وفي لخف وغير
ذلك فلما استحر القتل بالقرا يوم اليمامة في زمن الصديق رضي الله عنه
وقتل منهم في ذلك فيما قيل سبعماية اشار عمر بن الخطاب على ابي بكر ان يجمع
القران مخافة ان تموت اشياخ القرا كأبي وابن مسعود وزيد فندبا
زيد بن ثابت الى ذلك فجمعه غير مرتب السور بعد تعب شديد **وروى**

البخاري ومسلم عن زيد بن ثابت قال ارسل الي ابو بكر مقتل اهل اليمامة
وعنده عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة
بالناس واني اخشى ان يستحر القتل بالقرا في المواطن فيذهب كثير من
القران الا ان تجمعوه واني لارى ان تجمع القرآن قال ابو بكر فقلت لعمر
كيف افعل شيا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو والله خير
قال فلم يزل يراجعني حتى شرح الله لذلك صدري ورايت الذي راى عمر قال
زيد وعنده عمر جالس لا يتكلم فقال لي ابو بكر انك شاب عاقل ولا نتهمك
كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القران فاجمعه
فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به قلت كيف
تفعلان شيا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو
والله خير فلم ازل اراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر
ابي بكر وعمر فقمت فتتبعت القران اجمعه من الرقاع والاكتاف والعسب
وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة ايتين مع خزيمة الانصاري
لم اجدهما مع غيره لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه الى اخرها وكانت
الصحف التي جمع فيها القران عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه
ثم عند حفصة بنت عمر ● واما جمع عثمان فروى البخاري ان حذيفة بن
اليمان قدم على عثمان وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان
مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراة فقال لعثمان ادرك الامة
قبل ان يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فارسل الى حفصة ان ارسلي
الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها حفصة
الى عثمان فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن
ابن

ابن الحارث فنسخوها في المصاحف وقال للرهط القرشيين الثلاثة اذا
اختلفتم انتم وزيد في شي من القران فاكتبوه بلسان قريش فانه انما انزل
بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى
حفصة وارسل الى كل افق بمصحف وامر بما سواه من القران في كل صحيفة
او مصحف ان يحرق ● قال ابن حجر وكان ذلك في سنة خمس وعشرين ● وروى
محمد بن سيرين عن كثير بن افلح قال لما اراد عثمان ان يكتب المصاحف جمع
له اثني عشر رجلا من قريش والانصار فبعثوا الى الربعة التي في بيت عمر
فجيء بها وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا اذا تدارءوا في شي اخروه قال
محمد فظننت انما كانوا يوخرونه لينظروا احدثهم عهدا بالعرضة الاخيرة
فيكتبونه على قوله ● وقال علي رضي الله عنه لا تقولوا في عثمان الا خيرا
فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف الا عن ملاء منا قال ما تقولون في هذه
القراءة فقد بلغني ان بعضهم يقول لبعض قراءتي خير من قراءتك وهذا
يكاد يكون كفرا قلنا فما ترى قال ارى ان يجمع الناس على مصحف واحد فلا
تكون فرقة ولا اختلاف قلنا فنعم ما رايت ● واختلف في عدة المصاحف
التي ارسل بها عثمان الى الافاق والمشهور انها خمسة وقيل اربعة وقيل سبعة
ارسل الى مكة والى الشام والى الكوفة والى البصرة وحبس بالمدينة واحدا
وقيل وارسل الى اليمن والى البحرين ● والذي اشتهر بحفظ القران واقرائه
من الصحابة عثمان بن عفان ● وعلي بن ابي طالب ● وابي بن كعب ● وزيد بن
ثابت ● وعبد الله بن مسعود ● وابو الدرداء ● ومعاذ بن جبل ● وابو زيد احد
عمومة انس واسمه قيس بن السكن على الاصح وفي الصحيح عن عبد الله بن عمرو موقوفا
خذوا القران من اربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وابي بن كعب

ثم اخذ عن هولا ابو هريرة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن السايب
واشتهر من التابعين يزيد بن القعقاع والاعرج ومجاهد وسعيد بن
جبير وعكرمه وعطا والحسن وعلقمة وزر بن حبيش وعبيدة السلماني
ومسروق واليهم توجع القرا السبعه **فصل** الاجماع والنصوص المترادفة
على ان ترتيب الايات توقيفي لا شبهة فيه اما الاجماع فنقله غير واحد
منهم الزركشي في البرهان وابو جعفر بن الزبير في مناسباته وعبارته
ترتيب الايات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وامره من
غير خلاف في هذا بين المسلمين وقال القاضي ابو بكر ترتيب الايات امر
واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول ضعوا اية كذا في موضع كذا
وقال مالك انما الف القران على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه
وسلم واختلف في ترتيب السور فقيل توقيفي وقيل كان باجتهاد
الصحابة وجمهور العلما على الثاني منهم مالك والقاضي ابو بكر في اخر قوليه
وقال الكرماني ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا
الترتيب وقال الطيبي انزل القران اولا جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى
السما الدنيا ثم نزل على حسب المصالح ثم اثبت في المصاحف على التاليف
والنظم المثبت في اللوح المحفوظ واما عدد سوره فماية واربع عشرة
سورة باجماع من يعتد به وقيل وثلاث عشرة بجعل الانفال وبراة سورة
واحده وفي مصحف ابن مسعود ماية واثنتا عشرة لانه لم يكتب المعوذتين
وفي مصحف ابي وست عشرة لانه كتب في اخره سورتي الحفد والخلع
واما عدد اياته فقال الداني اجمعوا على ان عدد ايات القران ستة الاف
اية ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك فمنهم من لم يزد ومنهم من قال ومايتا
اية

اية واربع ايات وقيل واربع عشرة وقيل وتسع عشرة وقيل وخمس
وعشرون وقيل وست وثلاثون وعد قوم كلمات القران سبعة
وسبعين الف كلمة وتسع ماية واربعا وثلاثين وقيل واربع ماية
وسبع وثلاثون وقيل ومايتان وسبع وسبعون وقيل غير ذلك
واما عدد حروفه فقيل ثلاثماية الف حرف وسبع ماية حرف واربعون
حرفا وقيل وثلاثة وعشرون الفا وخمسة عشر الفا وقيل غير ذلك
ذكر معنى القران والسورة والاية والكلمة والحرف اما القران فهو الكلام
المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه فخرج بالمنزل
على محمد المنزل على غيره كالتوراة والانجيل وساير الكتب وبالاعجاز
الاحاديث الربانية كحديث الصحيحين انا عند ظن عبدي بي وقولنا بسورة
هو بيان لاقل ما وقع عليه الاعجاز وهو قدر اقصر سورة كالكوثر او ثلاث
ايات من غيرها بخلاف ما دونها وزاد بعض المتاخرين المتعبد بتلاوته
ليخرج منسوخ التلاوة قال الجاحظ سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب
كلامهم على الجمل والتفصيل سمى جملته قرانا كما سموا ديوانا وبعضه سورة
كقصيدة وبعضها اية كالبيت واخرها فاصلة كقافية وقال سيدلة
اعلم ان الله سمى القران بخمسة وخمسين اسما سماه كتابا ومبينا وقرانا
اسامي القران
وكريما وكلاما ونورا وهدى ورحمة وفرقانا وشفا وموعظة وذكرا
ومباركا وعليا وحكمة وحكيما ومهيمنا وحبلا وصراطا مستقيما وقيما
وقولا وفصلا ونبا عظيما واحسن الحديث ومثاني ومتشابها وتنزيلا
وروحا ووحيا وعربيا وبصاير وبيانا وعلما وحقا وهاديا وعجبا
وتذكرة والعروة الوثقى وصدقا وعدلا وامرا ومناديا وبشرى ومجيدا

وزبورا وبشيرا ونذيرا وعزيزا وبلاغا وقصصا وسماه اربعة اسما
في اية في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة انتهى فاما تسميته كتابا ف
لجمعه انواع العلوم والقصص والاخبار والكتاب لغة الجمع واما
القران فاختلف فيه فقال جماعة هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله
فهو غير مهموز وبه قرا ابن كثير وهو مروي عن الشافعي وقال قوم منهم
الاشعري هو مشتق من قرنت الشي بالشي اذا ضممت احدهما الى الاخر وسمي به
لقران السور والايات والحروف فيه وقال الفرا هو مشتق من القراين لان
الايات يصدق بعضها بعضا وقال اخرون منهم الزجاج هو وصف على
فعلان مشتق من القرا بمعنى الجمع ومنه قريت الما في الحوض اي جمعته وقال
الراغب لا يقال لكل جمع قران ولا لجمع كل كلام قران قال وانما سمي قرانا لانه
جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة وقيل لانه جمع العلوم كلها واما معنى
بقية اسمايه فسياتي واما السوره فقال العقبي تهمز ولا تهمز فمن همزها
جعلها من اسارت اي افضلت من السور وهو ما بقي من الشراب في الانا كانها
قطعة من القران ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهل همزها ومنهم
من شبهها بسورة البنا اي القطعة منه اي منزلة بعد منزلة وقيل
من سور المدينة لاحاطتها باياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور
ومنه السوار لاحاطته بالساعد وقيل لارتفاعها لانها كلام الله
والسورة المنزلة الرفيعة قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة
ترى كل ملك حولها يتذبذب وقيل لتركيب بعضها على بعض من
التسور بمعنى التصاعد ومنه اذ تسوروا المحراب قال الجعبري
حد السورة الطايفة المترجمة توقيفا اي المسماة باسم خاص بتوقيف

من

من النبي صلى الله عليه وسلم قال وحد الاية قران مركب من جملة ولو
تقديرا ذو مبدا ومقطع مندرج في سورة واصلها العلامة ومنه
ان اية ملكه وقال غيره الاية طايفة من القران منقطعة عما قبلها
وما بعدها وقيل الواحدة من المعدودات في السور وسميت به
لانها علامة على صدق من اتى بها وعلى عجز المتحدى بها واما الكلمة فهي
الصورة القايمة بجميع ما يختلط بها من الحروف واطول الكلام من كتاب
الله ما بلغ نحو عشرة احرف مثل ليستخلفنهم وانلزمكموها واقصرهن
ما كان على حرفين مثل ما ولا وله ولك وشبهه واما الحرف فهو الشبهة
القايمة وحدها من الكلمة وقد تسمى الكلمة حرفا والحرف كلمة على الاتساع
والمجاز قال بعض القرا القران العظيم له انصاف باعتبارات فنصفه
بالحروف النون من نكرا في الكهف والكاف من النصف الثاني وقيل على الفا
من وليتلطف ونصفه بالايات يافكون بالشعرا وقوله فالقي السحرة من النصف
الثاني ونصفه بالسور اخر الحديد والمجادلة من النصف الثاني واما
نقط المصحف وشكله فروي ان عبد الملك بن مروان امر به ابا الاسود الدؤلي
وقيل الحسن البصري ويحيى بن يعمر واول من وضع التشديد والروم والاشمام
الخليل وقال قتادة بدوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا وقال يحيى بن
ابي كثير ما كانوا يعرفون شيا مما احدث في المصاحف الا النقط الثلاث
على روس الايات وعن ابن مسعود قال جردوا القران ولا تخلطوه بشي
وعن النخعي انه كره نقط المصاحف قال مالك لا باس بالنقط في المصاحف
التي تتعلم فيها الغلمان اما الامهات فلا وقال البيهقي في اداب القران
ان يفخم ويكتب مفرجا باحسن خط ولا يصغر ولا يقرمط حروفه ولا يخلط به

ما ليس منه كعدد الايات والسجدات والعشرات والوقوف واختلاف
القراآت ومعاني الايات • وعن الحسن وابن سيرين قالا لا باس بنقط
المصاحف • وعن ربيعة بن ابي عبد الرحمن قال لا باس بشكلها • وقال
النووي نقط المصحف وشكله مستحب لانه صيانة له من اللحن والتحريف
فايدة اخرج ابن اشته في كتاب المصاحف بسنده عن كعب الاحبار فائدة
قال اول من وضع العربي والسرياني والكتب كلها ادم قبل موته
بثلثمايه سنة كتبها في الطين ثم طبخه فلما اصاب الارض الغرق
اصاب كل قوم كتابه فكتبوه فكان اسماعيل بن ابراهيم اصاب كتاب
العرب وعن ابن عباس اول من وضع الكتاب العربي اسماعيل وضع الكتاب
على لفظه ومنطقه وعنه ايضا اول كتاب نزله الله من السما ابو جاد
وقال ابن فارس الذي نقول له ان الخط توقيفي لقوله علم بالقلم علم
الانسان ما لم يعلم وقال ن والقلم وما يسطرون وان هذه
الحروف داخلة في الاسما التي علم الله ادم والقاعدة العربية ان
اللفظ يكتب بحروف هجايه مع مراعاة الابتدا به والوقف وقد
مهد النحاة له اصولا وقواعد وقد خالفها في بعض الحروف خط
المصحف الامام • وقال اشهب سيل مالك هل يكتب المصحف على
ما احدثه الناس من الهجا فقال لا الا الكتبة الاولى • وقال البيهقي
في شعب الايمان من كتب مصحفا فينبغي ان يحافظ على الهجاء الذي
كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيا
فانهم كانوا اكثر علما واصدق قلبا ولسانا واعظم امانة منا فلا
ينبغي ان نظن بانفسنا استدراكا عليهم ذكر نكت في اعجاز القران

وشرايط

وشرايط المعجزة وسميت بذلك لان البشر يعجزون عن الاتيان
بمثلها وشرايطها خمسة الاول ان تكون مما لا يقدر عليه الا الله تعالى
فلو اتى آت في زمان يصح فيه مجي الرسل وادعى الرسالة وجعل معجزته
ان يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد لم يكن هذا معجزة لقدرة الخلق على
مثل ذلك وانما تكون المعجزة كفلق البحر وانشقاق القمر ونحوهما الثاني
ان تخرق العاده فلو قال مدعي الرسالة ايتي مجي الليل بعد النهار
وطلوع الشمس من مشرقها لم يكن ذلك معجزة لان هذه الافعال وان
كانت لا يقدر عليها الا الله فلم تفعل من اجله وقد كانت قبل دعواه
الثالث ان يستشهد بها مدعي الرسالة فيقول ايتي ان يقلب الله هذه
العصا ثعبانا او يشق هذا الحجر فيخرج منه ناقة او ينبع الما من بين اصابعي
فاذا فعل ذلك حصل المتحدى به الرابع ان يقع على وفق المتحدى به
فلو قال مدعي الرسالة ايتي ان تنطق يدي او هذه الدابة فنطقت بان قالت
كذبت او كذب في دعواه فان هذا الكلام الذي خلقه الله دال على كذب
ذلك المدعي لانه لم يقع على وفق دعواه كما روي ان مسيلمة الكذاب تفل
في بير ليكثر ماوها فغارت البير وذهب ما فيها الخامس ان لا ياتي احد
بمثل ما اتى به المتحدى اي المدعي للرسالة على وجه المعارضه ولهذا قال
تعالى فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين • واذا ثبت هذا
فالقران معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الباقية بعده الى يوم القيامة
ومعجزة كل نبي انقرضت بانقراضه او دخلها التبديل والتغيير كالتوراة
والانجيل • واما وجوه اعجاز القران العظيم فمنها النظم البديع
المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وغيرها لان نظمه ليس من نظم

الشعر في شئ ولذلك قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ومنها
الاسلوب المخالف لجميع اساليب العرب ومنها الجزالة التي لا تصح من مخلوق
بحال وتامل ذلك في سوره قٓ والقران المجيد الى اخرها وقوله سبحانه
والارض جميعا قبضته يوم القيامه الى اخر السورة ● قال ابن الحصار فمن
علم ان الله تعالى هو الحق علم ان مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره
ولا يصح من اعظم ملوك الدنيا ان يقول لمن الملك اليوم ولا ان يقول
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشا ومنها التصرف في لسان العرب
على وجه لا يستقل به عربي حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على اصابته
في وضع كل كلمة وحرف موضعه ومنها الاخبار عن الامور التي تقدمت
من اول الدنيا الى وقت نزوله من امي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا
يخطه بيمينه فاخبر بما كان من قصص الانبيا مع اممها والقرون الخالية
في دهرها ومنها الوفا بالوعد المدرك بالحس في العيان في كل ما وعد الله
به وهي تنقسم الى اخباره المطلقة كوعده بنصر رسوله واخراج الذين
اخرجوه من وطنه والى وعد مقيد بشرط كقوله ومن يتوكل على الله فهو
حسبه ومن يومن بالله يهد قلبه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومنها الاخبار
عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها الا بالوحي كقوله الٓمٓ غلبت الروم
في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله وعد الله الذين امنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض وقوله لتدخلن المسجد الحرام
ان شا الله امنين الى غير ذلك ● ومنها ما تضمنه القران من العلم الذي هو
قوام جميع الانام في الحلال والحرام وساير الاحكام ومنها الحكم البالغة
التي لم تجر العاده بان تصدر في كثرتها وشرفها من ادمي ومنها التناسب
ز

في جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف قال تعالى ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ● ومنها الروعة التي له
في قلوب السامعين واسماعهم سوا المقر والجاحد ● ومنها انه لم يزل
ولا يزال غضا طريا في اسماع السامعين وعلى السنة القارئين وغير ذلك
من وجوه الاعجاز **فصل** في كيفية انزال القران والوحي به قال الاصفهاني
في اوايل تفسيره اتفق اهل السنة والجماعة على ان كلام الله منزل واختلفوا
في معنى الانزال فمنهم من قال اظهار القراة ومنهم من قال ان الله الهم
كلامه جبريل وعلمه قراته ثم جبريل اداه الى الارض ● وفي التنزيل
طريقان احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشر الى
صورة الملكية واخذه من جبريل ● والثاني ان الملك انخلع الى البشرية
حتى اخذه الرسول منه والاول اصعب الحالين **وقال** الطيبي لعل نزول
القران على الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتلقفه الملك تلقفا روحانيا
او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول ويلقيه عليه **وقال**
الرازي في حواشي الكشاف الانزال لغة الايوا وبمعنى تحريك الشي من علو
الى سفل وكلاهما لا يتحققان في الكلام فهو مستعمل في معنى مجازي فمن قال
القران معنى قايم بذات الله تعالى فانزاله ان يوجد الكلمات والحروف
الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ ● ومن قال القران هو
الالفاظ فانزاله مجرد اثباته في اللوح المحفوظ وهذا مناسب لكونه
منقولا عن اول المعنيين اللغويين ويمكن ان يكون المراد بانزاله اثباته
في السما الدنيا بعد الاثبات في اللوح المحفوظ وهذا مناسب للمعنى
والمراد بانزال الكتب على الرسل ان يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا

او يحفظه من اللوح المحفوظ وينزل بها عليهم وقال غيره في المنزل على
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة اقوال احدها انه اللفظ والمعنى وان
جبريل حفظ القران من اللوح المحفوظ ونزل به والقول الثاني ان جبريل
نزل بالمعاني خاصة وانه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها
بلغة العرب وتمسك قايل هذا بظاهر قوله نزل به الروح الامين على قلبك
والثالث ان جبريل القي عليه المعنى وانه عبر بهذه الالفاظ بلغة العرب
وان اهل السما يقرونه بلغة العرب ثم انه كذلك قال البيهقي في معنى قوله
انا انزلناه في ليلة القدر يريد والله اعلم انا اسمعنا الملك وافهمناه
اياه وانزلناه بما سمع فيكون الملك منتقلا به من علو الى سفل قال ابو شامة
هذا المعنى يطرد في جميع الفاظ الانزال المضافة الى القران او الى شي منه
يحتاج اليه اهل السنة المعتقدون قدم القران فانه صفة قايمة بذات الله
تعالى وقال غيره كلام الله المنزل قسمان قسم قال الله لجبريل قل للنبي الذي
انت مرسل اليه ان الله يقول لك افعل كذا وكذا ومر بكذا وكذا ففهم جبريل
ما قاله ربه ثم نزل على النبي وقال ما قال له ربه ولم تكن العبارة تلك
العبارة كما يقول الملك لمن يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في
الخدمة واجمع الجند للقتال فان قال الرسول يقول لك الملك لا تتهاون
في خدمتي ولا تترك الجند يتفرق وحثهم على القتال لا ينسب الى كذب
ولا تقصير في اداء الرسالة قال وقسم اخر قال الله لجبريل اقرا على النبي
هذا الكتاب فنزل جبريل بكلمة الله تعالى من غير تغيير كما يكتب الملك
كتابا ويسلمه الى امين ويقول اقراه على فلان فهو لا يغير منه كلمة
ولا حرفا قال الجلال السيوطي القران هو القسم الثاني والقسم الاول

هو

هو السنة كما ورد ان جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقران ومن
هنا جاز رواية السنة بالمعنى لان جبريل اداه بالمعنى ولم تجز القراة
بالمعنى لان جبريل اداه باللفظ والسر في ذلك ان المقصود منه التعبد
بلفظه والاعجاز به فلا يقدر احد ان ياتي بلفظ يقوم مقامه وقال
الزركشي في البرهان القران والقراة حقيقتان متغايرتان فالقران
هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والاعجاز والقراة
اختلاف الفاظ الوحي المذكور في الحروف او كيفيتها من تشديد وتخفيف
وغيرهما ذكر معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القران انزل
على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه اختلف العلما في المراد بالاحرف
السبعة على نحو اربعين قولا احدها انه من المشكل الذي لا يدرى معناه
لان الحرف يصدق لغة على حرف الهجا وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة
قاله ابن سعدان الثاني ان المراد بها سبع قراآت قال ابو شامة ظن قوم
ان القراآت السبع الموجودة الان هي التي اريدت في الحديث وهو
خلاف اجماع اهل العلم وقال ابن العربي ليست هذه السبعة متعينة
للجواز حتى لا يجوز غيرها كقراة ابي جعفر وشيبة والاعمش ونحوهم فان
هولاء مثلهم او فوقهم وكذا قال غيره الثالث المراد بها الاوجه التي
يقع بها التغاير ذكره ابن قتيبة الرابع المراد سبعة اوجه من المعاني المتفقة
بالفاظ مختلفة نحو اقبل وتعال وهلم وعجل واسرع والى هذا ذهب سفيان
ابن عيينة وابن جرير وابن وهب الخامس المراد سبع لغات والى هذا
ذهب ابو عبيد وثعلب والازهري واختاره ابن عطية وصححه البيهقي
في الشعب السادس المراد سبعة اصناف فقيل امر ونهي وحلال وحرام

ومحكم ومتشابه وامثال قال ابن عطية وهذا القول ضعيف لان الاجماع
على ان التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام ولا في تغيير شي
من المعاني المذكورة وقيل المراد بها المطلق والمقيد والعام والخاص
والنص والموول والمجمل وقيل الحذف والصلة والتقديم والتاخير
والاستعارة والتكرار والحقيقة والمجاز وقيل المراد بها سبعة انواع
من المعاملات الزهد والقناعة مع اليقين والحزم والخدمة مع الحيا
والكرم والفتوة مع الفقر والمجاهدة والمراقبة مع الخوف والرجا
والتضرع مع الرضي والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة والشوق مع
المشاهدة قاله الصوفية وقيل المراد سبعة علوم علم الانشاء
والايجاد وعلم التوحيد والتنزيه وعلم صفات الذات وعلم صفات
الفعل وعلم العفو والعذاب وعلم الحشر والحساب وعلم النبوات
وقيل غير ذلك ذكر معرفة المكي والمدني قال ابن النقيب في مقدمة
تفسيره المنزل من القران على اربعة اقسام مكي ومدني وما بعضه مكي
وما بعضه مدني وما ليس بمكي ولا مدني وللناس في المكي والمدني
اصطلاحات ثلاثة اشهرها ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل
بعدها سوا نزل بالمدينة ام بمكة عام الفتح او عام حجة الوداع ام بسفر
من الاسفار والثاني ان المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني
ما نزل بالمدينة وعلى هذا تثبت الواسطة فما نزل بالاسفار لا يطلق
عليه مكي ولا مدني الثالث ان المكي ما وقع خطابا لاهل مكة والمدني
ما وقع خطابا لاهل المدينة ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل بمنى
وعرفات وفي المدينة ضواحيها كالمنزل ببدر واحد قال القاضي

ابوبكر

ابوبكر انما يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين
وسيأتي في اوايل السور بيان المكي والمدني والمختلف فيه فايدة
اخرج الحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلايل والبزار عن عبد الله
قال ما كان يايها الذين امنوا نزل بالمدينة وما كان يايها الناس فبمكة
وعن ميمون بن مهران ما كان في القران يايها الناس او يا بني ادم فانه
مكي وما كان يايها الذين امنوا فانه مدني قال ابن عطية وغيره هو
في يايها الذين امنوا صحيح واما يايها الناس فقد ياتي في المدني وقال
غيره هذا القول ان اخذ على ظاهره ففيه نظر فان سورة البقرة
مدنية وفيها يايها الناس وسورة النسا مدنية واولها يايها
الناس وقال مكي هذا انما هو في الاكثر وليس بعام وفي كثير من السور
المكية يايها الذين امنوا وقال غيره الاقرب حمله على انه خطاب
المقصود به اهل مكة او المدينة واما اول ما نزل ففيه اقوال احدها
وهو الصحيح اقرا باسم ربك كما رواه الشيخان وغيرهما والقول الثاني
يايها المدثر لما رواه الشيخان عن جابر القول الثالث سورة الفاتحة
قال في الكشاف ذهب ابن عباس ومجاهد الى ان اول سورة نزلت اقرا
واكثر المفسرين الى ان اول سورة نزلت فاتحة الكتاب قال ابن حجر والذي
ذهب اليه اكثر الايمة هو الاول والقول الرابع بسم الله الرحمن الرحيم
حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره واما اخر ما نزل فقيل اية الكلالة
اخر النسا رواه الشيخان عن البرا بن عازب وقيل اية الربا رواه الشيخان
عن ابن عباس والبيهقي عن عمر وقيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية
رواه النسائي وغيره عن ابن عباس وقيل اخر براءة رواه الحاكم عن ابي

ابن كعب واخر سورة نزلت سورة النصر رواه مسلم عن ابن عباس وقيل
سورة براءة رواه الشيخان عن البراء ذكر هل ورد في القران كلمات خارجة
عن لغات العرب اولا لا خلاف بين الامة انه ليس في القران كلام مركب على
اساليب غير العرب وان فيه اسما اعلاما لمن لسانه غير لسان العرب
كاسرائيل وجبريل ونوح ولوط • واختلفوا هل وقع فيه الفاظ غير
اعلام مفردة من غير كلام العرب فذهب الشافعي وابو عبيدة وابن فارس
والقاضي ابو بكر بن الطيب والطبري وغيرهما الى ان ذلك لا يوجد
فيه وان القران عربي صحيح وما وجد فيه من الالفاظ التي تنسب الى
ساير اللغات انما اتفق فيها ان تواردت اللغات فتكلمت بها العرب
والفرس والحبشة وغيرهم • وذهب بعضهم الى وجودها فيه وان
تلك الالفاظ لقلتها لا تخرج القران عن كونه عربيا ولا الرسول عن كونه
متكلما بلسان قريش قومه فالقصيدة العربية التي فيها كلمة فارسية
لا تخرج بها عن كونها عربية وبالعكس • فمن ذلك المشكاة الكوة • نشا
قام من الليل • ومنه ان ناشئة الليل • ويؤتكم كفلين ضعفين • فرت
من قسورة الاسد • ابلعي ازدردي • الاواه الموقن • الجبت الشيطان •
حوبا اثما • السجل رجل • الطاغوت الكاهن • طوبى اسم الجنة • غيض الما
نقص • بشر يا انسان • يصدون يضجون كل ذلك بلسان الحبشة •
الغساق البارد المنتن بلسان الترك • القسطاس الميزان • الصراط
الطريق • فردوس بستان • القسط العدل • قنطار اثنى عشر الف
اوقيه كله بلغة الروم • الطور الجبل • اليم البحر • رهوا ساكنا
سجدا مقنعي الروس • سريا نهرا • هونا حلما كله بالسريانية • التنور

وجه

وجه الارض • استبرق الديباج الغليظ • جهنم النار كله بالعجمية •
اباريق معناه طريق الماء • السجل الكتاب • سجيل اولها حجارة واخرها
طين • سرادق الدهليز • سندس رقيق الثياب • كورت غورت كله
بالفارسية • وقد استقصى ذلك بعض العلماء وانهاه الى نحو ستين لفظا
ونظمت في ابيات قال ابن عطية تحقيقة العبارة عن هذه الالفاظ
انها في الاصل اعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه
ومما يحتاج اليه المفسر معرفة سبب النزول • قال الجعبري نزول القران
على قسمين • قسم نزل ابتداء • وقسم نزل عقب واقعة او سوال • ولمعرفة
ذلك فوايد منها معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ••
ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى ان العبرة بخصوص السبب
ومنها ان اللفظ يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه فاذا عرف
السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته فان دخول صورة السبب
قطعي واخراجها بالاجتهاد ممنوع • ومنها الوقوف على المعنى وازالة
الاشكال قال الواحدي لا يمكن معرفة تفسير الاية دون الوقوف
على قصتها وبيان نزولها • وقال ابن دقيق العيد بيان سبب النزول
طريق قوي في فهم معاني القران • وقال ابن تيمية معرفة سبب النزول
يعين على فهم الاية فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب •
وقد اشكل على مروان بن الحكم معنى قوله لا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا الاية وقال لئن كان كل امرئ فرح بما اتى واحب ان يحمد
بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون • حتى بين له ابن عباس ان الاية
نزلت في اهل الكتاب حين سالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شي

فكتموه اياه واخبروه بغيره واروه انهم اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا
بذلك اليه اخرجه الشيخان وحكي عن عثمان بن مظعون وعمرو بن
معدي كرب انهما كانا يقولان الخمر مباحة ويحتجان بقوله تعالى ليس
على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الايه ولو علما
سبب نزولها لم يقولا ذلك وهو ان ناسا قالوا لما حرمت الخمرة كيف
بمن قتل في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس فنزلت
اخرجه النساي واحمد وغيرهما ومن ذلك قوله واللاي يئسن
من المحيض من نسايكم ان ارتبتم الاية فقد اشكل معنى هذا الشرط
على بعض الايمة حتى قال الظاهرية بان الايسة لا عدة عليها اذا
لم ترتب وقد بين ذلك سبب النزول وهو انه لما نزلت اية البقرة
في عدة النسا قالوا قد بقي عدد من عدد النسا لم يذكرن الصغار
والكبار فنزلت اخرجه الحاكم فعلم بذلك ان الاية خطاب
لمن لم يعلم حكمهن في العدة ومعنى ان ارتبتم اي اشكل عليكم حكمهن
وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن ومن ذلك قوله تعالى فاينما
تولوا فثم وجه الله فانا لو تركنا ومدلول اللفظ اقتضى ان المصلي
لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضرا وهو خلاف الاجماع
فلما عرف سبب نزولها علم انها في نافلة السفر او فيمن صلى
بالاجتهاد وبان له الخطا على اختلاف الرواية في ذلك ومن ذلك
قوله ان الصفا والمروة من شعاير الله الاية فان ظاهر لفظها
لا يقتضي ان السعي فرض وقد ذهب بعضهم الى عدم فرضيته
تمسكا بذلك وقد ردت عايشة على عروة في فهمه ذلك بسبب

نزولها وهو ان الصحابة تاثموا من السعي بينهما لانه من عمل الجاهلية
فنزلت وغير ذلك من الايات واختلف اهل الاصول هل العبرة
بعموم اللفظ او بخصوص السبب والاصح عند الشافعي الاول وقد
نزلت ايات في اسباب واتفقوا على تعديتها الى غير اسبابها كنزول
اية الظهار في سلمة بن صخر واية اللعان في شان هلال بن امية
وحد القذف في رماة عايشة ثم تعدى الى غيرهم ومن لم يعتبر
عموم اللفظ قال خرجت هذه الايات ونحوها بدليل اخر كما قصرت
ايات على اسبابها اتفاقا فالدليل قام على ذلك قال الواحدي لا يحل
القول في اسباب نزول الكتاب الا بالرواية والسماع ممن شاهدوا
التنزيل ووقفوا على الاسباب وبحثوا عن علمها وقال ابن سيرين سالت
عبيدة عن اية من القران فقال اتق الله وقل سدادا ذهب الذين يعلمون
فيما انزل القران وقال غيره معرفة سبب النزول امر يحصل للصحابة
بقراين تحتف بالقضايا وربما لم يجزم بعضهم فقال احسب هذه
الاية نزلت في كذا فايده من المهمات تجويد القران فان التجويد
حلية القراة وهو اعطا الحروف حقوقها وترتيبها ورد الحرف الى مخرجه
واصله وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير اسراف ولا تعسف
ولا افراط ولا تكلف والى ذلك اشار صلى الله عليه وسلم من احب
ان يقرا القران غضا كما انزل فليقراه على قراءة ابن ام عبد يعني ابن مسعود
وكان رضي الله عنه قد اعطي حظا عظيما في تجويد القران ولا شك
ان الامة كما هم متعبدون بفهم معاني القران واقامة حدوده كذلك
هم متعبدون بتلاوته على الصفة المتلقاة من ايمة القرا المتصلة

بالحضرة النبوية، وقد عد العلما القراءة بغير تجويد لحنا على ما هو
مبين في فن القراءة ومن المهمات ايضا معرفة اعراب القران ومن فوايده
معرفة المعنى لان الاعراب يميز المعاني ويوقف على اغراض المتكلمين،
اخرج ابو عبيد في فضايله عن عمر بن الخطاب قال تعلموا اللحن والفرايض
والسنن كما تعلمون القران، واخرج عن يحيى بن عتيق قال قلت للحسن
يا ابا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها
قراءته قال حسن يا ابن اخي فتعلمها فان الرجل يقرا الاية فيعيى بوجهها
فيهلك فيها وعلى الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن اسراره النظر
في الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدا او خبرا او فاعلا او مفعولا
او في مبادي الكلام او في جواب الى غير ذلك، ويجب عليه مراعاة
امور احدها وهو اول واجب عليه ان يفهم ما يريد ان يعربه مفردا
او مركبا قبل الاعراب فانه فرع المعنى، ولهذا لا يجوز اعراب فواتح السور
اذا قلنا بانها من المتشابه الذي استاثر الله بعلمه الثاني ان يراعي
ما تقتضيه الصناعة فربما راعى المعرب وجها صحيحا ولا ينظر في
صحته في الصناعة فيخطي من ذلك قول بعضهم في وثمودا فما ابقى
ان ثمودا مفعول مقدم وهذا ممتنع لان لما النافية الصدر فلا يعمل
ما بعدها فيما قبلها بل هو معطوف على عادا او تقدير واهلك ثمودا
الثالث ان يكون مليا بالعربية ليلا يخرج على ما لم يثبت،،
كقول بعضهم في كما اخرجك ربك ان الكاف قسم ويبطله ان
الكاف لم تجي بمعنى واو القسم واطلاق ما الموصولة على الله وربط
الرسول بالظاهر وهو فاعل اخرجك وباب ذلك الشعر، واقرب
ما

ما قيل في الاية انها مع مجرورها خبر محذوف اي هذه الحال من تنفيلك
الغزاة على ما رايت في كراهتهم لها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له
الرابع ان يجتنب الامور البعيدة والاوجه الضعيفة واللغات الشاذة،
ويخرج على القريب والقوي والفصيح فان لم يظهر له الا البعيد فله عذر
الخامس ان يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الاوجه الظاهرة فيقول في
سبح اسم ربك الاعلى يجوز كون الاعلى صفة للرب وصفة للاسم السادس
ان يراعي الشروط المختلفة بحسب الابواب ومتى لم يتاملها اختلطت عليه
الابواب والشرايط، ومن ثم خطي الزمخشري في قوله ملك الناس اله الناس
انهما عطفا بيان، والصواب انهما نعتان لاشتراط الاشتقاق في النعت
والجمود في عطف البيان السابع ان يراعي في كل تركيب ما يشاكله فربما خرج
كلاما على شي ويشهد استعمال اخر في نظير ذلك الموضع بخلافه، ومن ثم
خطي من قال في ذلك الكتاب لا ريب فيه ان الوقف لا ريب، وفيه خبر هدى
ويدل على خلاف ذلك قوله في سورة السجدة تنزيل الكتاب لا ريب فيه
من رب العالمين، الثامن ان يراعي الرسم ومن ثم خطي من قال في سلسبيلا
انها جملة امرية اي سل طريقا توصل اليها لانها لو كانت كذلك لكتبت
مفصولة التاسع ان يتامل عند ورود المشتبهات ومن ثم خطي من قال
في احصى لما لبثوا امدا انه افعل تفضيل والمنصوب تمييز وهو غلط فان
الامد ليس محصيا بل محصى ولشرط التمييز بعد افعل كونه فاعلا في المعنى
فالصواب انه فعل وامدا مفعول مثل واحصى كل شي عددا، العاشر
ان لا يخرج على خلاف الاصل او خلاف الظاهر لغير مقتض ومن ثم خطي
مكي في قوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ان الكاف نعت لمصدر

اى ابطالا كابطال الذى والوجه كونه حالا من الواو اى لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين بالذى فهذا الاحذر فيه ● الحادى عشر ان يبحث عن الاصلى والزايد نحو الا ان يعفون فانه قد يتوهم ان الواو فى يعفون ضمير الجمع فيشكل اثبات النون وليس كذلك بل هى فيه لام الكلمة فهى اصلية والنون ضمير النسوة والفعل معها مبنى ● الثانى عشر ان يجتنب اطلاق لفظ الزايد فى كتاب الله تعالى فان الزايد قد يفهم منه انه لا معنى له وكتاب الله منزه عن ذلك ولهذا فر بعضهم الى التعبير بدله بالتاكيد والصلة والمقحم وقال ابن الخشاب اختلف فى جواز اطلاق لفظ الزايد فى القران والاكثرون على جوازه نظرا الى انه نزل بلسان القوم ومتعارفهم ولان الزيادة بازا الحذف هذا للاختصار والتخفيف وهذا للتوكيد والتوطية ومنهم من ابى ذلك وقال هذه الالفاظ المحمولة على الزيادة جات لفوايد ومعان تخصها فلا اقضى عليها بالزيادة ● قال والتحقيق انه ان اريد بالزيادة اثبات معنى لا حاجة اليه فباطل لانه عبث فتعين ان الينا به حاجة لكن الحاجات الى الاشيا قد تختلف بحسب المقاصد فليست الحاجة الى اللفظ الذى عده هولاء زيادة كالحاجة الى اللفظ المزيد عليه انتهى ● قال الجلال السيوطى واقول بل الحاجة اليه كالحاجة اليه سوا بالنظر الى مقتضى الفصاحة والبلاغة وانه لو ترك كان الكلام دونه مع افادته اصل المعنى المقصود ابترا خاليا عن الرونق البليغى لا شبهة فى ذلك ومثل هذا يستشهد عليه بالاسناد البيانى الذى خالط كلام وعرف مواقع استعمالهم وذاق حلاوة الفاظهم واما النحوى الجافى فعن ذلك بمنقطع الثرى انتهى ● واذا تجاذب المعنى والاعراب فى الشى الواحد بان يوجد فى الكلام ان المعنى يدعو الى امر

والاعراب

والاعراب يمنع منه فالمتمسك به صحة المعنى ويوول لصحة الاعراب وذلك كقوله انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فالظرف الذى هو يوم يقتضى المعنى انه يتعلق بالمصدر وهو رجع اى انه على رجعه فى ذلك اليوم لقادر ولكن الاعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله فيجعل العامل فيه فعلا مقدرا دل عليه المصدر **خاتمة** فى انواع الخطاب قال ابن الجوزى الخطاب فى القران على خمسة عشر وجها خطاب العام والمراد به العموم كقوله والله خلقكم وخطاب الخاص والمراد الخصوص كقوله يايها الرسول بلغ وخطاب العام والمراد الخصوص ● كقوله يايها الناس اتقوا ربكم لم يدخل فيه الاطفال والمجانين وخطاب الخاص والمراد العموم يايها النبى اذا طلقتم وخطاب الجنس يايها الناس وخطاب النوع يا بنى اسرائيل ● وخطاب العين يا ادم اسكن ● وخطاب المدح يايها الذين امنوا وخطاب الذم يايها الذين كفروا ● وخطاب الكرامة يايها الرسول ● وخطاب الاهانة فانك رجيم ● وخطاب التهكم ذق انك انت العزيز الكريم ● وخطاب الجمع بلفظ الواحد يايها الانسان ما غرك بربك وغير ذلك ● قال ابن القيم تامل خطاب القران تجد ملكا له الملك كله ● وله الحمد كله ● ازمة الامور كلها بيده ● ومصدرها منه ومردها اليه ● استوى على العرش لا يخفى عليه خافيه ● فى اقطار مملكته ● عالما بما فى نفوس عباده ● مطلعا على اسرارهم وعلانيتهم ● منفردا بتدبير المملكة يسمع ويرى ● ويعطى ويمنع ● ويثيب ويعاقب ● ويكرم ويهين ويخلق ويرزق ويميت ويحيى ويقدر ويقضى ويدبر لا تتحرك ذرة الا باذنه ● ولا تسقط ورقة الا بعلمه ● فتامل كيف تجده

يثني على نفسه ويمجد نفسه ٠ وينصح عباده ويدلهم على ما فيه
سعادتهم وفلاحهم ويرغبهم فيه ويحذرهم ما فيه هلاكهم ٠
ويتعرف اليهم باسمائه وصفاته ٠ ويتحبب اليهم بنعمه والآيه ٠ هم
يذكرهم بنعمه عليهم ٠ ويامرهم بما يستوجبون به تمامها ويحذرهم
من نقمه ٠ ويذكرهم بما اعد لهم من الكرامه ان اطاعوه ٠ وما اعد
لهم من العقوبة ان عصوه ٠ ويخبر بصنعه في اوليايه واعدايه ٠ وكيف
كانت عاقبة هولا وهولا ويثني على اوليايه بصالح اعمالهم واحسن
اوصافهم ويذم اعداوه بسيّ اعمالهم وقبيح صفاتهم ويضرب الامثال
وينوع الادلة والبراهين ويصدق الصادق ويكذب الكاذب ٠
ويقول الحق ويهدي السبيل ٠ ويدعو الى دار السلام ٠ ويذكر اوصافها
وحسنها ونعيمها ويحذر من دار البوار ٠ ويذكر عذابها والامها
ويذكر عباده فقرهم اليه ٠ وشدة حاجتهم اليه من كل وجه ٠ وانهم
لا غنى لهم عنه طرفة عين ٠ ويذكر غناه عنهم وعن جميع الموجودات
وانه الغني بنفسه عن كل ما سواه ٠ وكل ما سواه فقير اليه بنفسه ٠
وانه لا ينال احد ذرة من الخير فما فوقها الا بفضله ولا رحمته ٠ ولا ذرة
من الشر فما فوقها الا بعدله وحكمته ٠ ونشهد من خطابه عتابه لاحبابه
بالطف عتاب ٠ وانه مع ذلك مقيل عثراتهم ٠ وغافر زلاتهم ٠ ومقيم
اعذارهم ٠ ومصلح فسادهم ٠ والدافع عنهم ٠ والمحامي عنهم ٠ والناصر
لهم ٠ والكفيل بمصالحهم ٠ والمنجي لهم من كل كرب ٠ والموفي لهم بوعده ٠
وانه وليهم الذي لا ولي لهم سواه ٠ فهو مولاهم الحق وينصرهم على عدوهم
فنعم المولى ونعم النصير ٠ واذا شهدت القلوب من القران ملكا

عظيما

عظيما جوادا رحيما هذا شانه فكيف لا تحبه وتتنافس في القرب منه
وتنفق انفاسها في التودد اليه ويكون احب اليها من كل ما سواه ٠
وكيف لا تلهج بذكره ويصير حبه والشوق اليه والانس به هو غذاءها
وقوتها ودواها بحيث ان فقدت ذلك فسدت وهلكت ولم تنتفع
بحياتها ٠ قال بعض الاقدمين انزل القران على ثلاثين نحوا كل نحو منها
غير صاحبه فمن عرف وجوهها ثم تكلم في الدين اصاب ووفق ٠ ومن لم
يعرفها فتكلم في الدين كان الخطا اقرب اليه وهي المكي والمدني والناسخ
والمنسوخ والمحكم والمتشابه والتقديم والتاخير والمقطوع والموصول
والسبب والاضمار والخاص والعام والامر والنهي والوعد والوعيد
والحدود والاحكام والخبر والاستفهام والابهة والحروف المصرفة
والاعذار والانذار والحجة والاحتجاج والمواعظ والامثال والقسم وقال
بعضهم خطاب القران ثلاثة اقسام قسم لا يصلح الا للنبي صلى الله عليه
وسلم وقسم لا يصلح الا لغيره وقسم يصلح لهما واختلف هل في القران
شي افضل من شي فذهب الامام ابو الحسن الاشعري والقاضي ابو بكر الباقلا
وابن حبان الى المنع لان الجميع كلام الله ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل
عليه وروي هذا عن مالك قال يحيى بن يحيى تفضيل بعض القران على بعض
خطا ولذلك كره مالك ان تعاد سورة او تردد دون غيرها وقال
ابن حبان في حديث ابي بن كعب ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل
مثل ام القران ان الله لا يعطي لقاري التوراة والانجيل من الثواب
مثل ما يعطي لقاري ام القران اذ الله بفضله فضل هذه الامة على
غيرها من الامم واعطاها من الفضل على قراة كلامه اكثر مما اعطى غيرها

من الفضل على قراة كلامه • قال وقوله اعظم سورة اراد به في الاجر •
لان بعض القران افضل من بعض • وذهب اخرون الى التفضيل لظاهر
الاحاديث منهم اسحاق بن راهُوْيَه وابو بكر بن العربى والغزالى • وقال
القرطبى انه الحق ونقله عن جماعة من العلما والمتكلمين • وقال الغزالى في
جواهر القران لعلك تقول قد اشرت الى تفضيل بعض ايات القران على
بعض والكلام كلام الله فكيف يفارق بعضها بعضا وكيف يكون بعضها
اشرف من بعض فاعلم ان نور البصيرة ان كان لا يرشدك الى الفرق بين
اية الكرسي وبين اية المداينات وبين سورة الاخلاص وسورة تبت
فقلد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم فهو الذى انزل عليه القران
وقال يس قلب القران وفاتحة القران افضل سور القران • واية الكرسي
سيدة اي القران • وقل هو الله احد تعدل ثلث القران والاخبار الوارده
في فضايل القران وتخصيص بعض السور والايات بالفضل وكثرة الثواب
في تلاوتها لا تحصى • وقال ابن الحصار العجب ممن يذكر الاختلاف في
ذلك مع النصوص الواردة بالتفضيل • وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام
كلام الله في الله افضل من كلامه في غيره فقل هو الله احد افضل من
تبت يدى ابى لهب وتب انتهى • واختلف القايلون بالتفضيل •
فقيل ذلك راجع الى عظم الاجر ومضاعفة الثواب وقيل راجع الى
ذات اللفظ **القول في الاستعاذة** امر الله بالاستعاذة عند اول
كل قراءة قال تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله اى اذا اردت •
فاوقع الماضى موقع المستقبل كما قال الشاعر •
• وانى لاتيكم لذكرى الذى مضى • من الود واستيناف ما كان في غد •

اى

اى ما يكون والامر في ذلك على الندب في قول الجمهور وليس التعوذ
من القران وهو قول القارئ اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهذا
اللفظ هو الذى عليه الجمهور لانه لفظ كتاب الله • وفي الحديث
قل يا ابن ام عبد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانى جبريل
عن اللوح عن القلم • واجمع القرا على اظهار الاستعاذة عند اول القراة
الا نافعا وحمزة فانهما اسراها فان قيل فما الفايدة في الاستعاذة
من الشيطان وقت القراة قلنا فايدتها امتثال الامر وليس للشرع
فايدة الا القيام بحق الوفا في امتثالها امرا واجتنابها نهيا وقيل
فايدتها الامن من وسوسة الشيطان عند القراة ليصد عن تدبرها
والعمل بما فيها ومعنى الاستعاذة والاستجاره والتحيز الى الشى على معنى
الامتناع من المكروه يقال عذت بفلان واستعذت به لجات اليه •
واصل اعوذ اعْوُذ نقلت الضمة الى العين لاستثقالها على الواو فسكنت
والشيطان واحد الشياطين والنون اصليه لانه من شطن اذا بعُد وسمي
شيطانا لبعده عن الحق وتمرده وقيل هو ماخوذ من شاط اذا احترق و
بطل فالنون زايدة والرجيم المبعد من الخير المهان واصل الرجم الرمى
بالحجارة والرجم ايضا القتل والطرد واللعن والشتم **بسم الله الرحمن الرحيم**
سميت بذلك للافتتاح بها في اول الكتاب وسر الافتتاح بها لاشتمالها
على اسرار القران من صفات الله تعالى وانفراده وملكه للدنيا والاخرى •
والامر والنهى المشار اليهما بذكر الصراط المستقيم والوعد والوعيد
والقصص المشار اليها بذكر فريقى الانعام ومقابله وغير ذلك وتسمى
الوافيه والكافيه والشافيه وام القران والكنز والصلاة والاساس

سورة الفاتحة

والمثاني والقرآن العظيم والمنجية وغير ذلك وهي مكية على الاصح وسبع
ايات اول السابعة عند الشافعي صراط الذين الى اخرها اعتبارا بالبسملة
ان كانت منها وان لم تكن منها فالسابعة غير المغضوب عليهم الى اخرها
ويقدر في اولها قولوا ليكون ما قبل اياك نعبد مناسبة له لكونها من
مقول العباد • وفي الحديث فاتحة الكتاب شفا من كل سم • وفي رواية
شفا من كل دا • وفي الترمذي والنساي والحاكم من حديث ابي بن كعب مرفوعا
ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القران وهي السبع المثاني ••
وفي البخاري اعظم سورة في القران الحمد لله رب العالمين • وفي حديث
ابن عباس فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القران بسم الله الرحمن الرحيم
من الفاتحة وعليه قرا مكة والكوفة وفقهاوهما • قال بعض العلما
بسم الله الرحمن الرحيم قسم من ربنا انزله عند راس كل سورة يقسم لعباده
ان هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق فاني اوفي
لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري • وروى
الشعبي والاعمش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك
اللهم حتى امر ان يكتب بسم الله فلما نزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
كتب بسم الله الرحمن فلما نزل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
كتبها قال الشافعي هي اية من الفاتحة وتردد قوله في ساير السور
وذهب قرا المدينة والبصرة والشام وفقهاوهم الى انها ليست
من الفاتحة ولم ينص ابو حنيفة فيها بشيء فظن انها ليست عنده
من السوره • وقال مالك ليست باية من الفاتحة ولا غيرها الا في
النمل • وقال ابن المبارك هي اية من كل سورة لما روي انه صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن
الرحيم رواه ابو داود وغيره ولان النبي صلى الله عليه وسلم عدها
اية من الفاتحة كما رواه ابن خزيمة في صحيحه • وروى ابو هريرة انه
صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله
الرحمن الرحيم ولانها مكتوبة بخط السور في مصاحف الصحابة مع مبالغتهم
في انه لا يكتب فيها ما ليس منه فهي قران حكما لا قطعا فايدة البسملة
نزلت مع السورة في بعض الاحرف السبعة من قرا بحرف نزلت فيه عدها
اية ومن قرا بغير ذلك لم يعدها • واخرج الواحدي باسناده عن عكرمة
والحسن قالا اول ما نزل من القران بسم الله الرحمن الرحيم واول سورة اقرا
باسم ربك والبا متعلقة بمحذوف والتقدير بسم الله اقرا لان الذي
يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدا له وقدر
الفعل متاخرا لافادة الاختصاص والاهتمام بشان المقدم لقصد
الموحد الرد على من يبدا باسم الهته ولان تقدير المعمول هنا اوقع كما في قوله
بسم الله مجراها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل
في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراة وانما قدم
في قوله اقرا باسم ربك للاهتمام بالقراءة لانها اول سورة نزلت ••
وتعلق البداءة بالتسمية تعلق المصاحبة او الاستعانة • والاسم مشتق
من السمو وهو العلو والرفعة وقيل من السمة وهي العلامة وهو غير
المسمى لفظا وذاته ان اريد باللفظ الذات وينقسم اذا اريد به الصفة
الى ما هو عين والى ما هو غير والى ما هو لا عين ولا غير وبسم يكتب بغير
الف استغنا بالباء الالصاق في اللفظ والخط لكثرة الاستعمال بخلاف

قوله اقرا باسم ربك فانها لم تحذف لقلة الاستعمال وكسرت الباء
ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لانها لازمة للحرفية والجر والجلالة
علم على المعبود بحق الواجب الوجود وهو الاسم الاعظم على قول
اكثر اهل العلم وعدم الاجابة لكثير لعدم استجماع شرايط الدعا
واصله الاله حذفت الالف وعوض منها اللام واله اسم جنس غلب
على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا والبيت
على الكعبة واختلف هل هو مشتق او علم موضوع للذات فذهب
الى الاول كثير واختلف مم اشتق فقيل من اله اذا تحير والوله
ذهاب العقل فالله تعالى تتحير العقول وتذهب في حقايق صفاته
وقيل لان الخلق يالهون اليه في حوايجهم ويتضرعون اليه عند
شدايدهم وقيل غير ذلك وذهب الى القول الثاني جماعة منهم
الشافعي وروي عن الخليل وسيبويه والالف واللام لازمة
له قال سيبويه هما عوض عن الهمزة المحذوفة بنا على ان اصله
اله قال الفارسي ويدل على ذلك قطع همزها ولزومها وقال
بعضهم اصله ها الكناية زيدت فيه لام الملك فصار له ثم
زيدت ال تعظيما وفخموه توكيدا وقال الخليل وخلايق هي من بنية
الكلمة لا للتعريف ولا لغيره لان حرف الندا يدخل عليها وهو
اكثر الاسماء استعمالا وذكر في القران في الفين وثلاث مايه
وستين موضعا والرحمن والرحيم صفتا مبالغة اشتقا من رحم
كالغضبان من غضب وعليم من علم والرحمة رقة القلب وهي
كيفية نفسانية والمراد بهما في حق الله تعالى الانعام اذ كل صفة

استحال

استحال ظاهرها في حقه تعالى فالمراد بها غايتها التي هي افعال دون
المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لزيادة بنايه
وزيادة البنا تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وذكر البرهان
الرشيدي ان صفات الله التي هي على صيغة المبالغة كلها مجاز لانها
موضوعة للمبالغة والمبالغة هي ان تثبت للشي اكثر مما له وصفاته
تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها وايضا فالمبالغة تكون
في صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله منزهة عن ذلك
واستحسنه السبكي وقال الزركشي التحقيق ان صيغ المبالغة قسمان
احدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل والثاني بحسب
تعدد المفعولات ولا شك ان تعددها لا يوجب للفعل زيادة
وعلى هذا القسم تتنزل صفاته تعالى ويرتفع الاشكال وقال
في الكشاف المبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه
من عباده او لانه بليغ في قبول التوبة نزل صاحبها منزلة من لم
يذنب قط لسعة كرمه وقدم الرحمن وان كان القياس الترقي
من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وجواد فياض لان
الرحمن يتناول جلايل النعم وعظايمها واردف بالرحيم كالتتمة
والرديف ليتناول ما دق وما لطف وقيل الرحمن خاص الاسم عام
الفعل والرحيم عام الاسم خاص الفعل وهو قول الجمهور وروي
عن علي بن ابي طالب انه قال في بسم الله شفا من كل دا وعون على كل
دوا واما الرحمن فهو عون لكل من امن به وهو اسم لم يسم به
غيره واما الرحيم فهو لمن تاب وامن وعمل صالحا وروي عن عثمان

ابن عفان انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير
بسم الله الرحمن الرحيم فقال اما البا فبلآء الله وبهاوه • واما
السين فسناوه • واما الميم فملكه • واما الله فلا اله غيره • واما
الرحمن فالعاطف على البر والفاجر من خلقه • واما الرحيم فالرفيق
بالمومنين خاصة الحمد لله الحمد معناه الثنا الكامل بذكر الصفات
الجميلة والافعال الحميدة سوآ كان في مقابلة نعمة ام لا والشكر
ما كان في مقابلة نعمة قولا وعملا واعتقادا • وبينه وبين الحمد
خصوص وعموم والالف واللام في الحمد للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة
كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغيره او للجنس ومعناه
الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للعهد على ارادة الحمد
الذى حمد الله به نفسه وهو نقيض الذم والكفران نقيض الشكر •
ورفع الحمد بالابتدا وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وقد
وانما عدل الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده
وحدوثه رب العالمين اى مالكهم وكل من ملك شيا فهو ربه والرب
اسم من اسمايه تعالى ولا يقال في غيره الا بالاضافة والرب السيد
ومنه اذكرني عند ربك • وفي الحديث ان تلد الامة ربتها اى سيدتها
والرب المصلح والمدبر والقايم ومنه الربانيون لقيامهم بالكتب
والرب المعبود • وسميت الاحبار والاصنام اربابا ومنه قول الشاعر
اربّ يبول الثعلبان براسه • لقد هان من بالت عليه الثعالب •
واصله بمعنى التربية وهي تبليغ الشى الى كماله شيا فشيا ثم وصف
به للمبالغة • واعلم ان الرب اذا استعمل مع النعمة كان للتربية

والاصلاح

والاصلاح وان استعمل مع غيرها كان بمعنى الملك ليناسب الاسم
ما قصد له وان استعمل فيهما كان مما اريد به في مقام ما يناسبه
وقال بعض اهل العلم ان هذا الاسم اسم الله الاعظم لكثرة
دعوة الداعين به • ومعنى رب العالمين مالك لجميع الخلايق من الانس
والجن والملايكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم
يقال عالم الانس عالم الجن الى غير ذلك وغلب في جمعه باليا والنون
اولوا العلم على غيرهم وهو من العلامة لانه علامة على موجده
سبحانه وتعالى • وقال قتادة هو جمع عالم وهو كل موجود سوى الله
تعالى • ولا واحد له من لفظه مثل قوم ورهط • وقيل العالمين اسم جمع
لا جمع لاختصاصه بمن يعقل • والعالم عام فيه وفي غيره والجمع
لا يكون اخص من مفرده • وقال ابن عباس العالمون الانس والجن دليله
ليكون للعالمين نذيرا ولم يكن نذيرا للبهايم • وقال ابو عبيدة
العالم عبارة عمن يعقل وهم اربع الانس والجن والملايكة والشياطين
وقال ابن سالم هم المرتزقون • وقيل غير ذلك الرحمن الرحيم اى
ذى الرحمة وهي ارادة الخير لاهله وصف نفسه بعد رب العالمين
بانه الرحمن الرحيم لانه لما كان في اتصافه برب العالمين ترهيب
قرنه بالرحمن الرحيم لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة
منه والرغبة اليه فيكون اعون على طاعته وامنع ملك يوم الدين
قرئ ملك ومالك فالمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة
كيف يشاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين
من الملك • واختلف ايهما ابلغ فقيل ملك ابلغ واعم من مالك

اذ كل ملك مالك ولا عكس • ولان اسم الملك نافذ على المالك •
في ملكه • وقيل مالك ابلغ لانه يكون مالكا للناس وغيرهم •
فالمالك ابلغ تصرف واعظم • اذ اليه اجراء قوانين الشرع ثم
عنده زيادة التملك • وقال ابو حاتم ان مالكا ابلغ في مدح الخالق
من ملك وملك ابلغ في مدح المخلوقين من مالك والفرق ان المالك
من المخلوقين قد يكون غير ملك • فان قيل كيف قال ملك يوم الدين
وهو ملك يوم الدين وغيره • قيل لان في الدنيا كان له منازعون
في الملك مثل فرعون ونمرود وغيرهما • وفي ذلك اليوم لا ينازعه
احد • واليوم عبارة عما بين طلوع الفجر وغروب الشمس فاستعير
فيما بين مبتدا القيامة الى وقت استقرار اهل الدارين فيهما وقد
يطلق اليوم على الساعة كقوله اليوم اكملت لكم دينكم • والدين
الجزاء على الاعمال والحساب بها • ومنه كما تدين تدان • وفي الحديث
الكيس من دان نفسه اي حاسبها • والدين القضا • والدين الطاعة
يقال دان الرجل اطاع ودان اذا عصا فهو من الاضداد • واضاف
اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم
يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه مالك الامور يوم الدين **اياك**
نعبد رجع من الغيبة الى الخطاب على التلوين لان الكلام اذا
نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع
واكثر ايقاظا للاصغا اليه • ولما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات
عظام تميز بها عن ساير الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب
بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل

على

على الاختصاص • والترقي عن البرهان الى العيان • والانتقال من
الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا • والمعقول مشاهدا
والغيبة حضورا ونعبد معناه نطيع والعبادة اقصى غاية الخضوع
والتذلل ولذلك لم يستعمل الا في الخضوع لله لانه مولى النعم فكان
حقيقا باقصى غاية الخضوع **واياك نستعين** اي نطلب العون والتاييد
والتوفيق وفيه افراد الله اي لا نعبد غيرك ولا نستعينه لان تقديم
المعمول يؤذن بالحصر • واصل نستعين نستعون قلبت حركة الواو
الى العين فصارت ياء والمستكن في الفعلين للقاري ومن معه من
الحفظة وحاضري الجماعة اوله ولساير الموحدين • ادرج عبادته
في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركاتهم
ولهذا شرعت الجماعة • وقدمت العبادة على الاستعانة لتوافق
روس الاي • وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى
الى الاجابة **اهدنا الصراط المستقيم** اهد دعا ورغبة من المربوب الى
الرب • والمعنى دلنا على الصراط المستقيم وارشدنا اليه وارنا
طريق هدايتك • وصيغة الامر والدعا واحدة لان كل واحد منهما
طلب وانما يتفاوتان في الرتبة • والصراط المستقيم قيل هو الاسلام
وقيل طريق الجنة • وقيل القرآن • وقيل طريق السنه • وقيل
غير ذلك واصله في اللغة الطريق الواضح • او المكان المهيا للسلوك
والمستقيم هو الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف • والهداية
دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى
صراط الجحيم على ارادة التهكم ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون •

طلب الثبات والدوام كقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله فان
الانسان قد يهتدى ثم ينقطع وهداية الله انواع لا يحصيها عدد
لكنها تنحصر في اجناس مرتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء
من الاهتدا الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنه والمشاعر
الظاهره والثاني نصب الدلايل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح
والفساد واليه اشار بقوله وهديناه النجدين • واما ثمود فهديناهم
والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله •
وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القران يهدى
للتي هي اقوم والرابع ان يكشف عن قلوبهم ويريهم الاشيا كما هي •
بالوحي والالهام او المنامات الصادقه وهذا قسم يختص بنيله
الانبيا والاوليا واياه عنى بقوله اوليك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده • وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا **صراط**
الذين انعمت عليهم صراط بدل من الاول بدل الكل من الكل وفايدته
التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو الطريق المشهود عليه
بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان
له • وقيل هو صراط لنحو ومعناه العلم بالله والفهم عنه قاله
جعفر بن محمد وعني به القران • واختلف في المنعم عليهم فقال
الجمهور هم النبيون والصديقون والشهدا والصالحون وانتزعوا
ذلك من قوله فاوليك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
الاية • وقيل المومنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله
عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه والانعام

ايصال

ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذ بها الانسان ونعم الله
وان كانت لا تحصى تنحصر في جنسين دنيوى واخروى • والاول قسمان
موهبي وكسبي • والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه
بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق • وجسماني
كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيات العارضة له من الصحة
وكمال الاعضا • والكسبي تزكية النفس عن الرذايل وتحليتها بالاخلاق
السنيه وحصول الجاه والمال • والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه
ويبويه في اعلا عليين مع الملايكة المقربين ابد الابدين والمراد هنا
القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من ذلك القسم الاخر وما
عدا ذلك يشترك فيه المومن والكافر **غير المغضوب عليهم** الجمهور
على ان المغضوب عليهم هم اليهود **ولا الضالين** هم النصارى
وقيل المغضوب عليهم المشركون والضالين المنافقون ويشهد للاول
ما جا مفسرا عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة عدى بن حاتم •
اخرجه الترمذى في جامعه ويشهد له ايضا قوله تعالى في اليهود
فباوا بغضب من الله وقال وغضب الله عليهم وقال في النصارى
قد ضلوا من قبل الاية • والغضب في اللغة الشدة او ثوران النفس
او ارادة الانتقام وغضب الله تعالى ارادته الانتقام ممن عصاه
وهو لا يلحق المومنين بل يلحق الكافرين فقط قاله البكرى • والضلال
في كلام العرب الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق ومنه ضل
اللبن في الما اى غاب • ومنه ائذا ضللنا في الارض اى غبنا وصرنا
ترابا وغير المغضوب بالخفض على البدل من الذين او من الها والميم في

عليهم ونكتة البدل افادة ان المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى
او صفة للذين والذين معرفة ولا توصف المعارف بالنكرات ولا
النكرات بالمعارف الا ان الذين ليس بمقصود فهو عام او لان غير
تعرفت لكونها بين شيين لا سبب بينهما كما تقول الحي غير الميت
والساكن غير المتحرك قولان الاول للفارسي والثاني للزمخشري ولا
في ولا الضالين قيل زايده كما في قوله ما منعك ان لا تسجد وقيل
تاكيد دخلت ليلا يتوهم ان الضالين معطوف على الذين وقال
الكوفيون لا بمعنى غير وقرئ به في الشاذ وآمين معناه استجب وفيه
لغتان مد الالف وقصرها وبني على الفتح كاين لالتقا الساكنين
وليست من القران بدليل انه لم تثبت في المصاحف ولم يكن قبلنا
الا لموسى وهرون عليهما السلام وتسن عقب الفاتحة في الصلاة وخارجها
سورة البقرة قيل هي اول سورة نزلت بالمدينة الا قوله
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية فانها اخر اية نزلت وهذه
السورة فضلها عظيم ويقال لها فسطاط القران لاجتماع كثير من
الايات والاحكام والقصص والعجايب لان الفسطاط مجتمع اهل البلد
وفيها الف امر والف نهي والف حكم والف خبر وفي الحديث ان لكل شي
سناما وان سنام القران سورة البقرة وقد تعلمها عمر بفقهها
وما يحتوي عليه في اثنتي عشرة سنه وابنه عبد الله في ثمان سنين
وفي الحديث خذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطله
يعني السحرة اذا قريت في بيت لم يدخله الشيطان ثلاثة ايام
بسم الله الرحمن الرحيم الم اختلف العلما في الحروف التي في اوايل

الور

السور فقيل هي سر الله في القران ولله تعالى في كل كتاب سر فهي من
المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه فلا نتكلم فيه ولكن نومن بها
كما جاءت ونكل الى الله تعالى تاويلها وروي هذا القول عن ابي بكر وعلي
وعن علي رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب
حروف التهجي وروي عن عمر وعثمان وابن مسعود انهم قالوا الحروف
المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر وقال ابن عباس الحروف المقطعة
في القران هي اسم الله تعالى الاعظم الا انا لا نعرف تاليفه منها وقيل
هي اشارة الى حروف الهجا وقيل هي حروف دالة على اسما اخذت منها
وحذفت بقيتها كقول ابن عباس الالف من الله واللام من جبريل والميم
من محمد وعنه الالف الا الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر
وحم ون مجموعها الرحمن وقيل هو اشارة الى مدد اقوام وآجال
بحساب الجمل كما قاله ابو العالية وقيل الالف مفتاح اسمه الله
واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وعن ابن عباس
في قوله الم قال انا الله اعلم الر انا الله ارى المص انا الله افصل
وقيل هي اسما السور وقيل هي اقسام اقسم الله بها لشرفها وهي
من اسمايه وقيل غير ذلك ذلك الكتاب قيل المعنى هذا الكتاب
وذلك قد تستعمل في الاشارة الى حاضر وان كان موضوعا للاشارة الى
غايب كما قال في الاخبار عن نفسه ذلك عالم الغيب فذلك اشارة
الى القران اي هذا القران الذي يقروه محمد لا ريب فيه والاشارة فيه
بذلك لقصد التعظيم بالبعد ذهابا الى بعد درجته وقيل هو على
بابه اشارة لغايب واختلف في ذلك الغايب فقيل ذلك الكتاب

اي الكتاب الذي كتبته على الخلايق بالسعادة والشقاوة والاجل والرزق
لا ريب فيه اي لا مبدل له • وقيل ذلك الكتاب الذي كتبته على نفسي
في الازل ان رحمتي سبقت غضبي • وقيل ان الله تعالى قد كان وعد نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الما فاشار
الى ذلك الوعد • وقيل ان ذلك اشارة لما في التوراة والانجيل •
والم اسم القران والتقدير هذا القران ذلك الكتاب المفسر في ٥
التوراة والانجيل • وقيل ذلك اشارة الى اللوح المحفوظ وقيل
الى القران الذي في السما لم ينزل بعد وقيل ان الله تعالى قد كان
وعد اهل الكتاب ان ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم كتابا فالاشارة
الى ذلك الوعد • وقيل غير ذلك والكتاب مصدر من كتب يكتب
اذا جمع وهو القران غُلِّب عليه من بين الكتب في عرف اهل الشرع
وهو عند الاصوليين اللفظ ولو بالقوة كالمكتوب في المصاحف •
المنزل على محمد المعجز بسورة منه المتعبد بتلاوته بخلاف القران في
اصول الدين فانه اسم لمدلول ذلك وهو المعنى النفسي القايم بذاته
تعالى لا ريب شك فيه انه من عند الله وهو نفي عام ولذلك نصب
الريب والريب التهمة والحاجة فكتاب الله تعالى لا شك فيه ولا ارتياب
والمعنى انه في ذاته حق وانه منزل من عند الله وصفة من صفاته غير
مخلوق ولا محدث وان وقع فيه ريب للكفار تنزيلا لوجود الشي
منزلة عدمه بنا على وجود ما يزيله حتى صح نفي الريب على سبيل الاستغراق
وقيل هو خبر معناه النهي اي لا ترتابوا وحقيقة الريبة قلق النفس
واضطرابها وسمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة ومنه

ريب

ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوايبه
هدى اي هاد للمتقين ارتفع هدى على الابتدا والخبر وهو الرشد
والبيان اي فيه كشف لاهل المعرفة ورشد وزيادة بيان وقيل
معناه الدلالة الموصلة الى البغية وهو مصدر على فُعَل مثل السُّرى
والبكا وهو على ضربين هدى دلالة وهو الذي يقدر عليه الرسل
واتباعهم قال تعالى ولكل قوم هاد والثاني التاييد والتوفيق وهو
لله سبحانه قال لنبيه انك لا تهدي من احببت فالهدى على هذا يجي
بمعنى خلق الايمان في القلب ومنه قوله تعالى والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم والهدى يتعدى بحرف وبغير حرف فالاول
كقوله الحمد لله الذي هدانا لهذا والثاني اهدنا الصراط المستقيم •
وخص المتقين بهدايته وان كان هدى للخلق اجمعين تشريفا لهم او اراد
الفريقين واقتصر على المتقين لانهم الفايزون او للايجاز كما في قوله
سرابيل تقيكم الحر ومعنى هداية المتقي وهو مهتد زيادة ذلك والدوام
عليه او لانهم انما صاروا متقين باستفادتهم الهدى من الكتاب والتقوى
اصلها في اللغة قلة الكلام حكاه ابن فارس والمتقي فوق المومن والطايع
وهو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعايه عذاب الله ماخوذ من اتقا
المكروه بما يجعله حاجزا بينك وبينه والوقاية فرط الصيانة ولها
مراتب فاولها اتقا الشرك ثم بعده اتقا المعاصي والسيات ثم بعده
اتقا الشبهات ثم يدع بعده الفضلات وفي الحديث عليك بتقوى الله
فانه جماع كل خير • والمتقي في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في
الاخرة واعلى مراتب التقوى ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه

بسرايره وهو التقى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته
قال سهل بن عبد الله لا معين الا الله ولا دليل الا رسول الله ولا زاد الا
التقوى • وقال ابن عطا للتقوى ظاهر وباطن فالظاهر محافظة الحدود
والباطن النية والاخلاص • وقال علي بن ابي طالب سادة الناس في الدنيا
الاسخيا • وسادة الناس في الاخرة الاتقيا **الذين يومنون بالغيب**
الذين في موضع خفض نعت للمتقين • ويجوز الرفع على القطع اي هم الذين
ويجوز النصب على المدح والايمان في اللغة التصديق ويتعدى بالباء
واللام كقوله وما انت بمومن لنا فامن لموسى • وتعديته بالبا لتضمينه
معنى الاعتراف والايمان في عرف الشرع التصديق بما علم من الدين
بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة •
والبعث والجزا ومجموعه ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به
والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والفقها والمعتزلة والخوارج
فمن اخل بالاعتقاد وحده فمنافق • ومن اخل بالاقرار فهو كافر • ومن اخل
بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل
في الكفر عند المعتزله • والغيب مصدر وصف به للمبالغة وهو
كلما غاب وهو هنا قيل الله سبحانه وصفاته وقيل القضا والقدر •
وقيل القران وما فيه من الغيوب وقيل كلما اخبر به الرسول مما لا يهتدي
اليه العقول من اشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط
والميزان والجنة والنار والغيب قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني
بقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو • وقسم نصب عليه
دليله كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وقيل المعنى يومنون

بضمايرهم

بضمايرهم وقلوبهم بخلاف المنافقين • وقيل هو من باب الاكتفا اي
يومنون بالغيب والشهادة لان الايمان بكل منهما واجب واثر الغيب
لانه امدح ولانه يستلزم الايمان بالشهادة من غير عكس **ويقيمون**
الصلاة اي يداومون عليها تامة الاركان بحقوقها وقيل يعدلون
اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه
قيل وهذا اقرب وافيد لان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة
من الفرايض والسنن وحقوقها الباطنه من الخشوع والاقبال بقلبه على الله
تعالى لا المصلي الساهي وقد يعطي القول الاول هذا المعنى ايضا واصل
الصلاة في اللغة الدعا بخير والصلاة الرحمة والصلاة العباده ومنه
وما كان صلاتهم عند البيت والصلاة القراة ومنه ولا تجهر بصلاتك
والصلاة الدين ومنه اصلواتك تامرك وغير ذلك وهي في الشرع اقوال
وافعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم مع النية بشرايط والمراد بها
هنا الفرايض والنوافل وقيل الفرايض فقط والصلاة سبب الرزق وشفا
من وجع البطن وغيره وكان صلى الله عليه وسلم اذا احزنه امر فزع الى
الصلاة **ومما رزقناهم** اي اعطيناهم والرزق عند اهل السنة ما صح
الانتفاع به حلالا كان او حراما وان لم يامر الله بالانفاق من المحرم •
لانه ان كان ماذونا فيه فهو حلال حكما وان كان غير ماذون فيه فهو
حرام حكما وجميع ذلك رزق وهو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم ومعنى
ينفقون يخرجون والانفاق اخراج المال من اليد والملك في طاعة الله
والنفقة هنا قيل الزكاة المفروضة وقيل نفقة الرجل على اهله وقيل
صدقة التطوع وقيل عام وهو الصحيح قال بعضهم الايمان بالغيب حظ القلب

واقام الصلاة حظ البدن ومما رزقناهم ينفقون حظ المال وقال
بعض المتقدمين ومما رزقناهم ينفقون اي مما علمناهم يعلمون او
مما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون **والذين يومنون بما**
انزل اليك قيل هم مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وقيل
جميع المومنين وما انزل اليك القران باسره والشريعة عن اخرها
وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود
على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع **وما انزل من قبلك**
يعني الكتب السالفة وفي حديث ابي ذر قال قلت يا رسول الله كم
كتابا انزل الله قال مایة كتاب انزل على شيث خمسين صحيفة وعلى
ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحايف وانزل على موسى قبل
التوراة عشر صحايف وانزل التوراه والانجيل والزبور والفرقان
الى اخره فان قيل كيف يمكن الايمان بجميعها مع تنافي احكامها قيل
الايمان بان جميعها نزل من عند الله اوان الايمان بما لم ينسخ منها **وبالاخرة**
هم يوقنون اي وبالبعث والنشور عن الموت واليقين اتيان العلم بنفي
الشك والشبهة عنه بالاستدلال وقيل هو العلم بعد ان لم يكن
ولهذا لا يقال في الله تعالى موقن ولا لعلمه يقين وهو من زيادة الايمان
قال ابن عطا الله على قدر قربهم من التقوى ادركوا ما ادركوا من اليقين
وقال الجنيد اليقين ارتفاع الشك وقال ذو النون كلما رايته العيون
نسب الى العلم وكلما علمته القلوب نسب الى اليقين وفي تقديم الصلة
وبنا يوقنون على هم تعريض لمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في
امر الاخرة غير مطابق والاخره مشتقة من التاخير لتاخرها عنا والمتاخر نا
عنها

عنها وهي تانيث الاخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة
فغلبت كالدنيا **اوليك على هدى من ربهم** اي من ذكر من المتقين الموصوفين
بما ذكر على هدى وصل اليهم من ربهم الذي اصلح احوالهم وفي الاية رد على
القدرية القايلين بان العباد يخلقون ايمانهم وهداهم تعالى الله ربنا
عن قولهم ولو كان كما قالوا لقال على هدى من انفسهم **واوليك هم المفلحون**
هم يجوز ان يكون مبتدا وخبره المفلحون وهما خبر اوليك ويجوز ان يكون
هم زايدة وتسميها البصريون فاصله والكوفيون عمادا والمفلحون خبر
اوليك واصل الفلاح في اللغة الشق والقطع ويقال للذي شقت شفته
السفلى افلح فكان المفلح قد قطع المصاعب حتى نال مطلوبه وقد يستعمل
في الفوز والبقا فمعنى هم المفلحون اي الفايزون بالجنة والباقون فيها
وهو في العرف الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب **ان الذين كفروا** تعريف
الموصول اما للعهد والمراد به باس باعيانهم كابي لهب وابي جهل وغيرهما
او الجنس متناولا لكل من صمم على الكفر ومعنى كفروا ستروا الحق اما انكارا
او جحودا باللسان مع معرفة القلب وعنادا وهو الاعتراف بالقلب
والاقرار باللسان ولكن لا يدين به ككفر ابي طالب او نفاقا بان يعمل تقية
وينكر بقلبه وكله سوا في ان من لقي الله بواحد منها خلد في النار وهو
ضد الايمان وهو المراد في الاية وقد تكون بمعنى جحود النعمة والاحسان
واصله في اللغة الستر والتغطية وهو في الشرع انكار ما علم بالضرورة
مجي الرسول به صلى الله عليه وسلم وانما عد لبس الغيار وشد الزنار كفرا
لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول لا يجتري عليه ظاهرا لا انها
كفر في نفسها **سوا عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم** المعنى معتدل عندهم

الانذار وتركه وجي بالاستفهام من اجل التسوية والانذار الابلاغ
والاعلام ولا يكاد يكون الا في تخويف يتسع زمانه للاحتراز وان لم يتسع
كان اشعارا ولم يكن انذارا وانما اقتصر عليه لانه اوقع في القلب واشد
تاثيرا في النفس لان دفع الضرر اهم من جلب النفع واذا لم ينفع فيهم
كانت البشارة بعدم النفع اولى واختلف في تاويلها فقيل هي عامة
ومعناها الخصوص فيمن حقت عليه كلمة العذاب وسبق في علم الله انه
يموت على الكفر اراد الله ان يعلم ان في الناس من هذه حاله من غير ان يعين
احدا وقال ابن عباس وغيره في روسا اليهود حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
ونظراهما **لا يومنون** موضعه رفع خبر ان اي ان الذين كفروا لا يومنون
وقيل خبر ان سوا وما بعده يقوم مقام الصلة وقيل سوا رفع بالابتدا
انذرتهم ام لم تنذرهم الخبر والجملة خبر ان قال النحاس اي انهم تبالهوا
فلم تغن فيهم النذارة شيا وفايدة بعثة الرسل بعد قوله سوا عليهم
الاية ان لا يكون للناس حجة وان كانت نزلت فيمن لا يومن ولو جاته
كل اية فبعثة الرسل لنفع غيرهم بايمانهم نهم **ختم الله على قلوبهم** ق
وعلى سمعهم الختم مصدر ختمت الشي ومعناه التغطية على الشي والاستيثا
منه حتى لا يدخله شي قال اهل المعاني وصف الله تعالى قلوب الكفار بعشرة
اوصاف بالختم والطبع والضيق والمرض والرين والموت
والقساوة والانصراف والحمية والانكار وفي الاية دليل على فضل
القلب على جميع الجوارح لانه موضع الفكر وهو في الاصل مصدر قلبت
الشي اقلبه اذا رددته الى بدايته وسمي به هذا العضو الذي هو اشرف
ما في الحيوان لسرعة الخواطر اليه وترددها عليه والختم يكون محسوسا
وقد

وقد يكون معنى كما في هذه الاية والختم على القلوب عدم الوعي عن الحق
سبحانه فهوم مخاطباتها والفكر في اياته وعلى السمع عدم فهمهم للقران
اذا تلي عليهم او دعوا الى وحدانيته وعلى الابصار عدم هدايتها للنظر
في مخلوقاته وعجايب مصنوعاته واستدل من فضل السمع على البصر بتقدمه
عليه في الذكر وبان السمع يدرك به من الجهات الست وفي النور والظلمة
وقال اكثر المتكلمين بتفضيل البصر لان السمع لا يدرك به الا الاصوات
والكلام والبصر يدرك الاجسام والالوان والهيات كلها فلما كانت
متعلقاتها اكثر كان افضل واجاز والادراك بالبصر من الجهات الست
ووحد السمع وجمع الابصار لان السمع مصدر يقع للقليل والكثير وقيل
انه لما اضيف الى الجماعة دل على انه يراد به اسماعهم ويحتمل ان يكون المعنى
وعلى مواضع سمعهم لان السمع لا يختم وانما يختم موضعه فحذف المضاف
وقد يكون السمع بمعنى الاستماع او لان متعلقات السمع الاصوات وهي حقيقة
واحدة ومتعلق البصر الاكوان والالوان وهي حقايق فاشار في كل منهما
الى متعلقه **وعلى ابصارهم غشاوة** ابتدا وخبر والتنكير لارادة النوع
اي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه شي
من الغشاوات والضمير في قلوبهم وما عطف عليه لمن سبق في علم الله انه
لا يومن من كفار قريش او اليهود او المنافقين او الجميع وهو اصوب **ولهم** اي
وللكافرين المكذبين **عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب
هو ما يولم الانسان مثل الضرب بالسوط والحرق بالنار وهو مشتق من الحبس
والمنع يقال اعذبه عن كذا اي احبسه ومنه قول علي اعذبوا نساكم عن الخروج
فسمي العذاب عذابا لان صاحبه يمنع ويحبس عنه جميع ما يلايم الجسد من

لخير ومعنى عظيم شديد والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير •
وكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى الوصف به انه
اذا قيس به ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى
التنكير فيه ان لهم من الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله **ومن
الناس** قيل هو من اسما الجموع جمع انسان وانسانة على غير اللفظ وتصغيره
نويس فالناس من النوس وهو الحركة يقال ناس ينوس اي تحرك ومنه
حديث ام زرع اناس من حلي اذني • وقيل اصله من نسي قال ابن عباس نسي
ادم فسمي انسانا وقيل سمي ادم انسانا لانسه بحوى وقيل غير ذلك **من
يقول** بلسانه **امنا بالله وباليوم الاخر** اي يوم القيامة سمي اخرا لانه
اخر الايام **وما هم بمومنين** بقلوبهم وجمع ضميرهم رعاية لمعنى من
وافرده في يقول رعاية للفظها قال السدي هم المنافقون قال علماء
الصوفية الناس اسم جنس واسم الجنس لا يخاطب به الاوليا وليس
الايمان ما يتزين به العبد قولا وفعلا لكن الايمان جرى السعادة في سوابق
الازل واما ظهوره على الهياكل فربما يكون عاريا وربما يكون حقيقة
والنفاق اخبث انواع الكفر وهم ابغض الى الله لانهم موهوا الكفر
وخلطوا به خداعا واستهزا ولذلك طول في بيان خبثهم واستهزايهم
وضرب لهم الامثال • وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار **يخادعون الله والذين امنوا** معنى يخادعون الله اي يخادعونه
عند انفسهم وعلى ظنهم وقيل قال ذلك لان عملهم عمل المخادع وقيل
معناه يخادعون رسول الله ففي الكلام حذف ومخادعتهم ما اظهروه
من الايمان خلاف ما ابطنوا من الكفر ليحقنوا دماءهم واموالهم وظنوا انهم
قد

قد نجوا وخدعوا والخداع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه
لتزيله عما هو بصدده واصل الخدع في كلام العرب الفساد فعلى هذا
يخادعون اي يفسدون ايمانهم واعمالهم فيما بينهم وبين الله بالريا •
وقيل اصله الاخفا ومنه مخدع البيت **وما يخادعون الا انفسهم**
اي ما يحل عاقبة الخدع الا بهم ومن كلام بعضهم من خدع من لا يخدع فانما
يخدع نفسه ودل هذا على ان المنافقين لم يعرفوا الله اذ لو عرفوه لعلموا
انه لا يخدع وقرى وما يخادعون بضم اليا واثبات الالف طلبا للمشاكلة
الاول • وقرى بفتح اليا واسكان الخا وفتح الدال بيانا للمعنى الاول وليست
المفاعلة مرادة هنا اذ قد تاتي من الواحد كقولهم عافاك الله وعاقبت
اللص لان المخادعة انما تتصور في حق من يخفى عليه الامر ليتم الانخداع من
حيث لا يعلم ولا يخفى على الله شي • والنفس ذات الشي وحقيقته ثم قيل
للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان
قوامها به وغير ذلك والمراد بالانفس هاهنا ذواتهم **وما يشعرون**
ان وبال خداعهم راجع اليهم اي لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم **في قلوبهم
مرض** ابتدا وخبر والمرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقايدهم •
وذلك اما ان يكون شكا ونفاقا واما جحدا وتكذيبا والمعنى قلوبهم مرضى
لخلوها عن العصمة والتوفيق • قال ابن فارس المرض عبارة عما يخرج الانسان
عن حد الصحة من علة او نفاق او تقصير في امر **قال الشاعر**
• اجامل اقواما حياء وقد ارى • صدورهم تغلي علي مراضها •
فهو حقيقة في الابدان مجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل
وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل

الفضايل او مودية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما
فزادهم الله مرضا قيل هو دعا عليهم ويكون المعنى زادهم الله شكا
ونفاقا جزا على كفرهم وضعفا عن الانتصار وعجزا عن القدرة وفيه دليل
علي جواز الدعا على المنافقين والطرد لهم لانهم شر خلق الله فهو تعليم لنا
وقيل هو اخبار عن زيادة مرضهم اي زادهم مرضا الى مرضهم قال
ارباب المعاني في قلوبهم مرض بسكونهم الى الدنيا وحبهم لها وغفلتهم
عن الاخرة واعراضهم عنها وقوله فزادهم الله مرضا اي وكلهم الى انفسهم
وجمع عليهم هموم الدنيا فلم يتفرغوا من ذلك الى اهتمام الدين ولهم عذاب
اليم بما يفني عما يبقى وقال الجنيد علل القلوب من اتباع الهوى كما ان علة
الجوارح من مرض البدن ولهم عذاب اليم اي موجع بما كانوا يكذبون قرى
بالتشديد وما مصدرية اي بتكذيبهم الرسل وردهم على الله عز وجل
وقرى بالتخفيف ومعناه بكذبهم وقولهم امنا وليسوا بمومنين والقراتان
ظاهرتان فان المنافقين قد وصفوا في القران في مواضع كثيرة بانهم
مكذبون وبانهم كاذبون واذا قيل لهم اي قيل لمن ذكر واصل قيل قول
نقلت كسرة الواو الى القاف فانقلبت الواو يا واذا في موضع نصب على
الظرف والعامل فيها قالوا وهي توذن بوقوع الفعل المنتظر وفيها معنى
المجازاة لا تفسدوا في الارض لا نهي والفساد ضد الصلاح وحقيقته
العدول عن الاستقامة الى ضدها والمعنى لا تفسدوا في الارض بالكفر
وتفريق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وكان من فسادهم في
الارض تهييج الحروب والفتن وموالاة اهل الكفر وافشا الاسرار اليهم
فان ذلك يودي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه

اظهار

اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع والاعراض عنها
مما يوجب الهرج ويخل بنظام العالم والقايل هو الله تعالى او الرسول او
المومنون وقيل ان الارض كانت قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم
فيها الفساد ويعمل فيها بالمعاصي فلما بعث صلى الله عليه وسلم ارتفع
الفساد وصلحت الارض فاذا عملوا بالمعاصي فقد افسدوا في الارض بعد
اصلاحها وقرى وقيل وغيض وجي وحيل وسيق وسيئت بالكسر الخالص
وبالاشمام وهو ان ينحى بكسر اوايلها نحو الضمة وبالياء بعدها نحو الواو
فهي حركة مركبة من حركتين كسر وضم قالوا جواب اذا انما نحن مصلحون
رد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا
ليس الا الاصلاح لان انما تفيد الحصر وانما قالوا ذلك لان افسادهم عندهم
اصلاح اي في مواخاتنا للكفار انما نريد بها الاصلاح بينهم وبين المومنين
قاله ابن عباس وغيره الا انهم هم المفسدون ردا عليهم وتكذيبا لهم
قال ارباب المعاني من اظهر الدعوى كذب ولكن لا يشعرون بذلك قال
ابن كيسان لا يقال ما على من لم يعلم انه مفسد من الذم انما يذم اذا علم
انه مفسد ثم افسد على علم قال ففيه جوابان احدهما انهم كانوا يعملون
الفساد سرا وهم يظهرون الصلاح ولا يشعرون ان امرهم يظهر عند
النبي صلى الله عليه وسلم والوجه الاخر ان يكون فسادهم عندهم صلاحا
وهم لا يشعرون ان ذلك فساد وقد عصوا الله ورسوله في تركهم تبيين
الحق واتباعه وخصوا بالفساد وان شاركهم غيرهم فيه لان المراد به فساد
النفاق وهم كانوا مختصين به والا للتاكيد وهي منبهة على تحقيق ما بعدها
فان همزة الاستفهام التي هي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقها

ونظيره البيس ذلك بفادر ويقال الهاحرف استفتاح وكسرت ان بعدها
للابتدا واذا قيل لهم يعني المنافقين امنوا كما امن الناس اى الكاملون فى
الانسانية العاملون بمقتضى العقل الصحيح والمراد محمد صلى الله عليه
وسلم ومن معه اى صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وشرعه كما صدق
المهاجرون والمحققون من اهل المدينة وهذا من تمام النصح والارشاد
فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله
لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله امنوا والكاف فى
موضع نصب نعت لمصدر محذوف اى ايمانا كايمان الناس والمعنى
امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة
الزنديق قالوا انومن كما امن السفها يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
عن ابن عباس وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم فان
اكثر المومنين كانوا فقرا ومنهم موالى كصهيب وبلال وللتجلد وعدم
المبالاة لمن امن منهم كعبد الله بن سلام وقيل وهذا القول من المنافقين
انما كانوا يقولونه فى خفا استهزا فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم
على ذلك وقرر ان السفه ورقة الحلقوم وفساد البصاير انما هي فى
حيزهم وصفة لهم وقال الا انهم هم السفها ولكن لا يعلمون للرين
الذى فى قلوبهم • وروى عن ابن عباس انها نزلت فى شان اليهود واذا
قيل لليهود امنوا كما امن الناس عبد الله بن سلام واصحابه قالوا انومن
كما امن السفها اى الجهال والخرقا واصل السفه فى اللغة الرقة والخفة
وسخافة الراى وهو ضد الحلم والاستفهام للانكار والعلم معرفة
المعلوم على ما هو به وهو اقوى من الشعور فان الانسان قد يشعر

بالشئ

بالشئ اى يحس به ولا يعلمه وان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو
الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما
يعذر وتنفعه الايات والنذر وفصلت الاية بلا يعلمون والتى قبلها
بلا يشعرون لان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر
الى نظر وفكر فاما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن
واذا لقوا الذين امنوا نزلت فى المنافقين واصل لقوا لقيوا انقلت الضمة
الى القاف وحذفت اليا لالتقا الساكنين واللقا المصادفة قالوا امنا
هذا بيان لمعاملتهم الفاسدة بعد حالهم وعقدهم الفاسدين • وروى
ان ابن ابى واصحابه استقبله نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد
هولا عنكم فاخذ بيد ابى بكر وقال مرحبا بالصديق وسيد تيم وشيخ الاسلام
وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد على
وقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله
فنزلت واذا خلوا الى شياطينهم ان قيل لهم وصلت خلوا بالى وعرفها ان
توصل بالبا قيل خلوا بمعنى ذهبوا وانصرفوا وقيل الى بمعنى مع وفيه ضعف
وقيل بمعنى البا وهذا اباه الخليل وسيبويه وقيل المعنى واذا خلوا من
الذين امنوا ورجعوا الى شياطينهم فالى على بابها والشياطين جمع شيطان
قال ابن عباس والسدى شياطينهم رؤسا الكفر واضافهم اليهم لمشاركتهم
لهم وقال الكلبي هم شياطين الجن • وقال كهنتهم وهم خمسة كعب بن الاشرف
بالمدينة وعبد الدار فى جهينة وابو بردة فى بنى اسلم وعوف بن عامر فى بنى
اسد وابن السود ابالشام قالوا لهم انا معكم فيما انتم عليه باطنا انما نحن
مستهزءون هم من اظهار الايمان مكذبون بما ندعى اليه وقيل ساخرون •

والاستهزا بالشي الاستخفاف به وقيل اصله الانتقام وخاطبوا المومنين
بالجملة الفعليه والشياطين بالجملة الاسميه الموكدة بان لانهم قصدوا
بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه
الله يستهزئ بهم اي ينتقم منهم ويعاقبهم ويجازيهم على استهزايهم فسمي
العقوبه باسم الذنب والعرب اذا وصفوا لفظا بازا لفظ جوابا له وجزا
ذكروه بمثل لفظه وان كان مخالفا له في معناه وعلى ذلك جا القران والسنة
قال الله تعالى وجزا سيية سيية مثلها ومكروا ومكر الله وانما نحن
مستهزون الله يستهزئ بهم وليس منه استهزا ولا مكرا وانما هو جزا
استهزايهم ومكرهم وفي الحديث ان الله لا يمل حتى تملوا ولا يسام حتى تساموا
وقيل حتى هنا بمعنى الواو اي وتملوا او ينزل بهم الخسارة والهوان الذي
هو لازم الاستهزا او يعاملهم معاملة المستهزي وقيل ان الله تعالى
يفعل بهم افعالا هي في تامل البشر هزو وخدع ومكر حسب ما روى
ان النار تجمد كما تجمد الاهالة فيمشون عليها ويظنونها منجاة فتخسف
بهم وقال قوم الاستهزا والمكر والخداع هو استدراجهم بدرور النعم
الدنياوية عليهم **ويمدهم** اي يطيل لهم المدة ويمهلهم ويملي لهم واصله
الزيادة قال يونس بن حبيب يقال مد في الشر وامد في الخير وقال
الاخفش مددت له اذا تركته وامددته اذا اعطيته وقال الفرا مددت فيما
كانت زيادته من مثله وفي التنزيل والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وامددت
اذا كانت الزيادة من غيره ومنه يمددكم بخمسة الاف من الملايكة **في طغيانهم**
اي كفرهم وضلالهم واصل الطغيان مجاوزة الحد والمعنى في الاية يمدهم
بطول العمر حتى يزيدوا في الطغيان فيزيد في عذابهم **يعمهون** اي يعمون هد مجا

يترددون

يترددون ويتحيرون في الكفر والعمه في البصيرة والعمى في البصر وهو التحير
في الامر **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** الشرا هنا مستعار استعير
للاستبدال والاختيار واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان
والمعنى استحبوا الكفر على الايمان قال ابن عباس اخذوا الضلالة وتركوا
الهدى واصل الضلالة الحيرة ويسمى النسيان ضلالة **فما ربحت تجارتهم**
اسند الربح الى التجارة على عادة العرب في قولهم ربح بيعك والمعنى فما ربحوا
فيها بل خسروا لمصيرهم الى النار الموبدة عليهم والتجارة تقليب المال
لطلب الربح بالبيع والشرا والربح الفضل على راس المال **وما كانوا مهتدين**
لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهولا قد اضاعوا
الطلبتين وقيل وما كانوا مهتدين في سابق علم الله **مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا** مثلهم رفع بالابتدا والخبر في الكاف فهي اسم اي مثلهم مثل حال
الذي ويجوز ان يكون الخبر محذوفا وتقديره مثلهم مستقر كمثل فالكاف على
هذا حرف والمثل معناه الشبه وهو في الاصل بمعنى النظير ولامر ما اكثر
الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبيا والحكما ولا يضرب الا ما فيه عن
اية ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها
شان او في غرابة مثل نحو قوله مثل الجنة التي وعد المتقون ولله المثل الاعلى
والمعنى حالهم العجيب الشان كحال من استوقد نارا والذي يقع للواحد
وللجمع كما في هذه الاية اي كمثل الذي استوقد ولذلك قال ذهب الله بنورهم
فحمل اول الكلام على الواحد واخره على الجمع واما قوله وخضتم كالذي خاضوا
فالذي وصف لمصدر محذوف اي خضتم كالخوض الذي خاضوا وقيل انما
وحد الذي واستوقد لان المستوقد كان واحدا من جماعة تولى الايقاد

فلما ذهب الضو رجع عليهم جميعا فقال بنورهم واستوقد بمعنى اوقد مثل
استجاب بمعنى اجاب وقيل طلب من غيره ان يوقد له والاستيقاد طلب
الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها فلما
اضاءت اى انارت ما حوله اى المستوقد وما زايدة موكده وقيل
مفعولة باضاءت وحوله ظرف مكان ذهب الله بنورهم ذهب به
واذهبه لغتان من الذهاب وهو زوال الشي وقال الزمخشري ذهب
به ابلغ من اذهبه لانه يفيد ان الفاعل اخذ النور وامسكه فلم يبق منه
شيا بخلاف اذهبه ومعنى ذهب الله بنورهم اطفاه واختلف في جواب
لما وفي عود الضمير من نورهم فقيل جواب لما محذوف وهو طفيت
والضمير في نورهم على هذا للمنافقين وهو اخبار عن حال تكون في الاخرة
كما قال فضرب بينهم بسور وقيل الجواب ذهب والضمير في نورهم
عايد على الذى وعلى هذا يتم تمثيل المنافقين بالمستوقد لان بقا المستوقد
في ظلمات لا يبصر كبقا المنافقين في حيرته وتردده والمعنى بالاية
ضرب مثل للمنافقين وذلك انما يظهرون من الايمان الذى ثبت لهم به
احكام المسلمين من التناكح والتوارث والامن على انفسهم واموالهم بمثابة
من اوقد نارا في ليلة مظلمة فاستضا بها وراى ما ينبغي ان يتقيه وامن
منه طفيت او ذهبت فوصل اليه الاذا وبقي متحيرا وكذلك المنافقون
اغتروا بكلمة الاسلام ثم يصيرون بعد الموت الى عذاب اليم وقيل
غير هذا والنار مونثة وهي من النور وهو الضيا والاشراق وتركهم
اى ابقاهم في ظلمات جمع ظلمة وهي عدم النور وقيل عرض ينافي النور
واشتقاقها من قولهم ما ظلمت ان لا تفعل اى ما منعت لانها تمنع الروية

لا يبصرون طريقا مع حيرة وخوف والمعنى لا يرون طريق الرشد وقيل
المفعول من قبيل المطروح المتروك وكان الفعل غير معتد وهي جملة في
موضع الحال اى غير مبصرين فايدة نفي العام يدل على نفي الخاص وثبوته
لا يدل على ثبوته كما في هذه الايه لم يقل بضوئهم بعد قوله اضات لان
النور اعم من الضوء اذ يقال على القليل والكثير وانما يقال الضوء على النور
الكثير فعدم النور يوجب عدم الضوء ولا عكس والقصد ازالة النور
عنهم اصلا وكذا قال وتركهم في ظلمات فجمعها ونكرها ووصفها بانها
ظلمة شديدة خالصة لا يترايا فيها شخصان والمراد بالظلمات ظلمة الكفر
وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة او ظلمة الضلال وظلمة السخط وظلمة
العقاب او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة صم بكم عمى اى هم فهو
خبر ابتدا مضمر والصمم الانسداد فالاصم من انسدت خروق مسامعه
والابكم الذى لا ينطق ولا يفهم فاذا فهم فهو الاخرس وقيل الاخرس والابكم
واحد والعمى ذهاب البصر وليس الغرض بما ذكر نفي الادراك عن حواسهم
جملة وانما الغرض نفيها عن جهة ما قال قتادة صم عن استماع الحق بكم عن
التكلم به عمى عن الابصار له فهم لا يرجعون الى الحق لسابق علم الله فيهم
او لا يعودون الى الهدى الذى باعوه وضيعوه وعن الضلالة التى اشتروها
او فهم متحيرون لا يدرون اينقدمون ام يتاخرون والفا للدلالة على ان
اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب
من السما الطيري او بمعنى الواو وقيل او للتمييز اى مثلوهم بهذا او بهذا
على الاقتصار على احد الامرين والمعنى او كاصحاب صيب وهو المطر من
صاب يصوب اذا نزل وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف

السما للدلالة على ان الغمام مطبق اخذ بافاق السما كلها فان كل افق منها
يسمى سما والسما تذكر وتونث وتجمع على اسميه وسُمّى وسموات وهو اسم
لكل ما علاك فاظلك والسما المطر قال الشاعر

اذا نزل السما بارض قوم ۔ رعيناه وان كانوا غضابا

وقيل المراد بالسما السحاب واللام لتعريف الماهيه واليه يرجع ضمير **فيه**
ظلمات مبتدا وخبر وجمع ظلمات اشارة الى ظلمة الليل وظلمة الغيم ومن
حيث يتراكب ويتزايد **ورعد** قيل هو ملك يزجر السحاب بهذا الصوت
المسموع واسمه الرعد ايضا وقيل ملك هذا تسبيحه وعن ابن عباس الرعد
ريح تختنق بين السحاب فتصوت ذلك الصوت وفي الترمذي سالت اليهود النبي
صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال هو ملك من الملايكة بيده مخاريق من نار
يسوق بها السحاب حيث شا الله وامر قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال
زجره السحاب الى اخره وقيل هو صوت ملك اخرس **وبرق** روي عن علي وابن مسعود
وابن عباس البرق مخراق من حديد بيد الملك يسوق به السحاب وقيل هو
صوت من نور بيد الملك يزجي به السحاب وقيل هو ملك يترا اواخرج
ابن مردوية عن جابر بن عبد الله مرفوعا ان ملكا موكل بالسحاب يلم
القاصية ويلحم الدانية في يده مخراق فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت
واذا ضرب صعقت **يجعلون اصابعهم** اي بعض انا ملهم **في اذانهم** عبر
بالاصابع اشارة الى ادخالها على غير المعتاد مبالغة في الفرار فكانهم
يجعلوا الاصابع وهو من باب اطلاق اسم الكل على الجزء والضمير لاصحاب
الصيب وهو وان حذف واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز
ان يعود عليه الضمير والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يوذن بالشدة

والهول

والهول فقيل كيف حالهم مع ذلك فاجيب بها **من الصواعق** اي من اجل
الصواعق ليلا يسمعوها وهي جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت سامعها
وقيل هي قطعة عذاب تنزل على من اراد الله وقيل قطعة نار تخرج من فم
الملك عند غضبه وقيل هي الوقعة الشديدة من صوت الرعد يكون معها
احيانا قطعة نار تحرق ما اتت عليه وشبه الله تعالى في هذه الاية
احوال المنافقين بما في الصيب من الظلمات والرعد والبرق والصواعق
فالظلمات مثل لما يعتقدونه من الكفر والرعد والبرق مثل لما يخوفون به
وقيل مثل الله تعالى القران بالصيب لما فيه من الاشكال عليهم والعمى هو
الظلمات وما فيه من الوعيد والزجر هو الرعد وما فيه من النور والحجج البالغة
الباهرة التي كادت احيانا تبهرهم هو البرق والصواعق مثل لما في القران
من الدعا الى القتال في العاجل والوعيد في الاجل وقيل الصواعق تكاليف
الشرع التي يكرهونها من الجهاد والزكاة وغيرهما **حذر الموت** من سماعها
وهو نصب على المفعول له وقيل على التمييز والمراد ان هولا اذا نزل القران
وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد على المشبه بالرعد والحجج البينة
المشبه بالبرق يسدون اذانهم ليلا يسمعوه فيميلوا الى الايمان وترك دينهم
وهو عندهم موت والحذر الخوف مما يقع او شدة ذلك والموت زوال الحياة
وقيل عرض يضادها او يعقبها والاول اصح فهو عدمي ولا حجة للخصم في قوله
تعالى خلق الموت والحياة لان المعنى قدر او خلق مصحح ذلك ولين سلم
فاعدام الملكات مخلوقة **والله محيط بالكافرين** ابتدا وخبر جملة اعتراضية
لا محل لها اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط واصله محيط نقلت
حركة اليا الى الحا فسكنت والله سبحانه وتعالى محيط بجميع المخلوقات

اى هى فى قبضته وقيل محيط بهم اى عالم بهم وخص الكافرين بالذكر لتقدم
ذكرهم **يكاد** اى يقرب **البرق يخطف ابصارهم** الخطف الاخذ بسرعة والابصار
جمع بصر وهو حاسة الروية والمعنى يكاد حجج القران وبراهينه الساطعة
تبهرهم ومن جعل البرق مثلا للتخويف فالمعنى ان خوفهم مما نزل بهم يكاد
يذهب ابصارهم **كلما اضاء لهم مشوا فيه** كلما منصوب لانه ظرف واصله
كل اضيف الى ما فصار اداة للتكرار وان كانت كلما بمعنى اذا فهى موصوله
والعامل فيه مشوا وهو جوابه ولا يعمل فيه اضا لانه فى صلة ما والمفعول
فى قول المبرد محذوف والتقدير عنده اضا لهم البرق الطريق ويجوز ان يكون
فعل وافعل بمعنى كسكت واسكت فلا يحتاج الى مفعول والمعنى انهم اذا سمعوا
القران وظهرت لهم الحجج انسوا ومشوا معه **واذا اظلم عليهم** اى واذا نزل
من القران مايعمون فيه ويضلون به اويكلفونه **قاموا** اى ثبتوا على نفاقهم
عن ابن عباس اى هوازعاج قلوبهم بما فى القران من الحجج وتصديقهم بما سمعوا
فيه مما يحبون ووقوفهم عما يكرهون وقيل المعنى كلما صلحت احوالهم فى
زروعهم ومواشيهم وتوالت عليهم النعم قالوا دين محمد مبارك واذا نزلت
لهم مصيبة واصابتهم شدة سخطوا وثبتوا على نفاقهم عن ابن مسعود وقتادة
ولو شاء الله لذهب بسمعهم اى اسماعهم **وابصارهم** الظاهرة كما ذهب
بالباطنة اى لو شا الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم
بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد
تكاثر حذفه فى شا واراد حتى لا يكاد يذكر الا فى الشى المستغرب كقول الشاعر
ولو شيت ان ابكى دما لبكيته • وقيل المعنى لو شا الله لاطلع المومنين عليهم
فذهب منهم عز الاسلام بالاستيلا عليهم واخراجهم من بينهم وخص السمع

والبصر

والبصر بالذكر لتقدم ذكرهما اولانهما اشرف ما فى الانسان ولو حرف شرط
وفيه معنى الجزا وجوابه اللام فظاهرها الدلالة على انتفا الاول لانتفا
الثانى ضرورة انتفا الملزوم عند انتفا اللازم وفايدة هذه الشرطيه
ابدا المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على
ان تاثير الاسباب فى مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى وان وجودها
مرتبط باسبابها واقع بقدرته **ان الله على كل شىء** شاه **قدير** عموم ومعناه عند
المتكلمين فيما يجوز وصفه تعالى بالقدرة عليه فالله تعالى قادر على كل ممكن
يقبل الوجود والعدم ويجب على كل مكلف ان يعلم ان الله تعالى قادر له قدرة
بها فعل ويفعل ما يشا على وفق علمه واختياره ويجب عليه ايضا ان يعلم ان
للعبد قدرة يكتسب بما اقدره الله تعالى عليه على مجرى العادة وانه غير
مستبد بقدرة والشى ما صح ان يعلم ويخبر عنه والقدرة صفة توثر فى الشى
عند تعلقها به قال البيضاوى الشى يختص بالموجود لانه فى الاصل مصدر شا
اطلق بمعنى شاى تارة وحينيذ يتناول البارى تعالى كما قال قل اى شى اكبر شهادة
قل الله وبمعنى مقتضى اخرى اى تشى وجوده وما شا الله وجوده فهو موجود
فى الجملة وعلى قوله تعالى ان الله على كل شى قدير الله خالق كل شى فهما على
عمومهما بلامثنويه والمعتزلة لما قالوا الشى ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب
والممكن اوما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا الزمهم التخصيص
بالممكن فى الموضعين بدليل العقل • والقدرة هو التمكن من ايجاد الشى وقيل
صفة تقتضى التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة
الله عبارة عن نفى العجز عنه والقادر هو الذى ان شا فعل وان لم يشا لم يفعل
والقدير الفعال لما يشا ولذلك قل ما يوصف به غير البارى وفيه دليل

على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران ومقدور
العبد مقدور الله لانه شي وكل شي مقدور وخص القدرة من صفاته تعالى
بالذكر هنا دون غيرها لانه تقدم ذكر افعاله متضمنة للوعيد والانحراف
فكان ذكر القدرة مناسبا لذلك ولما ذكر فرق المكلفين وخواصهم ومصادر
امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا
له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة
المخاطبة فقال **يايها الناس اعبدوا ربكم** يا حرف ندا للبعيد حقيقة
او حكما وهي اكثر حروفه استعمالا ولهذا لا يقدر عند الحذف غيرها قاله
الزمخشري وتفيد التاكيد المؤذن بان الخطاب الذي تتلوه معتنى به جدا
وترد للتنبيه فتدخل على الفعل والحرف كيا اسجدوا ويا ليت قومي
وينادي بها العبد ربه وعكسه مع انه اقرب اليه من حبل الوريد اعلاما
بقصور العبد وعجزه واي منادى مبني على الضم وها للتنبيه والناس مرفوع
صفة لاي والمراد بالناس هنا قيل اهل مكة وقيل جميع الكفار الذين لم
يعبدوه يدل عليه قوله وان كنتم في ريب وقيل عام في جميع الناس فيكون
خطابا للمومنين باستدامة العبادة وللكافرين بابتدائها وهو يعم الموجودين
وقت النزول ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام ان
مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه
الدليل والعبادة هنا عبارة عن توحيد الله والتزام شريعته واصلها
الخضوع والتذلل وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هو الربوبية
الذي خلقكم الخلق الانشا والاختراع وقيل ايجاد الشي على تقدير واستوا
واصله التقدير يقال خلق النعل وسواها بالقياس وخص تعالى خلقه
لهم

لهم من بين ساير صفاته اذ كانت العرب مقرة بان الله خلقها فذكر ذلك
حجة عليهم وتقريعا لهم وقيل ليذكر بذلك نعمته عليهم **والذين من قبلكم**
ان قيل اذا ثبت عندهم خلقهم ثبت عندهم خلق غيرهم قيل انما جرى الكلام
على التنبيه والتذكير ليكون ابلغ في اليقظة فذكر من قبلهم ليعلموا ان الذي
امات من قبلهم وهو خلقهم يميتهم كما اماتهم وليفكروا فيمن مضى قبلهم كيف
كانوا وعلى اي الامور مضوا من اهلاك من هلك وليعلموا انهم مبتلون كما
ابتلوا وهو بينا ولكلما تقدم الانسان بالذات وبالزمان **لعلكم تتقون**
ولعل متصلة باعبدوا لا بخلقكم لان من ذراه الله لجهنم لم يخلقه ليتقي وهذا
وما كان مثله مما ورد في كلام الله تعالى مثل لعلكم تهتدون لعلكم تذكرون
في ثلاث تاويلات احدها ان لعل على بابها من الترجي والتوقع والترجي انما
هو في حيز البشر فكانه قيل لهم افعلوا ذلك على الرجا منكم والطمع ان
تتقوا وان تعقلوا هذا قول سيبويه ورؤسا اللسان قال سيبويه في قوله
تعالى اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى اي
اذهبا على طمعكما ورجائكما الثاني ان العرب استعملت لعل مجردة من
الشك بمعنى لام كي فالمعنى لتتقوا ولتعقلوا والثالث ان تكون لعل بمعنى
التعرض للشي كانه قيل افعلوا ذلك متعرضين لان تتقوا ولان تعقلوا
ومعنى لعلكم تتقون لعلكم تجعلون بقبول ما امركم الله به وقاية بينكم
وبين النار ومنه قولهم كنا اذا احمر الباس اتقينا بالنبي صلى الله عليه وسلم
اي جعلناه وقاية لنا من العدو والمعنى اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا
في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المودي لجوار الله ونبه لهم به
على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شي سوى الله

الى الله وان العابد ينبغي ان لا يفتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء
والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله والعلم بوحدانيته واستحقاقه
للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته
عليه ثوابا فانها لما وجبا عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة
فهو كاجير اخذ الاجرة قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية
او مدح او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل هنا معناه صيره
لتعديه لمفعولين وقيل بمعنى خلق وفراشا حال ويأتي بمعنى خلق ومنه
وجعل الظلمات والنور وبمعنى سمى ومنه وجعلوا الملايكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا اي سموهم وبمعنى اخذ نحو جعلت انظر اي اخذت وزايدة
كما قال وقد جعلت ارى الاثنين اربعة وفراشا وطا تفترشونها
وتستقرون عليها مع السهولة فلا صلابة مانعة من الانتفاع ولا انها
ليونة تمنع الاستقرار وما ليس بفراش كالجبال والبحار هي من مصالح
الافتراش لان الجبال كالاوتاد والبحار تركبا الى ساير المنافع وكون
الارض كالفراش لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم
حجمها واتساع جرمها لا ينافي الافتراش عليها والسما بنا السما للارض
كالسقف للبيت وكلما علا فاظل قيل له سما وهو اسم جنس يقع على
الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماوة والبنا مصدر
سمي به المبني بيتا كان او قبة او خبا ويقال بنى فلان بيتا وبنى على
اهله بنا فيهما اي زفها والعامة تقول بنى باهله وهو خطا واصله
وضع لبنة على اخرى حتى تثبت وانزل من السما ما من للابتدا اريد
بالسما السحاب فان ما علاك سما او الفلك فان المطر مبتدي من السما

الى

الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية
تثير الاجزا الرطبة من اعماق الارض الى جو الهوا فينعقد سحابا ماطرا
واصل ما موه قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فقيل ماه فالتقى
حرفان حقيقان فابدلت من الحركة لاما وهي بالالف اشبه ومن عجيب
لطف الله ان كل ماكول ومشروب يحتاج الى تحصيل او معالجة حتى يصلح
للاكل او الشرب الا الما فان الله تعالى كثر منه ولم يحوج الى معالجته لعموم
الحاجة اليه فاخرج به من الثمرات اي انواعا والوانا من النبات وهي جمع
ثمرة رزقا لكم اي طعاما لكم وعلفا لدوابكم وخروج الثمار بقدرة الله
تعالى ومشيته ولكن جعل الما الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة
لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورتها وكيفياتها على
المادة الممتزجة منهما او اودع قوة في الما فاعلة وفي الارض قوة قابلة
يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشيا كلها
بلا اسباب لكن له في انشايها من حال الى حال بدايع الحكم لاولي البصاير
واطلق اسم الرزق على ما يخرج من الثمرات قبل التملك لانها معدة لان
تملك ويصح بها الانتفاع فهي رزق ودلت الآية على ان الله تعالى اغنى
الانسان عن كل مخلوق وقد قال عليه الصلاة والسلام مشيرا الى هذا
المعنى لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من ان يسال احدا
اعطاه او منعه اخرجه مسلم وقالت الصوفية سبيل الفقير ان يجعل
الارض وطا والسما غطا والما طيبا والكلا طعاما ولا يعبد احدا في الدنيا
من الخلق بسبب الدنيا فان الله قد اباح له ما لا بد منه من غير منة فيه لاحد
فمن لحوج نفسه الى بشر مثله بسبب الحرص والامل والرغبة في زخرف الدنيا

فقد اخذ بطرف من جعل لله ندا **فلا تجعلوا لله اندادا** اى اكفا وامثالا
ونظرا واحدها ند قال ابو عبيدة اندادا اضدادا قال النحاس اندادا
مفعول اول ولله في موضع الثاني وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله
اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته و انها تخالفه في افعاله
لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من
يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على انها تدفع عنهم باس الله
وتمنحهم ما لم يرد الله به من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا
لمن يمنع ان يكون له ند **وانتم تعلمون** ابتدا وخبر في موضع الحال من ضمير
فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطرح اى وحالكم انكم من اهل العلم والنظر
واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد الممكنات
منفرد بوجوب لذات متعال عن مشابهة المخلوقات او متوى وهو انها
لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله لقوله تعالى هل من شركايكم من يفعل
من ذلكم من شي والخطاب للكفار والمنافقين ووصفهم بالعلم وقد نعتهم
بخلاف ذلك من الختم والطبع لانه اراد العلم الخاص فى ان الله تعالى
خلق الخلق وانزل الما وانبت الرزق فهم يعلمون انه المنعم عليهم دون
الانداد اولان المعنى وانتم تعلمون وحدانيته بالقوة والامكان او
تدبرتم ونظرتم ابن فورك ويحتمل ان تتناول الاية المومنين والمعنى
لا ترتدوا ايها المومنون وتجعلوا لله اندادا بعد علمكم الذى نفى الجهل
بان الله واحد **وان كنتم** استعمل ان هنا مكان اذ لوجود الشك عندهم **في
ريب** اى شك **مما نزلنا** من القران **على عبدنا** محمد صلى الله عليه وسلم قال
ابو على الدقاق ليس شي اشرف من العبودية ولا اسم اتم للمومن من الوصف
بها

بها واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به
منقاد لحكمه وانما قال نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقايع والخطاب
في الاية للمشركين فانهم لما سمعوا القران قالوا ما يشبه كلام الله وانا
لفي شك منه فنزلت والاية الاولى دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته
وهذه الاية دالة على نبوة نبيه وان ما جا به غير مفترى **فاتوا بسورة**
الفا للشرط واتوا مقصور لانه من باب المجى ابن كيسان وهو امر معناه التعجيز
لانه تعالى علم عجزهم فالمراد اظهار عجزهم والسورة واحدة السور وهي
طايفة من القران معلومة الاول والاخر اقلها ثلاث ايات **من مثله** من صلة
كما قال في موضع اخر فاتوا بسورة مثله فالضمير عايد على القران عند الجمهور
وقيل يعود على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى من بشر مثله امي لا يكتب
ولا يقرا وهو بعيد جدا فمن على هذا للتبعيض **وادعوا شهداءكم** الشهدا
جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة او الناصر والمعنى ادعوا اعوانكم
ونصراكم الفرا الهتكم مجاهد وادعوا اناسا يشهدون لكم اى يشهدون
انكم عارضتموه او الذين يشهدون لكم بين يدى الله على زعمكم وفي امرهم ان
يستظهروا بالجماد في معارضة القران غاية التبكيت والتهكم **من دون الله**
اى من دون اوليايه يعني فصحا العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم
ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد لصحة ما اتضح
فساده وبان اختلاله وقيل من دون الله من غيره وهي في جميع القران بمعنى
غير ودون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية وتكون ظرفا والدون الغير
ويقال هذا دون ذاك اى غير اقرب وفي الاغراد ونكه **ان كنتم صادقين**
فيما قلتم من انكم تقدرون على المعارضة لقولهم في اية اخرى لو نشا لقلنا

مثل هذا اوان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجواب ان محذوف دل عليه
ما قبله اى فافعلوا والصدق خلاف الكذب وهو الاخبار المطابق فلما
عجزوا قال الله فان لم تفعلوا يعني فيما مضى ولن تفعلوا اى لن تطيقوا ذلك
فيما ياتي اعتراض قال ذلك اشارة لهممهم وتحريكا لنفوسهم ليكون عجزهم
بعد ذلك ابدع وهذا من الغيوب التي اخبر بها القران قبل وقوعها وقال
ابن كيسان ولن تفعلوا توقيفا لهم على انه الحق وانهم ليسوا صادقين فيما
زعموا انه كذب وانه سحر وانه اساطير الاولين وهم يدعون العلم ولا ياتون
بسورة من مثله وصدر الشرطية بان الذى للشك والحال تقتضى اذا الذى
للوجوب فان القايل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفي اتيانهم معترضا
بين الشرط والجزا تهكما بهم او خطابا لهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل
لم يكن محققا عندهم وتفعلوا مجزوم بلم ولا نها واجبة الاعمال المختصة
بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه
وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ
اجتماعهما ولن كلا في المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند
سيبويه والخليل في احدى الروايتين • وفي الرواية الاخرى اصله لا ان •
وعند الفرا لا فابدلت الفها نونا فاتقوا النار جواب فان لم تفعلوا اى
فاتقوا النار بتصديق النبى صلى الله عليه وسلم وطاعة الله تعالى وان
القران ليس من كلام البشر التي وقودها الناس الوقود بالفتح الحطب ••
وبالضم التوقد والناس عموم ومعناه الخصوص فيمن سبق عليه القضا
انه يكون حطبا لها والحجارة يعني لانها مفرطة الحرارة تتقد مما ذكر لا كنار
الدنيا تتقد بالحطب ونحوه وقيل الحجارة حجارة الكبريت الاسود • عن

ابن مسعود

ابن مسعود والفرا وخصت بذلك لانها تزيد على غيرها من الحجارة
بخمسة انواع من العذاب سرعة الانقياد ونتن الرايحة وكثرة الدخان
وشدة الالتصاق بالابدان وقوة حرها وليس في الاية دليل على ان
ليس فيها غير الناس والحجارة بدليل ما ذكر في غير موضع من كون الجن
والشياطين فيها وقيل المراد بالحجارة الاصنام لاية انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم فتكون النار تحرق الحجارة مع احراقها الناس
وعلى الاول يكونون معذبين بالنار والحجارة عذبوا بما هو منشا جرمهم
كما عذب الكافرون بما كبروه او تنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم
وقيل النار المخصوصة بالحجارة هي نار الكافرين خاصة فايدة النار
وقعت مفردة في جميع القران والجنة تارة مفردة وتارة مجموعة وحكمة
ذلك ان الجنات لما كانت مختلفة الانواع حسن جمعها والنار مادة واحدة
ولان الجنة رحمة والنار عذاب فناسب جمع الاولى وافراد الثانية فان قيل
صلة الذى والتي يجب ان تكون معلومة للمخاطب فكيف علم اولياء ان
نار الاخرة توقد بالناس والحجارة فالجواب انه لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك
سماع من اهل الكتاب وسمعوا قبل هذا قوله في سورة التحريم نارا وقودها
الناس والحجارة وقد نزلت اية التحريم بمكة واية البقرة بالمدينة والاولى نكرة
والثانية معرفة اعدت للكافرين اى هيئت والمعد هو الله وحذف للعلم
به واشارة الى انه لا ينبغي ان يجهل واعدت يجوز ان يكون حالا من النار لا من
الضمير التي في وقودها للفصل بينهما بالخبر على معنى معدة واضمرت معه
قد فعلى هذا لا يتم الوقف على الحجارة ويجوز ان يكون كلاما منقطعا مما قبله
وظاهر الاية ان غير الكافرين لا يدخل النار وليس على ظاهرها فلا يلزم

عدم دخول غيرهم لها بدليل ما ذكر في غير موضع من الوعيد للمذنبين
وفي الاية دليل على ان النار موجودة مخلوقة الان وبشر اخبر يا محمد
وقيل الخطاب لكل احد كما قال عليه الصلاة والسلام بشر المشائين الى
المساجد الى اخره لم يخص بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مامور به ولم
يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقا
بان يبشروا ويهنوا بما اعد لهم الذين امنوا وعملوا الصالحات من فرض
وغيره والتبشير الاخبار بما يظهر اثره على البشرة وهي ظاهر الجلد لتغيرها
باول خبر يرد عليها قال الفقهاء البشارة هي الخبر الاول حتى لو قال الرجل
لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال
من اخبرني عتقوا جميعا ثم الغالب ان يستعمل في السرور مقيدا بالخير المبشر به
وغير مقيد ايضا ولا يستعمل في الغم الا مقيدا منصوصا على الشر المبشر به
قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم ومجرد الايمان كاف في دخول الجنة وانما
شرط معه هنا العمل الصالح لان المراد به الاخلاص في الايمان او الثبات
عليه الى الموت والعمل الصالح اذا اطلق المراد به ما وافق الشرع وقيل
ان الجنة تنال بالايمان والدرجات تكون بالاعمال الصالحات ان لهم اي بان
لهم او لان لهم جنات اي بساتين سميت جنات لانها تجن من فيها اي تستره
بشجرها وقوله لهم اللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من
الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا عن
ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده لا على
الاطلاق بل يشترط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مومن تجري في موضع النعت
لجنات من تحتها اي من تحت اشجارها والقصور التي فيها ولم يجر لها ذكر لان

الجنات

الجنات دالة عليها الانهار اي ماء الانهار ونسب الجري الى الانهار
توسعا وانما تجري الماء وحده فحذف اختصارا وروي ان انهار الجنة
ليست في اخاديد انما تجري على سطح الجنة منضبطة بالقدرة حيث شاء
اهلها والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر
كالنيل والفرات لان الماء ينهره اي يحفره وجمع الجنات لان الجنة اسم
لدار الثواب كلها فهي مشتملة على جنات كثيرة مرتبة مراتب على حسب
اعمال العاملين وذكر ابن عباس انها سبع جنة الفردوس وجنة عدن
وجنة النعيم ودار الخلود وجنة الماوى ودار السلام وعليون
والمشهور انها ثمانية والثامنة دار الجلال ونكرها للتكثير وعرف
الانهار لارادة الجنس كما تقول لفلان بساتين فيها الماء الجاري والتين
والعنب تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او لارادة انهارها فعوض
التعريف باللام من تعريف الاضافة او للاشارة باللام الى الانهار المذكورة
في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن كلما رزقوا اطعموا منها من ثمرة
من وصف الجنات رزقا قالوا هذا الذي رزقنا اي هذا مثل الذي
رزقنا من قبل يعني في الدنيا وفيه وجهان احدهما انهم قالوا هذا الذي
وعدنا به في الدنيا والثاني هذا الذي رزقنا في الدنيا لان لونه يشبه
لون ثمار الدنيا فاذا اكلوا وجدوا طعمه غير ذلك وقيل من قبل يعني في
الجنة لانهم يرزقون ثم يرزقون فاذا اتوا بطعام وثمار في اول النهار
فاكلوا منها ثم اتوا في اخر النهار قالوا هذا الذي طعمنا في اول النهار لان
لونه يشبه ذلك فاذا اكلوا منها وجدوا له طعما غير طعم الاول وعن
الحسن ان احدهم يوتى بالصحفة فياكل منها ثم يوتى باخرى فيراها مثل الاول

فيقول ذلك فتقول الملايكة كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه
عليه الصلاة والسلام انه قال والذي نفسي بيده انّ الرجل من اهل الجنة
ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها
واتوا به بضم الهمزة والتا في قراة الجماعة وقرى بفتحهما فالضمير في الاولى لاهل
الجنة وفي الثانية للخدام **متشابها** حال من الضمير في به اي يشبه بعضه
بعضا في النظر ويختلف في الطعم وقيل يشبه ثمر الدنيا ويباينه في جل
الصفات ابن عباس وهذا على وجه التعجب وليس في الدنيا شي مما في الجنة
سوى الاسما فكانهم تعجبوا لما راوا من حسن الثمرة وعظم خلقها قتادة
خيار الادون فيه وليس كثمار الدنيا لان فيه خيارا وغير خيار **ولهم فيها
ازواج** من الحور وغير الحور وهي جمع زوج والمراة زوج الرجل والرجل زوج
المراة قال الاصمعي ولا تكاد العرب تقول زوجه وحكى الفرا انه يقال
زوجه وانشد الفرزدق ٭ وانّ الذي يسعى ليفسد زوجتي ٭ والاصل
في الزوج ما له قرين من جنسه كزوج الخف **مطهرة** نعت للازواج ٭
وهي في اللغة اجمع من طاهره وابلغ والتطهير يستعمل في الاجسام
والاخلاق والافعال ٭ ومعنى مطهرة من الاخلاق الذميمة ومن الحيض
والبصاق وساير اقذار الادميات مجاهد لا يبلن ولا يتغوطن ولا يحضن
ولا يلدن ولا يبزقن ولا يتمخطن وشهوة الولد غير واقعة لكن لو اشتهى لوقع في
ساعة ٭ واقل ما ورد اثنتان وسبعون زوجة وصح خمسمايه **وهم فيها
خالدون** اي باقون ومنه جنة الخلد وقد يستعمل مجازا فيما يطول
زمنه ومنه قولهم في الدنيا خلد الله ملكه اي طوله **ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا ما** قال ابن عباس لما ضرب الله تعالى هذين المثلين للمنافقين

في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله تعالى او كصيب من السما
قالوا الله اجل واعلا من ان يضرب الامثال فنزلت وعن الحسن وقتادة
لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين
المثل به ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزلت ومعنى
لا يستحيي لا يخشى وفي التنزيل وتخشى الناس والله احق ان تخشاه بمعنى
تستحيي وقيل لا يترك بيانه لما فيه من الحكمة وقيل لا يمتنع واصل الاستحيا
الانقباض عن الشي والامتناع منه خوفا من مواقعة ما يقبح وهو الوسط
بين الوقاحة التي هي الجراة على القبايح وعدم المبالاة بها والخجل الذي
هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار
يعتري القوى الحيوانيه وهذا محال على الله تعالى وفي الصحيح ان الله
لا يستحيي من الحق اي لا يامر بالحيا فيه ولا يمتنع من ذكره واذا وصف به
الباري تعالى كما في الحديث ان الله تعالى يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان
يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى
يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته
وغضبه المعروف والمكروه اللازمين للمعنى الموضوع لهما ومعنى يضرب
يبين وان مع الفعل في موضع نصب تنقدير من ومثلا نصب بيضرب
بدل من مثلا وما نكرة في موضع نصب على البدل من مثلا او
مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيد
اللغو الضايع فان القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد
منه وانما وضع لان يذكر مع غيره فيفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في
الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا

حال تقدمت عليه لانها نكرة وقيل بعوضة نعت لما ووصفت ما
بالجنس المنكر لابهامها بمعنى قاله الفرا وغيره وقيل نصب على تقدير الجار
والمعنى ان يضرب مثلا ما بين بعوضة حذفت بين واعربت بعوضة
باعرابها والفا بمعنى الى اى الى ما فوقها قاله الكساى والفرا ايضا ويجوز
ان يكون يضرب بمعنى يجعل فيكون بعوضة المفعول الثاني والبعوضة
واحد البعوض وهو البق وقيل الذباب سميت بذلك لصغرها **فما فوقها**
اى فما دونها اى انها فوقها في الصغر كقولك فلان جاهل وفوق ذلك اى
هو ابلغ واعرق فيما وصف به من الجهل وقيل المعنى في الكبر **فاما الذين امنوا**
اما حرف فيه معنى الشرط وكذلك يجاب بالفا وفايدته في الكلام ان
يعطيه فضل تاكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه
لا محالة ذاهب قلت اما زيد فذاهب قال سيبويه في تفسيره مهما
يكن من شي فزيد ذاهب **فيعلمون انه الحق من ربهم** الضمير في انه عايد
على المثل اى ان المثل حق والحق خلاف الباطل ومعناه الثابت الواقع
موقعه الذى لا يسوغ انكاره وهو يعم الاعيان الثابتة والافعال الصايبة
والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت **واما الذين كفروا
فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا** ماذا قيل هي اسم واحد اى اى شي
اراد الله وقيل ما اسم تام في موضع رفع بالابتدا وذا بمعنى الذى وهو
خبر الابتدا والتقدير ما الذى اراده الله بهذا المثل ومعنى كلامهم
الانكار بلفظ الاستفهام اى اى فايدة فيه اى لا فايده ٥ والارادة
صفة تخصص احد طرفي الشي من الفعل والترك بالوقوع ومذهب اهل
الحق ان ارادة الله تعالى متعلقة بكل كاين فما علم تعالى انه يوجد
اراد

اراد وجوده وما علم انه لا يوجد فلا يريد وجوده فالارادة تابعة
للعلم واصل الارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث تحملها عليه
وتقال للقوة التى هي مبدا الشروع والاول مع الفعل والثاني قبله ٥
وكلا المعنيين غير متصور اتصاف البارى تعالى به ومثلا نصب على التمييز
او الحال **يضل به** اى بالمثل **كثيرا ويهدى به كثيرا** قيل هو من قول الكافرين
اى ماذا اراد الله بهذا المثل الذى يفرق به الى الضلالة والى الهدى وقيل
هو خبر من الله تعالى وهو اشبه فالمعنى قل يضل الله به كثيرا ويهدى به
كثيرا اى يوفق ويخذل • وفي الاية رد على من قال ان الله لا يخلق الضلال
والهدى وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى
مقابلهم فان المهديين قليل بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى
وقليل من عبادى الشكور ويحتمل ان تكون كثرة الضالين من حيث العدد
وكثرة المهديين باعتبار العقل والشرف كما قال • قليل اذا عدوا كثير اذا
وقال • ان الكرام كثير في البلاد وان • قلوا كما غيرهم قل وان كثروا •
وما يضل به الا الفاسقين هذا من قول الله بلا خلاف والمراد بهم
من سبق في علم الله انه لا يهديهم واصل الفسق الخروج عن الشي يقال
فسقت الرطبة اذا خرجت عن قشرها وهو في الشرع الخروج عن الطاعة
وقد يقع على من خرج بكفر ومذهب اهل السنة انه لا واسطة بين المومن
والكافر قال تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن والفسق بارتكاب
كبيرة لا يزيل الايمان خلافا للمعتزلة **الذين ينقضون عهد الله** الذين في
موضع نصب نعت للفاسقين • وان شيت في موضع رفع على انه خبر
لمبتدا محذوف والنقض افساد ما ابرم من بنا او حبل او عهد وساغ

يقع بعدما

استعماله في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة
لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاقدين والعهد الموثق وهو لما من
شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين وهو هنا قيل ما اخذه الله
على بني آدم حين استخرجهم من ظهره وقيل هو وصية الله الى خلقه وامره اياهم
بما امرهم به من طاعته ونهيه اياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه
على السنة رسله ونقضهم ترك العمل به وقيل هو نصب الادلة على وحدانيته
في السموات والارض وسائر مخلوقاته بمنزلة العهد ونقضهم ترك النظر
في ذلك وقيل هو ما عهده الى من اوتي الكتاب ان يبينوا نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم ولا يكتموا امره فالاية على هذا في اهل الكتاب من بعد ميثاقه
الميثاق العهد المؤكد باليمين وهو مفعال من الوثاقة وهي الشدة في الفتل
والربط واصله موثاق فصارت الواو ياء لانكسار ما قبلها ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل ما في موضع نصب بيقطعون وان ان شئت
كانت بدلا من ما وان شئت من الهاء في به وهو احسن لفظا ومعنى ويجوز
ان يكون المعنى لان لا يوصل او كراهة ان يوصل واختلف ما الشيء الذي
امر الله به ان يوصل فقيل هو صلة الرحم وقيل امر ان يوصل القول
بالعمل فقطعوا بينهما بان قالوا ولم يعملوا وقيل امر ان يوصل التصديق
بجميع انبيائه فقطعوا بتصديق بعضهم وتكذيب بعضهم وقيل
الاشارة الى دين الله وعبادته واقامة شرايعه وحفظ حدوده فهي
عامة في كل ما امر الله به ان يوصل وهذا قول الجمهور والامر هو القول
الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي
هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له
شان

شان وهو الطلب والقصد ويفسدون في الارض اي يعبدون غير الله
وهذا قول غاية الفساد وقيل بالمنع عن الايمان والاستهزا بالحق وقطع
الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك الموصوفون بما ذكر هم
الخاسرون ابتدا وخبر والخاسر الذي نقص نفسه حظها من الفلاح
والفوز والخسران النقصان كان في ميزان او غيره ويقال للهالك خاسر
لانه خسر نفسه واهله يوم القيامه ومنع منزلة من الجنة كيف
تكفرون يا اهل مكة وقيل اهل الكتاب بالله كيف سوال عن حال الشيء
لا عن ذاته قال الراغب وانما يسال بها عما يصح ان يقال فيه شبيه وغير
شبيه ولهذا لا يصح ان يقال في الله كيف قال وكلما اخبر الله بلفظ كيف
عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب والتوبيخ نحو كيف
تكفرون كيف يهدي الله والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وهي اسم
في موضع نصب على الحال بتكفرون مبنية على الفتح اي هؤلاء ممن يجب ان
يتعجب منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم الحجة قال الواسطي وبخهم بهذا
غاية التوبيخ لان الموات والجماد لا ينازع صانعه في شيء وانما المنازعة
من الهياكل الروحانية فان قيل كيف يجوز ان يكون هذا الخطاب لاهل
الكتاب وهم لم يكفروا بالله تعالى فالجواب ما سبق من انهم لما لم
يبينوا امر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوه فيما جاء به فقد
اشركوا لانهم لم يقروا بان القران من عند الله ومن زعم ان القران كلام البشر
فقد اشرك بالله وصار ناقضا للعهد وكنتم امواتا الواو للحال وقد مضمرة
وامواتا خبر كنتم فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ابن عباس وابن مسعود
كنتم امواتا معدومين قبل ان تخلقوا فاحياكم خلقكم ثم يميتكم عند

انقضا اجالكم ثم تحييكم يوم القيامة قال ابن عطية وهذا القول هو
المراد بالاية وهو الذى لا محيد للكفار عنه لاقرارهم بهما واذا اذعنت
نفوسهم لكونهم امواتا معدومين ثم للاحيا فى الدنيا ثم للاماتة فيها
قوى عليهم لزوم الاحيا الاخر وجا بجحدهم له دعوى لا حجة عليها
قال بعضهم والحياة التى تكون فى القبر على هذا التاويل فى حكم حياة
الدنيا ولم يعتد بها كما لم يعتد بموت من اماته الله فى الدنيا ثم احياه
فيها وقيل كنتم امواتا فى ظهر ادم ثم اخرجكم من ظهره كالذر ثم
يميتكم موت الدنيا ثم يبعثكم وقيل كنتم نطفا فى اصلاب الرجال وارحام
النسا ثم نقلكم من الارحام فاحياكم ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم
فى القبر للمسئلة ثم يميتكم فى القبر ثم يحييكم حياة النشور القرطبى فعلى
هذا التاويل هى ثلاث موتات وثلاث احياات وقيل غير ذلك •
فان قيل كيف عد الاماتة من النعم المقتضية للشكر فالجواب
انها لما كانت وصلة الى الحياة الثانية التى هى الحياة الحقيقية كما
قال تعالى وان الدار الاخرة لهى الحيوان كانت من النعم العظيمه •
قال الزمخشرى فان قلت كيف قيل لهم اموات فى حال كونهم جمادا
وانما يقال ميت فيما تصح فيه الحياة قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة
كقوله بلدة ميتا واية لهم الارض الميتة اموات غير احيا ويجوز
ان يكون استعارة لاجتماعهما فى ان لا روح ولا احساس ثم اليه
ترجعون اى الى عذابه مرجعكم لكفركم وقيل الى الحياة والمسايلة
وقرى ترجعون ببنايه للمجهول وببنايه للفاعل هو الذي خلق
لكم ما فى الارض جميعا خلق معناه اخترع واوجد من العدم وهذه
نعمة

نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانه خلقهم احيا قادرين مرة بعد اخرى
وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاوهم ويتم به معاشهم ابن كيسان
خلق لكم اى من اجلكم او لاجلكم وانتفاعكم فى دنياكم ومصالح ابدانكم
بوسط او بغير وسط وهو يقتضى اباحة الاشيا النافعة ولا يمنع اختصا
ص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد
لكل واحد وقيل ان جميع ما فى الارض منعم به عليكم فهو لكم وقيل انه
دليل على التوحيد والاعتبار القرطبى وهو الصحيح وجميعا نصب على الحال
عند سيبويه ثم استوى بعد خلق الارض الى السما ثم لترتيب الاخبار
لا لترتيب الامر فى نفسه والاستوا فى اللغة الارتفاع والعلو على الشى
قال تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك لتستووا على
ظهوره والناس فى هذه الاية وما شاكلها على ثلاثة اوجه قال بعضهم
نقروها ونومن بها ولا نفسرها ذهب اليه كثير من الايمة كما روى عن
مالك ان رجلا ساله عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال
مالك الاستوا غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب •
والسوال عنه بدعة واراك رجل سوء وقال بعضهم نومن بها ونفسرها
على ما يحتمله ظاهر اللغة وهذا قول المشبهة وقال بعضهم نومن بها
نقراوها ونتاولها ونحيل حملها على ظاهرها قال ابن عباس استوى
بمعنى استقر وهذا ان صح عنه يحتاج الى تاويل • وقيل استوى بمعنى
استولى ورد بوجهين احدهما ان الله تعالى مستولى على الكونين والجنة
والنار واهلهما والثانى ان الاستيلا لا يكون الا بعد قهر وغلبة
وقال ابن اللبان الاستوا المنسوب اليه تعالى بمعنى الاعتدال اى قام

[illegible]

بالعدل كقوله قايما بالقسط فقيامه بالقسط والعدل هو استواؤه
ويرجع معناه الى انه اعطى كل شي خلقه موزونا بحكمته البالغة انتهى
وقيل استوى اقبل البيهقي استوى بمعنى اقبل صحيح لان الاقبال هو
القصد الى خلق السما والقصد هو الارادة وذلك جايز في صفات
البارى تعالى ولفظة ثم تتعلق بالخلق لا بالارادة انتهى وهذا القول
اوفق للاصل وللصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفا وقيل
على دون تكييف ولا تحديد واختاره الطبرى وعن ابى العاليه استوى
بمعنى ارتفع قال البيهقي ومراده من ذلك والله اعلم ارتفاع امره وهو
بخار الما الذى وقع منه خلق السما وقال البكرى معنى الاستوا استواء
القدرة والسلطان مع نفى الحوادث جملة ولا ينافيه قول طايفة ثم
قصد بعد خلق الارض الى اخره لان المراد ايجاد ذلك بعد الاول انتهى
وسياتى لهذا مزيد بيان فى الاعراف والقاعدة فى نحو هذه الاية منع
الحركة والنقلة واقتضت الاية ان الارض مع ما فيها خلقت قبل السما
وهو صحيح وكذلك فى حم السجدة وقال فى النازعات والارض بعد ذلك
دحاها فكانت السما على هذا خلقت قبل الارض والذى تجتمع فيه
الايات ان الارض خلقت قبل غير مدحيه ثم خلقت السما ثم دحيت
الارض قال البيضاوى ولعل ثم لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق
السما على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا لا للتراخى فى الوقت
فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وتقدم جوابه
فسواهن سبع سموات ذكر تعالى ان السموات سبع ولم يات للارض
عدد صريح لا يحتمل التاويل الا قوله تعالى ومن الارض مثلهن قيل

مثلهن

مثلهن فى العدد لان الكيفية والصفة تختلف بالمشاهدة والاخبار
فتعين العدد وقيل مثلهن فى غلظهن وما بينهن وقيل سبع لم يفتق
بعضها من بعض والصحيح انها سبع كالسموات واخرج مسلم من اخذ
شبرا من الارض ظلما طوقه الى سبع ارضين فان قيل ان اصحاب الارصاد
اثبتوا تسعة افلاك فجوابه ان الذى ذكروه فيه شك وان صح فليس
فى الاية نفى الزايد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسى لم يبق خلاف وسبع
منصوب على البدل من الها والنون او مفعول على تقدير فسوى منهن
سبع سموات او مفعول ثان على اجراء سوى مجرى صير او حال ومعنى
سواهن جعلهن سوا او سوى سطوحهن بالاملاس وخلقهن مصونة عن
العوج والفطور وجمع ضمير السما لانها فى معنى الجمع باعتبار مصيرها
اليه او هو مبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا فائدة حيث
ذكرت الارض فى القران ذكرت مفردة ولم تجمع بخلاف السما لثقل جمع
الارض ولهذا لما اريد جمعها قال ومن الارض مثلهن واما السما فذكرت
تارة بصيغة الجمع وتارة بصيغة الافراد لنكتة تليق بذلك المحل وحاصله
انه حيث اريد العدد اتى بصيغة الجمع الدال على سعة العظمة والكثرة
نحو سبح لله ما فى السموات وحيث اريد الجهة اتى بصيغة الافراد نحو وفى
السماء رزقكم وهو بكل شى عليم اى بما خلق وهو خالق كل شى فوجب ان
يكون عالما بكل شى الا يعلم من خلق فهو العالم والعليم بجميع المعلومات
بعلم واحد قديم قايم بذاته ووافقنا المعتزلة على العالمية دون
العلمية واكد عليهم فى كتب الديانات وقد وصف نفسه سبحانه بالعلم
فقال انزله بعلمه وقال فلنقصن عليهم بعلم وما تحمل من انثى ولا تضع

الا بعلمه واثبات العلم هنا متعلق بالموجودات اذ الشي الموجود
فقط وتحقق علمه تعالى بالمعدومات من غير هذه الاية والعلم يتعلق
بالواجب والممكن والمحال بالجزئيات والكليات وهو صفة ينكشف
بها الشي عند تعلقها به وقرئ وهو بسكون الها وبضمها والمعنى افلا
افلا تعتبرون ان القادر على خلق ذلك ابتدا وهو اعظم منكم قادر
على اعادتكم واذ قال ربك للملايكة اذ واذا اسما توقيت فاذ
للماضي واذا للمستقبل وقد توضع احداهما موضع الاخرى فاذ لجا اذا
مع الماضي كان مستقبلا كقوله اذا جا نصر الله اتى يجي واذا جا اذ مع
المستقبل كان ماضيا كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا اى مكر واذ متعلقة
بفعل تقديره واذكر اذ قال وقيل هو مردود الى قوله تعالى اعبدوا ربكم
الذى خلقكم فالمعنى الذى خلقكم اذ قال وخطاب الله تعالى للملايكة
متقرر قديم في الازل بشرط وجودهم وفهمهم والامر يتعلق بالمعدوم
عندنا تعلقا معنويا بمعنى انه اذا وجد بصفة التكليف يكون ونفت
المعتزلة التعلق المعنوى لنفيهم الكلام النفسي والرب المالك والسيد
والمصلح والجابر والملايكة واحدها ملك بفتح اللام من الك اذا ارسل
والها في الملايكة تاكيد لتانيث الجمع وقيل للمبالغة كعلامه واختلف
العقلا في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قايمة
بنفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل
باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت
طايفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم
الحكما انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقه وهي

منقسمة

منقسمة الى قسمين قسم شانه الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن
الاشتغال بغيره كما وصفهم سبحانه في محكم تنزيله بقوله يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملايكة المقربون
وقسم يدبر الامر من السما الى الارض على ما سبق به القضا وجرى به
القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وهم
المدبرات امرا ومنهم سماوية وارضية على تفصيل مذكور في كتاب الطوا
والملايكة عند اهل الحق عباد عاملون لا يوصفون بذكورة ولا انوثة
وافضلهم جبريل عليهم السلام والمقول لهم الملايكة كلهم لعموم اللفظ
وعدم المخصص وقيل ملايكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في
محاربة الجن كما سيجي قال ارباب المعاني خاطب الله تعالى الملايكة لا للمشورة
ولكن لاستخراج ما فيهم من روية الحركات والعبادة ثم ردهم الى قيمتهم فقال
اسجدوا لادم انى جاعل اى خالق في الارض قيل مكة وقيل عموم الارض
وعند التامل لا منافاة خليفة وخليفة يجوز ان يكون بمعنى فاعل اى
يخلف من كان قبله من الملايكة في الارض او من كان قبله من الجن على ما ياتى
وان يكون بمعنى مفعول كذبيحة والخلف بالتحريك من الصالحين وبالتسكين
من الطالحين والمراد بالخليفة ادم وهو خليفة الله فيما مضى او امضا احكا
واوامره لانه اول رسول الى الارض كان رسولا الى ولده وكانوا اربعين ولدا
في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وانثى وتوالدوا حتى كثروا وانزل الله عليه تحريم
الميتة والدم ولحم الخنزير وعاش تسعماية وثلاثين سنه وروى الف سنه
قالوا اتجعل فيها اى في الارض من يفسد فيها ان قيل ان الملايكة لا تعلم
الا ما علمت ولا تسبق بالقول فكيف قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قيل

الاستفهام هنا للارشاد كما يسال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره
وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم
اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول الاية وقيل انهم لما سمعوا لفظ خليفة فهموا ان في بني ادم من
يفسد اذ الخليفة المقصود منه الاصلاح وترك الفساد ولكن عمموا الحكم
على الجميع بالمعصية فبين تعالى ان فيهم من يفسد ومن لا يفسد فقال
تطييبا لقلوبهم اني اعلم وحقق ذلك في علم ادم الاسما وكشف لهم عن
مكنون علمه وقيل ان الملايكة فهمت وعلمت من افساد الجن وسفكهم الدما
وذلك لان الارض كان فيها الجن قبل ادم فافسدوا فيها وسفكوا الدماء
فبعث الله لهم ابليس في جند من الملايكة فقتلهم والحقهم بالبحار ورؤوس
الجبال فمن حينيذ دخلته العزة فجا قوله اتجعل فيها على جهة الاستفهام
المحض على هذا الخليفة على طريقة من تقدم من الجن وقيل ان الله تعالى
اعلمهم انه سيكون من ذريته قوم يفسدون في الارض ويسفكون الدما
فقالوا لذلك هذه المقالة اما على طريق التعجب من استخلاف الله تعالى
من يعصيه او من عصيان الله من يستخلفه في ارضه وينعم عليه واما
على طريق الاعظام والاكبار للفعلين جميعا الاستخلاف والعصيان
قتادة كان الله اعلمهم انه اذا جعل في الارض خلقا افسدوا وسفكوا
الدما فسالوا حين قال اني جاعل في الارض خليفة اهو الذي اعلمهم ام
غيره وقد قيل ان سواله تعالى للملايكة بقوله كيف تركتم عبادي
على ما ثبت في صحيح مسلم وغيره انما هو على جهة التوبيخ لمن قال اتجعل
فيها من يفسد فيها واظهار لما سبق في معلومه اذ قال لهم اني اعلم

ما

تفصيل القصة

ما لا تعلمون **ويسفك الدما** اي يصبه بالقتل المهدوي ولا يستعمل
السفك الا في الدم يقال سفكت الدم اسفكه سفكا اذا صببته وكذلك
الدمع حكاه ابن فارس والجوهري والسفك في الجواهر المذابة والسفح في
الصب من اعلى والسن في الصب من فم القربة وواحد الدما دم محذوف
اللام واصله دمي **ونحن نسبح** جملة في موضع الحال والمعنى نحن احق بالاستخلاف
لانا نسبح اي ننزهك عما لا يليق بصفاتك وقيل المعنى اتستخلف عصاة
ونحن معصومون احقا بذلك والمقصود منه الاستفسار لا العجب والتفاخر
والتسبيح التنزيه عن السوء على وجه التعظيم وهو مشتق من السبح وهو
الجري والذهاب قال تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا فالمسبح جار في
تنزيه الله تعالى وتبرئته من السوء ابن عباس وابن مسعود تسبيح الملايكة
صلاتهم وقيل رفع الصوت بالذكر قتادة تسبيحهم سبحان الله على عرفه في اللغة
وهو الصحيح لما اخرجه مسلم افضل الكلام ما اصطفى الله لملايكته سبحان الله
وبحمده **بحمدك** اي نخلط التسبيح بالحمد ونصله به **ونقدس لك** اي نعظمك
ونطهر ذكرك عما لا يليق بك مما نسبه اليك الملحدون والمعنى نقول ذلك
مذعنين لا انه منهم بل هو مقدس واللام زايدة للتاكيد وقال الضحاك وغيره
المعنى نطهر انفسنا وقلوبنا بالوحدانية لك واجسادنا للعبادة لك ابتغا
مرضاتك وقيل المعنى نصلي لك **قال** الله تعالى **اني اعلم ما لا تعلمون** قيل
ان اعلم فعل مستقبل وقيل اسم بمعنى فاعل كما يقال الله اكبر اي كبير فعلى انه
فعل فيكون ما في موضع نصب باعلم وان جعلته اسما بمعنى عالم يكون ما في
موضع خفض واختلف في معنى الاية فقال ابن عباس كان ابليس قد اعجب
ودخله الكبر لما جعله الله خازن السما فاعتقد ان ذلك لمزية له فاستخف

الكفر والمعصية في جانب ادم وقالت الملايكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
وهي لا تعلم ان في نفس ابليس خلاف ذلك فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون
قتادة لما قالت الملايكة اتجعل فيها وقد علم الله ان فيمن يستخلف في الارض
انبيا وفضلا واهل طاعة قال لهم اني اعلم ما لا تعلمون وقيل ان الملايكة
قالوا لن يخلق ربنا خلقا اكرم عليه منا ولا اعلم لسبقنا ورويتنا له
ما لم يره فخلق الله تعالى ادم ونفخ فيه الروح فصار حساسا بعد ان
كان جمادا **وعلم** اي عرف **ادم الاسما كلها** تعليمه هنا الهام علمه ضرورة
ويجوز ان يكون بواسطة ملك او خطابا من الله تعالى له قبل نزوله
الى الارض فلا يشارك موسى في خاصته او بالقاي في روعه ولا يفتقر
الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا
ولذلك يقال علمته فلم يتعلم قال علما الصوفية علم الاسما بتعليم الله
اياه وحفظها بحفظه عليه ونسي ما عهد اليه لانه وكله فيه الى نفسه
فقال ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ابن عطا لو لم
يكشف لادم علم تلك الاسما لكان اعجز من الملايكة في الاخبار عنها
وادم يكنى ابا البشر وقيل ابي محمد كني بمحمد خاتم النبيين النبيه وقيل
قيل كنيته في الجنة ابو محمد وفي الاخرة ابو البشر وفي الترمذي عن
ابي موسى الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله عز وجل خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجا بنو ادم على
قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن
والخبيث والطيب والاسما هاهنا بمعنى العبارات فان الاسم قد يطلق
ويراد به المسمى كقولك زيد قايم والاسد شجاع وقد يراد به التسمية
ذاتها

ذاتها كقولك زيد ثلاثة احرف ففي الاول يفيد الاسم هو المسمى بمعنى
يراد به المسمى وفي الثاني لا يراد به المسمى وقد يجري اسم في اللغة مجرى
ذات العبارة وهو الاكثر ومنه قوله تعالى وعلم ادم الاسما على اشهر
التاويلات وقوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما
ويجري مجرى الذات يقال ذات ونفس وعين واسم بمعنى وعلى هذا حمل
اكثر اهل العلم قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى تبارك اسم ربك ما تعبدون
من دونه الا اسماء سميتموها قال ابن عباس وغيره علم الله تعالى ادم
اسما جميع الاشيا جليلها وحقيرها وعنه ايضا علمه اسما كل شي حتى
الجفنة والمحلب قتادة علم الله ادم من الاسما اسما خلقه ما لم تعلم
الملايكة وسمى كل شي باسمه وانحى منفعة كل شي الى جنسه النحاس وهذا
احسن ما روي في هذا والمعنى علمه اسما الاجناس وعرفه منافعها هذا
كذا هذا ابصلح لكذا الطبري علمه اسما الملايكة واسما ذريته والمعنى انه
خلقه من اجرام مختلفة وقوى متباينة مستعد الادراك انواع المدركات
من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة
ذوات الاشيا وخواصها واسمايها واصول العلوم وقوانين الصناعات
وكيفية آلاتها **ثم عرضهم على الملايكه** ابن مسعود عرض اشخاص الاسما
لقوله ثم عرضهم وقوله انبيوني باسما هولا وفي الحديث انه عرضهم امثال
الذر ابن عباس وغيره عرض الاسما البكري ثم عرضهم غلب فيه من يعقل
على غيره والمعروض اما الاشخاص او الاسما مسيو لا بها عن مسمياتها انتهى
وفي زمن عرضهم قولان احدهما انه عرضهم بعد ان خلقهم والثاني انه
صورهم لقلوب الملايكة ثم عرضهم وروى كعب الاحبار ان ولمن وضع

الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها وتكلم بالالسنة كلها ادم
فقال تبكيتا لهم انبيوني اي اخبروني باسما هولاء المسميات فيه
تنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير في الموجودات
واقامة الادلة قبل تحقق المعرفه والوقوف على معرفة الاستعدادات
وقدر الحقوق محال وليس هذا بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال
وهولا اسم مبني على الكسر ممدود وقصره تميم ان كنتم صادقين
شرط والجواب محذوف تقديره ان كنتم صادقين ان بني ادم يفسدون
في الارض فانبيوني ومعنى صادقين عالمين ولذلك لم يسع الملايكة
الاجتهاد وقالوا سبحانك قال النقاش ولو لم يشترط عليهم الصدق
في الانبا لجاز لهم الاجتهاد وقيل المعنى ان كنتم صادقين في انكم احقا
بالخلافة واني لا اخلق اعلم منكم قالوا اعترافا بالعجز والقصور
واشعارا بان سوالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم
ما خفي عليهم من فضل الانسان سبحانك اي تنزيها لك عن ان يعلم
الغيب احد سواك لا علم لنا الا ما علمتنا هذا جواب عن قوله
انبيوني فاجابوا انهم لا يعلمون الا ما اعلمهم به ولم يتعاطوا ما لا
علم لهم به كما يفعله الجهال منا وما في ما علمتنا بمعنى الذي اي الذي
علمتناه ويجوز ان تكون مصدرية بمعنى الا تعليمك ايانا وسبحانك
منصوب على المصدر عند الخليل وسيبويه على معنى نسبح سبحانك تسبيحا
انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية والمبالغة فيه للتكثير في
المعلومات الحكيم معناه الذي وضع الاشيا في محلها بحكمة علمناها
ام لا وهو بمعنى الحاكم وبينهما مزية للمبالغة وقيل معناه المحكم ويجي

الحكيم

الحكيم على هذا من صفات الفعل صرف عن مفعل الى فعيل كما صرف مولم
الى اليم وقيل الحكيم المانع من الفساد ومنه حكمة اللجام لانها تمنع
الفرس من الجري والذهاب في غير قصد والحكمة من هذا لانها تمنع صاحبها
من الجهل قال الله تعالى يا ادم انبيهم اي الملايكة باسمايهم اي اسما
المسميات امره ان يعلمهم باسمايهم بعد ان عرضهم على الملايكة فسمى
كل شي باسمه وسمى حكمته التي خلق لها ليعلموا انه اعلم بما سالهم عنه
تنبيها على فضله وعلو شانه فكان افضل منهم بان قدمه عليهم
واسجدهم له وجعلهم تلامذته وامرهم ان يتعلموا منه فحصلت له
رتبة الجلالة والعظمة بالسجود له والتعليم منه وفي الاية دليل على
فضل العلم واهله وفي الحديث وان الملايكة لتضع اجنحتها لطالب
خاصة من بين عمال الله تعالى الزمها ذلك في ادم فتادبت بذلك
الادب فكلما ظهر لها علم في بشر خضعت له وتواضعت وتذللت
للعلم واهله رضا منهم بالطلب له والشغل به هذا في الطلاب منهم
فكيف بالاحبار فيهم والربانيين منهم فلما انباهم باسمايهم وضع الظاهر
موضع المضمر تفخيما للامر قال تعالى موبخا لهم الم اقل لكم الهمزة للانكار
دخلت على الجحد فافادت الاثبات والتقرير وقيل الاستفهام للتذكير
اني اعلم غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما واعلم ما تبدون
اي ما تظهرون وما كنتم تكتمون اي تسرون من كل شي فهو عام وقيل
اريد به الخاص فقيل البادي اتجعل فيها الى اخره وغيره كتمهم انهم احق
بالخلافة او اضمارهم لن يخلق اكرم عليه منا ولا اعلم وقيل الاول
ما اظهروه من الطاعة والثاني ما اسره ابليس من المعصية قال ابن عطية

وما تكلمون للجماعة والكاتم واحد فهذا القول جا على تجوز العرب
واتساعها كما يقال للقوم قد جا سفيه منهم انتم فعلتم كذا اي منكم
فاعله وهذا مع قصد تعنيف ومنه ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات الاية وانما ناداه منهم عيينة بن حصن والاقرع ودل ما ذكر
على شرف الانسان وفضله وفضل العالم على من سواه وان العلم شرط
في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم
يصح اطلاق المعلم عليه وان مفهوم الحكمة زايد على مفهوم العلم وان
ادم افضل من الملايكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وان الله تعالى يعلم الاشيا
قبل حدوثها وان اللغات توقيفية وانه لابد لها من واضع وان علوم الملايكة
تقبل الزيادة والنقصان خلافا للزاعمي خلافه في الكل واذ قلنا للملايكه
اسجدوا لادم اي واذكر ولم يقل قلت لان الجبار العظيم يخبر عن نفسه
بفعل الجماعة تفخيما واشادة بذكره والسجود معناه في كلام العرب التذلل
والخضوع وغايته وضع الجبهة بالارض والمقول لهم الملايكة كلهم لعموم
اللفظ وعدم المخصص وقيل ملايكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه
وكان السجود لادم تحية وسلاما وتعظيما بالانحنا لا عبادة كسجود اخوة
يوسف وقيل ادم كان قبلة تشريفا له وقيل هو شكر واللام للتعليل
فسجدوا الا ابليس نصب على الاستثنا المتصل لانه كان من الملايكة على
قول ابن عباس والجمهور وكان اسمه عزازيل وكان من اشراف الملايكه ثم ابلس بعد
ذلك وسمي ابليس لان الله ابلسه من الخير اي ايسه وكنيته ابو فترة
وقيل ابو مره حكاه السهيلي ولم ينصرف لانه معرفة لا نظير له في الاسما

فشبه

فشبه بالاعجمي وقيل هو اعجمي قال الماوردي كان من افضل صنف في الملايكه
يقال لهم الجنه ابن زيد وقتادة والحسن ابليس ابو الجن كما ادم ابو البشر
ولم يكن ملكا والاستثنا على هذا منقطع واستدل لهذا القول باية الكهف
وبان له ذرية وبانه اكفر الكفرة بخلاف الملايكة لا ذرية لهم ولا يعصون
الله ما امرهم لانهم عقول مجردة لا شهوة لهم ابى اي امتنع من فعل ما امر به
واستكبر اي تكبر وامتنع واستعظم والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من
غيره والاستكبار طلب ذلك فراى نفسه اعظم من ادم على سبيل المغالاة
وقال انا خير منه وكان من الكافرين اي صار منهم ومنه وكان من المغرقين
وقيل كان في علم الله انه سيكون كافرا لان المومن حقيقة والكافر حقيقة
هو الذي قد علم الله منه الموافاة وفي البخاري الاعمال بالخواتيم وقد كان
ابليس خلق من نار العزة فالعزة اورثته الكبر حتى راى له الفضل على ادم
قال بعض اهل العلم اذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجه وان كانت
في غير كبر فارجه فقد كانت خطيئة ادم معصية وخطيئة ابليس كبرا
واختلف هل كان قبل ابليس كافر او انه اول من كفر فقيل كان قبله قوم
كفار من الجن على ما سبق واختلف هل كفر ابليس جهلا او عنادا ولا خلاف
انه كان عالما بالله تعالى قبل كفره فمن قال انه كفر جهلا قال انه سلب العلم
قبل كفره ومن قال كفر عنادا قال كفر ومعه علمه وليس ذلك يستحيل في
القدرة وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة اي لازم الاقامة
فيها واتخذها مسكنا وخوطب ادم لانه المقصود وغيره تبع وانت
تاكيد للضمير المستتر ليعطف عليه وزوجك هي حوا بالمد وخلقت
من ضلعه الايسر قال ابن عباس وابن مسعود لما اسكن ادم الجنة مشى متوحشا

فلما نام خلقت حوا من ضلعه القصرى من شقه الايسر فلما انتبه راها قال
من انت فقالت انا مراة خلقت من ضلعك لتسكن الى وسميت حوا لانها
خلقت من حى ولم تسم فى القران لان ادم لم يكن له زوج غيرها وفى
قوله اسكن تنبيه على الخروج لان السكنى لا تكون ملكا ولهذا قال
بعض العارفين السكنى تكون الى مدة ثم تنقطع فدخولهما الجنة كان
دخول سكنى لا دخول ثواب والمراد بالجنة هنا دار الثواب فدل على وجودها
الان ولا التفات الى ما ذهبت اليه المعتزلة والقدرية من انه لم يكن
فى جنة الخلد وانما كان فى جنة بارض عدن وقوله يا ادم بسمى هذا الخطاب
خطاب العين ولم يقع الخطاب بيا محمد بل يا ايها النبى يا ايها الرسول
تعظيما وتشريفا وتخصيصا عن من سواه وتعليما للمومنين ان لا ينادوه
باسمه **وكلا منها رغدا** اى واسعا كثيرا لا حجر فيه وقال مجاهد لا حساب
عليهم فيه وهو منصوب على الصفة لمصدر محذوف اى اكلا رغدا ابن
كيسان ويجوز ان يكون مصدرا فى موضع الحال البكرى خوطبا هنا
معا لان ادم علم اولا انه المقصود وحده فلما استقر ذلك لم يبق فى
الثانى ما يدل على مشاركته فى فضله وقال هنا وكلا بالواو وفى الاعراف
فكلا بالفا لان اسكن هنا معناه استقر لكون ادم وحوا كانا فى الجنة
والاكل يجامع الاستقرار غالبا فلهذا عطف بالواو الدالة على الجمع
والمعنى اجمعا بين الاستقرار والاكل وفى الاعراف معناه ادخلا لكونهما
كانا خارجين عنها والاكل لا يكون مع الدخول عادة بل عقبه فلهذا
عطف بالفا الدالة على التعقيب انتهى **حيث شيتما** حيث للمكان المبهم
مبنى على الضم كقبل وبعد اذا افردنا اى فى اى مكان من الجنة شيتما وسع
لهما

لهما فى ذلك ازالة للعذر فى تنا ولما نهى عنه فلم تحظر عليهما بعض الاكل
ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهم عذر فى التناول
من شجرة واحدة من بين اشجارها الفايتة للحصر **ولا تقربا هذه الشجرة**
اى بالاكل منها لان الاباحة فيه وقعت وفى ذلك مبالغات تعليق النهى
بالقرب الذى هو من مقدمات التناول مبالغة فى تحريمه ووجوب الاجتناب
عنه تنبيها على ان القرب من الشى يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع
القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى حبك للشى يعمى
ويصم فينبغى ان لا يحوم احد حول ما حرم الله مخافة ان يقع فيه وجعله
سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى او بنقص
حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفا تفيد السببية سوا
جعلته للعطف على النهى او للجواب ابن العربى سمعت الشاشى يقول اذا قيل
لا تقرب بفتح الرا كان معناه لا تلتبس بالفعل واذا كان بضم الرا كان معناه
لا تدن منه قال ارباب المعانى قوله لا تقربا فيه اشعار بالوقوع فى
الخطيئة والخروج من الجنة وان السكنى فيها لا تدوم لهما لان المخلد
لا يحظر عليه شى ولا يومر ولا ينهى واختلف فى تعيين هذه الشجرة فقيل
شجرة الكرم ولذلك حرمت علينا الخمرة وقيل السنبلة والحبة منها
ككلا البقر احلى من العسل والين من الزبد وقيل شجرة من اكل منها احدث
وقيل شجرة التين وقيل شجرة تجمع طعم ساير الثمار البكرى هى شجرة
يعلمها الله ومنهم من عين فقال الحنطة او اللوز او الكرامة او الاترجة
او النخلة او شجرة العلم وفيها من كل شى او الكافور وصح عن ابن عباس
انها السنبلة انتهى القشيرى وكان والدى يقول يعلم على الجملة انها

اختلاف

كانت شجرة المحنه ويقال ان اول من اكل من الشجرة حوا باغوا ابليس وان
اول كلامه كان معها لانها وسواس المخده وهي اول فتنة دخلت على
الرجال من النسا **فتكونا** عطف على تقربا او نصب جواب النهي **من الظالمين**
اي تصيرا من العاصين والظلم وضع الشي في غير موضعه **فازلهما**
الشيطان عنها قري بغير الف من الزلة وهي الخطيئة اي استزلهما
واوقعهما فيها وقري فازالهما بالف من الزوال اي صرفهما ابليس عما
كانا فيه وعليه من الطاعة الى المعصية وقيل عن الجنة فكلا منهما
فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم البكري وهل هو بالوسوسة او ببعض
اتباعه او بدخوله اليهما اما ظاهرا لانه لم يمنع الا على وجه الاكرام او
باطنا في فم الحية اقوال انتهى وقال ابن عباس والجمهور كان اغواوه ايا هما
مشافهة بدليل قوله تعالى وقاسمهما الاية والمقاسمة ظاهرها
المشافهة ونسب الاخراج الى ابليس لانه كان بسببه واغوآيه اذ لاقدرة
للشيطان على ذلك ولم يقصد ابليس اخراج ادم من الجنة وانما قصد
اسقاطه عن مرتبته وابعادهُ كما ابعد هو فلم يبلغ مقصده ولا ادرك
مراده بل ازداد سُخنَةَ عين وغيظ نفس وخيبة ظن قال تعالى فاجتباه
ربه فتاب عليه وهدى فصار عليه السلام خليفة الله في الارض بعد
ان كان جارا له في داره فكم بين الخليفة والجار ويذكر ان الحية كانت
خادم ادم وحوا في الجنة وهي ذات اربع كالبختيه وهي من احسن دابة
خلقها الله تعالى فخانت بان مكنت عدو الله من نفسها واظهرت
العداوة له هناك فلما اهبطوا تاكدت العداوة وجعل رزقها التراب
وَقُلْنَا اهْبِطُوا الخطاب لادم وحوا وابليس والحية قاله ابن عباس
وقيل

وقيل لادم وحوا والمراد هما وذريتهما والهبوط النزول من فوق الى
اسفل وفيه دليل على ان الجنة في السما فاهبط ادم بسرنديب من الهند
بجبل يقال له بوذ ومعه ريح الجنة فعلق بشجرها واوديتها فامتلا
ما هنالك طيبا واهبطت حوا بجدة وابليس بالايلة والحية بنيسان
وقيل بغيرها **بعضكم لبعض عدو** مبتدا وخبر في موضع الحال اي بعض الذرية
لبعض من ظلم بعضهم بعضا والتقدير وهذه حالتكم وحذفت الواو
من وبعضكم لان في الكلام عايدا كما يقال رايتك السما تمطر عليك والعدو
خلاف الصديق وهو من عدا اذا ظلم وقيل ماخوذ من المجاوزة من قولك
لا يعدوك هذا اي لا يتجاوزك فسمي عدوا لمجاوزته الحد في مكروه صاحبه
وقال عدو ولم يقل اعداء لان كلا وبعضا تخبر عنهما بالواحد على اللفظ
وبالجمع على المعنى او لان عدوا يفرد في موضع الجمع قال الله تعالى وهم لكم
عدو قال الزمخشري ومعنى بعضكم لبعض عدو هو ما عليه الناس من
التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض **ولكم في الارض مستقر** اي موضع
قرار وقيل مستقر في القبور **ومتاع** المتاع ما يستمتع به من اكل ولبس
وحياة وانس وحديث وغير ذلك **الى حين** قيل الى الموت وقيل الى قيام
الساعة وقيل الى اجل اخرج ابن عساكر عن ابن عباس ان ادم كان لغته في
الجنة العربية فلما عصى سلبه الله العربية فتكلم بالسريانية فلما تاب
رد الله عليه العربيه واخرج ابن سعد عن الحسن قال بكى ادم على الجنة
ثلثماية سنه وعن عطا ان ادم لما اهبط من الجنة خر في موضع البيت ساجدا
فمكث اربعين صباحا لا يرفع راسه وقال بعض العلما في قوله تعالى الى حين
فايدة لادم ليعلم انه غير باق فيها وانه مستقبل الجنة التي وعد بالرجوع

ايها وهي لغيراده مرد الة على المعاد فتلقى ادم من ربه كلمات قرى بنصب
ادم ورفع كلمات بنا على ان الكلمات فاعلة كانها استقبلته واتته وقرى
برفع ادم ونصب كلمات بالكسر لان ادم فاعل التلقي والكلمات مفعولة
ومعنى تلقى تلقن وقيل فهم وفطن وقيل قبل واخذ وكان عليه السلام
يتلقى الوحي ويستقبله ويتلقفه وحكى مكي انه الهمها فانتفع بها
الحسن تعلمها وعمل بها واختلف في تعيين الكلمات فقال ابن عباس والحسن
وغيرهما هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين وقال مجاهد سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت ظلمت
نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم وقيل راى مكتوبا على ساق العرش
محمد رسول الله فتشفع به فهي الكلمات وقيل هي البكا والحياء والدعاء
وقيل الندم والاستغفار وقيل غير ذلك فدعا بها فتاب عليه اى قبل
توبته او وفقه للتوبه وقيل تجاوز عنه وكان ذلك في يوم عاشورا
واصل التوبة الرجوع وقال فتاب عليه ولم يقل عليهما وحوا مشاركة
له في الذنب لان ادم لما خوطب في اول القصة بقوله اسكن وخصه
بالذكر في التلقي كمل القصة بذكره ولان المراة حرمة ومستورة فاراد الله
الستر عليها ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله وعصى ادم وايضا
لما كانت المراة تابعة للرجل في غالب الامر لم تذكر كما لم يذكر فتى موسى
في قوله الم اقل لك وقيل انه دل بذكر التوبة عليه انه تاب عليها ايضا
اذ امرهما سوا قاله الحسن ورتبه على الكلمات لتضمنها معنى التوبة
من الاعتراف بالذنب والندم والعزم على عدم العود والاقلاع مفهوم
من ذلك انه هو التواب اى المتجاوز عن ذنوب عباده وقيل معناه

الرجاع

الرجاع على عباده بالمغفرة او الذى يكثر اعانتهم على التوبة وتوبة
الله على العبد رجوعه من حال المعصية الى حال الطاعه وقيل هى
قبول توبته وذلك يحتمل ان يرجع الى قوله سبحانه قبلت توبتك وان
يرجع الى خلقه الانابة والرجوع فى قلب المسيء واجرا الطاعات على جوارحه
ولا يجوز ان يقال فى حق الله تعالى تايب اسم فاعل لانه ليس لنا ان نطلق عليه
من الاسما والصفات الا ما اطلقه هو على نفسه او نبيه عليه وانما قيل
لله تعالى تواب لكثرة قبوله توبة عباده وكثرة من يتوب اليه وليس
لاحد قدرة على خلق التوبة لان الله تعالى هو المنفرد بخلق الاعمال خلافا
للمعتزلة ولا لاحد ان يقبل توبة من اسرف على نفسه ولا ان يعفو عنه
ولهذا كفرت اليهود والنصارى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله وجعلوا المذنب ان ياتي الحبر او الراهب فيعطيه شيا ويحط
عنه ذنوبه افترآء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين والرحيم البالغ
فى الرحمة واتى بهما على وجه المبالغة تطميعا للتايب فى الرحمة وترغيبا
له فى التوبة ووعدا له بقبولها قلنا اهبطوا منها اى من الجنة كرر الامر
للتاكيد وقيل كرر لما علق بكل منهما حكما غير حكم الاخر وقصد بالاول
العداوة اى الهبوط الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون وبالثانى
اتيان الهدى وفيه اشعار بانهم اهبطوا للتكليف وقيل الهبوط الاول
من الجنة الى السما والثانى من السما الى الارض وعلى هذا ففيه دليل على ان
الجنة فى السما السابعة كما دل عليه حديث الاسرا جميعا نصب على الحال
فى اللفظ وهو تاكيد فى المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعى
اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد كقولك جاوا جميعا فاما فيه ادغام

ان الشرطية في ما الزايدة **باتينكم مني هدى** شرط اول والهدى قيل
كتاب الله وقيل التوفيق للهداية وقيل الرسل وهي الى ادم من الملايكه
والى بنيه من البشر هو والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال وارسال
فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جي بحرف الشك واتيان الهدى كاين ٭
لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وقوله مني اشارة الى ان افعال العبا د
خلق الله **فمن تبع هداي** شرط ثان قال سيبويه الشرط الثاني وجوابه
هما جواب الاول وقال الكساي فلا خوف عليهم جواب الشرطين جميعا
وكرر الهدى للتاكيد او لان الثاني اريد به العموم للكتاب والرسول
والاول اريد به احدهما وقيل المعنى فمن تبع هداي اي امن بي وعمل
بطاعتي **فلا خوف عليهم** الخوف الذعر ولا يكون الا في المستقبل وقري
بفتح الفا على التبرية والاختيار عند النحويين الرفع لان لا لا تعمل
في معرفة فاختاروا في الاول الرفع ايضا ليكون الكلام مزوجه واحد
ويجوز ان يكون لا في قوله لا خوف بمعنى ليس **ولا هم يحزنون** الحزن ضد
السرور ولا يكون الا على ماض والمعنى في الاية فلا خوف عليهم فيما
بين ايديهم من الاخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا وقيل
ليس فيه دليل على نفي اهوال يوم القيامة وخوفها على المطيعين لما
وصفه تعالى ورسوله من شدايدها الا انه يخففها على المطيعين
واذا صاروا الى رحمته كانهم لم يخافوا **والذين كفروا** اي اشركوا **وكذبوا
باياتنا** اي كتبنا او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا والاية
في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات حيث انها تدل على
وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طايفة من كلمات القران المتميزة
عن

عن غيرها اي ومن لم يتبع بل كفر بالله وكذب باياته **اولايك اصحاب النار**
الصحبة الاقتران بالشي في حال اي زمان ما فان كانت الملازمه والخلطة
فهي كمال الصحبة وهكذا صحبة اهل النار لها **هم فيها خالدون** باقون ابدا
البكري هذا قسيم الاول وعلم منه حصول الخوف والحزن لهم وصرح
هنا بالعذاب على الوجه البليغ ورمزله في الاول بنفي الخوف والحزن ٭
تقوية لارجايهم وروعهم في الثاني وبيانا الغاية المطلوب في الاول ٭
وتمسك بالايات قوم على عدم عصمة الانبيا وهم الحشويه ويرد بانه
لم يكن نبيا اذ ذاك او هو نهي تنزيه والتوبة عنه طلبا للاكمل واذا علمت
ان الراجح عصمتهم قبل النبوة وبعدها ولو سهوا لم يترجح الجواب بانه
كان ناسيا وقوله فنسي يكون المراد منه فترك واحسن ما يقال ان حسنات
الابرار سيات المقربين فمقام ادم اقتضى ان يكون هذا منه مخالف للاولى
والاكمل والنهي يكون للتنزيه وانما سمي معصية ونحو ذلك تفظيعا للذنب
من مثله صلى الله عليه وسلم انتهى ٭ وفي الايات دلالة على ان الجنة مخلوقة
وانها في جهة عاليه وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة
وان عذاب النار دايم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه لمفهوم قوله
هم فيها خالدون **يابني اسرايل** ندا مضاف علامة النصب فيه اليا
وحذفت النون للاضافة الواحد فيه ابن والاصل فيه بني وقيل بنو
وهو مشتق من البنا وهو وضع الشي على الشي فالابن فرع الاب وهو
موضوع عليه واسرايل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام
وهو اسم اعجمي ولذلك لم ينصرف قال ابن عباس اسرا بالعبرانيه عبد وايل
هو الله اي يا بني عبد الله وقيل معناه صفوة الله السهيلي وسمي اسرايل

لانه اسرى ذات ليلة حين هاجر الى الله قال بعض العلما لم يخاطب اليهود
في القران الا بيا بني اسرايل دون يا بني يعقوب لنكتة وهو انهم خوطبوا
بعبادة الله وذكروا بدين اسلافهم موعظة لهم وتنبيها من غفلتهم •
لان معنى اسرايل عبد الله ولما ذكر موهبته لابراهيم عليه السلام وتبشيره
به قال يعقوب وكان اولى من اسرايل لانه بشرى بعقب اخر فناسب ذكره
اسم يشعر بالتعقيب اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الذكر اسم مشترك
فالذكر بالقلب ضد النسيان والذكر باللسان ضد الانصات يقال ذكرت
الشي بلساني وقلبي قال الكساي ما كان بالضمير فهو مضموم الذال وما كان
باللسان فهو مكسور الذال وقال غيره هما لغتان بمعنى والذكر ايضا الشرف
ومنه وانه لذكر لك ولقومك وغير ذلك قال ابن الانباري والمعنى في
الاية اذكروا واشكروا نعمتي فحذف الشكر اكتفا بذكر النعمة وقيل اراد الذكر
بالقلب وهو المطلوب اي لا تغفلوا عن نعمتي التي انعمت عليكم ولا تناسوها
وهو حسن والنعمة هنا اسم جنس فهي بمعنى الجمع قال تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها اي نعمه وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور
حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الحسد والغيرة
على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة على الرضى
والشكر وقيل اراد ما انعم به على ابايهم ومن نعمه ان انجاهم من فرعون
وجعل منهم انبيا وانزل عليهم الكتب والمن والسلوى وفجر لهم من الحجر
الما الى ما استودعهم من التوراة التي فيها صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ونعته ورسالته والنعم على الابا نعم على الابنا لانهم يشرفون بشرف
ابايهم قال ارباب المعاني ربط سبحانه بني اسرايل بذكر النعمة واسقطه

عن هذه الامة ودعاهم الى ذكره فقال اذكروني اذكركم ليكون نظر هذه الامة
من المنعم الى النعمة ونظر غيرهم من النعمة الى المنعم والذكر يكون باللسان
وبالقلب وافضله ما كان بهما واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف
بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل
الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول وقال الحسن عهده قوله
خذوا ما اتيناكم بقوة وقيل هو ما ذكره في المايدة بقوله ولقد
اخذ الله ميثاق بني اسرايل الى قوله لاكفرن عنكم سياتكم وقيل هو قوله
واذ اخذنا ميثاق بني اسرايل لا تعبدون الا الله الاية وقيل المعنى اوفوا
بعهدي الذي عهدت اليكم في التوراة من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
اوف بعهدكم بما ضمنت لكم على ذلك ان اوفيتم به فلكم الجنة قاله
الزجاج وقيل اوفوا بعهدي في ادا الفرايض على السنة والاخلاص اوف
بقبولها منكم وقيل هو عام في جميع اوامره ونواهيه وهذا قول الجمهور •
وعهده سبحانه هو ان يدخلهم الجنة وما طلب منهم من الوفا بالعهد
هو المطلوب منا فقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود •
واوفوا بعهد الله واول مراتب الوفا منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن
الله تعالى حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث
يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقا الدايم واياي
فارهبون اي خافون فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد
والرهب خوف معه تحرز والامر به فيه معنى التهديد وتقديم المعمول
مشعر بتخصيصه سبحانه بذلك وسقطت اليا بعد النون لانه راس اية
وامنوا بما انزلت اي بما انزلته من القران مصدقا لما معكم من التوراة من

وصف محمد صلى الله عليه وسلم والتوحيد وتقييد الايمان بالمنزل لانه
مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيهما
او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعا الى التوحيد والامر بالعبادة
والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات
الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة حق
بالاضافة الى زمانها مراعي فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم
في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان
موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعه لا ينافي الايمان به
بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا اول كافر به** اي بمحمد صلى الله عليه
وسلم قاله ابو العالية وقيل بالقران اذ تضمنه قوله بما انزلت وقيل
الضمير عايد على التوراة اذ تضمنها قوله لما معكم وقال اول كافر ولم يقل
كافرين لانه اراد اول فريق كافر والمراد من اهل الكتاب لان قريشا كفروا
قبل ذلك ولا حجة في الاية لمن يمنع القول بدليل الخطاب وهم الكوفيون
ومن وافقهم لان المقصود من الكلام النهي عن الكفر اولا واخرا وخص الاول
بالذكر لان التقدم فيه اغلظ فكان حكم المذكور والمسكوت عنه واحدا
فالنهي فيه بخصوصه لما فيه من عظم الاثم باثر الاتباع وهذا تعريض بانه
كان يجب ان يكونوا اول من يومن لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين
والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم
فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به **ولا تشتروا باياتي**
البا للمقابلة وهي الداخلة على الاعواض نحو اشتريت فرسا بدينار **ثمنا**

قليلا اي لا تستبدلوا ولا تاخذوا على تغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم
رشا وكان الاحبار يفعلون ذلك فنهوا عنه وقيل كانت لهم رياسة في
قومهم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاختاروها عليه اذ كانت لهم ماكل ياكلونها على العلم كالرواتب فنهوا
عن ذلك ونزلت الاية في كعب بن الاشرف وفي بعض الكتب يا بن ادم
علم مجانا كما علمت مجانا • وثمنا قليلا يعني الدنيا وزهرتها والعيش الذي
هو نزر لا خطر له وسمى ما اعتاضوه ثمنا لانهم جعلوه عوضا فاطلق عليه
اسم الثمن وان لم يكن ثمنا وفيه تسمية الدنيا بالشي القليل وذلك صادق
بالكثير منها اذ هو قليل عند الله تعالى وعندا وليايه القرطبي وهذه الاية
وان كانت خاصة ببني اسرايل فهي تتناول من فعل فعلهم فمن اخذ رشوة على
تغيير حق وابطاله او امتنع من تعليم ما وجب عليه ادا ما علمه وقد
تعين عليه حتى ياخذ اجرا فقد دخل في مقتضى الاية **واياي فاتقون** دون غيري
بامتثال الاوامر وترك المناهي قال سهيل بن عبد الله في قوله واياي فاتقون
قال موضع علمي السابق فيكم واياي فارهبون قال موضع المكر والاستدراج
قال تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون فما استثنى نبيا ولا صديقا
ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية
فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم
والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدا السلوك والخطاب بالثانية لما
خص اهل العلم امرهم بالتقوى التي هي منتهاه **ولا تلبسوا الحق بالباطل**
اللبس بالفتح الخلط وبالضم للبس الثوب وماضي الاول مفتوح العين
ومضارعه مكسورها عكس الثاني في الفعلين يقال لبست الامر اذا مزجت

بينه بمشكله وحقه بباطله قتادة معناه لا تلبسوا اليهودية
والنصرانية بالاسلام وقد علمتم ان دين الله لا يقبل غيره والباطل في
كلام العرب خلاف الحق ومعناه الزايل قال لبيد • الا كل شي ما خلا الله باطل •
ابن عباس معناه لا تخلطوا ما عندكم الحق في الكتاب بالباطل وهو التغيير
والتبديل ومعناه لا تخلطوا الحق المنزل عليكم بالباطل الذي تخترعونه
حتى لا يميز بينهما ابو العالية قالت اليهود محمد مبعوث ولكن الى غيرنا
فاقرارهم ببعثه حق وجحدهم انه لم يبعث اليهم باطل وتكتموا الحق اي
ولا تكتموا الحق فهو معطوف على تلبسوا فيكون مجزوما ويجوز ان يكون
منصوبا باضمار ان والتقدير لا يكن منكم لبس الحق وكتمانه اي وان تكتموه
ابن عباس يعني كتمانهم امر النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه وانتم
تعلمون جملة في موضع الحال اي عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ
الجاهل قد يعذر وقيل المعنى وانتم تعلمون ان محمدا الحق فكفرهم كان كفر
عناد ولم يشهد تعالى لهم بالعلم وانما نهاهم عن كتمان ما علموا ودل هذا
على تغليظ الذنب على من واقعه على علم وانه اعصى من الجاهل واقيموا
الصلاة اي حافظوا عليها والمراد الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها
وكان فرض الخمس ليلة المعراج قبل الهجرة بسنة وقيل بستة عشر شهرا وهي
معلومة من الدين بالضرورة واتوا الزكاة اي ادوها وهي ماخوذة من
زكى الشي اذا نما وزاد وسمي الاخراج من المال زكاة وهو نقص منه من حيث
ينمو بالبركة او بالاجر الذي يثاب عليه المزكي والمراد بالزكاة هنا المفروضة
لمقارنتها بالصلاة والامر فيهما للوجوب ولا خلاف فيه وفيه دليل على
ان الكفار مخاطبون بهما واحكام ذلك منفصلة في علم الفروع وقيل

الزكاة

الزكاة صدقة الفطر قاله مالك واركعوا مع الراكعين اي صلوا مع المصلين
محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه والركوع في اللغة الانحناء وخص الركوع
بالذكر لانه لم يكن في صلاة بني اسرايل فهو دال على الامر باتباع ملتنا والاول
مطلق مبين ان المراد به المخصوص بهذه الصفة وقيل لانه كان اثقل على القوم
في الجاهلية وقوله مع الراكعين قال بعض العلما انه امر بشهود صلاة الجماعة
وهي تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وقيل المراد بالركوع الخضوع
والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي •

• لا تذل الضعيف علك ان • تركع يوما والدهر قد رفعه •

والصلاة وصلة بين العبد وبين الله والزكاة وصلة بينه وبين الناس فمن
اتى بهما فقد حصل الوصلتين اتامرون الناس بالبر استفهام معناه
التوبيخ قال الزمخشري والتعجيب والمراد علما اليهود قال ابن عباس كان
يهود المدينة يقول الرجل منهم لصهره ولذي قرابته ولمن بينه وبينه
رضاع من المسلمين اثبت على الذي انت عليه وما يامرك به هذا الرجل
يريدون محمدا صلى الله عليه وسلم فان امره حق فكانوا يامرون الناس
بذلك ولا يفعلونه وعنه ايضا كان الاحبار يامرون مقلديهم واتباعهم
باتباع التوراة وكانوا يخالفونها في جحدهم صفة محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل كانوا يحضون على الصدقة ويبخلون وقال بعض اهل الاشارات
المعنى انطالبون الناس بحقايق المعاني وانتم تخالفون ظواهر رسومها
واعلم ان التوبيخ في الاية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الامر بالبر لان
فعل المعصية مع النهي عنها افحش لانها تجعل حال الانسان كالمتناقض
وتجعل القول كالمخالف للفعل ولذلك كانت المعصية مع العلم افحش

لك
لانها تجعل حال الانسان كالمتناقض وتجعل القول كالمخالف للفعل ولذ
كانت المعصية مع العلم افحش منها مع الجهل وفي الحديث مررت ليلة
اسري بي على ناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل من
هولا قال هولا الخطبا من امتك يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم
وهم يتلون الكتاب والبر هنا الايمان والطاعة واصله التوسع في
الخير من البر وهو الفضا الواسع وهو يتنا ول كل خير ولذلك قيل
البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة
الاجانب **وتنسون انفسكم** اي تتركونها فلا تامرونها فالنسيان بمعنى
الترك ومنه نسوا الله فنسيهم فلما نسوا ما ذكروا به ولا تنسوا الفضل
بينكم ويكون خلاف الذكر ومنه نسي ادم فنسيت ذريته والانفس جمع
نفس وهي الروح والنفس ايضا الدم والنفس الجسد **وانتم تتلون الكتاب**
اي تقرون التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل ومن يعمل فعلهم
كان مثلهم واصل التلاوة الاتباع ولذلك استعمل في القراة لانه يتبع
بعض الكلام ببعض في حروفه حتى ياتي على نسقه **افلا تعقلون** اي افلا
تمنعون انفسكم من مواقعة هذه الحال المرديه لكم والعقل المنع ومنه
العقال للبعير لانه يمنعه عن الحركة والعقل نقيض الجهل وقيل المعنى
افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او فلا عقل لكم والاية ناهية
عمن يعظ غيره ولا يعظ نفسه بسوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله
فعل الجاهل او الاحمق الخالي عن العقل والمراد بها حث الواعظ على تزكية
النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم فتقيم لا منع الفاسق من الوعظ
فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر قال
الزجاج

الزجاج العاقل من عمل بما اوجب الله عليه فمن لم يعمل فهو جاهل واتفق
اهل الحق على ان العقل كاين موجود وليس بقديم ولا معدوم خلافا
للفلاسفة في انه قديم لانه لو كان معدوما لما اختص بالاتصاف به
بعض الذوات دون بعض واذا ثبت وجوده فيستحيل قدمه اذ الدليل
قد قام على ان لا قديم الا الله تعالى والعقل غريزة في القلب يحصل بها
الادراك عند سلامة الالات وقال الشيخ ابو الحسن الاشعري والاستاذ
ابو اسحق وغيرهما من المحققين العقل هو العلم وعن الشافعي انه الة التمييز
وقيل غير ذلك **واستعينوا بالصبر والصلاة** اي اطلبوا المعونة على
اموركم بالصبر وهو حبس النفس عن المعاصي واذا صبر عن المعاصي فقد صبر
على الطاعة قال علي رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد
وهو من اخلاق الانبيا والصالحين وقال يحيى بن اليمان الصبر ان لا تتمنى
حالة سوى ما رزقك الله ومن الصبر الصبر على النعمة وهو ان لا يعصيه فيها
في معصية الله قال سهل بن عبد الله الصبر على العافية اشد من الصبر
على البلا وقيل المراد بالصبر هنا الصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما
فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والخطاب لليهود لما عاقهم عن الايمان
الشره وحب الرياسة فامروا بالصبر وهو الصوم لانه يكسر الشهوة
وبالصلاة لانها تورث الخشوع وتنفي الكبر وخص الصلاة بالذكر من بين
ساير العبادات تنويها بذكرها ولانها جامعة لانواع العبادات النفسانية
والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف لما فيهما والتوجه للكعبة
والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة
الشيطان ومناجاة الحق وقراة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن

الا طيبين حتى يجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصايب وقد كان صلى الله
عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه
قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس
ثم قام يمشي وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة فالصلاة على هذا
هي الشرعية وقال قوم هي الدعا على عرفها في اللغة وانها لكبيرة اختلف
في الضمير فقيل عايد على الصلاة وحدها لانها تكبر على النفوس ما لا يكبر
الصوم فالصلاة فيها سجن النفوس والصوم انما فيه منع الشهوة فالصايم
انما منع شهوة النسا والطعام والشراب ثم ينبسط في ساير الشهوات من
الكلام والمشي والنوم وغير ذلك من ملاقاة الخلق فيتسلى بتلك الاشيا عما
منع والمصلي يمتنع من جميع ذلك واذا كان كذلك فالصلاة اصعب على
النفوس وقيل يعود عليهما ولكنه كنى عن الاغلب وهو الصلاة كقوله والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
فرد الكناية الى الفضة لانها الاغلب والاعم والى التجارة لانها الافضل والاهم
وقيل ان الصبر لما كان داخلا في الصلاة اعاد عليها كما قال والله ورسوله
احق ان يرضوه ولم يقل يرضوهما لان رضى الرسول داخل في رضى الله وقيل
رد الكناية الى كل واحد منهما لكن حذف اختصارا كما قال وجعلنا ابن مريم
وامه اية ولم يقل ايتين اي جعلنا ابن مريم اية وامه اية وقيل يعود على
المصدر وهي الاستعانة التي يقتضيها قوله واستعينوا وقيل غير ذلك
وكبيرة معناه ثقيلة شاقة خبر ان الا على الخاشعين فانها خفيفة عليهم
قال ارباب المعاني الا على مؤيد في الازل بخصايص الاجتبا والهدى والخاشعين
جمع خاشع وهو المتواضع والخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون

قال

قال قتاده الخشوع في القلب وهو الخوف وغض البصر في الصلاة وخشعت
الاصوات للرحمن اي سكنت وقال الزجاج الخاشع الذي يرى اثر الذل
والخشوع عليه كخشوع الدار بعد الاقوا وقال النخعي ليس الخشوع باكل الخشن
ولبس الخشن وتطاطي الراس لكن الخشوع ان ترى الشريف والدني في الحق سوا
وتخشع لله في كل فرض افترض عليك وقال علي رضي الله عنه الخشوع في القلب
وان تلين كنفيك للمرء المسلم ولا تلتفت في صلاتك الذين يظنون اي يتوقعون
لقا الله ونيل ما عنده او يتيقنون والظن يستعمل بمعنى اليقين وهو ضد
كالرجا في الخوف والامن ومنه قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه
وقوله وظنوا انهم مواقعوها وقال دريد بن الصمه فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج
وقد قيل ان الظن في الاية يصح ان يكون على بابه ويضمر في الكلام بذنوبهم فكانهم
يتوقعون لقاه مذنبين ذكره المهدوي والماوردي واصل الظن وقاعدته
الشك مع ميل الى احد معتقديه والذين في موضع خفض نعت للخاشعين
ويجوز الرفع على القطع انهم ملاقوا ربهم اي جزا ربهم وجا على المفاعلة
وهو من واحد مثل عافاه الله البكري ملاقوا ربهم بمعاينته في الاخرة او
صايرون اليه او ملاقوا ثوابه انتهى وانهم اليه اي الى ربهم وقيل الى جزايه
راجعون اقرار بالبعث والجزا والعرض على الملك الاعلى واقرار بالموت فيجازون
باعمالهم فيحثهم ذلك على العمل يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
كرر للتاكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم واني فضلتكم على العالمين
الموجودين في زمنهم وهو وان كان للابا فيحصل به الشرف للابنا اذا سلكوا
مسلك ابايهم والا فهو تانيب لهم قاله البكري وقيل فضلهم بان جعل فيهم
انبيا وجعلهم ملوكا وانزل عليهم التوراة فلم يتحاجوا في امر عيسى ومحمد

صلى الله عليه وسلم الى اية غير ما سبق عندهم واتقوا اى اخشوا واحذروا
يوما نصب على المفعول به لان نفس اليوم لا يتقى لسبب ما فيه والمعنى عذاب
يوم لا تجزى فيه نفس عن نفس شيا اى لا تغنى عنها ولا تقضى فيه نفس عن
نفس شيا من الحق الذى لزمها او من الجزا فيكون نصبه على المصدر وايراده
منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة ليوما والعايد
محذوف ولا تقبل منها اى فيها شفاعة اذا كفرت لانه لا شافع للكفار
فالمعنى لا شافع لها فيقبل والشفاعة والشفع سوا لان الشافع والمشفوع
صار شفعا وقرى يقبل بالتذكير لتقدم الفعل وبالتانيث لتانيث الشفاعة
ولا يوخذ منها اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى عدل اى فداء
وسمى الفدا عدلا لانه يعادل المفتدى ويماثله والمعنى لا تغنى نفس مومنة
عن نفس كافرة شيا لان اليهود كانت تزعم ان اباها الانبيا تشفع لها
عند الله فايسهم الله تعالى من ذلك ولا هم ينصرون اى يمنعون من
العذاب وجا بالجمع لما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة
والتذكير بمعنى العباد والاناسى كما تقول ثلاثة انفس والنصرة اخص من
المعونة لاختصاصها بدفع الضرر واذ نجيناكم اى واذكروا اذ خلصناكم
يعنى اسلافكم فمن عليهم لانهم نجوا بنجاتهم وما ثر الابا مفاخر الابناء
واصله القيناكم على النجوة وهو ما ارتفع واتسع من الارض ثم سمى كل فايز
ناجيا كانه خرج من الشدة والضيق من آل فرعون يعنى اتباعه ومن كان
معه على دينه ولا يكون الآل الا فى الرئيس الذى الباقون تبع له فاذا جاوزت
هذا فآل الرجل اهل بيته خاصة واصل الال اهل وقيل هو من آل يوول من
الاول وهو الرجوع وفرعون موسى هو قابوس وقيل اسمه الوليد بن مصعب
بن

ابن الريان من العماليق وهو اسم لملك مصر كما ان قيصر اسم لملك الروم
وكسرى لمن ملك العجم وقال مجاهد كان فارسيا من اصطخر ولم ينصرف
لانه اسم اعجمى يسومونكم اى يولونكم ويصرفونكم كما يفعل بالسايمة
وقيل معناه يزيدونكم ومنه مساومة البيع واصل السوم الذهاب
فى طلب الشى وقيل يذيقونكم سوء العذاب اى اشده وافظعه فانه
قبيح بالاضافة الى ساير السوا وقيل تفسيره ما بعده وقيل انهم كلفوا
للاعمال القذرة والجملة حال من ضمير نجيناكم والسوء ايضا العقر
ومنه ولا تمسوها بسوء وروى ان فرعون قد جعل بنى اسرايل فى اعماله
فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يخدمون ومن لم يكن منهم فى
شى من هذه الاعمال كانت عليه الجزية فذلك سوا العذاب يذبحون
ابناءكم فى صغرهم ويستحيون يستبقون نساكم اى يتركوهن احيا يشمل
الكبار والصغار وروى ان فرعون راى فى منامه نارا فداقبلت من بيت
المقدس حتى احرقت بيوت اهل مصر من القبط وتركت بيوت بنى اسرايل
فهاله ذلك وسال عنه الكهنة والمنجمين فقالوا انه يولد فى بنى اسرايل
غلام يكون هلاكك على يديه وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام
يولد فى بنى اسرايل واستحيى الجوارى واسرع الموت فى مشيخة بنى اسرايل
فقالوا روسا القبط لفرعون ان كبار بنى اسرايل يموتون وتذبح
صغارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة
ويتركوا سنة فولد هرون فى السنة التى لا يذبحون فيها وولد موسى فى
السنة التى يذبحون فيها وفى ذلكم اى فى سومهم اياكم العذاب بلا اى فتنة
ومحنة وقيل فى تخليص الله اياكم من فرعون بلا اى نعمة والبلا ينصرف

للنعمة وللمحنة قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة ففي النعمة يظهر الشكر
وفي المحنة يظهر الصبر **من ربكم** بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه
لتخليصكم او بهما **عظيم** صفة بلا **واذ فرقنا** اي واذكروا اذ فلقنا **بكم**
اي بسببكم او لكم **البحر** عند المعرب من فرعون سمي بحرا لاتساعه والمراد به
بحر القلزم وكنيته ابو خالد كني بذلك لطول بقايه وكان ذلك في يوم عاشورا
وقيل المراد بالبحر النيل **فانجيناكم واغرقنا ال فرعون** قومه وهو معهم
باعتبار موته فيه وان نجي ببدنه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به
وانتم تنظرون ما صنعنا بهم من غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر
عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر
بعضكم بعضا وذلك انه لما دنى هلاك فرعون امر الله تعالى موسى ان
يسري ببني اسرايل من مصر فامرهم ان لا يسرجوا بيوتهم الى الصبح واخرج الله
كل ولد زنى من بني اسرايل في القبط حتى رجع كل واحد منهم الى اهله والقى
الله تعالى الموت على القبط فاشتغلوا ليلا ونهارا يدفنون في ابكارهم
حتى اصبحوا وطلعت الشمس وخرج موسى في ستمائة الف وعشرين الفا
مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره سوى
الذرية واوصى بعضهم بعضا ان لا يتكلم احد وكان بنوا اسرايل قد
استعاروا من القبط حليتهم واوهموهم انهم يتزينون به لعيد او عرس
فلما اراد بنوا اسرايل السير ضرب الله عليهم في الليل فلم يدروا اين
يذهبون فسيل موسى عن سبب ذلك فقال شيخة بني اسرايل ان يوسف
لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه
معهم ويدفنوه عند ابايه فسال موسى عن قبره فدلته عليه عجوز من ولد

افرايثم

افرايثم بن يوسف فاستخرجه موسى من جوف النيل في صندوق من مرمر
واخر الله تعالى الفجر حتى فرغ موسى من امر يوسف وفتح لبني اسرايل الطريق
وسار موسى في ساقة بني اسرايل وهرون في مقدمتهم وخرج فرعون
في طلبهم في الف الف وسبعمائة الف وكان فيهم من الخيل سبعون الف
ادهم سوى ساير الشيات ووصل بنوا اسرايل البحر ونظروا الى فرعون
وقومه خلفهم وذلك حين اشرقت الشمس فتحيروا وقالوا يا نبي الله
انا لمدركون فرعون خلفنا والبحر امامنا فقال موسى كلا ان معي ربي سيهدين
واوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم ينفلق فقال الله
تعالى له كنه فقال موسى للبحر انفلق ابا خالد فانفلق اثنى عشر طريقا لكل
سبط طريق وارسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر فصار يبسا
قال سعيد بن جبير ارسل معاوية الى ابن عباس يساله عن موضع من الارض
لم تطلع الشمس فيه الا مرة واحدة فكتب اليه انه المكان الذي انفلق من
البحر لبني اسرايل فخاض بنوا اسرايل البحر كل سبط في طريق وكان الماء عن يمين
كل سبط ويساره ولا يرى بعضهم بعضا فخاف كل سبط على اخوانهم
وقالوا قد غرق اخواننا او ادركهم فرعون فقال لهم موسى سيروا فانهم
على طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم
السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان الماء
فتشبكت وصارت فيه كوى فراى بعضهم بعضا وسمع بعضهم كلام بعض
ولما راى فرعون البحر منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر قد انفلق من
هيبتي فقال له قومه ان كان كذلك فاتبع القوم فقال فرعون ادخلوا
فهاب قومه ان يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون انثى فجا جبريل على فرس

بالحفظ والنصر قاضي

لمدركون لمحصورون قاضي

انتى وديو فتقدمهم وخاض البحر فاقتحمت الخيل ومعه وجا ميكايل على فرس
خلف القوم ليستحثهم حتى اذا لم يبق احد من بنى اسرايل فى البحر والقبط جميعهم
مع فرعون فى البحر فالتطم عليهم البحر واغرقهم الله اجمعين وبنوا اسرايل
ينظرون اليهم **واذ وعدنا موسى** للكلام معه قرى بغير الف من الوعد وبالف
من المفاعلة التى من الواحد كقولهم عافاك الله وقال الزجاج واعدنا
جيد فان الطاعة فى القبول بمعنى الوعد فكان من الله الوعد ومن موسى
القبول **اربعين ليلة** هى ذو القعدة والعشر الاول من ذى الحجة والمراد
انقضاوها اى فنعطيه عند ذلك التوراة لتعملوا بها وقرن بالليل
لانه الاصل خلقا ولان شهور العرب وضعت على سير القمر وذلك ان
بنى اسرايل لما امنوا من عدوهم ودخلوا ارضهم لم يكن لهم كتاب ولا
شريعة ينتهون اليها فوعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال لقومه
انى ذاهب لميقات ربى واتيكم بكتاب فيه ما تاتون وما تذرون
ووعدهم ثلاثين ليلة وكان تمام الاربعين عشر ذى الحجة واستخلف عليهم
هرون فعبدوا العجل الذى اتخذه لهم السامرى من حلى القوم على
ما ياتى **ثم اتخذتم العجل** الها تعبدونه وهو الذى صاغه السامرى **من
بعده** اى من بعد انطلاق موسى **وانتم ظالمون** باتخاذه لوضعكم العبادة
فى غير محلها وسمى العجل عجلا لقصر محلها مدته وقيل لاستعجالهم بعبادته
وموسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم وموسى اسم اعجمى عبرى لا ينصرف واصله موشا
بالمعجمة ومعنى مو الما وشا الشجر سمى به لانه وجد بين الما والشجر
وقلبت المعجمة مهملة فى العربية **ثم عفونا عنكم** اى تركناكم فلم نستاصلكم
وقيل

وقيل محونا ذنوبكم عنكم حين تبتم واصل العفو فى اللغة محو الاثر
من بعد ذلك اى من بعد عبادتكم العجل **لعلكم تشكرون** الله على عفوه وهو
ترج فى حقهم قال ابن عباس الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لله فى السر
والعلانية واختلف فى ماهية الشكر فقال الحسن شكر النعمة ذكرها
الفضيل شكر النعمة ان لا يعصى الله بعد تلك النعمة وقيل هو معرفة المنعم
وان لا ترى لنفسك فى النعمة حظا الجنيد حقيقة الشكر العجز عن الشكر
وقيل غير ذلك وهو عرفا صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه فيما خلق
لاجله **واذ اتينا** اى اعطينا **موسى الكتاب** اى التوراة **والفرقان** مجاهد
والفرا هما شى واحد الكسائى الفرقان نعت الكتاب وسمى به لانه فرق بين
الحق والباطل وبين الكفر والايمان والوعد والوعيد وزيدت الواو فيه
كما تزاد فى النعوت من قولهم فلان حسن وكريم وانشد تماما الى الملك وابن الهما
وليث الكتيبة فى المزدحم قطرب اراد به القران وفى الاية اضمار اى واذ
اتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان وقيل الفرقان افتراق البحر وهو من
عظيم الايات وقيل الفرقان الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله وما
انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم بدر **لعلكم تهتدون** بها او به الى الحق
والمراد بالاهتدا هنا الوصول **واذ قال موسى لقومه** الذين عبدوا العجل
يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل الها اى ضررتموها لان الظالم يضر
نفسه بضر غيره **فتوبوا** اى ارجعوا **الى باريكم** اى خالقكم من عبادته البكرى
البارى موجد الاشيا فى مراتبها بين اول الاختراع وتمام التصوير ويستعمل
بمعنى الخالق واصل التركيب لخلوص الشى عن غيره اما على سبيل التفصى
كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشا كقولهم

برأ الله آدم من الطين فلما قال لهم ذلك قالوا ما نصنع فقال الجواب
فاقتلوا انفسكم يعني ليقتل البريء المجرم ونسب قتلهم انفسهم اليهم
مع ان القاتل غيرهم لرضاهم به ذلكم اي القتل المرضي به خير لكم عند
باريكم لرضاه به وناسب ذكر الباري للاشارة الى انه اوجد قبله ان يعدم
حتى لا تنفر نفوسهم لعدم دراية وجه ذلك وقيل القاتلون هم السبعون
الذين اختارهم موسى لانهم من الذين ما عبدوا العجل وقيل بل صفوا القوم
كلهم صفين يقتل بعضهم بعضا فاجلت عن سبعين الف قتيل ابن عباس
ابى الله ان يقبل توبة بني اسرايل الا بالحالة التي كرهوا ان يقاتلوهم
حين عبدوا العجل قتادة جعل الله تعالى القتل توبة بني اسرايل لانهم ارتدوا
وكفروا والكفر يبيح الدم فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله
فجلسوا بالافنية محتبين واصلت القوم عليهم الخناجر فكان الرجل
يرى ابنه واخاه وجاره وصديقه فلم يمكنهم المضي لامر الله فقالوا
يا موسى كيف نفعل فروي ان الله تعالى ارسل عليهم سحابة سودا لئلا
يرى بعضهم بعضا فيرحمه فكانوا يقتلون الى المسا فلما كثر القتل فيهم
بكى موسى وهرون وتضرعا الى الله تعالى وسالاه الحلم عنهم فكشف
السحابة وامرهم ان يرفعوا السلاح عنهم فانكشف عن الوف من القتلى
فاشتد ذلك على موسى فقال الله تعالى له اما يرضيك ان ادخل القاتل
والمقتول الجنة فذلك قوله فتاب عليكم اي ففعلتم ذلك فتجاوز عنكم
انه هو التواب اي القابل للتوبة الرحيم بكم حيث تاب عليكم ولو شاء
لاهلككم بذنوبكم وقيل المراد بالقتل قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب
نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها والفا الاولى للتسبيب والثانية

للتعقيب

للتعقيب وقوله فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى
لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف
ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات كانه قال
ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم باريكم وذكر الباري وترتيب الامر عليه
اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم
الحكيم الى عبادة البقر وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان تسترد منه
ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب وقرا ابو عمرو باريكم ويامركم
ويامرهم وتامرهم ويشعركم وينصركم بالاسكان في هذه المواضع تخفيفا
لان فيه توالي الحركات وقد حكي عن العرب مثل هذا كقول بعضهم
وقد بدا هنك من المئزر واذ قلتم وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا الى ربكم
من عبادة العجل قيل وسمعوا كلام الله وهو مردود قاله البكري يا موسى
لن نؤمن لك اي لاجل قولك او لن نقر لك في المستقبل وعلم من هذه الاية
ان لن ليست لتابيد النفي لمجي الغاية بعدها بقوله حتى نرى الله جهرة
بابصارنا الا رؤية علم ابن عباس جهرة لا ستر بيننا وبينه فاخذتكم
الصاعقة اي الموت وقيل نار احرقتهم لفرط العناد والتعنت فانهم
ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات
والاحياز المقابلة للرائي وذلك محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة
عن الكيفية وذلك للمؤمن في الاخرة ولافراد من الانبيا في بعض الاحوال
في الدنيا ونصب جهرة على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل
او المفعول وانتم تنظرون اي ينظر بعضكم بعضا حين اخذكم الموت او النار
او تعلمون ذلك ثم بعثناكم لحييناكم والبعث اثارة الشيء عن محله ومنه

بعث فلان البعير اذا اقامه عن موضعه من بعد موتكم الذي كان لاظهار القدرة
لا لانقضا اجالكم لتستوفوا ارزاقكم واجالكم الحقيقية وذلك ان موسى لما امره
الله تعالى بان ياتيه في ناس من بني اسرايل يعتذرون اليه من عبادة العجل
اختار من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا ففعلوا
ذلك وخرج بهم الى الطور فقالوا نريد ان نسمع كلام الله فلما قرب موسى
من الجبل وقع عليه عمود الغمام فتغشى الجبل كله فدخل في الغمام وقال للقوم
ادنوا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد
ان ينظر اليه ودنى القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا مع موسى وسمعوه
يكلم ربه فاسمعهم اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر
فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام قالوا يا موسى
لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة فهلكوا وقال وهب
ارسل الله اليهم جندا فلما سمعوا احسهم ماتوا يوما وليلة وجعل موسى
يبكي ويتضرع ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرايل اذا جيتهم وقد هلك
خيارهم لو شيت اهلكتهم من قبل واياي ولم يزل يناشده حتى احياهم
الله جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم الى بعض وانما اكد بالجهرة ليلا
يتوهم روية القلب والمنام لعلكم تشكرون هذه النعمة العظمى بعد
هذا الامر الباهر وظللنا عليكم الغمام اي في التيه يقيكم حر الشمس
وانزلنا عليكم المن والسلوى فيه وذلك انهم لما كانوا في التيه ولم
يكن لهم كن يسترهم شكوا ذلك الى موسى فسال الله تعالى لهم في ذلك
فانزل عليهم غماما ابيض رقيقا ارق واطيب من غمام المطر والغمام ما يغم
الشي ويستره فقالوا هذا الظل فاين الطعام فانزل الله عليهم المن واختلف
في

فيه فقال مجاهد هو شي كالصمغ كان يقع على الاشجار وطعمه كالشهد
الضحاك هو الترنجبين وهب هو الخبز الرقاق السدي عسل
عكرمه مثل الرب الغليظ الزجاج هو ما من الله به مما لا تعب فيه ولا
نصب فكان ينزل على اشجارهم مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة
فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ان يطعمنا اللحم
فدعى موسى فانزل الله عليهم السلوى ابن عباس واكثر المفسرين انه
طاير يشبه السماني ابو العالية ومقاتل بعث الله سحابة امطرت السمان
في عرض ميل وقدر الرمح في السما بعضه على بعض عكرمة طاير يكون بالهند
اكبر من العصفور وقيل غير ذلك وكان ينزل عليهم المن والسلوى فياخذ
كل واحد ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة اخذوا ما يكفيهم
يومين وليلتين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت وكان من ياخذ منهم
اكثر من قوته فسد عنده وكان ينزل عمود بالليل من نار يسيرون في ضوبه
وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا تقديره قلنا كلوا من طيبات اي
حلالات لذة ما رزقناكم بفضلنا ونهوا عن الادخار فلما ادخروا انقطع لمخالفة
الامر وما ظلمونا اي وما ضرونا بالمعصية لعدم قدرتهم على ذلك ولكن
كانوا انفسهم يظلمون اي يضرونها فقط لان وباله عليهم وتقدير الكلام
فكفروا هذه النعمة وما ظلمونا بكفرها ولكن ظلموا انفسهم وقيل وما ظلمونا
اذ لم يدخلوا مع موسى قرية الجبارين بل ظلموا انفسهم اذ تركوا امرنا فحبسوا
في التيه اربعين سنه واذ قلنا لبني اسرايل بعد خروجهم من التيه ادخلوا
هذه القرية سميت بذلك لجمعها اهلها ومنه سمي الحوض مقراة لجمع الما
والقرية قيل هي ايليا ابن عباس هي اريحا وقيل الرمله وقال مجاهد هي

بيت المقدس وكان فيها بقية من قوم عاد يقال لهم العمالقة وراسهم عوج
ابن عنق فكلوا عطف بالفا هنا وفي الاعراف بالواو لانه عبر بالدخول هنا
وهو سريع الانقضا فلا يناسبه مجامعة الاكل له وانما يناسبه تعقيبه
له وعبر في الاعراف بالسكون اي الاستقرار وهو ممتد تجامعه الاكل منها
حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا
الباب يعني بابا من ابواب القرية وكان لها تسعة ابواب لبكري الباب المعهود
من ابواب القرية ابن عباس هو احد ابواب بيت المقدس يدعى باب حطة وقيل
القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المال في حياة موسى
سجدا اي خضعا بالانحنا وقولوا حطة هي فعلة من الحط كالجلسة
والركبة والاصل النصب اي حط عنا خطايانا وانما رفعت لتعطي معنى
الثبات كقوله صبر جميل فكلاتا مبتلى ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها
تحط الذنوب وقال ابو عبيدة هي مرفوعة على الحكاية الزجاج مسئلتنا
حطة نغفر لكم خطاياكم اي نسترها ولا نظهرها بالعقاب عليها في
الدار الاخرة وقرئ تغفر بتا مثناة فوق لتانيث الخطايا وبمثناة تحت
مضمومة لان التانيث غير حقيقي وبالنون المعظمة وسنزيد المحسنين
بالطاعة ثوابا فبدل الذين ظلموا انفسهم بترك الامر واتباع الشهوات
قولا غير الذي قيل لهم قيل قالوا هطه سمقاثا يعنون حنطة حمرا استخفافا
بامر الله وقيل قالوا حبة في شعيرة ودخلوا على استاههم وقال مجاهد
طوطي لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوا ولم يركعوا ولم يسجدوا ه
ودخلوا الباب زاحفين وقال فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم
فجعله بدلا مع انهم بدلوه نفسه باعتبار ان المراد فبدل الذين ظلموا
قولا

قولا قيل لهم فقالوا قولا غير الذي قيل لهم والمعنى بدلوا ما امروا به من
التوبة والاستغفار بطلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين
ظلموا رجزا من السما عذابا وقيل هو الطاعون مات به في ساعة واحدة
سبعون الفا واصل الرجز في اللغة العذاب الشديد المتلف وقيل اصله
ما يعاف عنه وكذلك الرجس وكرر وصفهم بالظلم لتفظيع حالهم ووضع
الظاهر موضع المضمر تنبيها على علية الحكم بما كانوا اي بسبب ما كانوا
يفسقون بخروجهم بظلمهم عن الطاعة واذكر اذ استسقى موسى اي طلب
السقيا لهم عند عطشهم في التيه والسين سين السوال مثل استخبروا
والعرب تقول سقيته واسقيته لغتان بمعنى وقيل سقيته من سقي
الشفه واسقيته دللته على الما والاستسقا انما يكون عند عدم الماء
وحبس القطر واذا كان كذلك فالحكم حينئذ اظهار العبوديه والمسكنة
والذلة مع التوبة النصوح وقد استسقى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فخرج الى المصلى متواضعا متذللا متوسلا متضرعا وحسبك به فكيف بنا
والسنة في الاستسقا الخروج الى المصلى وصلاة ركعتين والخطبة وبهذا
قال الجمهور من العلما وذهب ابو حنيفة الى انه ليس من سنته صلاة ولا
خروج وانما هو دعا وهو محجوج بما في حديث مسلم على ما هو مبين في
الفروع فقلنا يا موسى اضرب بعصاك الحجر العصا معروف وهو اسم
مقصور مونث والفه منقلبة عن واو وقولهم القى عصاه اقام وترك
الاسفار وهو مثل قال ، فالقت عصاها واستقر بها النوى ،
كما قر عينا بالاياب المسافر ، وقد يعبر بالعصا عن الاجتماع والافتراق
ومنه يقال في الخوارج قد شقوا عصا المسلمين اي اجتماعهم واشقت

العصا اي وقع الخلاف قال الشاعر • اذا كانت الهيجا وانشقت العصا
فحسبك والضحاك سيف مهند • اي يكفيك ويكفي الضحاك وقوله
لا ترفع عصاك عن اهلك يراد به الادب وقد كان تعالى قادرا على
تفجير الما وفلق البحر من غير ضرب لكن اراد ان يربط المسببات بالاسباب
حكمة منه للعباد في وصولهم الى المراد وليرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم
في المعاد وكانت العصا اية لموسى قيل انها من اس الجنة طولها عشرة
اذرع على طول موسى لها شعبتان تتقدان في الظلمة والحجر معروف
وقياس جمعه في ادنى العدد احجار وفي الكثير حجار وحجاره قيل
والمامور بضربه عموم الاحجار بمعنى ان كل مضروب يحصل منه ذلك •
فاللام للجنس وهذا اظهر في الحجة وقيل كان حجرا معينا على قدر راس
الرجل يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الما ضربه وقيل حجر له اربعة
اوجه لكل وجه ثلاث عيون بعدد الاسباط وقيل هو الذي فر بثوب
موسى فاللام للعهد الثاني من الاقوال لابن عباس واختلف هل كان رخاما
او كدانا على قولين **فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا** في الكلام حذف
تقديره فضرب فانفجرت اي سال ماوها واصله الانشقاق والانشا
وقال في الاعراف فانبجست والاول ابلغ لانه انصباب الما بكثرة ه
والانبجاس ظهور الما فناسب ذكر الانفجار هنا للجمع بين الاكل والشرب
الذي هو ابلغ من الاقتصار على الاكل وعينا نصب على البيان والعين
من الاسما المشتركة يقال عين الما وعين الانسان وعين الركبة وعين
الشمس وغير ذلك والعين من الما مشبهة بعين الحيوان لخروج الماء
منها كخروج الدمع من عين الحيوان وقيل لما كان عين الحيوان اشرف
ما فيه

ما فيه شبه به عين الما لانها اشرف ما في الارض ومن انكر امثال هذه المعجزات
فلكفاه جهله بالله وقلة تدبره في عجايب صنعه فانه لما امكن ان يكون
من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله
تعالى حجرا يسخره لجذب الما من تحت الارض او يجذب الهوا من الجوانب ه
ويصيره ما بقوة التبريد ونحو ذلك قال بعضهم انما عبر هنا بالانفجار
وهو ابلغ وفي الاعراف بالانبجاس لان هنا استسقى موسى وفي الاعراف
استسقاه قومه قال القرطبي ما اوتيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم من نبع الما وانفجاره من يده وبين اصابعه اعظم في المعجزة فانا نشاهد
الما يتفجر من الاحجار انا الليل وانا النهار ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم لم تكن لنبي قبله **قد علم كل اناس مشربهم** اي موضع شربهم فلا يشركهم فيه
غيرهم يعني ان لكل سبط منهم عينا قد عرفها لا يشرب من غيرها والاسباط
في بني اسرايل كالقبايل في العرب وهم ذرية الاثني عشر اولاد يعقوب
قيل كان في كل سبط خمسون الف مقاتل من سوى خيلهم ودوابهم قال عطا
كان يظهر على كل موضع من ضربة موسى مثل ثدي المراة على الحجر فيعرق اولا
ثم يسيل **كلوا واشربوا** اي قلنا لهم كلوا المن والسلوى واشربوا الما المتفجر
من الحجر **من رزق الله** المتفضل به عليكم **ولا تعثوا** اي لا تفسدوا والعيث
شدة الفساد من عثي بكسر المثلثه يعثو عثوا وعثا يعني عثيا افسد **في الارض**
التي استخلفكم فيها **مفسدين** حال موكدة لاختلاف اللفظ اي لا تعتدوا
حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس
بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يسمى صلاحا راجحا كقتل
الخضر الغلام وخرقه السفينة وعلم من الاية ان للعباد التصرف في النعم

بحسب الاذن وان من خالفه افسد واذ قلتم يا بني اسرايل متنسبي طين بالحال
التي انتم فيها وكان هذا القول منهم في التيه حين ملّوا المن والسلوى
وتذكروا ما كانوا من حال عيشهم الاول بمصر يا موسى لن نصبر على طعام
واحد اي نوع منه وهو المن والسلوى ومعنى وحدته عدم اختلافه
وانهما ضرب واحد من طعام اهل اللذة والترف وقيل كانا يوكلان
مختلطين وقيل لتكررهما كل يوم غذا كما تقول المزيد او م على الصوم والصلاة
هو على امر واحد وقيل المعنى لن نصبر على الغنا فنكون جميعا اغنيا فلا
يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض لاستغنا كل واحد بنفسه وكذلك
كانوا فهم اول من اتخذ العبيد والخدم ونفي الصبر مستلزم لنفي الرضى
فقيه تقطيع لحالهم في عدم الشكر قال الحسن كانوا نتانى اهل كراث وابصال
واعداس فنزعوا الى عسكرهم عسكر السوء واشتاقت طباعهم الى ما جرت
عليه عادتهم والطعام يطلق على ما يوكل ويشرب وفي التنزيل ومن لم
يطعمه فانه مني وليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما
طعموا اي ما شربوه من الخمر وربما خص بالطعام البر والتمر كما في حديث
صدقة الفطر فادع لنا ربك اي سله بدعايك اياه وقل له اخرج يخرج
لنا شيا او ماكولا مما تنبت الارض هو اسناد مجازي ومن للتبعيض من
بقلها بيان وقع موقع الحال وبدل باعادة الجار والبقل معروف وهو
كل نبات ليس له ساق والشجر ما له ساق والمراد هنا الماكول مما انبتته
الارض من الخضر وقثايها معروف وعن عايشة قالت كانت امي تعالجني
للسمنة تريد ان تدخلني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما استقام
لها ذلك حتى اكلت الرطب بالقثا فسمنت احسن سمنة رواه ابن ماجة
واسناده

واسناده صحيح وفومها قيل هو الخبز وقيل الحنطة قال الشاعر
قد كنت احسبني كاغنى واحد قدم المدينة عن زراعة فوم
وعليه اكثر المفسرين وروي عن ابن عباس قال الزجاج وكيف يطلب
القوم طعاما لا بر فيه والبر اصله الغذا وقيل الحبوب التي توكل كلها
وقيل الثوم لانه المشاكل للبصل رواه جويبر عن الضحاك والثا تبدل
من الفا وقرا ابن مسعود وثومها بالثا المثلثه وروي عن ابن عباس
قال امية كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومان
والبصل وعدسها وبصلها العدس معروف ويوثر عن النبي صلى الله
عليه وسلم من حديث علي عليكم بالعدس فانه مبارك مقدس وانه
يرق القلب ويكثر الدمعة بارك فيه سبعون نبيا اخرهم عيسى بن مريم
ذكره الثعلبي وغيره وهو مما يجفف البدن فيخف للعبادة ولا تثور
منه الشهوة كما تثور من اللحم والحنطة وكان عمر بن عبد العزيز ياكل يوما
خبزا بزيت ويوما بملح ويوما بعدس وقال الحليمي العدس والزيت طعام
الصالحين قال الله تعالى لموسى قل لهم انكارا وتوبيخا اتستبدلون الذي
هو ادنى اي ادون قدرا واحط رتبة بالذي هو خير فتتركون الاعلى للادنى
ولما كانت البقول لا خطر لها بالنسبة للمن والسلوى كان افضل منها قاله
الزجاج وقيل لما كان المن والسلوى طعاما من الله به عليهم وامرهم باكله
وكان في استدامة امر الله وشكر نعمته اجر وذخر في الاخرة والذي طلبوه
عار من هذه الخصال كان ادنى وقيل لما ما من به اطيب والذ من الذي سالوه
كان ما سالوه ادنى من هذا الوجه وقيل لما كان ما اعطوه لا كلفة فيه ولا
تعب والذي طلبوه لا يجيء الا بالحرث والزراعة والتعب كان ادنى وقيل

لما كان ما ينزل عليهم لا مؤنة في حله وخلوصه لنزوله من عند الله وما
طلبوه من الحبوب وغيره من الارض يتخلله البيوع والغصوب والشبه
كان ادنى وفي الاية دليل على جواز اكل الطيبات والمطاعم المستلذات وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل ويشرب الما البارد العذب
فدعا موسى ربه فابوا ان يرجعوا فقال الله تعالى اهبطوا مصرا اى انزلوا
من التيه اليه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقيل
هو امر معناه التعجيز كقوله كونوا حجارة لانهم كانوا في التيه وهذه
عقوبة لهم وقيل انهم اعطوا ما طلبوه والمصر هو البلد العظيم قيل
مصر من الامصار عن ابن عباس او مصر المعينة وصرفه لسكون وسطه
او على ارادة الموضع واصل المصر في اللغة الحد ومصر الدار حدودها
فان لكم فيها ما سالتم من ذلك وضربت اى حيطت ماخوذ من ضرب القباب
او المعنى جعلت عليهم الذلة اى الذل والهوان الحسن وقتادة هي
فرض الجزية وقيل هي الزنار وزي اليهود والمسكنة اى الفقر في ذلهم فلا
يوجد يهودي وان كان غنيا خاليا من زي الفقر ومهانته وقيل هي الخضوع
فهم اما مساكين على الحقيقة او على التكلف مخافة ان يضاعف عليهم
الجزية وعن ابن عباس ضربت عليهم الذلة والمسكنة قال هم اصحاب
القبالات وقيل المعنى الزموها وقضي عليهم بها وسمي الفقير مسكينا
لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة وباؤا اى رجعوا وانقلبوا من التيه
بغضب من الله اى ابعاد لهم اى لزمهم ذلك لزوم الدرهم المضروب لسكته
وتقدم معنى الغضب ذلك اى المجعول لهم من الذلة والمسكنة والرجوع
بالغضب بانهم اى بسبب انهم كانوا يكفرون بايات الله اى يكذبون

بكتابه ومعجزات انبيائه ويقتلون النبيين معطوف على يكفرون قرئ
النبيئين بالهمز من انبا اذا اخبر لان النبي مخبَر او مخبِر عن الله وقرئ بغير
همز تخفيفا او اخذا من النبوة وهي المكان المرتفع لان رتبة النبي ارفع
من رتبة غيره ووصف القتل بقوله بغير الحق مبالغة في ذمهم بجحدهم
النعم وقتلهم شعيبا وزكريا ويحيى ومعلوم ان الانبيا معصومون من
ان يصدر منهم ما يقتلون به وانما خرج هذا مخرج الصفة لقتلهم
انه ظلم وليس بحق تعظيما للشنعة والذنب الذي اتوه ووضوحه وقيل
المعنى بغير حق عندهم اذ لم ير منهم ما يعتقدون به من جواز قتلهم
وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى والحسد ابن عباس والحسن لم يقتل نبي
قط من الانبيا الا من لم يؤمر بقتال وكل من امر بقتال نصر ومكن الكافر من
قتل النبي اكراما له وزيادة في منزلته كمن قتل في الجهاد من المؤمنين
وليس ذلك بخذلان لهم ذلك اى المذكور من كفرهم وقتلهم وانما جوز
الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاقتصار
بما عصوا اى بسبب عصيانهم وبما كانوا يعتدون العصيان خلاف
الطاعة واعتصت النواة اذا اشتدت والاعتدا التجاوز للحد في كل
شي وعرفه في الظلم والمعاصي وكرره للتاكيد والمعنى جرهم العصيان
والتمادي والاعتدا فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار
الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبايرها كما ان صغار الطاعات اسباب
مؤدية الى كبايرها ان الذين امنوا اى صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقال سفيان المراد المنافقون كانه قال ان الذين امنوا في ظاهر امرهم
فلذلك قرنهم باليهود والنصارى لبكري ان الذين امنوا ولم تخلص قلوبهم

او آمنوا حقيقة وآمنوا بالانبيا من قبل والذين هادوا اي صاروا يهودا
نسبوا الى يهوذا وهو اكبر ولد يعقوب فقلبت العرب الذال دالا لان
الاعجمية اذا اعربت غيرت عن لفظها وقيل سموا بذلك لتوبتهم من عبادة
العجل يقال هاد تاب وفي التنزيل انا هدنا اليك اي تبنا قال الشاعر
اني امرؤ من حبه هايد ، وقيل لميلهم عن دين الاسلام ودين موسى وقيل لانهم
كانوا يتهودون اي يتحركون عند قراة التوراة والنصارى جمع واحده
نصراني وقيل نصران وقيل نصرى سموا بذلك لقول الحواريين منهم نحن
انصار الله او لانهم نزلوا قرية يقال لها ناصره كان ينزلها عيسى وقال
الجوهري نصران قرية بالشام تنسب اليها النصارى والصابين جمع
صابي قرى بالهمز وتركه فمن همزه جعله من صبات النجوم اذا طلعت
ومن لم يهمز جعله من صبا يصبو اذا مال يقال صبا فلان اذا خرج من
دينه الى غيره ولهذا كان العرب تقول لمن اسلم قد صبا واختلف فيهم
فقيل هم من اهل الكتاب وذبايحهم كذبايحهم وقيل هم منهم لكن لا في حل
الذبيحة والمناكحة وقيل هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والنصارى
والمجوس وقيل بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط روسهم ويجبون
مذاكيرهم وقيل هم قوم يقرون الزبور ويعبدون الملايكة ويصلون
الى الكعبة وقيل انهم ينسبون الى ادريس دينا وشرعا وقيل يزعمون انهم
على دين نوح والذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض العلما انهم موحدون
يعتقدون تاثير النجوم وانها فعالة ولهذا افتى ابو سعيد الاصطخري
بكفرهم حين ساله القادر بالله تعالى عنهم ومذهب الشافعي ان
الصابئين ان خالفوا النصارى في اصل دينهم حرمت ذبيحتهم ومناكحتهم

ولا

والا فلا وقال ابو حنيفة لا باس بذبايحهم ومناكحة نسايهم وقدم النصارى
على الصابيين هنا لتقدم النصارى في الرتبة لانهم اهل كتاب وعكس
في الحج لتقدم الصابيين في الزمن وروعي في المايدة المعنيان فقدموا في
اللفظ واخروا في المعنى اذ التقدير والصابيون كذلك من امن بالله
واليوم الاخر اي صدق به والمراد اخلص او ثبت او ضم الى الايمان بنبيه
الايمان بنبينا صلى الله عليه وسلم وعمل صالحا بشريعته ومن في
موضع نصب بدل من الذين والفا في فلهم داخلة بسبب الابهام الذي في
من ولهم اجرهم عند ربهم ابتدا وخبر في موضع خبر ان ويحسن ان تكون
من في موضع رفع بالابتدا ومعناها الشرط وامن في موضع جزم بالشرط
والفا الجواب لهم اجرهم خبر من والجملة كلها خبر ان والعايد على الذين
محذوف تقديره من امن منهم وفي الايمان بالله واليوم الاخر اندراج الايمان
بالرسل والكتب والبعث ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي فلا هم لهم
في الاستقبال ولا حزن لهم على فوات دار الزوال حين تخاف غيرهم وتحزن
وحقيقة الخوف تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال
والحزن بسبب فوات محبوب في الماضي وروعي في امن لفظ من وفيما بعدها
معناها لان من يقع على الواحد والمثنى والجمع فجايز ان يرجع الضمير
مفردا ومثنى ومجموعا قال تعالى ومنهم من يستمعون اليك على المعنى
ومنهم من ينظر اليك على اللفظ وقال الفرزدق

تعش فان عاهدتني لا تخونني ، فكن مثل من يا ذيب يصطحبان

وروي عن ابن عباس ان الاية منسوخة بقوله تعالى ومن يبتغ غير
الاسلام دينا وقال غيره ليست منسوخة وهي فيمن ثبت على ايمانه

من المومنين بالنبي صلى الله عليه وسلم **واذ اخذنا ميثاقكم** اي باتباع موسى
والعمل بالتوراة **ورفعنا فوقكم الطور** اي الجبل قيل هو الذي كلم الله موسى
عليه وانزل عليه فيه التوراة دون غيره رواه ابن عباس وابن جريج وقيل
الطور ما انبت من الجبال خاصة قاله الضحاك وقال مجاهد وقتادة
اي جبل كان والسبب في رفع الطور ان موسى لما جا بني اسرايل من عند الله
بالالواح فيها التوراة قال خذوها والتزموها فلما قراوا فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها وقالوا لا فامر الله الملايكة فاقلعت
جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ في مثله وكذلك كان عسكرهم
فجعل عليهم مثل الظلة والبحر من خلفهم ونار من قبل وجوههم وقيل
لهم خذوا وعليكم الميثاق والا سقط عليكم فسجدوا توبة لله واخذوا
التوراة بالميثاق وكان سجودهم على شق لانهم كانوا يرقبون الجبل خوفا
وقالوا لا سجدة افضل من سجدة تقبلها الله فاجر سجودهم على شق
واحد وقال ابن عطية والذي لا يصح سواه ان الله اخترع وقت سجودهم
الايمان لانهم امنوا كرها وقلوبهم غير مطمينة بذلك **خذوا** اي وقلنا
خذوا **ما اتيناكم** اي اعطيناكم **بقوة** اي بجد واجتهاد قاله ابن عباس
وغيره وقيل بنية واخلاص وقيل بشدة وعزم على العمل بما فيه **واذكروا**
ما فيه بالعمل بما فيه ودرسه ليلا يضيع منكم فتضيعوا القرطبي هذا
هو المقصود من الكتب العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وترتيلها
وفي الحديث ان من شر الناس رجلا فاسقا يقرا القران لا يرعوي الى شي منه
وقال مالك يقرا القران من لا خير فيه فما الزم اذن من قبلنا واخذ عليهم
لازم لنا وواجب علينا قال تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم

فامرنا

فامرنا باتباع كتابه والعمل بمقتضاه لكن تركنا ذلك كما تركت اليهود
والنصارى وبقيت اشخاص الكتب والمصاحف لا تفيد شيا لغلبة
الجهل وطلب الرياسة واتباع الاهوا **لعلكم تتقون** اي لكي تتقوا فهي
للتعليل او للترجي منهم اي اذا كنتم كذلك فترجوا التقوى او اتقا
النار او المعاصي **ثم توليتم** اي اعرضتم عن الوفا بما امرتم به واصل
التولي الاعراض والادبار عن الشي بالجسم ثم استعمل في الاعراض عن الامور
والاديان والمعتقدات اتساعا ومجازا **من بعد ذلك** المذكور من اخذ
الميثاق وما معه من رفع الجبل **فلولا فضل الله عليكم** فضل مرفوع بالابتدا
عند سيبويه والخبر محذوف لا يجوز اظهاره لدلالة الكلام عليه وسد
الجواب مسده فاذا اريد اظهاره جي بان والتقدير فلولا فضل الله
تداركم **ورحمته** عطف على فضل اي لطفه وامهاله **لكنتم** جواب لولا
من الخاسرين اي الهالكين الذين غبنوا بمخالفتهم الحق واصله النقصان
وقيل فضله قبول التوبة ورحمته العفو والفضل الزيادة على ما وجب
والافضال الاحسان **ولقد** لام القسم **علمتم الذين اعتدوا منكم** اي
عرفتم اعيانهم وقيل علمتم احكامهم والفرق بينهما ان المعرفة متوجهة
الى ذات المسمى والعلم متوجه الى احواله فاذا قلت عرفت زيدا فالمراد
شخصه واذا قلت علمته فالمراد العلم باحواله من فضل ونقص ومعنى
اعتدوا تجاوزوا الحد وهم اهل ايلة **في السبت** اي في يوم السبت
ويحتمل ان يكون المعنى في حكم السبت والاول قول الحسن وانهم اخذوا
فيه الحيتان على جهة الاستحلال والسبت القطع سمي اليوم بذلك
لان الله تعالى قطع فيه الخلق اي انهى فيه السموات والارض وادم خلق

يوم الجمعة ولم يخلق يوم السبت شيئا ولان اليهود امروا فيه بقطع الاعمال
الدنيوية والتجرد لله تعالى وعبادته فخالفوا ذلك بالصيد ونحوه وذلك
ان ناسا منهم كانوا في زمن داود عليه السلام يسكنون قرية على الساحل
يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت حوت الاحضر هناك واخرج
خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول
فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت ويصطادونها يوم الاحد وسيأتي
لهذا مزيد بيان في سورة الاعراف ان شاء الله **فقلنا لهم كونوا** هو امر
تحويل وتكوين **قردة خاسئين** خبران اى جامعين بين القردية والخسوء
ومعنى خاسئين مبعودين مطرودين فابعدوا عن الانسانية بصيرورتهم
قردة حقيقة وفيه معنى الذل وعبر بذلك عن نقلهم من حالة الى حالة
اذلالا لهم والجمهور على ان الممسوخ لا يتنسل لانه قد اصابهم السخط والعذاب
فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة ايام **فجعلناها** اى هذه الحالة من
العقوبة **نكالا** اى عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا وهو اسم لكل
عقوبة تنكل الناظرين من فعل ما جعلت العقوبة جزاء عليه من النكول
عن اليمين وهو الامتناع لان النكول مانع من الاعتراف بالحق واصله
من النكل بكسر النون واسكان الكاف وهو القيد الشديد والجمع
انكال وقيل المجعول نكالا القرية وقيل الامة التي مسخت **لما بين
يديها** ابن عباس وغيره لما بدى المسخة وهو ما قبلها من ذنوب القوم
وما خلفها ان يعمل بعدها مثل تلك الذنوب قال فجعلت المسخة
نكالا لما مضى من الذنوب ولما يعمل بعدها ليخافوا المسخ لذنوبهم وعن
ابن عباس لمن حضر معهم ولمن ياتي بعدهم وعنه ايضا لما بين يديها وما

خلفها

خلفها من القرى قتادة لما بين يديها من ذنوبهم وما خلفها من صيد
الحيتان **وموعظة** اى حكمة زاجرة وقضية مذكرة وهي مفعلة من
الاتعاظ والوعظ التخويف الخليل الوعظ التذكير بالخير فيما يرق له
قلبه **للمتقين** الماوردي خص المتقين بالذكر وان كانت موعظة للعالمين
لتفردهم بها عن الكافرين واللفظ يعم كل متق من كل امة وقال الزجاج
للمتقين لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان ينتهكوا من حرم الله ما نهاهم
عنه فيصيبهم ما اصاب اصحاب السبت واذكر **واذ قال موسى لقومه**
وقد قتل لهم قتيل لا يدرى قاتله وسألوه ان يدعو الله ليبيانه فدعا
واول هذه القصة واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت
عليه لاستقلالها بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصا
في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر
فقتله بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا
يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى
فيخبر بقاتله فقال موسى ان الله يامركم ويجوز ان يكون قوله واذ قتلتم
في النزول مقدما والامر بالذبح موخرا وان يكون ترتيب نزولها على حسب
تلاوتها فكان الله امرهم بالذبح للبقرة حتى ذبحوها ثم وقع ما وقع
من امر القتل فامروا ان يضربوه ببعضها وقيل غير ذلك **ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة** وهي الانثى من البقر ماخوذ من البقر وهو الشق لانها
تشق الارض للحراثة قال الماوردي انما امروا بذبح بقرة والله اعلم دون
غيرها لانها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه
من تعظيمه وليعلم باجابتهم ما كان في نفوسهم من عبادته وهذا المعنى

في ذبح البقرة وليس بعلة في جواب السايل ولكن المعنى فيه ان يحيى القتيل
بقتل حي فيكون اظهر في اختراع الاشيا من اضدادها قالوا اتتخذنا
هزوا اى اتجعلنا مكان هزو او اهل هزو او مهزوا بنا او الهزو نفسه
لفرط الاستهزا استبعادا لما قاله واستخفافا به والهزو والسخرية
واللعب بمعنى وانما قالوا ذلك لموسى لانهم ظنوا انه اجابهم بما يخالف
سوالهم وذلك انهم لما وجدوا القتيل بين اظهرهم واشتبه امر قاتله
وسالوه بيان ذلك وكان هذا قبل نزول القسامة في التوراة وامرهم
بذبح بقرة فلما سمعوا ذلك وليس في ظاهره جواب عما سالوا قالوا
اتتخذنا هزوا فاجابهم بقوله قال اعوذ بالله اى امتنع به ان اكون من
الجاهلين اى من ان اكون من الذين يستهزون بالمومنين او يجيبون
على خلاف السوال في الحقيقة لان الهزو في مثل ذلك جهل وسفه نفي
عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة
استقطاعا له وفي هذا ادل دليل على قبح الجهل وانه مفسد للدين
ولما امروا بذلك وعلموا انه عزم سالوا عن وصفها تعنتا وقلة
طواعيه قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ابتدا وخبر وماهية الشي
حقيقته وذاته التي هو عليها البكرى ما هي باعتبار سنها واضافوا
الرب اليه لانه اجاب صورة على خلاف السوال فكانهم قالوا ان كان
ما قلت كذلك فهو يصلح شانك الزمخشري ما هي سوال عن حالها وصفتها
وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسالوا عن
صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر قال موسى
انه الضمير لله تعالى يقول انها بقرة لا فارض اى لا مسنة تلد ولا بكر
اى

اى ولا فتية صغيرة لم تلد قط وقيل الفارض التي ولدت بطونا
كثيرة فيتسع جوفها لذلك وحذفت لها للاختصاص بالاناث كحايض
عوان اى نصف وهي التي قد ولدت بطنا او بطنين وهي اقوى ما يكون من
الابل والبقر واحسنه بين ذلك بين تقتضي شيئين فاكثر ودخلت على ذلك
وان كان افرد في اللفظ لانه يشار به الى المفرد والمثنى والجموع ومنه
قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فالمعنى عوان بين
الفارض والبكر اى بين السنين فافعلوا ما تومرون به من الذبح ولا
تكرروا السوال كم وفيه دليل على ان الامر للوجوب كما هو الصحيح عند
الفقها والاصوليين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ما استفهام
مبتدا ولونها الخبر قال انه يقول انها بقرة صفرا فاقع لونها هو اتباع
دال على شدة الصفرة كقولهم اسود حالك واحمر قاني واخضر ناضر
وابيض يقق للمبالغة فيها الا لون فيه سوى لون جلدها والجمهور على
انها صفرا اللون من الصفرة المعروفة قال مكي عن بعضهم حتى القرن
والظلف وقيل معنى صفرا سودا القرطبي شاذ لا يستعمل مجازا الا في الابل
قال تعالى كانه جمالات صفر وذلك لان السود من الابل سوادها صفرة
ويبطله قوله فاقع اى خالص تسر الناظرين اليها اى تعجبهم والسرور
اصله لذة في القلب عند حضور نفع او توقعه قال وهب كان شعاع
الشمس يخرج من جلدها ولهذا قال ابن عباس الصفرة تسر النفس وقال
علي من لبس نعلا جلدا اصفر قل همه حكاه عنه الثعلبي قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي تكرير للسوال الاول واستكشاف زايد وقيل
معنى ما هي اسايمة ام عاملة وقوله ان البقر اى جنسه المنعوت بما ذكر

تشابه علينا اعتذار عنه اى ان البقر الموصوف بما ذكر كثير وقد التبس
فلم نهتد الى المقصودة والعرب تذكر البقر وتؤنثه وقال تشابه فذكره
لتذكير لفظ البقر وانا ان شا الله لمهتدون الى المراد من ذبحها او الى
القاتل وهو استثنا منهم وهو فى لسوال الاخير انقياد ودليل ندم
وفى الحديث لو ما استثنوا ما اهتدوا اليها ابدا واحتج اصحابنا من
اهل السنة على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة
والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث
الارادة واجيب بان التعليق باعتبار المتعلق وتقدير الكلام وانا
لمهتدون ان شا الله قدم على ذكر الاهتدا اهتماما به وشا فى موضع جزم
بالشرط والجواب عند سيبويه الجملة ان وما عملت فيه وعند المبرد
محذوف قال انه يقول انها بقرة لا ذلول بالرفع على الصفة لبقرة ومعنى
ذلول لم يذللها العمل يقال بقرة ذلول ومذللة بينة الذل بكسر الذال
ورجل ذليل بين الذل بالضم اى هى بقرة صعبة غير ريضة بالعمل تثير
الارض تثير فى موضع رفع على الصفة اى هى بقرة لا ذلول مثيرة الحسين
كانت تلك البقرة وحشية ولا تسقى الحرث اى لا يسقى بها الزرع والوقف
هنا حسن وقال قوم تثير فعل مستانف وانها كانت تحرث ولا تسقى
النحاس عن على بن سليمان لا يجوز ان يكون تثير مستانفا لوجهين لان بعده
ولا تسقى فلو كان مستانفا لما جمع بين الواو ولا والثانى انها لو كانت
تثير لكانت لاثارة ذللتها وقد نفى الله عنها الذل بقوله لا ذلول ض
القرطبى ويحتمل ان يكون تثير فى غير العمل مرحا ونشاطا واثارة الارض
تحريكها وبحثها وفى الحديث ثيروا القران فان فيه علم الاولين والاخرين

وفى

وفى التنزيل واثاروا الارض اى قلبوها للزراعة والحرث الارض المهياة
للزرع مسلمة اى هى بريئة من العيوب واثار العمل لا شية فيها اى ليس
فيها لون يخالف معظم لونها هى صفرا كلها وهذه الاوصاف فى البقرة
سببها انهم شددوا فشدد الله عليهم ودين الله يسر وروى فى قصص
هذه البقرة روايات تلخيصها ان رجلا صالحا من بنى اسرايل ولد
له ابن وكانت له عجلة فارسلها فى غيضة وقال اللهم انى استودعك
هذه العجلة لهذا الصبى ومات الرجل فلما كبر الصبى قالت له امه
ان اباك استودع الله لك عجلة فاذهب فخذها وكان برا بامه فذهب
اليها فلما راته جاءت اليه حتى اخذ بقرنيها وكانت متوحشة فجعل
يقودها نحو امه فلقيه بنوا اسرايل ووجدوا بقرته على الصفة التى
امروا بها فاشتطوا عليه فى ثمنها وكان قيمتها على ما روى عكرمة
ثلاثة دنانير فاتوا به موسى فقال اللهم ارضوه فى ملكه فاشتروها
بوزنها مرة وقال السدى عشر مرات وقيل بملى مسكها دنانير وذكر
مكى انها نزلت من السما ولم تكن من بقر الارض فالله اعلم قالوا الآن
هو ظرف مبنى على الفتح لمخالفته ساير ما فيه الالف واللام اذ هما فيه
لغير عهد ولا جنس ولم يعرف بهما تقول انت الى الان هنا اى الى هذا الوقت
فبنيت كما بنى هذا وفتحت النون لالتقا الساكنين وهو عبارة عما بين
الماضى والمستقبل وقد يتجوز به عما قرب من احدهما وقال ابن مالك لوقت
حضر جميعه كوقت فعل الانسان حال النطق به وقيل ال فيه للتعريف
الحضورى وقيل زايدة لازمة جيت بالحق اى بينت الحق قاله قتادة
وقال غيره بالحق الذى يتبع لنهاية البيان وقيل هو من باب حذف

يعودها صح

الصفة اى الحق الواضح والا لكفروا بمفهوم ذلك فذبحوها اى فحصلوا
البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها ففيه اختصار وما
كادوا يفعلون اما من غلو الثمن او قلة اجتماع الاوصاف او شدة
الاختلاف وقيل خوفا من الفضيحة على انفسهم في معرفة القاتل منهم
وكاد من افعال المقاربة فوضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي
قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيها والصحيح انها كساير الافعال
ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما
اذ المعنى ما كادوا يفعلون حتى انتهت سوالاتهم وانقطعت تعليلاتهم
كالمضطر الملجا الى الفعل وفي الحديث لو ذبحوا اى بقرة لاجزاتهم ولكن
شددوا فشدد الله عليهم ودين الله يسر والتعمق في سوال الانبياء وغيرهم
من العلما مذموم واذ قتلتم نفسا اسم المقتول عاميل وقيل نكار وهذا
سبب ذبح البقرة اخر في التلاوة وتقدير الكلام واذ قتلتم نفسا
فادارأتم فيها فقال موسى ان الله يامركم بكذا وهو مثل قوله الحمد لله
الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما اى انزل الكتاب
قيما ولم يجعل له عوجا البكرى اخر للاعلام باللطف فقدم الله امتثال
امره الموجب بفضله للعفو على ذكر الذنب لتطمين القلوب واصل
ادارأتم تدارأتم ادغمت التا في الدال وادخلت الالف لانه لا يبتدا
بالمدغم لانه ساكن ومثله اثاقلتم ومعناه اختلفتم وتدافعتم في ذلك
الامر واصل الدراء الدفع وخوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم والتضمير
في فيها للنفس واختلف في سبب قتله فقيل كانت له ابنة حسنا احب
ان يزوجها ابن عمها فمنعه عمه فقتله وحمله من قرية الى قرية اخرى
وقيل

وقيل قتله استعجالا لميراثه فانه كان فقيرا وادعى قتله على بعض الاسباط
والله مخرج اى مظهر ما كنتم تكتمون جملة في موضع خبر كان والعايد
محذوف اى ما كتمته القاتل من امر القتيل واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل
كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا بعد ذبح البقرة
اضربوه عطف على اداراتم وما بينهما اعتراض والضمير اما ان يرجع الى
النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل ببعضها
قيل بعجب الذنب اذ منه يركب خلق الانسان وقيل باللسان لانه
الة الكلام وقيل بالفخذ وقيل بالغضروف بضم الغين واسكان الضاد
المعجمتين وضم الرا وهو اصل الاذن وقيل بعضو لم يعين وهو لابن عباس
والامر بالضرب ليحيى القتيل ويخبر عن قاتله ففعلوا فقام حيا وقال
قتلني ابن اخي او فلان وفلان لابني عمه وعاد ميتا كما كان فحرم من
ذكر الميراث وقتل وفي الخبر لم يرث قاتل بعد صاحب البقرة ولا خلاف
بين العلما ان لا يرث قاتل العمد من الدية ولا من المال ويرث قاتل
الخطا من المال دون الدية في قول مالك والاوزاعي وقال الشافعي
وابو حنيفة وسفيان الثوري لا يرث القاتل عمدا ولا خطا شيا من
المال ولا من الدية وهو قول شريح وطاوس والنخعي ورواه الشعبي
عن عمر وعلي وزيد واستدل مالك في رواية ابي القاسم على صحة
القول بالقسامة بقول المقتول دمي عند فلان خبر محتمل ومنعه
الشافعي وجمهور العلما قالوا وهو الصحيح لان قول المقتول دمي عند
فلان خبر محتمل الصدق والكذب ولا خلاف ان دم المدعى عليه
معصوم فممنوع اباحته الا بيقين واما قتيل بني اسرايل فكانت معجزة

واخبر تعالى انه يحييه وذلك يتضمن الاخبار بقاتله خبرا جزما لا يدخله
احتمال فافترقا قال البخاري والشافعي وجماعة كيف يقبل قوله في الدم
وهو لا يقبل قوله في درهم **كذلك** اي الاحيا **يحيي الله الموتى** يدل على ما حذف
وهو فضربوه فحيي والخطاب يجوز ان يكون للذين حضروا حياة القتيل
وان يكون خطابا للمنكرين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اي كما احيا الله
تعالى هذا بعد موته كذلك يحيي كل من مات **ويريكم اياته** اي دلايله
العظيمة الدالة على قوة سلطانه وان لا اله غيره **لعلكم تعقلون** ذلك
وتعرفون ما اريد منكم وتمنعون انفسكم عن معصيته وقيل لكي تكمل عقولكم
وتعلموا ان من قدر على احيا نفس قدر على احيا الانفس كلها فتومنوا **ثم**
قست قلوبكم اي يبست وجفت مجازا عن خروج الرحمة واللين لقبول الحق
والقسوة والقساوة لغتان اي صلبت قلوبكم ايها اليهود عن قبول
الحق قتادة المراد قلوب جميع بني اسرايل ابن عباس المراد قلوب ورثة القتيل
لانهم حين حيي واخبر بقاتله وعاد الى موته انكروا قتله وقالوا كذب بعد
ما راوا هذه الاية العظيمة فلم يكونوا قط اعمى قلبا ولا اشد تكذيبا
لنبيهم منهم عند ذلك **من بعد ذلك** اي الذي ظهر لكم من احيا القتيل
وغيره فانه مما يوجب لين القلب **فهي كالحجارة** في القسوة **او اشد قسوة**
منها شبهت بها لا بالحديد لان الحديد لان لداود وهم مقرون به
دون لين الحجر لمحمد صلى الله عليه وسلم واو هنا قيل بمعنى الواو كما قال
آثما او كفورا ٭ عذرا او نذرا ٭ وقال الشاعر ٭ نال الخلافة او كانت له قدرا ٭
اي وكانت وقيل معناها التخيير ان تشبهوها بالحجارة او اشد تصيبوا
كقولك جالس الحسن او ابن سيرين ٭ وتعلم الفقه او النحو وقيل هي على بابها

من

من الشك والمعنى عندكم ايها المخاطبون وفي نظركم ان لو شاهدتم قسوتها
لشككتم اهي كالحجارة او اشد وقال قوم انما اراد الله ان فيهم من قلبه
كالحجر وفيهم من قلبه اشد من الحجر والمعنى هم فرقتان واشد مرفوع بالعطف
على موضع الكاف لان المعنى فهي مثل الحجارة وقسوة نصب على التمييز وفي
الاية تفضيل الحجارة على القلب القاسي وفي الحديث اربعة من الشقا
جمود العين وقساوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا ثم بين وجه
شدة القسوة في قلوبهم الزايدة على الحجر بقوله **وان من الحجارة لما يتفجر**
منه الانهار كما وقع لموسى ذكرهم بما وقع لهم مما سبق **وان منها لما يشقق**
فيخرج منه الما عيونا لا انهارا واصل يشقق يتشقق ادغمت التا في الشين
قال قتادة عذر الحجارة ولم يعذر شقي بني ادم وما في قوله لما يتفجر في موضع
نصب لانها اسم ان واللام للتاكيد ومنه عايد على لفظ ما ويجوز منها
على المعنى وكذلك وان منها لما يشقق فيخرج منه الما **وان منها لما يهبط**
اي ينزل من اعلى الجبل الى اسفله كما وقع في تجلي الله للجبل **من خشية الله** من شدة
خوفه اي فهابوه ومن لازم الهيبة ترك ما يخالف امر الله والمعنى ان الحجارة
تتاثر وتنفعل فان منها ما ينبع منه الما وما يتفجر منه الانهار وما يتردى
فما لقلوبكم لا تتاثر ولا تلين ولا تخشع وقال قوم من المتكلمين وان منها
لما يهبط هو البرد النازل من السحاب وحكى الطبري عن فرقة ان الخشية
للحجارة مستعارة كما استعيرت الارادة للجدار في قوله يريد ان ينقض
فالخشية مجاز عن الانقياد وذكر ابن بحر ان الضمير في وان منها راجع الى
القلوب اي وان من القلوب لما يخضع من خشية الله القرطبي كلما قيل
يحتمله اللفظ والاول اصح فانه لا يمتنع ان يعطي بعض الجمادات المعرفة

فيعقل انتهى وروى ان بعض الانبيا مر بحجر صغير تخرج منه الما فتعجب منه
فانطقه الله تعالى له فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجا
وانا ابكى فسال الله تعالى ان يجيره من النار فاجاره ثم مر عليه بعد
مدة فراه على مثل ذلك فقال له لم تبكى وقد اجارك الله من النار فقال
كان ذلك بكا الخوف وهذا بكا السرور وقد ثبت تسليم الاحجار
وحنين الجذع معجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم ولكل جماد صلاة وتسبيح
فيجب على الانسان ان يومن بذلك ويكل علمه الى الله تعالى وسياتى لهذا
مزيد بيان فى سبحان ان شا الله تعالى قال مجاهد ما تردى حجر من راس جبل
ولا تفجر نهر منه ولا تفجر الامن خشية الله **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد
على ذلك وقرى باليا من اسفل كناية عن بنى اسرايل وفيه التفات عن الخطا
وبالتا من فوق خطابا لهذه الامه ومناسبة لما بعده وبغافل فى
موضع نصب على لغة الحجاز وفى موضع رفع فى لغة تميم والبا توكيد ومعنى
عما تعملون عن عملكم حتى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا يحصيها عليكم
ولا تحتاج ما الى عايد الا اذا كانت بمعنى الذى فحذف لطول الاسم اى عن
الذى تعملونه **افتطمعون** خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وصحبه **ان يومنوا**
يعنى اليهود اى يصدقوا بما جيت به **لكم** اى لاجلكم وهو استفهام بمعنى الانكار
كانه ايأسهم من ايمان هذه الفرقة وذلك ان الانصار كان لهم حرص على
ايمان اليهود للحلف والجوار الذى كان بينهم فالمعنى لا تطمعوا فى ايمانهم
فلهم سابقة فى الكفر وان فى موضع نصب اى فى ان يومنوا **وقد كان فريق منهم**
اى طايفة من اسلافهم وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه وقيل احبارهم
يسمعون كلام الله اى فى التوراة وقيل المراد السبعون الذين اختارهم موسى

فسمعوا

فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا امره وحرفوا القول فى اخبارهم لقومهم وفيه
ضعف وما رواه الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس ان قوم موسى سالوا موسى
ان يسال ربه ان يسمعهم كلامه فسمعوا منه صوتا كصوت الشبور انى انا
الله لا اله الا انا الحى القيوم اخرجتكم من مصر الى اخره فهو باطل لا يصح رواه
مروان عن الكلبى وكلاهما ضعيف لا يحتج به ومن قال ان السبعين سمعوا ما سمع
موسى فقد غلط واذهب بفضيلة موسى واختصاصه بالتكليم وقد قال السدى
وغيره لم يطيقوا سماعه واختلطت اذهانهم ورغبوا ان يكون موسى يستمع
ويعبر لهم فلما رجعوا ابدلت طايفة ما سمعت من كلام الله على لسان
نبيهم عليه السلام **ثم يحرفونه** اى يبدلونه **من بعد ما عقلوه** اى عرفوه وفهموه
كتبديلهم اية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم **وهم يعلمون** ان الحق
خلاف ما قالوه السدى هم علما اليهود يحرفون التوراة فيجعلون الحرام
حلالا والحلال حراما اتباعا لاهوايهم وقيل ان السبعين قالوا سمعنا
الله يقول فى اخر كلامه لموسى ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا
وان شيتم فلا تفعلوا وفى هذا توبيخ لهم والمعنى ان هولا اليهود قد سلفت
لابايهم افاعيل سو وعناد وهولا على ذلك السنن فكيف تطمعون ان يومنوا
لكم **واذا لقوا** اى المنافقون منهم **الذين امنوا قالوا امنا** اى كايمانكم لان محمدا
بشر به فى كتابنا **واذا خلا** اى رجع **بعضهم الى بعض** اى اليهود لا مرهم **وقالوا**
اى روسا وهم الذين لم ينافقوا لمن نافق **اتحدثونهم** اى المومنين **بما فتح الله عليكم**
اى بما بين لكم فى التوراة من نعت محمد وقيل معنى فتح قضى والفتح عند العرب
القضا والحكم وقيل انزل وقيل من عليكم من صفة محمد وانه حق **ليحاجوكم**
اى ليخاصموكم بما قلتم لهم **به عند ربكم** فى الاخرة ويقيموا عليكم الحجة فى ترك

اتباعه مع علمكم بصدقه كما قال ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون نوا
فاللام للصيرورة وعن ابن عباس وغيره ان ناسا منهم اسلموا ثم نافقوا فكانوا
يحدثون المومنين من العرب بما عذب به اباوهم فقالت لهم اليهود اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم اى حكم به من العذاب ليقولوا نحن اكرم على الله منكم
وروى ان عليا لما نازل قريظة يوم خيبر سمع سب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانصرف اليه وقال يا رسول الله لا تبلغ اليهم وعرض له فقال
اظنك سمعت شتمى منهم لو راونى لكفوا عن ذلك ونهض اليهم فلما راوه
امسكوا فقال لهم نقضتم العهد يا اخوة القردة والخنازير اخزاكم الله
وانزل بكم نقمته فقالوا ما كنت جاهلا يا محمد فلا تجهل علينا من حدثك
بهذا ما خرج هذا الخبر الا من عندنا وقيل معنى ليحاجوكم ليعيروكم
وقيل ليحتجوا عليكم بقولكم يقولون كفرتم به بعد ان وقفتم على
صدقه وقيل معنى عند ربكم عند ذكر ربكم او بين يدى رسول ربكم
او فى ربكم فيكونوا احق به منكم لظهور الحجة عليكم والحجة الكلام المستقيم
على الاطلاق ومن ذلك محجة الطريق افلا تعقلون ذلك اى من ان يكون
لهم الفضل والحجة عليكم بسببه فى الدار الاخرة او فى الدارين وقيل
هو خطاب من الله للمومنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون
ان بنى اسرايل لا يومنون وهم بهذه الاحوال ثم وبخهم توبيخا بتاليا فقال
اولا يعلمون اى المنافقون ان الله يعلم ما يسرون اى يخفون وما يعلنون
اى يبدون من ذلك ومن غيره فيرجعوا عن ذلك فهو استفهام للتوبيخ او
التقرير والواو للعطف والذى اسروه كفرهم والذى اعلنوه الجحد به
وقيل الايمان ومنهم اى من اليهود وقيل من اليهود والمنافقين اميون .

ای

اى عوام جمع امى وهو الذى لا يحسن القراة والكتابة نسبة الى امه كانه
باق على حال انفصاله عنها وعن ابن عباس اميون لانهم لم يصدقوا
بام الكتاب ابو عبيدة انما قال لهم اميون لنزول الكتاب عليهم
نسبوا الى ام الكتاب فكانه قال ومنهم اهل الكتاب لا يعلمون الكتاب
عكرمة والضحاك هم نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع
كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وقيل غير ذلك لا يعلمون
الكتاب اى الكتابة فيختبرون لا يعلمون او لا يعرفون ما فى التوراة الا امانى
الا بمعنى لكن فهو استثنا منقطع والامانى جمع امنية ما يقدره الانسان
فى نفسه من منى اذا قدر قيل وهى هنا التلاوة ومنه قوله تعالى القى الشيطان
فى امنيته اى تلاوته والامانى ايضا الاكاذيب ومنه قول عثمان رضى الله
عنه ما تمنيت منذ اسلمت اى ما كذبت وبهذا المعنى فسر ابن عباس
ومجاهد والمعنى على الاول تلاوة لا يعرفون معناها فيكون نفى الكتاب
نفيا للفهم وقيل المعنى من الامانى ما يطلبونه لانفسهم من الله على جهلهم
ما ليس لهم من اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة
سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان
النار لن تمسهم الا اياما معدودة وان هم الا يظنون اى ما هم فى جحد نبوة
النبى وغيره مما يختلفون فيه الا قوم يكذبون ويحدثون لا علم لهم بصحة
ما يتلون وانما هم مقلدون لاحبارهم فيما يقرون قال ابن الانبارى
ان العرب تجعل الظن علما وشكا وكذبا فاذا اقامت براهين العلم فكانت
اكثر من براهين الشك فالظن يقين وان اعتدلت براهينهما فالظن شك
وان زادت براهين الشك فالظن كذب وقد يطلق الظن بازا العلم على كل

راى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزيغ
عن الحق بشبهة **فويل** كلمة يقولها كل من وقع في هلكة وقيل هي هنا واد في
جهنم بين جبلين يهوي فيه الهاوي اربعين خريفا وقيل واد يجري
من صديد اهل النار وقيل باب من ابواب جهنم وقيل شدة العذاب
الخليل الويل الشر وشدته الاصمعي ويل تقبيح ودعا وقد يوضع موضع
التحسر والتفجع نحو يا ويلتنا وجاز الابتدا بها وان كانت نكرة لان
فيها معنى الدعا **للذين يكتبون الكتاب** يعني المحرف وهم اليهود يكذبون
على الله ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزايغة **بايديهم** تاكيد
بان الكتابة لا تكون الا باليد لافادة تحقيق مباشرة ما حرفوه زيادة
على تقبيح فعلهم فهو مثل يقولون بافواههم ابن السراج بايديهم كناية
من انه من تلقايهم دون ان ينزل عليهم وان لم يكن حقيقة في كتب ايديهم
واول من كتب بالقلم وخط به ادريس وقيل ادم عليهما السلام **ثم**
يقولون هذا من عند الله ليشتروا اى ليستبدلوا **به ثمنا قليلا** من
متاع الدنيا ووصفه بالقلة اما لفنايه وعدم ثوابه واما لكونه
حراما لان الحرام لا بركة فيه وذلك انه لما درس الامر فيهم وساءت
رغبة علمايهم واقبلوا على الدنيا حرصا وطمعا طلبوا اشياء تصرف
وجوه الناس اليهم فاحدثوا في شريعتهم وبدلوها والحقوا ذلك بالتوراة
وقالوا لسفهايهم هذا من عند الله ليقبلوها عنهم وتتاكد رياستهم
وينالوا بها حطام الدنيا وكان مما احدثوه ان قالوا ليس علينا في
الاميين سبيل وهم العرب اى ما اخذناه من اموالهم فهو حل لنا وقولهم
لا يضرنا ذنب فنحن ابناء الله واحباؤه وانما كان في التوراة يا احباري

ويا ابنا

ويا ابناء رسلي وتغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم وغير
ذلك **فويل لهم مما كتبت ايديهم** من المختلق **وويل لهم مما يكسبون** من
الحرام والرشا وكرر الويل تغليظا لفعلهم وكتابة المصحف وبيعه امر
مرخص فيه واخذ الاجرة على كتابته جايز الاية ذم لمن حرف فقط **وقالوا**
اى اليهود لما وعدهم النبي بالنار **لن تمسنا النار** اى تصيبنا والمس اتصال
الشي بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال
المسه فلا اجده **الا اياما معدودة** محصورة قليلة اربعين يوما عدة
عبادة العجل وقال هنا معدودة وفي ال عمران معدودات اشارة الى الجمع
بين الاصل والفرع اذ الاصل في الجمع بالالف والتا اذا كان واحده مذكرا
ان يقتصر في الوصف على تانيثه مفردا كقوله سرر مرفوعة وقد ياتي
سرر مرفوعات فذكر في البقرة على الاصل وفي ال عمران على الفرع قاله
البكري وروي ان بعضهم قال مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما
نعذب مكان كل الف سنة يوما **قل** يا محمد **اتخذتم** هي الف استفهام
دخلت على الف الوصل فبقيت التي للاستفهام وحذفت الاخرى استغنا
بالمذكورة **عند الله عهدا** موثقا بذلك او عهدا بالتوحيد فامنتم
واطعتم فتستوجبون بذلك الخروج من النار او هل عرفتم ذلك بوحيه
الذي عهد اليكم **فلن يخلف الله عهده** به ودلت لن على تابيد النفي من
حيث تفضل الله بانه لا يخلف عهده لا من حيث وضعها وهو جواب
شرط مقدر اى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه
دليل على ان الخلف في وعده محال **ام تقولون على الله ما لا تعلمون** من الكذب
فام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين كاين على سبيل التقرير

للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع
بلى اثبات لما نفوه من مس النار لهم والمعنى بل تمسكم النار وتخلدون
فيها وبلى حرف استدراك مثل لكن يراد به نفي الخبر الماضي واثبات الخبر
المستقبل واوضح ما قيل فيها انها ان كانت بعد نفي كانت ردا له كان يقول
شخص لاخر ما لك علي شي فيقول بلى اي لي عليك وسوا كان قبل النفي استفهام
ام لا كما سياتي في الست بربكم وان كانت بعد ايجاب لم تؤثر في نفيه
من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما
يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطا والكسب
استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم
والسيئة هنا الشرك قال ابن جريج قلت لعطا من كسب سيئة قال
الشرك وتلا ومن جا بالسيئة فكبت وجوههم في النار وبه قال الحسن وقتادة
قالا والخطيئة الكبيرة واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت
احواله حتى صار كالمحاط بها وهذا انما يصح في شان الكافر لان غيره ان لم
يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك
فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه
استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى
تستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى
المعاصي معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه منه مكذبا لمن ينصحه
فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساوا السوآى ان كذبوا بايات الله
وقرئ خطيئاته بالجمع والتوحيد وهو في مثل هذا يفيد الجمع فاوليك
اصحاب النار ملازموها في الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا
هم

هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة
فيها على خلود صاحب الكبيرة لان المعلق على شرطين لا يتنجز باولهما
وروعي في جمع الضمير معنى من والذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه ان يشفع وعده
بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وذكر هولآء في مقابلة هولآء لتعظيم
حسرة الكفار وبهجة المومنين وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه
عن مسماه واذكر واذ اخذنا ميثاق بني اسرآيل في التوراة وقلنا لا تعبدون
بالياء من تحت لانهم غايبون وقرئ بالتاء للخطاب على ارادة حكاية الحال
والمعنى ان لا تعبدوا فحذفت ان فصار الفعل مرفوعا وهو خبر بمعنى النهي
كقوله تعالى ولا يضآر كاتب ولا شهيد واتي به كذلك لما فيه من ايهام ان
المنهي لما سارع الى الانتها وهو الكف فورا استحق الاخبار عنه الا الله العظيم
المنفرد بالالهية وعبادة الله اثبات توحيده وتصديق رسله والعمل بما
انزل في كتبه وبالوالدين احسانا اي وامرناهم ان يحسنوا بالوالدين احسانا
وقرن الله تعالى حق الوالدين بالتوحيد لان النشاة الاولى من عند الله
والنشو الثاني وهو التربية من جهة الوالدين والاحسان لهما معاشرتهما
بالمعروف والتواضع لهما وامتثال امرهما الا فيما نهى الله تعالى عنه والدعا
بالمغفرة بعد موتهما حيث يجوز شرعا وصلة ذويهما وذي القربى عطف
على الوالدين وهو مصدر كالرجعى والعقبى اي وامرناهم بالاحسان الى
القربى بصلة ارحامهم واليتامى جمع يتيم وهو صغير لا اب له من بني ادم
ومن البهايم من لا ام له قبل ومن الطير من فقد واحدا منهما واصله
الانفراد يقال درة يتيمة ليس لها نظير والمساكين جمع مسكين وهو هنا

الفقير مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه **وقولوا للناس حسنا** قرئ
بفتحتين وبضم الحا وسكون السين وهما بمعنى اي قولوا حسنا او ذا حسن
وهما لغتان كالرشد والرشد وسماه حسنا للمبالغة ابن جريج حسنا
صدقا في امر محمد صلى الله عليه وسلم فلا تغيروا نعته الثوري مروهم
بالمعروف وانهوهم عن المنكر ابن عباس قولوا لا اله الا الله وقال
ابو العالية قولوا لهم الطيب من القول وجازوهم باحسن ما تحبون
ان تجازوا به وهذا كله حض على مكارم الاخلاق فينبغي للانسان ان
يكون قوله للناس لينا ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر من غير
مداهنة وقد قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا وهذا
مع فرعون فكيف مع غيره والمراد ما فيه ارشاد **واقيموا الصلاة**
واتوا الزكاة اي ما فرض عليهم في ملتهم ففعلتم ذلك **ثم توليتم** اي
اعرضتم وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب من كان في زمن محمد
صلى الله عليه وسلم لانه فائدة سوق الاية واسند اليهم تولي اسلافهم
اذ هم كلهم بتلك السبيل في اعراضهم عن الحق مثلهم **الا قليلا منكم**
يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم
كعبد الله بن سلام واصحابه والمستثنى عند سيبويه منصوب لانه
مشبه بالمفعول وقيل مفعول على الحقيقة والمعنى استثنيت قليلا
وانتم معرضون عنه اي انتم قوم من عادتكم الاعراض عن الوفا والطاعة
كآبائكم واصله الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض وهو والتولي واحد
وانما جمع بينهما لان قوله وانتم معرضون حال من فاعل توليتم فهي مؤكدة
او مؤسسة والمعنى توليتم عن الوفا وانتم معرضون عن النظر والفكر
في

في عاقبة ذلك وقيل التولي بالجسم والاعراض بالقلب **واذ اخذنا ميثاقكم**
وقلنا **لا تسفكون دماءكم** اي لا يسفك بعضكم دماء بعض والسفك
اراقة الدم اما مباشرة او تسببا ولا تسفكون مثل ولا تعبدون في
الاعراب **ولا تخرجون انفسكم من دياركم** اي لا يخرج بعضكم وانما جعل
قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا ولانه يوجبه
قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من
دياركم وقيل لا تؤذوا الجار فيخرج فالمتسبب كالفاعل وقيل لا تفعلوا
ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل في الحقيقة فلا
تقترفون ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلا الحقيقي ه
والنفس ماخوذة من النفاسة فنفس الانسان اشرف ما فيه والدار
المنزل فيه ابنية المقام بخلاف منزل الارتحال الخليل كل موضع حله
قوم فهو دار لهم وان لم يكن فيه ابنية قيل سميت دارا لدورها على
مكانها كما يسمى الحائط حائطا لاحاطته على ما يحويه **ثم اقررتم** اي
التزمتم بذلك واعترفتم به **وانتم تشهدون** بذلك على انفسكم
وهو من الشهادة او شهداء بقلوبكم على هذا وقيل الشهادة بمعنى الحضور
اي وانتم تحضرون سفك دمائكم واخراج انفسكم من دياركم وقيل وانتم
ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار
اليهم مجازا **ثم** عاطفة **انتم هؤلاء** استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق
والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدا وهؤلاء خبر على معنى انتم
بعد ذلك هؤلاء الناقضون وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا
وباعتبار ما سيحكي عنهم غيبا وقوله **تقتلون انفسكم** اي يقتل بعضكم

بعضا وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة
او بيان لهذه الجملة وقيل المعنى يا هولا وقيل غير ذلك تظاهرون
عليهم قرئ بتا موحدة وتشديد الظا اى تتظاهرون فادغمت التا
فى الظا وقرئ بتخفيف الظا حذفا لتا الفعل وابقا لتا الخطاب اى تتعاونون
جميعا والظهير العون بالاثم اى بالمعصية الذى يستحق عليه صاحبه
الذم والعدوان الظلم واصله الافراط والتجاوز فيه وان ياتوكم
اسارى قرئ بفتح الهمزة واسكان السين على انه جمع اسير كجريح وجرحى
وقرئ بضم الهمزة والف بعد السين على انه جمع اسرى كسكرى وسكارى
~~وان ياتوكم اسارى قرئ بفتح الهمزة واسكان السين على انه جمع اسير~~
تفدوهم بالمال لانقاذهم وقرئ تفادوهم بضم التا وبالالف بعد
الفا اى تبادلوهم اسيرا باسير وقيل معناهما واحد روى ان قريظة
كانوا حلفا الاوس والنضير حلفا الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل
فريق حلفاه فى القتل وتخريب الديار واجلا اهلها واذا اسروا من الفريقين
جمعوا له حتى يفدوه وكانوا اذا قيل لهم لم تقاتلونهم وتفدونهم
قالوا امرنا بالفدا فيسالون لم تقاتلونهم فيقولون قاتلناهم حيا
ان يستذل حلفاونا وسبقت الاية كذلك من اجل ان الله تعالى امر
بنى اسرايل بفادات اسراهم وترك القتل والاخراج من الدور فخالفوا
فى الاخيرين ووافقوا فى الاول فذمهم الله لذلك ولذا قال وهو محرم
عليكم اخراجهم متعلق بتخرجون فريقا وما بينهما اعتراض والضمير
مبتدا وهو كناية عن الاخراج ومحرم خبره واخراجهم بدل منه هو
وان شيت كان كناية عن الحديث والقصة والجملة بعده خبره اى

والام

اى والامر محرم عليكم اخراجهم افتومنون ببعض الكتاب وهو الفدا
والكتاب التوراه وتكفرون ببعض وهو ترك القتل والاخراج والمظاهرة
فما جزا من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا كقتل قريظة
وسبيهم واجلا بنى النضير وضرب الجزية واصل الخزى ذل يستحيى منه
ولذلك يستعمل فى كل منهما وهو هنا العذاب والهوان ويوم القيامة
يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وهو عذاب النار
وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اى الله سبحانه بالمرصاد
لا يغفل عن افعالهم وقرئ بالبا من اسفل اى بنى اسرايل وبالتا الخطاب
لمناسبة قوله منكم اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة
اثروا الفانى على الباقى فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الخزى والجزية
فى الدنيا والتعذيب فى الاخرة ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله
ولقد اتينا موسى الكتاب التوراة وقفينا اى اتبعنا والتقفيه
الاتباع والارداف ماخوذ من اتباع القفا وهو موخر العنق تقول
استقفيته اذا جيت من خلفه من بعده بالرسل اى رسلنا
على اثره الرسل اخرج ابن عساكر عن ابن عباس فى قوله وقفينا من
بعده بالرسل يعنى رسولا يدعى شمويل بن بابل ورسولا يدعى
منشايل ورسولا يدعى شعيا ورسولا يدعى حزقيل ورسولا
يدعى ارميا وهو الخضر ورسولا يدعى داود وهو ابو سليمان الى اخره
فكل رسول جا بعد موسى فانما جا باثبات التوراة والامر بلزومها
الى زمن عيسى وقرئ رسُل ورسْل لغتان وسوا كان مضافا او غير
مضاف وابو عمرو بخففه اذا اضيف الى حرفين ويثقل اذا اضيف

الى حرف واحد **واتينا** اعطينا **عيسى بن مريم البينات** المعجزات الواضحات
كاحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقيل
الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم **وايدناه** قويناه
بروح القدس هو من اضافة الموصوف الى صفته اى الروح المقدسه
قيل هو جبريل لطهارته يسير معه حيث سار فال البخاسر وسمى
جبريل روحا لانه كان بتكوين الله تعالى له روحا من غير ولادة والد
ولذلك سمى عيسى وقيل هو روح عيسى ووصفها بالطهارة عن مس
الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه
الاصلاب والارحام الطوامث وقيل هو الاسم الاعظم الذى كان
يحيى به الموتى وقيل الانجيل وسمى روحا كما سمى الله القران روحا
وقال مجاهد القدس هو الله عز وجل وقرى بضم الدال واسكانها لغتان
افكلما وسطت الفا بين الهمزة وما دخلت عليه توبيخا على فعلهم القبيح
او تعجيبا من شانهم **جاكم رسول بما لا تهوى انفسكم** اى بما لا تحبه يقال
هوى بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط وحذفت
الها لطول الاسم اى بما لا تهواه واصل الهوى الميل الى الشى وسمى
الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه الى النار ولذلك لا يستعمل في الغالب
الا فيما ليس بحق كما فى هذه الاية وقد يستعمل فى الحق ومنه قول عمر
رضى الله عنه فى اسارى بدر فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت وقول عايشة للنبى صلى الله عليه وسلم
ما ارى ربك الا يسارع فى هواك اخرجهما مسلم **استكبرتم** اى تكبرتم
او طلبتم الكبر عن الايمان واتباع الرسل وهو جواب كلما ومحل الاستفهام

فريقا

ففريقا منهم **كذبتم** كموسى وعيسى والفا السببية او للتفصيل **وفريقا**
تقتلون كزكريا ويحيى وذكر بلفظ المضارع حكاية للحال الماضية
لاستحضار بشاعتها ومراعاة للفواصل او المعنى انتم عازمون على ذلك
فى محمد لكن عصمته منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة **وقالوا**
اى اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم استهزا **قلوبنا غلف** مغشاة
باغطية خلقية فلا يصل اليها ما جيت به ولا تفقه ما تقول مستعارا
من الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله غلف بضم اللام جمع غلاف فخفف
بالاسكان اى هى اوعية للعلم لا تسمع علما الا وعته فلا تحتاج الى علمك
قال الله **بل لعنهم الله** ردا لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكين
من قبول الحق ولكن الله خذلهم عن قبول الحق ولكن الله خذلهم عن القبول وطردهم
عن رحمته **بكفرهم** اى بسببه فابطل استعدادهم وانما لم تاب قبول ما يقول
الحق فيه بل لان الله تعالى خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم
وهذا هو الجزا على الذنب بالذنب اعظم منه او هم كفرة ملعونون فمن
اين لهم دعوى العلم والاستغنا **فقليلا ما يومنون** قليلا نصب بمصدر
محذوف اى فايمانا قليلا يومنون وما صلة للمبالغة فى التقليل وهو
ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم كقولك لغيرك
ما اقل ما تفعل اى لا تفعله ابدا قال بعضهم لا يجوز ان تكون ما مصدرية
لانه كان يجب رفع القليل ولا ان تكون نافية لان ما النافية لا يعمل فيما قبله
كهمزة الاستفهام **ولما جاهم كتاب من عند الله** يعنى القران **مصدق**
لما معهم من كتابهم التوراة والانجيل يخبرهم بما فيهما وجواب لما محذوف

دل عليه جواب لما الثانية **وكانوا من قبل** اى قبل نزول هذا القران
المصدق **يستفتحون** اى يستنصرون وفى الحديث كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين اى يستنصر بدعائهم والنصر
فتح شىء مغلوق **على الذين كفروا** من المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبى
اخر الزمان المنعوت فى التوراة ابن عباس كان يهود خيبر تقاتل غطفان
فلما التقوا هزمت يهود فعاذت يهود بهذا الدعا وقالوا اللهم
انا نسالك بحق النبى الامى الذى وعدتنا ان تخرجه لنا فى اخر الزمان
الا نصرتنا عليهم قال فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعا فهزموا غطفان
فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كفروا وقيل المعنى كانوا يفتحون
عليهم ويعرفونهم يقولون ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه ياتى
بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم والسين للمبالغة
فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو بعثة النبى صلى الله عليه وسلم **كفروا به**
حسدا او خوفا على الرياسة التى لا يجيبها كامل الايمان وكرر فلما جاءهم
لطول الكلام خشية تناسى الاول وتطرية له وتجديدا للعهد **فلعنة الله**
على الكافرين اللام للعهد اى عليهم ووضع المظهر موضع المضمر اشارة
الى ان اللعنة بسبب الكفر او هى للجنس وهم اولى من دخل فيه لذكرهم
وقبح كفرهم **بيس ما اشتروا به انفسهم** ما نكرة بمعنى شيا مميزة لفاعل
بيس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا اى بيس الذى اختاروا
لانفسهم حتى استبدلوا الباطل بالحق والكفر بالايمان وانما فعلوا ذلك
بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا
ابن

ابن عباس باعوا نصيبهم من الاخرة بطمع يسير فى الدنيا **ان يكفروا بما**
انزل الله هو المخصوص بالذم **بغيا** طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو مفعول
لاجله وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل واصل البغى الفساد
وقيل اصله الطلب **ان ينزل** بالتخفيف والتشديد **الله** هو فى موضع نصب
اى لان ينزل الله وتكرير الاسم الاعظم فيه ردع لهم وتوبيخ وتقبيح لحالهم
بمخالفة الملك العظيم **من فضله** يعنى الوحى **على من يشا** للرسالة **من عباده**
وهو محمد وغيره ممن اختاره للرسالة **فباوا** اى رجعوا واكثر ما يقال
فى الشر **بغضب على غضب** للكفر والحسد وقيل لعبادتهم العجل وكفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس عكرمة لانهم كفروا بعيسى ثم
بمحمد صلى الله عليه وسلم قتادة لكفرهم بالانجيل ثم بالقران وقيل
المراد تابيد الغضب وشدته لا انه اراد غضبين والتنكير للتعظيم
وغضب الله انتقامه وتقدم **وللكافرين عذاب مهين** اى مذل واهانته
لا مطهر بخلاف عذاب العاصى من المومنين اذ هو مطهر فقط كرجم
الزانى **واذا قيل لهم امنوا** اى صدقوا **بما انزل الله** يعم الكتب المنزلة
باسرها اى صدقوا بجميع الكتب وقيل بالقران **قالوا نومن بما انزل**
علينا اى بالتوراة قال تعالى **ويكفرون** الواو للحال **بما وراه** اى بما سواه
او بما بعده ووراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد
به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو
قدامه ولذلك عد من الاضداد **وهو الحق** حال والضمير لما وراه
والمراد به القران **مصدقا لما معهم** حال ثانية موكدة تتضمن رد مقالتهم
فانهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بما لا انشو

التوراة فقال قل فلم تقتلون اى قتلتم واصل لم لما حذفت الالف فرقا
بين الاستفهام والخبر انبيا الله من قبل اى قبل هذا ان كنتم مومنين
بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتلهم وخاطبهم به لرضاهم به وان كان
فعل اسلافهم ولانهم عازمون عليه وجا بلفظ الاستقبال وهو ماض
لما ارتفع الاشكال بقوله من قبل والمعنى ان كنتم معتقدين الايمان
فلم رضيتم بقتل الانبيا ولقد جاكم موسى بالبينات اى المعجزات كالعصا
واليد وفلق البحر وقيل بالايات التسع الاتية فى الاعراف وقيل بالتوراة
ثم اتخذتم العجل الها من بعده من بعد مجيه او ذهابه الى الميقات وثم ابلغ
فى التقريع من الواو اى بعد النظر فى الايات وهذا يدل على انهم انما فعلوا
ذلك بعد مهلة من النظر وذلك اعظم لجرمهم وانتم ظالمون بذلك
لوضعكم العبادة فى غير موضعها ويجوز ان يكون اعتراضا بمعنى وانتم
قوم عادتكم الظلم وهو ايضا ردة لقولهم نومن بما انزل علينا او للتنبيه
على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى لا لتكرير القصة
واذ اخذنا ميثاقكم على العمل بما فى التوراة وقد رفعنا فوقكم الطور
اى الجبل حين امتنعتم عن قبولها وقلنا خذوا ما اتيناكم بقوة بجد
وعزم على العمل واسمعوا ما تومرون به سماع طاعة وليس المراد الامر
بادراك القول فقط قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك قيل صدر
منهم هذا القول حقيقة باللسان وفعلوا فعلا قام مقام القول
فيكون مجازا وهو ايضا احتجاج عليهم فى قولهم نومن بما انزل علينا
واشربوا فى قلوبهم العجل اى حب العجل اى جعلت قلوبهم تشربه وهذا
تشبيه ومجاز عبارة عن تمكن امر العجل فى قلوبهم كاشراب اللون الثوب
ومن

ومنه يقال فى الوصف مشرب اللون اى مختلط البياض بالحمرة والمعنى
ان حب العجل والحرص على عبادته داخلهم كما داخل الثوب الصبغ وفى الحديث
تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فايما قلب اشربها نكت
فيه نكتة سودا الى اخره خرجه مسلم وانما عبر عن حب العجل بالشرب
دون الاكل لان شرب الما يتغلغل فى الاعضا حتى يصل الى باطنها والطعام
مجاورها غير متغلغل بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة
او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سول لهم السامرى
قل بيس ما شيا يامركم به ايمانكم اى بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف
تقديره عبادة العجل ونحوه واضاف الامر الى الايمان تهكما بهم ان كنتم
مومنين تشكيك فى ايمانهم وقدح فى صحة دعواهم له اى فلستم بمومنين
لفعلكم خلاف ما امرتم به فهو رد لادعا ابايهم الايمان وهم تبعوهم
فى الادعا باطلا فالزمهم ما لزمهم قل لهم ان كانت لكم الدار الاخرة
الجنة عند الله خالصة اى خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى ونصبها على الحال من الدار وان ثبت على خبر
كان من دون الناس اى باقيهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين فى دعواكم انها لكم لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها
واحب التخلص اليها من دار ذات الشوايب والاذى والمحن والبلايا كما قال
على كرم الله وجهه لا ابالى سقطت على الموت او سقط الموت على وقال
عمار يوم صفين الان الاقى الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين
احتضر جا حبيب على فاقة لا افلح من ندم والتمنى ارادة الشى وسواله
وتعلق تمنوا الشرطان على ان الاول وهو ان كانت قيد فى الثانى وهو

ان كنتم اي ان صدقتم في زعمكم ومن كانت له الدار الاخرة له يوثر الوصول اليها
سيما اذا علم انها له سالمة لا يشاركه فيها غيره والموصل اليها الموت فتمنوه
فاحجموا عن ذلك فرقًا من الله لقبح اعمالهم ومعرفتهم بكفرهم وحرصهم
على الدنيا ولهذا قال تعالى مخبرا عنهم **ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم**
من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم فهو تحقيق لكذبهم وايضا لو تمنوا الموت
لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ابن عباس فتمنوا الموت ادعوا بالموت
على الكاذب للفريقين منا ومنكم فما دعوا لعلمهم بكذبهم وابدا ظرف زمان
يقع على القليل والكثير كالحين والوقت وهو هنا من اول العمر الى الموت
وما موصول بمعنى الذي والعايد محذوف اي بما قدمته وتكون مصدرية
فلا تحتاج الى عايد ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة
لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة
والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالمغيب فان قيل ان التمني
يكون باللسان تارة وبالقلب اخرى فمن اين علم انهم لم يتمنوه بقلوبهم
قيل لو تمنوه بقلوبهم لاظهروه بالسنتهم ردا على النبي صلى الله
عليه وسلم وابطالا لحجته وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام
لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه
الارض يهودي ابكري ولم يقع التمني من احد منهم والتمني قول الانسان
ليت لي كذا ويكون في المستحيل والتحدي واقع بما يجري على الالسنة
لا بما في الضماير **والله عليم بالظالمين** بالكافرين وهو تهديد لهم وتنبيه
على انهم ظالمون **ولتجدنهم احرص الناس على حياة** من وجد بعقله
الجاري مجرى علم ومفعولاه هم واحرص واللام للقسم والنون للتوكيد
وتنكير

وتنكير حياة لانه اراد فردا من افرادها وهي الحياة المتطاولة ولحرص
لا يكون على الماضي ولا على الحاضر **ومن الذين اشركوا** اي واحرص من
الذين اشركوا اذ ذكروا وان دخلوا تحت عموم الناس مبالغة في الذم
لان المشركين عظم حرصهم لانهم لا يعرفون الا الحياة العاجلة لانكارهم
البعث فهولاء اشد حرصا لانهم مقرون بالجزاء فدل ذلك على علمهم
بانهم صايرون الى النار والضمير في احدهم في قوله **يود احدهم** على هذا
يعود على اليهود وقيل ان الكلام تم في حياة ثم استونف لاخبار
عن طايفة من المشركين قيل هم المجوس الحسن هم مشركو العرب ومعنى
يود يريد ويتمنى **لو يعمر الف سنة** اما حقيقة والمقصود المبالغة
في الحياة وخص الالف بالذكر لانه نهاية العقد في الحساب ولو مصدرية
بمعنى ان وهي مع صلتها مفعول يود **وما هو** اي وده لذلك العمر ويجوز
ان يكون الضمير لاحدهم **بمزحزحه من العذاب** بالنار **ان يعمر** فاعل
مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره اي طول عمره ۵
والزحزحة التبعيد **والله بصير بما يعملون** فيجازيهم والبصير في
كلام العرب العالم بالشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالطب وبصير
بالفقه وبصير بملاقاة الرجال الخطابي البصير العالم والبصير ۵
المبصر ووصف نفسه تعالى بانه بصير على معنى انه عالم بخفيات الامور
قل من كان عدوا لجبريل نزلت في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى
الله عليه وسلم او سال عمر عمن ياتي بالوحي من الملايكة فقال جبريل فقال
هو عدونا ياتي بالعذاب ولو كان ميكاييل لامنا به لانه ياتي بالخصب والسلامة
وقيل ان عمر دخل مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذلك

عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل
صاحب الخصب والسلامة فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل
عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون
فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو
لله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال صلى الله عليه وسلم
لقد وافقك ربك يا عمر **فانه نزله** الضمير الاول لجبريل والثاني
للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط
شهرته لم يحتج الى سبق ذكره وقيل المعنى ان الله نزل جبريل **على قلبك** خص
القلب بالذكر لانه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف فان قيل
مقتضى الظاهر ان يقول على قلبي قيل جاءت على حكاية كلام الله كانه
قال قل ما تكلمت به ودلت الاية على شرف جبريل وذم معاديه **باذن الله**
بامره وتيسيره **مصدقا لما بين يديه** اي قبله من الكتب **وهدى** من
الضلال **وبشرى** بالجنة **للمومنين** وجواب الشرط اما محذوف اي فليمت
غيظا او فانه الى اخره والمعنى عليه من عادى جبريل فقد خلع نفسه عن
الدين لان سبب العداوة ما ذكر من نزوله بالقران ومن كره ذلك فقد
كفر فاقيم ما ذكر من العلة مقام الجواب او التقدير من كرهه فلانه
نزله الى اخره **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل** قرئ بكسر الجيم
وبفتحها بلا همز وبه **وميكال** وقرئ وميكائيل عطف على الملائكة من عطف
الخاص على العام وفائدته التنبيه على فضله حتى كانه ليس من جنس
العام تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات وخص جبريل
بالذكر ردا على اليهود في دعوى عداوته وضم اليه ميكائيل لانه ملك الرزق

الذي

الذي هو حياة الاجساد كما ان جبريل ملك الوحي الذي هو حياة القلوب
والارواح تفخيما لشانهما وقيل لان اليهود ذكروهما ونزلت الاية بسببهما
فذكرهما واجب لئلا يقول اليهود انا لم نعاد الله تعالى وجميع ملائكته
فنص الله تعالى عليهما لابطال ما بيناه ولونه من التخصيص **فان الله عدو**
للكافرين عداوة الله للعبد معصيته واجتناب طاعته او معادات
اوليائه وعداوة الله للعبد انتقامه واظهار اثر العداوة عليه وجبريل
وميكائيل اسمان اعجميان قال الماوردي احدهما عبد الله والاخر عبيد الله
وزاد بعضهم واسرافيل عبد الرحمن واقام الظاهر مقام المضمر في قوله
للكافرين اشارة الى ان العذاب بسبب الكفر وان عداوة الملائكة
والرسل كفر **ولقد انزلنا اليك** يا محمد **ايات بينات** حال اي دلالات
واضحات **وما يكفر بها الا الفاسقون** اي الخارجون عن الطاعة
تمردا والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز
عن حده ونزلت في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جئت بشيء نعرفه وما انزلت عليك من اية فنتبعك ذكره الطبري
او كلما عاهدوا الله **عهدا** الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف
التقدير اكفروا وكلما نصب على الظرف والمراد بالاية مالك بن ابي الصيف
كان قد قال والله ما اخذ علينا عهد في كتابنا ان نومن بمحمد ولا ميثاق
وقيل ان اليهود عاهدوا الله لئن خرج محمد لنومنن به ولنكونن معه على
مشركي العرب فلما بعث كفروا به وقيل عاهدوا النبي ان لا يعاونوا عليه
المشركين قال عطاء هي العهود التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم
وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير **نبذه فريق منهم** نبذه جواب

كلما والنبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى والمعنى نقضه ومحل الاستفهام
الانكاري نبذ اذ المنكر عليهم النبذ لا المعاهدة وانما قال فريق لان
بعضهم لم ينقض بل للانتقال اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق
هو الاقل وان من لم ينبذ جهارا فهو يؤمن به خفا ولما جاءهم رسول من
عند الله كعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم مصدق لما معهم من التوراة
نبذ جواب لما فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله المراد التوراة
لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها والكفر بالشي والتكذيب به
نبذ له السدي نبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت
وماروت وقيل كتاب الله القران وراء ظهورهم مجاز عن عدم الالتفات
اليه والاعتنا به وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرونه ولكنهم تركوا العمل
به وقال سفيان بن عيينه ادرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب
والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ كانهم لا يعلمون
انه من عند الله او لا يعلمون ما فيها من انه نبي حق وهو تشبيه بمن لا يعلم
اذ فعلوا فعل الجاهل فيجي من اللفظ انهم كفروا على علم واتبعوا عطف على
نبذ ما تتلوا الشياطين اي تلته واراد والحكاية الحال الماضية من كتب
السحر التي تقراها او تتعلمها وهو شامل لشياطين الجن والانس على ملك
سليمان اي على عهده وفي ايامه وكانت الشياطين دفنت السحر تحت كرسيه
لما نزع ملكه وقيل ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ويضمون الى
ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس
وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن يعلمون الغيب وان ملك سليمان
تم بهذا العلم وان ركوب الريح واستسخار الطيور والشياطين كان سحرا
فجمع

فجمع سليمان الكتب ودفنها فدل الشياطين عليها بعد موته فتعلمها الناس
ورفضوا كتب الانبيا وقال الكلبي كتبت الشياطين والنيرنجيات على
لسان آصف بن برخيا كاتب سليمان ودفنوه تحت مصلاه حين انتزع
الله ملكه ولم يشعر بذلك فلما مات استخرجوه وقالوا للناس انما
ملككم فتعلموه وسليمان هو ابن داود بن ايشا بن عويد بن باعر بن سلمون
ابن نحشون بن ياوب بن رام بن حضرون بن فارض بن يهوذ بن يعقوب
قال كعب كان سليمان ابيض جسيما جميلا خاشعا متواضعا وكان ابوه
يشاوره في كثير من اموره مع صغر سنه لوفور عقله ملك وهو ابن ثلاث
عشرة سنة ومات وله ثلاث وخمسون سنة وما كفر سليمان رد على
اليهود في قولهم ذكر محمد سليمان في الانبيا وما كان الا ساحرا او تبرئة
لسليمان اي ما فعل شيا مما نسب اليه من السحر ولم يتقدم في الاية ان احدا
نسب سليمان الى الكفر ولكن اليهود لما نسبته الى السحر وكان كفرا بمنزلة
صار بمنزلة من نسبه الى الكفر وفيه دليل على ان السحر كفر وهو كذلك ان
كان فيه اعتقاد الوهية كوكب ونحوه ولكن الشياطين كفروا باستعماله
يعلمون الناس اي بعض الناس السحر اغوا واضلالا والجملة حال من الضمير
ويجوز ان يكون في موضع رفع خبر ثان والسحر تمويه وتخييل وله تاثير
في قلب الاعيان كتاثير الشمس في زيبق عصي سحرة فرعون واصله
طلسم يبنى على تاثير خصايص الكواكب وتعظيم الشياطين ليسهلوا
ما عسر ومنه ما يكون كلاما يحفظ وقد يكون من عهود الشياطين ويكون
ادوية وادخنة قال الغزالي هو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر
وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة

الشخص المسحور ويرصد له وقت مخصوص في الطالع يقرن به كلمات
يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوسل بسببها الى الاستعانة
بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجرا الله تعالى العادة احوال
غريبة ويتولد منه نحو المرض والجنون والموت ويجب القصاص على من
قتل به اذا اعترف بذلك او اقر انه قتله بنوع فشهد شاهدان ان
هذا النوع يقتل غالبا واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة
الالات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته
سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما
انزل على الملكين ببابل عطف على السحر والمراد بهما واحد او على ما تتلوا
وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس ولا يدل ذلك
جواز تعلم السحر مطلقا لانه انما يجوز تعلمه ليجتنب وهما من الملايكة
ولا يلزم من التعليم عدم العصمة ان كان عن امتحان لا عن اعتقاد بدليل
النصيحة ولله ان يمتحن عباده بما شا كما امتحن بنهر طالوت ولهذا
يقول الملكان انما نحن فتنة وقيل ما نفي والواو للعطف على وما كفر
سليمان وذلك ان اليهود قالوا ان الله انزل جبريل وميكاييل بالسحر
فنفى الله ذلك وفي الكلام تقديم وتاخير والتقدير وما كفر سليمان
وما انزل على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل
هاروت وماروت فهما بدل من الشياطين وبابل لا ينصرف للتانيث
والتعريف والعجمة والمشهور انه بلد من سواد الكوفة سميت بذلك
لتبلبل الالسن بها حين سقط صرح نمرود وقيل غير ذلك هاروت وماروت
عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ومن جعل ما نافية

ابدلهما

ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وما روي انهما
مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة فحملتهما
على المعصية ثم صعدت الى السما بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله
من رموز الاوايل وحله لا يخفى عن ذوي البصاير وقيل هما رجلان سميا
ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراة الملكين بالكسر قال الحسن هما علجان
كانا ببابل ملكين وقيل هما داود وسليمان وضعف هذا القول
ابن العربي وعن علي قال الذي نزل على الملكين تعليم انذار من السحر لا تعليم
دعا اليه قال الزجاج وعليه اكثر اهل العلم وفي الحديث اتقوا الدنيا
فو الذي نفسي بيده انها اسحر من هاروت وماروت اي لانها تسحر بخدعها
وتكتم فتنتها وتدعوا الى التحاضض عليها والتنافس فيها والجمع لها
والمنع حتى تفرق بين المرء وبين طاعة الله وتاخذ بقلبه عن ابيه وعن القيام
بحقوقه وما يعلمان اي الملكان فهو من التعليم على بابه وقيل من الاعلام
فيعلمان بمعنى يعلمان وقد جا في كلام العرب تعلم بمعنى اعلم من احد
من زايدة حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان
من احد حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلا من الله فمن تعلم منا وعمل به
كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا يكفر باعتقاد جوازه
والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا
فيتعلمون منهما اي فهم يتعلمون والضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون
به اي بسببه بين المرء وزوجه بان يبغض كل الاخر وما هم اي المتعلمون
قيل السحرة وقيل اليهود وقيل الشياطين بضارين به اي بالسحر من
احد الا باذن الله اي بارادته وقضايه لان السحر وغيره من الاسباب

غير موثر بالذات بل بجعله تعالى وانكر معظم المعتزلة الشياطين والجن
ودل انكارهم على قلة مبالاتهم وركاكة ديانتهم وليس في اثباتهم
مستحيل عقلي وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على اثباتهم وحق
على اللبيب المعتصم بحبل الدين ان يثبت ما قضى العقل بجوازه ونص
الشرع على ثبوته قال تعالى ولكن الشياطين كفروا وقال ومن الشياطين
من يغوصون له وسورة الجن تقضي بذلك وفي الحديث ان الشيطان تجرى
من ابن ادم مجرى الدم وانكر هذا الخبر كثير من الناس واحالوا روحين
في جسد والعقل لا يحيل سلوكهم في الانس ويتعلمون ما يضرهم يعني
في الاخرة وان اخذوا به نفعا قليلا في الدنيا وقيل يضرهم في الدنيا
لان ضرر الساحر يعود عليه اذا عثر عليه لانه يودب ويزجر ويلحقه
شوم السحر ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين
وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد لام قسم علموا اي اليهود لمن اشتراه
اي استبدل واختار ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان
اللام لام الابتدا علقت علموا عن العمل ومن موصولة ماله في الاخرة
من خلاق اي نصيب في الجنة قال امية

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم ... الا سرابيل من قطر واغلال

ومن زايدة للتوكيد ولا تزاد في الموجب عند البصريين الزجاج
والخلاق لا يكاد يستعمل الا للنصيب في الخير ولبيس ما شروا اي
شيا باعوا به انفسهم اي الشارين حظ انفسهم من الاخرة ان تعلموه
حيث وجب لهم النار لو كانوا يعلمون امر ذلك بالتفكر وقبحه على
اليقين او حقيقة ما يصيرون اليه من العذاب ما تعلموه ولابنا في
هذا

هذا النفي لاثبات السابق اذ المثبت لهم العلم والمنفي عنهم العمل
لانه فايده العلم فاذا انتفى انتفى فتنزلوا منزلة الجهال ففيه دليل
على ان من علم ولم يعمل كالجاهل قال السكاكي وصفهم بالعلم على سبيل
التوكيد القسمي ثم نفاه اخرا عنهم لعدم جريهم على موجب العلم ولو انهم
اي اليهود امنوا بالرسول والكتاب واتقوا العقاب والسحر والكفر
وجواب لو حذف لدلالة لمثوبة من عند الله خير اي لاثيبوا مثوبة
فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة
والجزم بخيريتها لان لو لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا لانها بمنزلة
حرف الشرط وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل وتنكير المثوبة
لان المعنى لشي من الثواب خير وخير يكون افعل تفضيل وليس مرادا
هنا اذ لا خير في السحر فهو لبيان ان المثوبة فاضلة كما في قوله تعالى
افمن يلقى في النار خير او هو افعل تفضيل وخاطبهم تعالى على اعتقادهم
ان تعلم السحر خير نظرا منهم لحصول مقصودهم الدنيوي واللام للقسم
لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير لما اثروه عليه وسمي الجزا ثوابا
ومثوبة لان المحسن يثوب اليه يا ايها الذين امنوا لا تقولوا للنبي
صلى الله عليه وسلم راعنا وقولوا انظرنا واصل الرعي حفظ الغير
لمصلحته وكان المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا
اي راقبنا وتانّ بنا فيما تلقننا حتى نفهمه فلما سمعها اليهود سرّوا
بذلك لانهم كانوا اذا ارادوا تحميق رجل ينسبته للرعونة والحمق قالوا
له راعنا وقيل معناها عندهم اسمع لا سمعت فنهى الله المومنين عن
ذلك وامروا بما يفيد تلك الفايده ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا

من الانظار اى امهلنا لنحفظ واول من فطن لذلك سعد بن معاذ لما
قالها اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم فزجرهم وكان يعرف لغتهم
فقال عليكم لعنة الله لين سمعتها من رجل منكم يقولها للنبى صلى الله
عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت الاية
ليلا يقتدى بها اليهود فى اللفظ ويقصدوا المعنى الفاسد واسمعوا
احسنوا الاستماع لما انزل عليكم من الرسول مع حسن الاتباع او اسمعوا
سماع قبول لا كسماع اليهود وللكافرين عذاب اليم اى مولم وهو النار
لقولهم للرسول صلى الله عليه وسلم ما قصدوا به الذم ما يود الذين
كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين من العرب نزلت تكذيبا لجمع من
الكفار يظهرون مودة المومنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود
محبة الشى مع تمنيه ومن للتبيين كما فى قوله تعالى لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين عطف على اهل الكتاب ان ينزل عليكم من خير
اى وحى من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتدا
والمعنى يحسدونكم والله يختص برحمته من يشا اى يستنبيه ويعلمه
الحكمة وينصره لا يجب عليه شى وليس لاحد عليه حق فلا عبرة بكراهتهم
باطنا نزول الخير عليكم وقال على بن ابى طالب يختص برحمته اى بنبوته
اى خص محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الرحمة القران وقيل الاية عامة
لجميع انواعها ورحمة الله لعباده انعامه عليهم وعفوه عنهم والله
ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده
ليس لضيق فضله بل لمشيته ما ننسخ من اية او ننساها نزلت لما قال
المشركون واليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم
بخلافه

بخلافه وقيل ان اليهود لما حسدوا المسلمين فى التوجه الى الكعبة وطعنوا
فى الاسلام بذلك وقالوا ان محمدا يامر اصحابه بالشى ثم ينهاهم عنه فما
كان هذا القران الا من جهته وهذا ينا قض بعضه بعضا فنزلت والنسخ
فى اللغة ابطال الشى وزواله واقامة اخر مقامه ومنه نسخت الشمس الظل
ازالته او النقل ومنه نسخ الكتاب نقل ما فيه وفى الشرع رفع الحكم الثابت
بخطاب اخر لولاه لبقى مع تراخيه عنه والناسخ فى الحقيقة هو الله ويسمى
الخطاب الشرعى ناسخا تجوزا اذ به يقع النسخ كما قد يتجوز فيسمى المحكوم فيه
ناسخا فيقال صوم رمضان ناسخ الصوم عاشورا ونسخ الاية بيان انتها
التعبد بقراتها او الحكم المستفاد منها او هما جميعا وانساوها اذهابها
من القلوب وقرى ننساها بفتح النون الاولى واسكان الثانية وفتح السين
وبعدها همزة ساكنة والمعنى نتركها بلا نسخ او نوخرها فى اللوح المحفوظ
وقرى بضم النون الاولى وكسر السين من غير همز ومعناها ننسها اى نمحها
من قلبك او نامر بتركها وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة على المفعولية
نات جواب الشرط بخير منها للعباد اما فى كونها اخف واكثر ثوابا او
مثلها فى التكليف وكثرة الاجر قال ابن الحصار ان قيل كيف يقع النسخ
الى غير بدل وقد قال تعالى ما ننسخ من اية او ننساها نات بخير منها او مثلها
وهذا اخبار لا يدخله خلف فالجواب ان كل ما ثبت الان من القران ولم
ينسخ فهو بدل مما قد نسخت تلاوته وكلما نسخه الله من القران مما لا نعلمه
الان فقد ابدله مما علمناه وتواتر الينا لفظه ومعناه الم تعلم ان الله
على كل شى قدير ومنه النسخ والتبديل فله رفع حكم والاتيان ببدله
بما هو مثله او احسن منه وله فى ذلك فضل عظيم والامر بيده فليس لغيره

الاعتراض ودلت الاية على جواز النسخ ووقوعه واحالته اليهود قالوا
انه من باب البدا وليس كذلك وانما يختلف الحكم باختلاف الاعصار
والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره ولا
يدل وجود النسخ على حدوث القران كما قالت به المعتزلة لان التغيير
من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القايم بالذات القديم الم تعلم
للتقرير كالاول وهو خطاب له صلى الله عليه وسلم وامته خصص
لتشريفه بالاقبال عليه ولانه اعلمهم ومبدا علمهم ان الله له ملك
السموات والارض اي بالايجاد والاختراع والملك والسلطان ونفوذ
الامر والارادة وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شي قدير او على
جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله اي من غيره
من ولي اي حفيظ ولا نصير اي مانع يمنعكم من عذابه ان اتاكم والفرق
بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون
اجنبيا عن المنصور ام تريدون ام معادلة لهمزة الم تعلم اذ المراد
الم تعلموا الى اخره ام تريدون التعنت المذكور في قوله ان تسالوا رسولكم
محمدا صلى الله عليه وسلم كما سئل موسى من قبل اي تقترحون بالسوال
كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام في قولهم ارنا الله جهرة وقيل
ام منقطعة بمعنى بل وتقدر همزة الاستفهام الانكاري قبل تريدون
اي بل اتريدون ومعنى الكلام التوبيخ قيل نزلت في اهل الكتاب حين
سالوا ان ينزل عليهم كتابا من السما وقيل في المشركين لما قالوا لن نومن
لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقروه ابن عباس سالوا ان ياتي بالله
والملايكة قبيلا مجاهد سالوا ان يجعل لهم الصفا ذهبا ومن يتبدل

الكفر بالايمان اي ياخذ الكفر عوضا عن الايمان بترك نظره في اياته
صلى الله عليه وسلم ويقترح غيرها فقد ضل اي اخطا سوا السبيل
اي وسط الطريق الذي هو الحجة الدينية ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا
ويودي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان ود
كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم وسمي منهم كعب بن الاشرف وحيي
ابن اخطب لو يردونكم اي ان يردونكم اذ لو تنوب عن ان في المعنى فقط
وهي هنا مصدرية من بعد ايمانكم كفارا اي مرتدين حسدا عليه ود
كاينا من عند انفسهم ويجوز ان يتعلق بيود اي تمنوا ذلك من عند
انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا
من اصل نفوسهم والحسد لا يكون الا من قبل النفس فذكر ذلك للتاكيد
كما قال يقولون بافواههم والحسد كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم
عليه وهو حرام لان فيه تسفيه الحق سبحانه وتعالى وانه انعم على من
لا يستحق وفي الحديث الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب من
بعد ما تبين لهم في التوراة الحق في شان النبي وصدق المومنين في اتباع
الرسول المبين نعته عندهم فاعفوا واصفحوا العفو ترك المواخذة
بالذنب والصفح ازالة اثره من النفس يقال صفحت عن فلان اذا اعرضت
عن ذنبه وقد ضربت عنه صفحا اذا اعرضت عنه وتركته وقيل
معنى الاية لا تعتبوا حتى ياتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب
الجزية عليهم او قتل قريظة واجلا بني النضير وقيل انزال العذاب عليهم
قيل وهو منسوخ باية السيف ان الله على كل شي قدير فيقدر على الانتقا
منهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر

والتجا الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير اي طاعة
كصلاة وصدقة تجدوه عند الله اي ثوابه وفي الحديث ان العبد اذا
مات قال الناس ما خلف وقالت الملايكة ما قدم ان الله بما تعملون
بصير فلا يضيع عنده عمل عامل وقرى بالياء فيكون وعيدا وقالوا اي يهود
المدينة ونصارى نجران لما تناظروا عند النبي صلى الله عليه وسلم لن
يدخل الجنة الا من كان هودا جمع هايد او نصارى لف قول الفريقين كما
في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا ثقة بفهم السامع وانما
سوغ الاجمال في اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى فلا يمكن ان
يقول احد الفريقين بدخول الفريق الاخر الجنة فوثقوا بالعقل في انه يرد كل
قول الى فريقه لامن اللبس وافرد كان وجمع هودا ردا للاول على لفظ
من وللثاني على معناها والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان
يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا تلك اي القولة
امانيهم اي اكاذيبهم وشهواتهم الباطلة من قولهم لن يدخل الجنة غيرهم
وان لا ينزل على المومنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا قل لهم يا محمد
هاتوا اي اقيموا واحضروا برهانكم اي حجتكم على دعواكم اختصاصكم
بدخول الجنة واصل هاتوا اهاتيوا حذفت الضمة لثقلها ثم اليا لالتقا
الساكنين والبرهان الدليل الذي يوجب اليقين قال الطبري طلب الدليل
هنا يقتضي اثبات النظر ويرد على من ينفيه ان كنتم صادقين في دعواكم
فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم
الجنة وتكذيب لهم اي ليس كما تقولون وقيل ان بلى محمولة على المعنى
كانه قيل اما يدخل الجنة احد فقيل بلى من اسلم ومعنى من اسلم وجهه لله
اي

اي اخلص نفسه او قصده وخص الوجه لانه اشرف الاعضا فغيره اولى
ولانه موضع الحواس وفيه يظهر العز والذل وقيل المراد اخلص عمله
وهو محسن في العمل او بالتوحيد فله اجره ثوابه الذي وعده على عمله
عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية
وخبرها ان كانت موصولة والفا فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد
بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من فاعل فعل مقدر
اي بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدار الاخرة
وعاد الضمير في وجهه وله على لفظ من وفي عليهم ويحزنون على المعنى
وقالت اليهود ليست النصارى على شي قايله منهم رافع بن حريملة
وقالت النصارى ليست اليهود على شي قايله رجل من نجران اي كل
ليس على امر يصح ويعتد به قال ابن عباس نزلت لما قدم وفد نجران المدينة
واتاهم احبار اليهود فتناظروا عند النبي صلى الله عليه وسلم وقالت
كل فرقة منهم للاخرى لستم على شي وكفرت اليهود بعيسى والنصارى بموسى
وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من
اهل العلم والكتاب وفي كتاب اليهود تصديق عيسى وفي كتاب النصارى
تصديق موسى كذلك اي مثل ما قالوا قال الذين لا يعلمون كتابا وهم
عبدة الاصنام والمعطلة مثل قولهم اي قالوا لكل ذي دين لستم على شي
وقيل امم كانت قبل اليهود والنصارى ونحوهم على المكابرة والتشبه
باهل الجهل فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ
ليس بشي فالجواب انهم لم يقصدوا ذلك وانما قصد كل فريق ابطال
دين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب

القبول والعمل به فالله يحكم بينهم اى بين الفريقين يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون من ذلك ومن غيره فللمحق الجنة ولغيره النار وقيل
حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم استفهام انكارى اى
لا احد اظلم ممن منع مساجد الله واحدها مسجد بكسر الجيم وفتحها لغة
ان يذكر فيها اسمه صلاة وتسبيحا وهو ثانى مفعولى منع ويجوز ان يكون
مفعولا له بمعنى منعها كراهية ان يذكر وتجوز ان يكون التقدير من ان
يذكر وحرف الخفض يحذف مع ان وسعى فى خرابها بتعطيلها من ذلك
او هدمها قيل نزلت فى بخت نصر لانه كان اخرب بيت المقدس والمعنى
فى ذلك التعجيب من فعل النصارى ببيت المقدس مع تعظيمهم له
وانما فعلوا ما فعلوا عداوة لليهود وبغضا لهم فاعانوا بخت نصر
على ذلك وروى ان هذا التخريب بقى الى زمن عمر والمعنى كيف تدعون
ايها النصارى انكم من اهل الجنة وقد خربتم بيت المقدس ومنعتم
المصلين من الصلاة فيه وقيل نزلت فى المشركين اذ منعوا المصلين
والنبى صلى الله عليه وسلم وصدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية
وجمع لانه قبلة المساجد او للتعظيم وقيل المراد ساير المساجد
الى يوم القيامة القرطبى وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع
فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الاشخاص ضعيف انتهى وقد
استشكلت هذه الاية كما استشكل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فمن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها الى غير ذلك من الايات ووجهه
ان المراد بالاستفهام هنا النفى والمعنى لا احد اظلم فيكون خبرا واذا
اخذت الايات على ظواهرها ادى الى التناقض واجيب باوجه
منها

منها ان تخصيص كل موضع بمعنى صلته اى لا احد من المانعين اظلم ممن
منع مساجد الله ولا احد من المفترين اظلم ممن افترى على الله وكذا باقيها
واذا تخصص بالصلات زال التناقض ومنها ان نفى الاظلمية لا يستدعى
نفى الظالمية لان نفى المقيد لا يدل على نفى المطلق واذا لم يدل لم يلزم
التناقض لان فيها اثبات التسوية فى الاظلمية ثم لم يكن لاحد ممن وصف
بذلك يزيد على الاخر وصار المعنى لا احد اظلم ممن منع وممن افترى
ونحوها ولا اشكال فى تساوى هولاء فى الاظلمية كما اذا قلت لا احد
افقه منهم وقيل غير ذلك اولئك اى المانعون ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين اى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا
ان يجترئوا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المومنين
ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم فهو خبر بمعنى النهى عن تمكينهم من الدخول
فى المسجد او بمعنى الامر اى اخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها احد امنا فيمنع
الكفار من دخول الحرم عند الشافعى مطلقا ويجوز لهم دخول غيره من
المساجد لمصلحة باذن مسلم بالغ عاقل وجوز ابو حنيفة دخول الحرم
وغيره ومنع مالك مطلقا فى ساير المساجد لهم فى الدنيا خزى بالقتل
والسبى وضرب الجزية ولهم فى الاخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم وهو النار
ولما طعن اليهود فى نسخ القبلة او فى توجه المسافر فى نفله لجهة مقصده
نزل ولله المشرق والمغرب موضع الشروق والغروب والمراد جهتا الارض
كلها اى هما له ملك وما بينهما من الجهات والمخلوقات بالايجاد والاختراع
وخصهما بالذكر وبالاضافة تشريفا ولان سبب الاية اقتضى ذلك فاينما
تولوا تقصدوا بوجوهكم اى فى اى مكان فعلتم التولية فثم اى هناك

وجه الله اى الجهة التى امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان
وقيل الاية منسوخة بقوله وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ذكره
ابن عباس وكانه كان يجوز فى الابتدا ان يصلى المرء كيف شاء ثم نسخ وقال
قتادة الناسخ قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وقيل المعنى اذا منعتم
من دخول المسجد الحرام والتوجه الى الكعبة فصلوا فى اى جهة كانت اذ الارض
جعلت مسجدا وطهورا فحيثما صليتم فهو عالم بكم مطلع عليكم وقيل
المراد بالوجه الرضى اى فثم رضى الله وقيل نزلت الاية فيمن صلى بالاجتهاد
وعن ابن عمر انها نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة وقيل غير ذلك فالاية
نزلت فى سبب خاص فانا لو تركنا ومدلول اللفظ اقتضى ان المصلى لا يجب
عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضرا وذلك خلاف الاجماع ان الله واسع
اى غنى يعطى من سعة او واسع المغفرة او وسع عطاؤه كل شى او يوسع على
عباده فى دينهم ولا يكلفهم ما ليس فى وسعهم او انه يسع علمه كل شى عليم
بمصالح عباده واحوالهم فلا يعترض على ما قضى به وقالوا اتخذ الله ولدا
الضمير لليهود فى قولهم عزير ابن الله والنصارى فى قولهم المسيح ابن الله
والمشركى العرب فى قولهم الملائكة بنات الله وهو عطف على قوله وقالت
اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرا ابن عامر بغير واو وفى البخارى
قال قال الله تعالى كذبنى ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له
ذلك فاما تكذيبه اياى فزعم انى لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه
اياى فقوله لى ولد سبحانه تنزيها له عن ذلك فانه يقتضى التشبيه والحاجة
وسرعة الفنا الا ترى ان الاجرام الفلكيه مع امكانها وفنائها لما كانت
باقية ما دام هذا العالم باقيا لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان

والنبات

والنبات وعن طلحة بن عبيد الله قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن تفسير سبحان الله قال هو تنزيه الله عن كل سوء صححه الحاكم اى فهو برئ
من قولهم الكاذب وهو منصوب على المصدر بل له ما فى السموات والارض
رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق من فى السموات والارض
الذى من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون اى طايعون لكل ما يراد
منه وقيل مقرون بالعبودية واصل القنوت القيام ومنه الحديث
افضل الصلاة طول القنوت فالخلق قايمون بالعبودية اما اقرارا واما
ان يكونوا على خلاف ذلك فاثر الصنعة بين عليهم وما كان كذلك
لا يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان
يجانس والده وانما جا بما الذى لغير اولى العلم وقال قانتون على تغليب
اولى العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه اى كل ما فيهما
واحتج الفقها على ان من ملك ولده عتق عليه على انه تعالى نفى الولد باثبات
الملك وذلك يقتضى تنافيهما بديع السموات والارض اى مخترعهما لا على
مثال سبق واذا ابدع الكل تنزه عن ان ينفعل اى يوجد عنه انفصال اذ
الولد عنصر الولد المنفصل بانفصال مادة عنه واذا قضى امرا اى اراد
ايجاده او اتقنه او احكمه والقضا اتمام الشى قولا لقوله تعالى وقضى ربك
او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات فانما يقول له كن فيكون من كان
التامة اى احدث فيحدث خاطبه وان كان معدوما لتنزيله منزلة
الموجود لتحقق وجوده وليس المراد حقيقة الامر والامتثال بل ضرب مثل
لحصول ما تعلقت به ارادته تعالى بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا
توقف قال ابن عطية وتلخيص المعتقد فى هذه الاية ان الله عز وجل

لم يزل آمرا للمعدومات بشرط وجودها قادرا مع تاخر المقدورات عالما
مع تاخر المعلومات فكل ما في الاية يقتضي الاستقبال فهو بحسب المامور
او المحدثات يجي بعد ان لم تكن وكلما يستند الى الله تعالى من قدرة
وعلم فهو قديم لم يزل والمعنى الذي يقتضيه عبارة كن هو قديم قايم بالذات
واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمه كانوا
يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر
والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة
فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قايله ومنع منه مطلقا حسما
لمادة الفساد وقرى فيكون بالنصب جوابا باعتبار اللفظ الامر وقرى
بالرفع على الاستيناف قال سيبويه اى فهو يكون او فانه يكون وقيل
هو معطوف على يقول وقال الذين لا يعلمون من جهلة المشركين من العرب
او المتجاهلون من اهل الكتاب للنبي لولا يكلمنا الله اى هلا يكلمنا كما
يكلم الملايكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك
والاية الدلالة والعلامة كذلك اى كما قال هولا قال الذين من قبلهم
من كفار الامم السالفة لانبيايهم مثل قولهم من التعنت وطلب الايات
نحو قولهم ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مايدة
من السما تشابهت قلوبهم في العمى عن الحق والعناد الفرا في اتفاقهم على
الكفر وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قد بينا الايات لقوم
يوقنون يطلبون اليقين او يوقنون بالحق لا تعتريهم شبهة وفيه
اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفا في الايات ولا لطلب مزيد يقين وانما
قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك يا محمد بالحق متلبسا مويدا به بشيرا
و

ونذيرا بالجنة والنار للمطيع والعاصي فلا عليك اصروا او كابروا ولا تسال
عن اصحاب الجحيم اى اهل النار اى لا نسالك ما لهم لم يومنوا بعد ان بلغت
وقال مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انزل الله باسه باليهود
لامنوا فانزل الله ولا تسال عن اصحاب الجحيم برفع تسال وقرى بفتح التاء
واسكان اللام اى لا تسال عن حالهم فيها لشدته فالنهي لتعظيم عقوبة الكفار
كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها
وقيل هو نهي للنبي صلى الله عليه وسلم عن السوال عن حال ابويه قاله ابن عباس
وفي كتاب التذكرة ان الله تعالى احيى له ابويه وامنا به والجحيم المتاجج من النار
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط
الرسول صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم اى ليس غرضهم يا محمد ما يقترحون
من الايات ان يومنوا بل لو اتيتهم بكل ما يسالون لم يرضوا عنك وانما
يرضيهم ترك ما انت عليه من الاسلام واتباعهم فاذا لم يرضوا عنك حتى
تتبع ملتهم فكيف يتبعون ملتك والملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده
في كتبه وعلى السنة رسله والملة والشريعة بمعنى واما الدين فقد فرق
بينه وبينهما بان الملة والشريعة ما دعى الله تعالى عباده الى فعله والدين
ما فعله العباد على امره قل ان هدى الله هو الهدى اى هدى الله الذى
هو الاسلام هو الهدى الحقيقي لا غيره مما يدعون هولا اليه ولئن لام قسم
اتبعت اهواهم اى اراهم الفاسدة التي يدعونك اليها فرضا والاهوا
جمع هوى وهو راى يتبع الشهوة ولما كانت مختلفة جمعت بعد الذى
جاك من العلم اى الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي يحفظك
ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لين الذين اتيناهم الكتاب

مبتدا قتادة هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا
القران وقيل هم مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام والكتاب
على هذا التوراة والاية تعم يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن
التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة وحق
منصوب على المصدر والخبر ما بعده او يتلونه خبر على ان المراد بالموصول
مومنوا اهل الكتاب وعن عمر هم الذين اذا مروا باية رحمة سالوها
من الله واذا مروا باية عذاب استعاذوا اولئك يومنون به بكتابهم
لعلمهم به وقيل نزلت في جماعة قدموا من الحبشة واسلموا ومن يكفر به
اي بالكتاب المنزل بتحريفا وغيره فاولئك هم الخاسرون لمصيرهم الى
النار المويدة عليهم حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرايل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين في زمانكم واتقوا
اي خافوا يوما لا تجزي لا تغني نفس عن نفس فيه شيا تكرر مع نظيره قيل
مبالغة في النصح او لوقوع كل منهما في مقابلة قصة تقتضي تنبيها
ووعيدا ولا يقبل منها عدل اي فدا ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
اي يمنعون من العذاب ولا تكرار في ذكر الشفاعة لانه نفى هناك قبول الشفاعة
منها ونفى هنا نفعها من الغير وقدم هناك عدم قبول الشفاعة منها
اشارة لصغارهم يوم القيامة التي ذكرت الاية عقبه فكان ابلغ في الذم
وقدم هنا عدم قبول العدل لانها ذكرت عقب الكفر بالقران اي لا ينفع
العدول عنه الى غيره فكان هذا العدول سببا لعدم قبول العدل ه
فتقديم كل في محله انسب وقيل الاشارة في الاية السابقة الى من ميله
الى حب نفسه اشد منه الى حب لمار وهنا الى من هو بعكس ذلك واذكر
اذ

اذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اي كلفه باوامر ونواه والابتلا في الاصل
التكليف بالامر الشاق من البلا لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة
الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما ولما جرى ذكر الكعبة والقبلة اتصل
ذلك بذكر ابرهيم عليه السلام فانه الذي بنى البيت فكان من حق اليهود
وهم من نسله ان لا يرغبوا عن دينه وابرهيم معناه بالعربية اب رحيم
قال الواقدي ولد ابرهيم على راس الفي سنه من خلق ادم وفي المستدرك
عن ابي هريرة اختتن ابرهيم بعد عشرين ومايه سنه ومات ابن مايتي
سنه وقيل مائة وخمس وسبعين حكاه النووي وغيره والكلمات جمع
كلمة ويرجع تحقيقها الى كلام الباري تعالى لكنه عبر عنها بالوظايف التي
كلفها ابرهيم عليه السلام ولما كان تكليفها بالكلام سميت به كما سمي
عيسى كلمه لانه صدر عن كلمة وهي كن فاتمهن اداهن كملا وقام بهن حق القيا
واختلف في تعيينهن فقيل هي شرايع الاسلام الثلاثون عشرة في براة
التايبون العابدون الى اخره وعشرة في المومنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون الى اخره وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى اخره
قال ابن عباس ما ابتلى الله تعالى احدا بهن فقام بها كلها الا ابرهيم ابتلى
بالاسلام فاتمه فكتب الله له البراة فقال وابرهيم الذي وفى وقيل
هي العشرة المطلوبة في الراس والوجه والبدن قص الشارب والمضمضة
والاستنشاق وفرق الراس والسواك ونتف الابط وحلق العانة
وتقليم الاظفار والختان والاستنجا بالما وقيل هي قوله اني جاعلك
للناس اماما الى اخر الايه وقيل بذبح ولده وقيل هي مناسك الحج
وقيل غير ذلك وفي الموطا وغيره عن سعيد بن المسيب ان ابرهيم عليه السلام

اول من اختتن واول من اضاف الضيف واول من استحد واول من قلم الاظفار
واول من قص الشارب واول من شاب لحيته وابتلا الله تعالى للعباد ليس
لتجديد علم له بحالهم بل لاعلام العباد احوالهم حتى يعرف بعضهم بعضا
ومما تقرر علم ان المراد بالكلمات مدلولها قال تعالى له انى جاعلك
للناس اماما قدوة يقتدون بك فى الدين فامامته عامة مؤبدة
اذ لم يبعث الله بعده نبيا الا كان من ذريته ومامورا باتباعه فى الجملة
ولذلك اجتمعت الامم على الدعوى فيه والامام اسم لما يؤتم به وهو على زنة
الازار اسم لما يؤتزر به قال ومن ذريتى اى ومن ذريتى يارب فاجعل ائمة وهو
عطف على الكاف كما تقول وزيد جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل
فعلية من الذر بمعنى الخلق والمراد بالذرية هنا الانبيا خاصة
وقد يطلق على الابنا والآبا ومنه انا حملنا ذريتهم اى اباهم قال لا ينال
اى يصيب عهدى بالامامة الظالمين الكافرين اى فبعضهم لا يستحق ذلك
وفيه تنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة
لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح للامانة وانما ينالها البررة
الاتقيا منهم وفيه دليل على عصمة الانبيا قبل البعثة وان الفاسق
لا يصلح للامامة وقيل المراد بالعهد الرحمة وقيل النبوة عن ابن عباس
مجاهد الامانة قتاده الايمان الضحاك دين الله وعن قتادة لا ينال
عهد الله فى الاخرة الظالمين واما فى الدنيا فقد نالها الظالم فامن به
واكل وعاش قال الزجاج وهذا قول حسن اى لا ينال امانى الظالمين اى
لا او منهم من عذابى واذ جعلنا البيت اى الكعبة وهو اسم غلب عليها
كالنجم للثريا مثابة للناس مرجعا ومعاذا او ملجا يثوب اليه اعيان

الزوار

الزوار او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وامنا اى محلا يامنون فيه
من الظلم والاغارة الواقعين فى غيره فلا يتعرض لاهله كما قال تعالى
حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم كان الرجل يلقى قاتل ابيه فيه
فلا يهيجه واذا التجا اليه لحد وعليه حق فان كان قتلا اخرج منه
واقيم عليه الحد لقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا البيت لا يعيذ
فارا بخربة اى سرقة وقيس عليها الباقى وقال ابو حنيفة من لجا الى الحرم
لا يقتل فيه ولا يعامل ولا يزال يضيق عليه حتى يموت او يخرج وقيل
المراد الامن لحاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله
وفى قوله امنا تاكيد للامر باستقبال القبلة اى ليس فى بيت المقدس هذه
الفضيلة ولا يحج اليه الناس واتخذوا قرئ بكسر الخا اى وقلنا ايها الناس
اتخذوا وقرئ بفتح الخا عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس الكعبة قبلة
او اتخذوه مصلى من مقام ابراهيم وهو الحجر الذى قام عليه عند بناء
البيت وفيه اثر قدميه مصلى اى مكان صلاة وقيل مدعى يدعى فيه
وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر وقال هذا مقام
ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى بريدا فلا نوثره لفضله بالصلاة
فيه تبركا بوطى قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى جابر انه عليه
الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى والخطاب لهذه الامة
واستدل به على ندب ركعتى الطواف خلف المقام وقيل مقام ابرهيم
الحرم كله وقيل مواقف الحج وقرئ ابراهام بالف بعد الهاء وقرئ ابرهيم

وهما لغتان فيه فالالف موافقة لاهله في العبريه وعهدنا الى ابرهيم
واسمعيل ولده قال النووي وهو اكبر اولاده اي امرناهما ووصيناهما
وقيل اوحينا اليهما قيل سمي اسمعيل لان ابرهيم كان يطلب الولد فيقول
اسمع ايل وايل هو الله بلغتهم اي استجب دعاي ان طهرا بيتي ان في موضع نصب
على تقدير حذف الخافض اي بان وقال سيبويه انها بمعنى اي مفسرة فلا
موضع لها من الاعراب ومعنى طهرا قيل من الاوثان والانجاس وما لا يليق
به وقيل من الكفار وقيل ابنياه واسساه على طهارة وقيل بخراه
وخلقاه واضاف البيت ليه تشريفا وتخصيصا اضافة مخلوق الى
خالق ومملوك الى مالك للطايفين فا على العبادة المخصوصة وقيل
الغربا والعاكفين المجاورين فيه وقيل اهل مكة والركع السجود جمع راكع
وساجد والمراد المصلون وخص الركوع والسجود بالذكر لانهما اقرب احوال
المصلي الى الله واستدل بها الشافعي وابو حنيفة والثوري وجماعة
من السلف على جواز صلاة الفرض والنفل داخل الكعبه وقال مالك
لا يصلي فيها الفرض والصلاة بمكة افضل من الطواف وقيل هو للغربا
افضل واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله
عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نايم فاجيب بحرمة صيده وجعله
محلا لا يليق به ظلم ولا يختلى خلاه اي لا يقطع شجره والصحيح ان سوال ابرهيم
كان سببا في اظهار ذلك والا فالتحريم المذكور وما معه كان منذ خلق الله
الارض والسما ونكر البلد هنا وعرفه في سورة ابرهيم لان الدعوة هنا كانت
قبل جعل المكان بلدا فطلب من الله ان يجعله بلدا آمنا اي دايم الامن وثم
كانت بعد جعله بلدا آمنا او غير آمن فطلب منه ان يجعله آمنا او يديم
له

له الامن وارزق اهله من الثمرات روي انه لما دعا بهذا الدعا امر الله تعالى
جبريل فاقتلع الطايف من الشام فطاف بها حول البيت سبوعا فسميت
الطايف لذلك ثم انزلها تهامة وكانت مكة وما يليها حين ذاك قفرا
لا ما بها ولا نبات فبارك فيما حولها بالطايف وغيرها وانبت فيها
انواع الثمرات وقوله من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل بعض من كل
وهو اهله اتى به للتخصيص بالموصوفين بذلك موافقة لقوله تعالى
لا ينال عهدي الظالمين قال تعالى ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من
كفر قاس ابرهيم عليه السلام الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان
الرزق نعمة دنيوية تعم المومن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين
وقيل هو مبتدا تضمن معنى الشرط وقوله فامتعه قليلا خبره والكفر
وان لم يكن سببا للتمتع ولكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ
الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى
عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته من
النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقري بلفظ الامر فيهما على انه
من دعا ابرهيم وفي قال ضميره واعيد قال لطول الكلام وقري فامتعه
بالتخفيف من امتع وبيس المصير حذف المخصوص وتقديره العذاب و
المرجع واذكر اذ يرفع حكاية حال ماضية ابرهيم القواعد جمع قاعدة
وهي الاساس ومن النسا واحدها قاعد من البيت متعلق بيرفع اي يرفع
قواعده بالاعلا معنى بالدعا الى الحج وحسا بالبنا وقيل المراد رفع مكانته
واظهار شرفه واسمعيل معه وكان يناوله الحجارة فلتسببه في الرفع
عد رافعا ووجد منه الرفع المعنوي ايضا بالبقا على شريعة ابيه

وفي الحديث ان البيت لما هدم أخرجت منه حجارة عظام فقال ابن الزبير
هذه القواعد التي رفعها ابرهيم وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة
حمرا من يواقيت الجنة له بابان من زمرد اخضر شرقي وغربي وقال لادم
اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند
اليه ماشيا وتلقته الملايكة فقالوا له بر حجك يا ادم حججنا هذا
البيت قبلك بالفي عام وحج ادم عليه السلام اربعين حجة من الهند
الى مكة ماشيا وكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السما
الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم عليه السلام ببنايه
وعرفه جبريل مكانه قيل وبناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا
ولبنان والجودي واسسه من حرا وجاه جبريل بالحجر الاسود من السما
وكان ياقوتة بيضا من الجنه فلما مسه المشركون او الحيض في الجاهلية
اسود وبنيت الكعبة خمس مرات الاولى بنتها الملايكه والثانية
ابراهيم والثالثة قريش وحضر محمد النبي صلى الله عليه وسلم هذا
البنا وهو ابن خمس وثلاثين سنه والرابعة ابن الزبير بناها على قواعد
ابراهيم وادخل فيها الحجر فلما قتله الحجاج هدمها وبناها كما كانت
في زمن قريش ثم هم عبد الملك بن مروان بهدمها واعادتها الى بناء
ابن الزبير فمنعه بعض العلما واول من كسا البيت سعد الحميري وهو
تبع الاخير قال ابن اسحق كانت تكسى القباطي ثم كسيت البرد واول
من كساها الديباج الحجاج ربنا اي يقولان ربنا والجملة حال منهما
تقبل منا بناءنا انك انت السميع لدعائنا العليم بنيتنا بنا ربنا واجعلنا
مسلمين لك اي مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا

استسلم

استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والثبات عليه
ومن ذريتنا اي ومن ذريتنا فاجعل امة اي جماعة مسلمة لك وانما
خصا الذرية بالدعا لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا اصلحوا اصلح بهم الاتباع
وخصا بعضهم لما علما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية
لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما
يشوش امر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقا لخربت الارض وقيل انه لم يدع
نبي الا لنفسه ولامته الا ابراهيم عليه السلام فانه دعا لنفسه ولامته
ولهذه الامة ومن في قوله ومن ذريتنا للتبعيض لان الله تعالى كان قد
اعلمه ان منهم ظالمين وقيل اراد العرب خاصة وتطلق الامة على الواحد
اذا كان يقتدى به ومنه ان ابراهيم كان امة وعلى الدين والملة انا
وجدنا اباءنا على امة وعلى الحين والزمان وادكر بعد امة وغير ذلك
وقيل اراد امة محمد صلى الله عليه وسلم وخصوا بذلك لوفور الشفقة
عليهم واجلهم محمد صلى الله عليه وسلم وارنا اي علمنا مناسكنا
قيل مناسك الحج ومعالمه وقيل مواضع الذبح وقيل جميع المتعبدات
وروي انه لما فرغ ابرهيم من بنا البيت قال اي رب قد فرغت فارنا
مناسكنا فبعث الله تعالى اليه جبريل فحج به حتى اذا رجع من عرفة
وكان يوم النحر عرض له ابليس فقال له جبريل احصبه فحصبه بسبع
حصيات ثم الغد ثم اليوم الثالث ثم علا ثبيرا فقال يا عباد الله
اجيبوا فاسمع دعوته من في قلبه مثقال ذرة من ايمان فقال لبيك
اللهم لبيك فمن اجابه يومئذ فهو حاج وروي انه حين نادى استدار
فدعى في كل جهة فلبى الناس من كل مشرق ومغرب وتطاطات الجبال

حتى يحد صوته وتب علينا قالا ارشاد الذريتهما واعترافا بالتقصير
ولو كانا معصومين القرطبي انهما لما عرفا المناسك وبنيا البيت ارادا
ان يبينا الناس ويعرفاهم ان ذلك الموقف وتلك المواضع مكان
التنصل من الذنوب وطلب التوبة وقيل طلبا التثبيت والدوام
وقيل المعنى وتب على الظلمة من ذريتنا انك انت التواب على عباده
الرحيم بهم ربنا وابعث فيهم اى في ذريتنا والمراد الامة المسلمة
رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم اذ لم يبعث من ذرية اسمعيل
غيره فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى
ورويا امي وذكرها هنا وفي الجمعة منهم دون انفسهم ايجازا وذكرها في ال
عمران في قوله اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم لانه تعالى من على المومنين
فجعله من انفسهم ليكون موجب المنة اظهر ونظيره لقد جاكم رسول
من انفسكم يتلو عليهم اياتك اى يقرا عليهم القران ويبلغهم ما يوحى
اليه من دلايل النبوة والتوحيد ويعلمهم الكتاب اى القران والحكمة
ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام وقيل يعلمهم العلم والعمل
لان الرجل لا يكون حكيما حتى يجتمعا فيه وقيل السنة وقيل الفقه
قال مالك الحكمة المعرفة بالدين والفقه في التاويل والفهم الذي هو
سجية ونور من الله تعالى ونسب التعليم الى النبي صلى الله عليه وسلم
من حيث هو يعطي الامر الذي ينظر فيه ويعلم طرق النظر بما يلقيه الله
تعالى اليه من وحيه ويزكيهم اى يطهرهم من الشرك والمعاصي وقيل
ياخذ منهم الزكاة وقيل يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة انك انت
العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد وقيل الذي لا يوجد مثله وقيل
المتنع

الممتنع الذي لا تناله الايدي وقيل غير ذلك والمعاني كلها ثابتة له
تعالى وانما راى كل قايل اظهر معاني العزة ما ذكره الحكيم المحكم لما يريد
وذكرا المناسبة الكتاب والحكمة ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد
وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة والملة الدين والشرع اى
لا يرغب عن ملته ويتركها الا من سفه نفسه اى استمهنها واذلها واستخف
بها وقيل جهلها فلم يفكر ما فيها من الايات والدلالات الدالة على ان
لها صانعا ليس كمثله شي فيعلم به توحيد الله وقدرته وقيل فعل بها
من السفه ما صار به سفيها واصل السفاهة الجهل وضعف الراي ومن
في موضع رفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب
غير موجب كقولك هل جاك احد الا زيد ونصب نفسه على نزع
الخافض والاصل سفه في نفسه قاله الاخفش الفرا نصب على التفسير
والاصل سفهت نفسه فلما اضاف الفعل الى صاحبها جعلت النفس
مفسرة ليعلم موضع السفه قال قتادة هم اليهود والنصارى رغبوا
عن ملة ابرهيم واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله ولقد
اصطفيناه في الدنيا اى اخترناه للرسالة والخلة فجعلناه صافيا
من الادناس والاصطفا افتعال من الصفوة وابدلت التا طا لتناسبهما
مع الصاد في الاطباق وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك
فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح
يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه
اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والصالح في الاخرة هو الفايز
فان قيل كيف جاز تقديم في الاخرة وهو داخل في الصلة فالجواب

انه ليس داخلا فيها ولاهل العربية فيه اقوال احدها ان المعنى وانه
صالح في الاخرة ثم حذفت وقيل في الاخرة متعلق بمصدر محذوف
اي صلاح في الاخرة واتيان الصالحين ليس بمعنى الذين صلحوا ولكن اسم
قايم بنفسه كما يقال الرجل والغلام وقول رابع وانه من عمل الاخرة
وعن معاوية بن قرة كان يقول اللهم ان الصالحين انت اصلحتهم ورزقتهم
ان عملوا بطاعتك فرضيت عنهم اللهم كما اصلحتهم فاصلحنا وكما رزقتهم
فارزقنا ان نعمل بطاعتك وارض عنا اذ ظرف لاصطفيناه او تعليل له
قال له ربه اسلم اي اخلص دينك لله بالتوحيد وقيل اخشع واخضع
ابن عباس انما قال له ذلك حين خرج من السرب والاسلام هنا على اتم
وجوهه قال اسلمت لرب العالمين وقيل اذ منصوب باضمار اذكر
كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح والمستحق
للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر
حين دعاه ربه ولخطر بباله دلايله المودية الى المعرفة الداعية الى
الاسلام ووصى بها ابرهيم بنيه التوصية هي التقدم الى الغير بفعل
فيه صلاح وقربة واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه
اذا فصله كان الموصي يوصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة
وقيل لقوله اسلمت على تاويل الكلمة او الجملة قيل وهو اصوب لانه
اقرب مذكور اي قولوا اسلمنا وقرئ اوصى وهما لغتان والاول ابلغ ويعقوب
عطف على ابراهيم اي ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وسمي بذلك لانه
كان مع العيص في بطن واحدة فخرج اخذا بعقبه وقيل لكثرة عقبه
اي اولاده وعاش مائة وسبعا واربعين سنة ومات بمصر واوصى ان

يحمل

يحمل ويدفن بالارض المقدسة عند ابيه اسحق فحمله يوسف ودفنه عنده
وبنوا ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل
ثمانية وقيل اربعة عشر وبنوا يعقوب اثني عشر منهم روبيل
وشمعون ولاوي ويهوذا ويوسف وبنيامين الكلبي لما دخل يعقوب
مصر راى اهلها يعبدون الاوثان والبقر فجمع ولده وقال لهم ما تعبدون
من بعدي على ما ياتي فقال يا بني ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام
الذي هو صفوة الاديان واللام فيه للعهد لانهم قد كانوا عرفوه فلا
تموتن الا وانتم مسلمون قيل مخلصون وقيل محسنون وفيه ايجاز بليغ
والمعنى الزموا الاسلام ودوموا عليه ولا تفارقوه حتى تموتوا فاتى بلفظ
موجز يتضمن المقصود ويتضمن وعظا وتذكيرا بالموت وذلك ان المرء يتحقق
انه يموت ولا يدري متى فاذا امر بامر لا ياتيه الموت الا وهو عليه فقد
توجه الخطاب له من وقت الامر دايما لازما والنهي في الحقيقة انما هو
عن عدم اسلامهم حال موتهم لا عن الموت اذ ليس في قدرتهم والنكتة في
التعبير بذلك اظهار ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه ويقرب
منه لا تصل الا وانت خاشع فلم تنهه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع
في حال صلاته وتقول في الامر مت وانت شهيد وليس مرادك الامر
بالموت ولكن بالموت على صفة الشهدا وروي ان اليهود قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب وصى بنيه باليهودية
يوم مات فنزل ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت اي مقدماته
واسبابه والا فلو حضر الموت لما امكنه ان يقول شيا وام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم شهدا اي حضورا اذ حضر يعقوب

الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف
تقديره اكنتم من الغايبين ام كنتم الى اخره وقيل الخطاب للمومنين والمعنى
ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر
ما تعبدون من بعدي اي بعد موتي وعبر عن المعبود بما ولم يقل من لانه
اراد تقريرهم على الاسلام وما يسال به عن كل شي ما لم يعرف فاذا عرف
خص العقلا بمن اذا سيل عن تعيينه وايضا فالمعبودات المتعارفة من
دون الله جمادات فاستفهم عما يعبدون من هذه فلو قال من تعبدون
لم يتناول الا اولوا العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سوال
عن صفة المعبود كما تقول ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك
واله ابايك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته
ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابايه تغليبا للاب والجد او لانه
كالاب في النسب والوقار الها واحدا بدل من اله ابايك بدل النكرة
من المعرفة كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفايدته التصريح بالتوحيد
ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او التاكيد
او نصب على الاختصاص وقيل الها حال قال ابن عطية وهو قول حسن
لان الغرض اثبات حال الوحدانيه ونحن له مسلمون اي مخلصون وقيل
منقادون وهو حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون
اعتراضا تلك امة اي جماعة قد خلت اي مضت يعني ابرهيم ويعقوب
وبنيهما وتلك مبتدا انث لتانيث خبره والاصل في الامة المقصود
وسمي بها الجماعة لان الفرق توموها لها ما كسبت من العمل ولكم الخطاب
لليهود ما كسبتم منه فلكل جزا عمله وفي هذا دليل على ان العبد

يضاف

يضاف اليه اعماله واكسابه وان كان الله تعالى اقدره على ذلك ان
كان خيرا فبفضله وان كان شرا فبعدله وهذا مذهب اهل السنة
فالعبد مكتسب لافعاله على معنى انه خلقت له قدرة مقارنة للفعل
يدرك بها الفرق بين حركة الاختيار وحركة الرعشة مثلا وذلك التمكن
هو مناط التكليف وقالت الجبرية بنفي اكتساب العبد وانه كالباب
الذي تصرفه الرياح وقالت القدرية والمعتزلة ان العبد يخلق افعاله
والمعنى في الاية ان احدا لا ينفعه كسب غيره فكما ان اوليك لا ينفعهم الا
ما كسبوا فكذلك انتم وفي الحديث يا بني هاشم لا ياتي الناس باعمالهم
وتاتوني بانسابكم ولا تسالون عما كانوا يعملون في الدنيا فلا تواخذون
بجرمهم كما لا تثابون على حسناتهم والجملة تاكيد لما قبلها وقالوا اي اهل الكتاب
كونوا هودا او نصارى او للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين
قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى دعت كل فرقة
الى ما هي عليه تهتدوا جواب الامر وقايل الاول يهود المدينه وقايل الثاني
نصارى نجران قل يا محمد بل نتبع ملة ابرهيم اي نكون اهل ملته حنيفا
مايلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه لانها اشبهت بعضه
اي بل نتبع ملة ابرهيم في هذه الحال والحنف الميل والاحنف الذي تميل
قدما كل واحدة منهما الى اختها باصابعها وما كان من المشركين تعريض
باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا ايها
المومنون امنا بالله وما انزل الينا القران وقدم لانه اولى بنا لنزوله
الينا وسبب للايمان بغيره او لشرفه على غيره وما انزل الى ابرهيم
اي الصحف العشر واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ليس المراد البقية

من كتب الله كالتوراة والانجيل لانها لم تنزل اليهم والصحف نزلت على
ابرهيم فقط وانما نسب نزولها اليهم لانهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها
داخلين تحت احكامها كما ان القران منزل الينا قال ابن عباس جا نفر
من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فسالوا عمن نؤمن به من الانبيا
فنزلت الاية فلما جا ذكر عيسى قالوا لا نؤمن بعيسى ولا من امن به والاسباط
جمع سبط وهو الحافد وهم هنا حفدة يعقوب اى ذرارى ابنائه
الاثنى عشر والسبط من بنى اسرايل كالقبيلة من بنى اسمعيل وما اوتى موسى
وعيسى التوراة والانجيل افردهما لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى
مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتى النبيون جملة المذكورون
منهم وغير المذكورين من الكتب والايات من ربهم منزلا عليهم من ربهم
لا نفرق بين احد منهم كاليهود والنصارى فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد
لوقوعه فى سياق النفى عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اى لله مسلمون
مذعنون مخلصون واتى بالضمير دون الصريح لان هذه الاوصاف السابقة
من كونه الاله الكل ورب المنزل عليهم لا يحتاج معها الى الظاهر فان امنوا اى
اليهود والنصارى بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا هذا من باب التعجيز
والتبكيت كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون
ولا دين كدين الاسلام وقيل البا للالة دون التعديه والمعنى ان تجدوا
الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى
تعدد الطرق وقيل مزيدة للتاكيد والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل
ايمانكم به وقيل المثل مقحم كقوله وشهد شاهد من بنى اسرايل على مثله
اى عليه وكان ابن عباس يقرا فان امنوا بما امنتم به وهذا معنى القراة

وان

وان خالف المصحف وان تولوا اى اعرضوا عن الايمان فانما هم فى شقاق اى
خلاف لكم ومنافاة للحق باعراضهم ابن اسلم الشقاق المنازعة وقيل
التعادى واصله من الشق وهو الجانب فكان كل واحد من الفريقين فى شق
غير شق الاخر وقيل الشقاق ماخوذ من فعل ما يشق ويصعب فكان كل واحد
من الفريقين يحرص على ما يشق على صاحبه فسيكفيكهم الله يا محمد وفيه
تسلية وتسكين للمومنين والمعنى يكفيك شقاقهم الزمخشرى معنى السين
ان ذلك كاين لا محالة وان تاخر الى حين وقد انجز الله تعالى الوعد بقتل
قريظة ونفى النضير وضرب الجزية عليهم وهو السميع العليم اما من
تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محاله
او وعيد المعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون صبغة الله
اى دين الله وقيل فطرته التى فطر الناس عليها وهو بدل من ملة قاله
الاخفش والكساى منصوب على تقدير اتبعوا او على الاغرا اى الزموا وقيل
المعنى صبغنا الله صبغته وهى فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهى حلية
الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ وقيل المعنى هدانا الله هدايته
وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه
ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخل
الصبغ الثوب وقال ذلك للمشاكلة لان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
فى ما اصفر يسمونه العموديه يرجون بركته ويقولون هو تطهير لهم وبه
تحقق نصرانيتهم وعن قتادة ان اليهود تصبغ ابناهم يهود وان
النصارى تصبغ ابناهم نصارى وصبغة الله الاسلام وقيل الصبغة
الاغتسال المراد الدخول فى الاسلام بدلا من معمودية النصارى ذكره

الماوردي وقيل غير ذلك ومن احسن من الله صبغة تمييز اي لا صبغة
احسن من صبغة الله ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم
وهو عطف على امنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا
الزمخشري وهذا العطف يرد قول من قال ان صبغة الله بدل من ملة
ابرهيم او نصب على الاغرا لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التيامه
واتساقه وانتصابه على انه مصدر موكد لامنا وهو الذي ذكره
سيبويه البيضاوي ولمن نصبها على الاغرا او البدل ان يضمر قولوا
معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا بالله بدل
اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا
في الله في شانه واصطفايه نبيا من العرب دونكم وقيل المعنى في دينه
والقرب منه والهمزة للانكار روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء
كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم فلا اختصاص
له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشا من عباده ولنا اعمالنا ولكم
اعمالكم فكل يجازي بعمله وقيل نزلت لما قال اليهود للمسلمين نحن اهل الكتاب
الاول وقبلتنا اقدم ولم يكن الانبيا من العرب وكتموا شهادة الله في التوراة
لابرهيم بالحنيفية فالمعنى اتجادلوننا الحجة على دعواكم في دينه والرب
واحد وكل يجازي بعمله فاي تاثير لقدم الدين ونحن له مخلصون الدين
او العمل دونكم فنحن اولى بالاصطفا وفيه تبكيت وتوبيخ اي ولم تخلصوا
انتم والاخلاص تجريد العمل لله وبعبارة اخرى هو تصفية العمل عن
ملاحظة المخلوقين وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد
صاحبه عليه عوضا في الدارين ولا حظا من الملكين وقال الفضيل

العمل

العمل لاجل الناس شرك وترك العمل من اجل الناس ريا والاخلاص ان
تخلصك الله منهما وانما حكم على الترك بما ذكر لانه ربما قصد ان يقولوا
هو مخلص والجمل الثلاث احوال ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قرئ بالياء من تحت وعليه
فام منقطعة والهمزة للانكار وقرئ بالتاء من فوق فام معادلة لقوله
اتحاجوننا اي اي الامرين تاتون المحاجة او ادعا الكفر في الانبيا قل لهم
ءانتم اعلم ام الله رد عليهم بانه اعلم بهم اي لم يكونوا هودا ولا نصارى
وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج
بقوله وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهولا المعطوفون عليه
اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم اي اخفى من الناس شهادة عنده
كاينة من الله يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراة عن اليهودية
والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة
او منا لو كتمنا هذه وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه
وسلم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتدا كما في قوله براءة من الله وما
الله بغافل عما تعملون وعيد لهم واعلام بانه لا يترك امرهم سدى
وانه يجازيهم على اعمالهم والغافل الذي لا يفطن الامور اهمالا منه تلك
امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون
كررها مبالغة في التحذير والنصح والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار
بالابا والاتكال عليهم او لان الامة في الاولى الانبيا وفي الثانية
اسلاف اليهود والنصارى اي اذا كان اولئك الانبيا على امانتهم
وفضلهم يجازون بكسبهم فانتم احرى فوجب التاكيد فلذلك كررها

او لان الخطاب في الاولى لهم وفي الثانية لنا تحذيرا لنا عن الاقتدا بهم ۔
سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم وامتهنوها بالتقليد
والاعراض عن النظر يريد به المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود
والمشركين وقالوا قد اشتاق محمد الى مولده وعن قريب يرجع الى دينكم
وقالت اليهود قد التبس عليه امره وتحير وخص بقوله من الناس لان
السفه يكون في جمادات وحيوانات وقال المورخ السفيه البهات
الكذاب المتعمد بخلاف ما يعلم وقطرب هو الظلوم الجهول والاتيان
بالسين الدالة على الاستقبال من الاخبار بالغيب وفايدة تقديم الاخبار
به توطين النفس واعداد الجواب القرطبي سيقول بمعنى قال جعل المستقبل
موضع الماضي دلالة على استدامة ذلك وانهم يستمرون على ذلك القول
انتهى ما ولاهم اي شي صرفهم عن قبلتهم بيت المقدس التي كانوا عليها
والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا
للمكان المتوجه نحوه للصلاة والاستفهام يحتمل الاستفهام الحقيقي ۔
ويحتمل التعجيب قل لله المشرق والمغرب وما بينهما فله ان يامر
بالتوجه الى اي جهة شا فلا يختص به مكان دون مكان لخاصة ذاتية
تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان ۔
يهدي من يشا هدايته الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه
المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى والصراط المستقيم
الطريق الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الاسلام وفيه اشارة الى هداية
الله هذه الامة الى قبلة ابرهيم يدل عليه وكذلك اي وكما انعمنا
عليكم بالهداية الى صراط مستقيم انعمنا عليكم بالمذكور في قوله جعلناكم

يا امة

يا امة محمد امة وسطا اي عدولا مزكين بالعلم والعمل واصل هذا ان
احمد الاشيا اوسطها وفي الحديث خير الامور اوساطها وقال علي
رضي الله عنه عليكم بالنمط الاوسط فاليه ينزل العالي واليه يرتفع
النازل وقيل وسطا خيارا وقيل اهل دين وسط بين الغلو والتقصير
وكلاهما مذموم في الدين والوسط بتحريك السين يستعمل اسما لما بين
الطرفين وبتسكينها يستعمل ظرفا نحو ضربت زيدا وسط الدار وهو
في الاصل اسم المكان الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير
للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف
والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها واستدل به
على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم ۔
قال بعضهم لما كانت الكعبة وسط الارض كذلك جعلناكم امة وسطا
دون الانبيا وفوق الامم لتكونوا شهدا على الناس في الدار الاخرة لتبليغ
انبيايهم لهم الدال على ذلك قرانهم القران روي ان الامم يوم القيامة
يجحدون تبليغ الانبيا فيسالهم الله تعالى بينة التبليغ وهو اعلم بهم
اقامة للحجة على المشركين فيوتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم يشهدون
فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه
الناطق على لسان نبيه الصادق وقيل المعنى يشهد بعضكم على بعض
بعد الموت كما في صحيح مسلم من اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ۔
ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار انتم شهدا الله في الارض ثلاثا
ويكون الرسول عليكم شهيدا انه بلغكم او شهيدا لكم بالعدالة وهذه
الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم كالرقيب

المهيمن على امته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم
بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا الى صيرنا القبلة التى كنت
عليها وهي صخرة بيت المقدس وقيل التى انت عليها الآن وتكون الكاف
زايدة كما قال كنتم خير امة اى انتم الا لنعلم من يتبع الرسول عند
تحوله عنها ممن ينقلب على عقبيه اى يرتد عن دينه ليرجع للكفر شكا
في الدين وظنا ان النبي صلى الله عليه وسلم في حيرة من امره وقد
ارتد بذلك جماعة وعلى القول الثاني ما صيرنا لك الان الجهة التى كنت
عليها اولا اى ما حولناك لها الا لذلك لانه صلى الله عليه وسلم
كان يصلي الى الكعبة يجعلها متوسطة بينه وبين بيت المقدس وهو
بمكة فلما هاجر امر باستقبال بيت المقدس تالفا لليهود فصلى اليه
ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا ثم حول فالمراد اما الناسخ او المنسوخ
ومعنى العلم في نحو هذا العلم المتعلق به الثواب والعقاب اذ هذا
لا يتعلق بالغيب وانما يتعلق بالبارز الى الوجود وقيل المراد العلم
المتعلق بالموجود حال وجوده وقيل المعنى الا لعلمنا فوضع المضارع
موضع الماضي كقوله فلم تقتلون اى قتلتم والمعنى قيل المعنى الا ليعلم
الرسول ومن معه ونسب ذلك اليه لانهم خواصه واهل الزلفى عنده
وقيل المعنى ليتميز التابع من الناكص فوقع العلم موقع التمييز وعن
على رضى الله عنه معنى لنعلم لنرى والعرب تضع العلم مكان الروية
وقيل المعنى ليعلموا اننا نعلم فان المنافقين كانوا في شك من علم الله تعالى
بالاشيا قبل كونها فهو سبحانه عالم الغيب والشهادة علم ما يكون
قبل ان يكون تختلف الاحوال على المعلومات وعلمه سبحانه لا يختلف
بل

بل يتعلق بالكل تعلقا واحدا وهكذا كلما ورد في الكتاب من هذا المعنى
وان كانت لكبيرة ان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان محذوف
واللام فاصلة والضمير لما دل عليه قوله تعالى ما جعلنا القبلة
التى كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة اى وان كانت التحويلة
عن بيت المقدس الى الكعبة لكبيرة وكبيرة اى ثقيلة شاقة على الناس
وقال الكوفيون ان نافية واللام بمعنى الا الا على الذين هدى الله منهم
اى خلق الهدى الذى هو الايمان في قلوبهم كما قال كتب في قلوبهم الايمان
وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلاتكم الى بيت المقدس بل يثيبكم
عليه ونزلت في سوال من حول الى الكعبة عن قوم ماتوا مومنين قبل
التحويل وكانت صلاتهم لبيت المقدس ففي الترمذي عن ابن عباس قال
لما توجه النبي صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا يا رسول الله كيف
باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزل وما كان الله
الاية فسمى الصلاة ايمانا لاجتماعها على نية وقول وعمل اى فهم على
حق ولهم ثواب وقيل المعنى وما كان الله ليضيع ثباتكم على الايمان
او ايمانكم بالقبلة المنسوخة وكان للماضي وهي هنا للحال كما في قوله
ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا وتاتي للماضي المنقطع وكان
في المدينة تسعة رهط وللاستقبال يخافون يوما كان شره مستطيرا
وللدوام وكان الله غفورا رحيما وللصيرورة وكان من الكافرين ان الله
بالناس اى بالمومنين لروف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا صلاتهم
والروف كثير الرحمة بمعنى الانعام ولعله قدمه وهو ابلغ لرعاية الفاصلة
وذكر الرحيم مع الاول المزيد التاكيد وانما حمل العام هنا على بعض افراده

لان مزيد الرحمة لا يلحق الكفار **قد** هي للتحقيق مع التكثير وقيل بمعنى رب
اي ربما **نرى تقلب وجهك** اي ترددا وتصرف بصرك وذكر الوجه
لانه الاشرف المستعمل في طلب الرغايب وايضا فالوجه يتقلب
بتقلب البصر وكان صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه ليوذن له
في التحول لانه كان يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه
ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان وذلك يدل على كمال
ادبه حيث انتظر ولم يسال قال العلما وهذه الاية مقدمة في النزول
على قوله تعالى سيقول السفها **في السما** اي في جهتها وخصت بذلك
لانها جهة اعتاد الخلق منها الخير والرحمة كالمطر والانوار والوحي فهم
يجعلون رغبتهم حيث توالت النعم **فلنولينك** اي نحولنك **قبلة
ترضاها** اي تحبها وكان استقباله لبيت المقدس برضى التسليم والانقياد
فول وجهك اي استقبل في الصلاة لان الاستقبال لا يجب في غير الصلاة
اجماعا **شطر المسجد الحرام** اي جهته وهو نصب على الظرف واشبه
المفعول به لوقوع الفعل عليه ومعنى الحرام المحرم الظلم فيه والتعرض
لصيده والتقاط لقطته للتملك وذكر المسجد دون الكعبة تعظيما له
لان الكعبة فيه اولانه صلى الله عليه وسلم كان في المدينة والبعيد
تكفيه مراعاة الجهة واستقبال عينها واجب في البعد ظنا وفي القرب
يقينا وقيل الواجب في البعد الجهة لما روى الترمذي انه صلى الله عليه
وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة وبدليل صحة صلاة الصف
المستطيل واجيب بان المسامتة تصدق مع البعد **وحيث ما كنتم**
خطاب للامة **فولوا وجوهكم** اي ذواتكم في الصلاة **شطره** والاستقبال

انما

انما يجب بالصدر وخص الرسول اولا بالخطاب تشريفا له ثم ذكر وا بعده
وان كان يلزمهم اتباعه للحض على الاتباع **وان الذين اوتوا الكتاب**
اي اليهود والنصارى **ليعلمون انه** اي التحويل والتوجه **الحق** الثابت
من ربهم حيث علمهم بذلك في كتبهم في نعت النبي صلى الله عليه وسلم
من انه يصلي الى القبلتين ولكن ما اتبعوا **وما الله بغافل عما يعملون**
فيه وعد للمومنين ووعيد لغيرهم وقرئ بتا الخطاب للمومنين وبيا
الغيب للكافرين وعلى الوجهين فهو اعلام بان الله تعالى لا يهمل اعمال
العباد **ولين** اللام موطية للقسم **اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية**
اي معجزة ودلالة على صدقك في امر القبلة **ما تبعوا** اي لا يتبعون
قبلتك عنادا وهو جواب القسم المضمر والقسم وجوابه سد مسد
جواب الشرط وقال الفرا والاخفش اجيبت لين بجواب لو وهي ضدها
في ان لو تطلب في جوابها المضي والوقوع ولين تطلب الاستقبال لان
المعنى ولو اتيت كما ان لو تجاب بجواب لين تقول لو احسنت احسن اليك
ومثله ولين ارسلنا ريحا الاية وخالفهما سيبويه فقال ان معنى لين
تخالف معنى لو فلا يدخل واحد منهما على الاخر فالمعنى ولين اتيت الذين
اوتوا الكتاب بكل اية لا يتبعون والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها
بحجة وانما خالفوك مكابرة لانهم كفروا وقد تبين الحق وليس تنفعهم الايات
وما انت بتابع قبلتهم اي اليهود والنصارى وهو خبر يتضمن الامر
اي لا تركن الى شي من ذلك او هو قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا
لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه
وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق **وما بعضهم**

بتابع قبلة بعض اي اليهود قبلة النصارى وبالعكس وذلك لان
اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس وفيه اشارة
الى دوام الاختلاف فلا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب
كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم اي اراءهم الفاسدة التي
يدعونك اليها من بعد ما جاءك من العلم من الحق والوحي في امر
القبلة وغيرها انك اذا اي ان اتبعتهم لمن الظالمين الواضعين
الامر في غير موضعه وهذا على سبيل الفرض والتقدير وان كان محالا
لعصمة الانبيا وخص بالخطاب ابعادا للريب عن مراتب الانبيا وحضا
على الحق واتباعه وتحذيرا من خلافه وقيل المراد الخطاب له والمراد
امته الذين اتيناهم الكتاب يعني علماءه يعرفونه اي محمدا صلى الله
عليه وسلم وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه
ولا يلتبس على السامع وفيه تفخيم له واشعار بانه لشهرته وكونه
علما معلوم بغير اعلام ابن عباس وقتادة والربيع وغيرهم الضمير
لتحويل القبلة وقيل للقران والذين في موضع رفع بالابتدا والخبر
يعرفونه ويصح ان يكون في موضع خفض على الصفة للظالمين ويعرفونه
في موضع الحال كما يعرفون ابناءهم لنعته في كتبهم قال ابن سلام لقد
عرفته حين رايته كما اعرف ابني ومعرفتي لمحمد صلى الله عليه وسلم
اشد رواه البخاري وخص الابنا في المعرفة بالذكر دون الانفس وان كانت
الصق لان الانسان يمر عليه من زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه ولا
يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه وانما اختص الابنا لان الذكور اشهر
واعرف وهم بصحبة الابا الزم وبقلوبهم الصق وان فريقا منهم اي من
علمايهم

علمايهم ليكتمون الحق من الاقرار بنبوته او نعته وهم يعلمون فيه
تنبيه على قبح فعلهم الحق مبتدا من ربك خبره واللام للعهد
والاشارة الى ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم او الحق الذين
يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه
لا ما لا يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر محذوف اي هو الحق
ومن ربك حال او خبر بعد خبر فلا تكونن من الممترين اي الشاكين
فيه اي من هذا النوع فهو ابلغ من لا تمتر والخطاب له والمراد امته
وليس المراد به نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه
غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما لتحقيق الامر وانه بحيث
لا يشك ناظر او امر للامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على
الوجه الابلغ ولكل وجهة اي لكل امة قبلة والتنوين عوض عن الاضافة
او المعنى لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة هو موليها
احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله موليها اياه وقرى
مولاها اي مولى تلك الجهة وقوله هو موليها عايد على لفظ كل لا على
معناها والا لقال هم مولوها والمعنى ولكل صاحب قبلة ملة
صاحب القبلة موليها وجهه واما على قراة ما لم يسم فاعله فالمعنى
ولكل واحد من الناس قبلة الواحد مولاها اي مصروف اليها فاستبقوا
الخيرات اي بادروا الى الطاعات من امر القبلة وغيرها اينما تكونوا
اي في اي محل كنتم من موافق ومخالف مجتمع الاجزا ومتفرقها يات بكم
الله جميعا فيجازيكم باعمالكم وناسب ذكر البعث لشان القبلة
لما فيها من الجمع لجهة واحدة او اينما تكونوا في اعماق الارض وقلل الجبال

يقبضار واحكم ان الله على كل شي قدير فيقدر على ما يشا من الاماته
والاحيا والجمع ومن حيث خرجت لسفر فول وجهك شطر المسجد
الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما يعملون قرى باليا
من تحت فهو وعيد لهم وقرى بتا الخطاب فهو خطاب لهذه الامة
يتضمن بشرى المطيع بالجنة ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره قيل هذا
تاكيد للامر باستقبال الكعبة واهتماما بها لان موقع التحويل كان
معتنى في نفوسهم جدا وقيل اراد بالاول ول وجهك شطر
الكعبة اي عاينها اذا صليت تلقاها ثم قال وحيثما كنتم معاشر
المسلمين في سائر المساجد بالمدينة وغيرها فولوا وجوهكم شطره
ثم قال ومن حيث خرجت يعني وجوب الاستقبال في الاسفار وكان
هذا امرا بالتوجه الى الكعبة في جميع المواضع من نواحي الارض القرطبي
وهذا القول احسن من الاول لان هذا فيه حمل كل اية على فايدة لئلا
يكون للناس اي اليهود والمشركين عليكم حجة اي مجادلة في التولي
الى غيره اي لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود تجحد ديننا وتتبع
قبلتنا وقول المشركين يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته وقيل
حجتهم انهم قالوا ان كانت ضلاله فقد دنت بها وان كانت هدى فقد
تقلت عنها وقد اجيبوا عن ذلك بقوله تعالى قل لله المشرق والمغرب
الا الذين ظلموا منهم استثنا من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس
حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى
دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة اباىه ويوشك ان
يرجع

يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونها
مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثنا للمبالغة
في نفي الحجة راسا كقوله ◦ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ◦
بهن فلول من قراع الكتايب ◦ للعلم بان الظالم لا حجة له وقيل
الاستثنا منقطع والمعنى لكن الذين ظلموا يجادلون بالباطل وقيل
الا عاطفة بمعنى الواو كقوله ◦ وكل اخ مفارقه اخوه ◦
لعمر ابيك الا الفرقدان ◦ قاله ابو عبيدة وابطل الزجاج هذا
القول وقال ذا خطا عند الحذاق من النحويين وفيه بطلان المعاني
والقول عندهم ان هذا استثنا ليس من الاول وقيل الاستثنا مرسل
والمعنى لا يكون لاحد عليكم كلام الا كلام هولا فلا تخشوهم واخشوني
اي فلا تخافوهم وجدالهم في التولي اليها ولا تخالفوا امري به واصل
الخشية طمانينة في القلب تبعث على التوقي والخوف فزع في القلب تخف
له الاعضا والخشية اشد الخوف ومعنى الاية التحقير لكل من سوى الله
تعالى والامر باطراح امرهم ومراعاة امر الله تعالى ولاتم نعمتي عليكم
هو عطف على لئلا يكون اي ولوا وجوهكم لئلا ولاتم او على علة مقدرة
اي اخشوني لاحفظكم ولاتم او علة لمحذوف اي امرتكم لاتم واتمام النعمة
الهداية الى القبلة وقيل الموت الى الاسلام المودي الى دخول الجنة قال
سعيد بن جبير ولن تتم نعمة الله تعالى على عبد حتى يدخل الجنة ولعلكم
تهتدون للحق كما ارسلنا الكاف في موضع نصب على النعت لمصدر
محذوف اي ولاتم نعمتي عليكم اتماما مثل ما ارسلنا قاله الفرا قال
ابن عطية وهذا احسن الاقوال اي ولاتم نعمتي عليكم في بيان سنة ابرهيم

مثل ما ارسلنا فيكم رسولا تعرفونه بالصدق فاذكروني بالتوحيد
والتصديق به وقيل متعلقة بتهتدون فيكم يا معشر العرب او
يا معشر الناس رسولا منكم اما من العرب ومن الناس هو محمد صلى الله
عليه وسلم يتلو عليكم اياتنا القران ويزكيكم اي يطهركم من النقايص
او يحملكم على ما تصيرون به ازكيا وقدمه باعتبار المقصد واخره
في دعوة ابرهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة العلم و
العمل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من الشرايع والمقامات والاحوال
الزكية وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر فاذكروني بالطاعة اذكركم
بالثواب والمعنى فاذكروني في النعمة والرخا اذكركم في الشدة والبلا
وقيل غير ذلك وهو امر وجوابه وفيه معنى المجازاة ولهذا جزم وفي
الحديث عن الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي الى اخره واصل
الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له وسمي الذكر باللسان ذكرا
لانه دلالة على الذكر القلبي غير انه لما كثر اطلاق الذكر على القول
اللساني صار هو السابق للفهم قال سعيد بن جبير الذكر طاعة الله
فمن لم يطعه لم يذكره وان اكثر التسبيح والتهليل وقراة القران وفي الحديث
من اطاع الله فقد ذكره الى اخره واشكروا لي نعمتي بالطاعة والشكر
معرفة الاحسان والتحدث به ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر
يا ايها الذين امنوا استعينوا على اخرتكم بالصبر على الطاعة وعن المعاصي
وحظوظ النفس والصلاة التي هي ام النصر واجابة الدعوة وخصها
بالذكر لتكررها وعظمها ولانها افضل عبادات البدن ان الله مع الصابرين
بالمعونة والحفظ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات خبر مبتدا
محذوف

محذوف اي هم اموات ولا يصح اعمال القول فيه لانه ليس بينه وبينه تناسب
كما يصح في قولك قلت كلاما بل احيا اي هم في البرزخ احيا ارواحهم
في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ولكن لا تشعرون بذلك
وهو تنبيه على ان حياتهم ليست من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما
هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهدا احيا عند الله
تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار
على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في
شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر
قايمة بانفسها مغايرة تبقى بعد الموت داركة وعليه جمهور الصحابة
والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وليس المراد انهم سيحيون اذ لو
كان كذلك لم يكن بين الشهدا وبين غيرهم فرق اذ كل احد سيحيى وعلى هذا
فتخصيص الشهدا لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة
ولنبلونكم هذه الواو مفتوحة عند سيبويه لالتقا الساكنين اي
لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم هل تصبرون على البلا وتستسلمون
للقضا ام لا والبلا يكون حسنا ويكون سيئا واصله المحنة والمعنى لنبلونكم
حتى تعلم المجاهد والصابر علم معاينة حتى يقع عليه الجزا كما تقدم بشيء
تنكيره للتقليل وهو لفظ مفرد ومعناه الجمع اي بشيء من هذا وشيء من هذا
فاكتفى بالاول الزمخشري انما قلل في قوله بشيء ليوذن ان كل بلا اصاب
الانسان وان جل ففوقه ما يقل هو بالنسبة اليه وليخفف عليهم ويريهم ان
رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه
نفوسهم فيكونوا ابعد لهم من الجزع وفيه تعجيل ثواب الله على العزم او بالنسبة

الى ما يصيب به معانديهم في الاخرة من الخوف اي خوفا لعدو والفزع
في القتال قاله ابن عباس والجوع القحط قال الشافعي هو في قول ابن عباس
الجوع في شهر رمضان اي صومه ونقص من الاموال قال الشافعي بالزكوا
المفروضة وقيل بسبب الاشتغال بالقتال وقيل بالجوايح المتلفة
والانفس ابن عباس بالقتل والموت في الجهاد الشافعي بالامراض والثمرات
قال الشافعي المراد موت الاولاد والولد ثمرة القلب كما جا في الخبر
اذا مات ولدا لعبد قال الله للملايكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون
نعم فيقول اقبضتم ثمرة فواده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا
قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا العبدي
بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وقيل بالجوايح ابن عباس المراد قلة
النبات وانقطاع البركات وبشر الصابرين على البلا بالجنة
واصل الصبر الحبس وثوابه غير مقدر ولكن لا يكون ذلك الا بالصبر
عند الصدمة الاولى كما في البخاري اي انما الصبر الشاق على النفس الذي
يعظم الثواب عليه انما هو عند هجوم المصيبة وحرارتها فانه يدل
على قوة القلب وتثبته في مقام الصبر فاما اذا بردت حرارة
المصيبة فكل احد يصبر اذ ذاك ولذلك قيل يجب على العاقل ان
يلتزم عند المصيبة ما لا بد للاحمق منه بعد ثلاث قال سهل بن عبد الله
لما قال الله تعالى وبشر الصابرين صار الصبر عيشا وقال رويم
الصبر ترك الشكوى وقال الاستاذ ابو علي حد الصبر ان لا يعترض
على التقدير فاما اظهار البلوى على غير وجه الشكوى فلا ينافي
الصبر قال تعالى في قصة ايوب انا وجدناه صابرا مع ما اخبر عنه
من

من قوله اني مسني الضر وقوله وبشر للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل
من يتاتى منه البشارة ولا يخرج الصابر عن الصبر توجع القلب
وفيضان العين بالدمع هم الذين اذا اصابتهم مصيبة وهي كل موذ
ولو قل كانطفا مصباح قالوا انا لله وانا اليه راجعون جعل الله
هذه الكلمات ملجا لذوي المصايب وعصمة للممتحنين لما جمعت من
المعاني المباركة فان قوله انا لله توحيد واقرار بالعبودية والملك
وقوله وانا اليه راجعون اقرار بالفنا والبعث واليقين ان رجوع
الامر كله اليه فيثيبنا ونجتمع بمن فارقنا من الاخلا والاولاد
ومن استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته فيها واخلف عليه
خيرا وفي الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن
عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي ان مصباح النبي صلى
الله عليه وسلم طفي فاسترجع فقالت عايشة انما هذا مصباح فقال
كلما سا المومن فهو مصيبة رواه ابو داود في مراسيله وليس الاسترجاع
باللسان بل وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه
ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه
فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اوليك
عليهم صلوات من ربهم اي بركات وقيل مغفرة من ربهم ورحمة اي
نعمة وعطفت على الصلاة للتاكيد لانهما من الله بمعنى واحد او هي
صفة كاشفة وصلاة الله عز وجل على عبده عفوه ورحمته وتشريفه
في الدنيا والاخرة وقال الزجاج الصلاة من الله الغفران والثنا الحسن
وقيل اراد بالرحمة كشف الكربة وقضا الحاجة واوليك هم المهتدون

للخوا الصواب حيثما سترجعوا وسلموا لقضا الله ان الصفا والمروة
هما علما على جبلين بمكة والصفا في الاصل جمع صفاه وهي الصخرة الملسا
الصلبة والمروة للحجر الرخو ثم غلبا على المكانين المشهورين روى البخاري
عن عاصم بن سليمان قال سالت انس بن مالك عن الصفا والمروة قال
كنا نرى انهما من امر الجاهلية فلما كان الاسلام امسكنا عنهما فانزل الله ان
الصفا والمروة من شعاير الله الاية وقال الشعبي كان على الصفا صنما
يدعى اسافا وعلى المروة صنم يدعى نايلة فاطرد ذلك في التذكير والتانيث
وما كان كراهة من كره الطواف بينهما الا من اجل هذا المعنى حتى رفع الله
الحرج في ذلك وزعم اهل الكتاب انهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله حجرين
ووضعهما على الصفا والمروة ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون
الله من شعاير الله اي اعلام دينه واحدها شعيرة واصلها من الاشعار
بمعنى الاعلام والمراد هنا المناسك فمن حج البيت او اعتمر اي تلبس باحدهما
واصلهما لغة القصد والزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته
على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه اي فلا اثم عليه واصله من
الجنوح وهو الميل ان يطوف بهما انما قال ذلك لانهما في الجاهلية كانا
محل تعبد للكفار كما تقدم فتحرج الناس في الاسلام لذلك فنزلت
والسعي ركن ببيان السنة ولا بد من سبع ذهابه من الصفا الى المروة
مرة وعوده منها اليه اخرى ويبدا بالصفا وعن احمد انه سنة وبه
قال انس وابن عباس وعن ابي حنيفة انه واجب تجبر بدم والصحيح انه ركن
لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله كتب عليكم السعي رواه البيهقي
وغيره وقال ابدؤا بما بدا الله به يعني الصفا رواه مسلم ومن تطوع خيرا

ال

اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض الله عليه من حج او عمرة
او طواف او تطوع بالسعي ان قيل انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر
محذوف او بحذف الجار اي بخير وايصال الفعل اليه او بتعدي الفعل
لتضمنه معنى اتى او فعل فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا تخفى
عليه ان الذين يكتمون الناس ما انزلنا من البينات والدلالات
والهدى ما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به ونزلت في احبار اليهود
ورهبان النصارى الذين كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
في اليهود كتموا امر الرجم وقيل المراد كل من كتم الحق فهي عامة في كل من كتم
علما من دين الله يحتاج الى بثه وذلك مفسر في قوله صلى الله عليه وسلم
من سيل عن علم فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ولا يعارضه
قوله صلى الله عليه وسلم حدثوا الناس بما يفهمون اتحبون ان يكذب
الله ورسوله فانه محمول على بعض العلوم كعلم الكلام او ما لا يستوي
في فهمه جميع الناس فحكم العالم ان يحدث بما يفهم عنه وينزل كل انسان
منزلته وفي الحديث لا تمنعوا الحكمة اهلها فتظلموهم ولا تضعوها في
غير اهلها فتظلموها من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اسم جنس
فالمراد جميع الكتب المنزلة وقيل التوراة فلم ندع فيه موضع اشكال
ولا اشتباه على احد منهم اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
اي الذين يتاتى منهم اللعن واصل اللعن الطرد ومعناه الابعاد عن الخير
والرحمة ومعنى يلعنهم الله يتبرا منهم ويبعد منهم رحمته ويقول لهم
عليكم لعنتي كما قال لابليس وان عليك لعنتي واختلف في تعيين اللاعنين
ابن عباس جميع الخلايق وقيل الملايكة والمومنون وقيل الثقلان وقيل

البهايم والحشرات ولا يخفى ما فى ذلك من التهويل عليهم الا الذين تابوا
اى رجعوا عن الكتمان وسايرما يجب ان يتاب منه واصلحوا ما افسدوا
بالتدارك وبينوا ما بينه الله فى كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه
من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدى بهم اضرابهم فاولئك اتوب
عليهم اى اقبل توبتهم وانا التواب اى الرجاع بقلوب العصاة الى بعد
انصرافهم عنى الرحيم بخلقى حيث تفضلت عليهم بقبول توبتهم ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار حال اى ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين اى مستحقون ذلك دنيا واخرى
والناس عام لان اهل دينهم يلعنونهم فى الاخرة كما قال كلما دخلت امة
لعنت اختها او هم المومنون خاصة وقال السدى كل احد يلعن الظالم واذا
لعن الكافر الظالم فقد لعن نفسه خالدين فيها قيل فى اللعنة اى فى جزايها
والمعنى هى موبدة عليهم وقيل يعود الضمير على النار كناية عن غير مذكور
لتفخيم شان عذابهم وحسن لان اللعنة تدل على النار لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون اى لا يمهلون للتوبة ولا للمعذرة او لا ينظر اليهم نظر
رحمة وقيل المعنى لا يوخرون عن العذاب وقتا من الاوقات والهكم اله
واحد خطاب عام اى المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له فى ذاته
ولا فى صفاته ولما حذر تعالى من كتمان الحق بين ان اول ما يجب اظهاره
ولا يجوز كتمانه من التوحيد ووصل ذلك بذكر البرهان وعلم طريق
النظر وهو الفكر فى عجايب الصنع ليعلم انه لا بد من فاعل لا يشبهه شىء
قال ابن عباس ونزلت لما قال كفار قريش يا محمد انسب لنا ربك اى صفه
لنا وكان للمشركين ثلثماية وستون صنما فبين تعالى انه واحد فلا تطلبوا

غيره

غيره ولا من سواه ولا تعبدوا الا اياه لا اله الا هو تقرير للوحدانية
وازاحة لان يتوهم ان فى الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة والمعنى
لا معبود الا الله ويحكى عن الشبلى انه كان يقول الله ولا يقول لا اله الا الله
فسئل عن ذلك فقال اخشى ان اوخذ فى كلمة الجحود ولا اصل الى كلمة الاقرار
قال القرطبى وهذا من علومهم الدقيقة التى ليست لها حقيقة فان الله تعالى
ذكر هذا المعنى فى كتابه نفيا واثباتا وكرره ووعدنا بالثواب الجزيل عليه
على لسان نبيه وفى الحديث من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة
خرجه مسلم والمقصود القلب لا اللسان فلو قال لا اله ومات
ومعتقده وضميره الوحدانية لكان من اهل الجنة باتفاق اهل السنة
الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها
وما سواه اما نعمة واما منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وقيل
لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف
بها صدقك فنزل ان فى خلق السموات والارض بين لهم دليل التوحيد
وان هذا العالم والبنا العجيب لا بد له من بان وصانع وانما جمع السموات
وافرد الارض لان السموات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة لان
كل سما من جنس وقيل للانتفاع بجميع احادها باعتبار ما فيها من نور
كواكبها وغيره بخلاف الارض فانها غير مختلفة بالحقيقة وانما ينتفع
بواحدة من احادها وهى ما نشاهده منها وذكرهما فقط لانهما اعظم
المخلوقات المرئية فاية السما ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علاقة من
فوقها ودل ذلك على القدرة وخرق العادة ثم ما فيها من الشمس والقمر
والنجوم السايرة والكواكب الزاهرة شارقة وغاربة واية الارض بحارها

وانهارها واشجارها ومعادنها وجبالها وسهلها ووعرها واختلاف
الليل والنهار باقبال احدهما وادبار الاخر من حيث لا يعلم وفي الاوصاف
من النور والظلمة والطول والقصر والصحيح ان النهار من طلوع الفجر الى غروب
الشمس وحكاه ابن فارس في المجمل وفي الحديث ما يقتضي بذلك وهو مقتضى
الفقه في الايمان وبه ترتبط الاحكام وعن النضر بن شميل ان اول النهار
طلوع الشمس والفلك التي تجري في البحر الفلك السفن جمعه ومفرده بلفظ
واحد ويتميز الجمع بتانيث ضميره وليست الحركات في المفرد تلك باعيانها
في الجمع وقيل واحده فلك مثل اسد واسد واصله من الدوران ومنه
فلك السما وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض في البحر والاطلاع
على عجايبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر
في غالب الامر فهي تجري على وجهه بتسخير الله اياها موقورة ولا ترسب واول
من عملها نوح عليه السلام وفي الاية دليل على جواز ركوب البحر مطلقا
لتجارة كان او عبادة كالحج والجهاد ولا خلاف بين العلما انه لا يجوز ركوبه
اذا ارتج ولم تغلب السلامة بما ينفع الناس اي ينفعهم او بالذي ينفعهم
من التجارات وغيرها وما انزل الله من السما من ما مطر الذي به انعاش
العالم واخراج النبات والارزاق وجعل منه المخزون عدة للانتفاع به
في غير وقت نزوله كما قال فاسكناه في الارض ومن الاولى للابتدا والثانية
للبيان والسما يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض
بالنبات بعد موتها اي يبسها وبث فيها اي فرق ونشر في الارض من كل
دابة لان حياتهم بالخصب الناشي عنه بعادة الله والدابة كل ما دب
على وجه الارض ولو طيرا وتصريف الرياح اي تقليبها في مهابها واحوالها

وقرى

وقرى الرياح بالجمع والريح بالتوحيد فمن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب
منها ومن وحد فلانه اسم للجنس وحيث ذكرت في سياق الرحمة جمعت
او في سياق العذاب فردت وفي الحديث اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا
وذلك لان ريح العذاب شديدة ملتئمة الاجزا كانها جسم واحد وريح
الرحمة لينة منقطعة فلذلك هي رياح واصول الرياح اربعة تكون شمالا
وهي التي تهب من ناحية الشام عن يسارك اذا استقبلت قبلة العراق
وقد تكون اسما للناحية التي تلي القطب لمقابل بنات نعش وصبا ريح
شرقية تهب من مشرق الشمس ودبور ريح غربية تهب من دبر الكعبة ولكل
واحدة من هذه الرياح طبع فتكون منفعتها بحسب طبعها فالصبا حارة
يابسة والدبور باردة رطبة والجنوب حارة رطبة والشمال باردة يابسة
ولاختلاف طباعها كاختلاف طبايع فصول السنة ومن الرياح النكبة
وهي ريح انحرفت ووقعت بين ريحين وهي اربع الازيب بين الصبا والجنوب
والصابية بين الصبا والشمال والجربيا بكسر الجيم والرا المهملة والمد
بين الشمال والدبور والهيف بين الجنوب والدبور وقيل تصريفها كونها
لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لان اراحتها الانفس
والبشارة في الصبا والجنوب والشمال والهلاك في الدبور وقيل
الرياح ثمانية اربع للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات
واربع للعذاب العقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر
والسحاب اي الغيم سمي سحابا بالتسحبه لان بعضه يجر بعضا المسخر اي
المذلل وتسخيره بعثه من مكان الى اخر وقيل ثبوته بين السما والارض
من غير عمد ولا علاقة لا ينزل ولا يتقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما وقيل

مسخر للرياح يقلبه في الجو بمشيئة الله تعالى قال كعب الاحبار السحاب غربال
المطر ولولا السحاب حين ينزل الما من السما لافسد ما يقع عليه من الارض
لايات اي دلالات واضحات على وحدانية الله تعالى وقدرته لقوم
يعقلون ذلك بالفكر والنظر الصحيح وفي الحديث ويل لمن قرا هذه الاية
فمج بها اي لم يتفكر فيها ولما اخبر سبحانه وتعالى في الاية قبل ما دل على
وحدانيته وقدرته اخبر ان مع هذه الايات القاهرة لذوي العقول
من يتخذ معه اندادا قال ومن الناس من يتخذ من دون الله اي من غيره اندادا
من الاصنام وقيل من الروسا الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرا
الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما شغل عن الله يحبونهم يعظمونهم
ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته والكاف نعت لمصدر
محذوف اي حبا كحب الله اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة
وقيل المعنى يحبون اصنامهم على الباطل كحب المومنين لله على الحق
قال المبرد وجا الضمير على هذا التاويل ضمير من يعقل على غير الاصل
والمحبة حالة تستغرق القلب عن غير المحبوب واصلها ميل القلب
من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ
فيها ومحبة العبد الى الله ارادة طاعته والاعتنا بتحصيل مراضيه
ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن
المعاصي والذين امنوا اشد حبا لله من حبهم للانداد وانما كانت اشد
لعدم انقطاعها وانتفا العدول في الشدة الى غير محبوبهم بخلاف محبة
الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا
يعدلون عن الهتهم الى الله تعالى عند الشدايد ويعبدون الصنم زمانا

ثم

ثم محبة الكفار تنقطع في الاخرة ولو يرى الذين ظلموا اي ولو يعلم هولاء
الذين ظلموا باتخاذهم الانداد اذ يرون العذاب اي اذ عاينوه يوم القيامة
ودخلت اذ وهي لما مضى في اثبات هذه المستقبلات تقريبا للامر وتصحيحا
لوقوعه كقوله ونادى اصحاب النار ان القوة لله جميعا سادة مسد
مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو علموا ان القوة لله جميعا اذ عاينوا
العذاب لندموا اشد الندم فيرى واقعة على ان القوة لله والمعنى لو يعلمون
حقيقة قوة الله وشدة عذابه وقيل ان وما دخلت عليه متعلق الجواب
والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع
لعلموا ان القوة كلها لله لا يضر ولا ينفع غيره ولما اتخذوا اندادا وقال
ابو عبيدة يحتمل ان يكون يرى بمعنى يبصر اي ولو يبصر الذين ظلموا في
الدنيا عذاب الاخرة لعلموا حين يرونه ان القوة لله جميعا فيرى على هذا
من روية البصر جميعا قال النحاس وهذا القول هو الذي عليه اهل التفسير
وقرى ولو ترى بتا الخطاب والتقدير ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال
رويتهم العذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لاقروا ان القوة لله
فالجواب مضمر وتقدير اخر ولو ترى يا محمد ذلك لرايت امرا عظيما او
المعنى لعلمت ان القوة لله وقد كان صلى الله عليه وسلم عالما بذلك
ولكن خوطب والمراد امته وقرى يرون على البنا للمفعول لشدة الحيرة
بابهام الفاعل وان الله شديد العذاب قرى بفتح ان عطفا وبكسرها
على الاستيناف واضمار القول وقيل المعنى ولو تبصر يا محمد الذين ظلموا
باتخاذ الانداد اذ يبصرون العذاب لرايت امرا عظيما لان القدرة
والغلبة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ بدل من اذ قبله تبرا الذين

اتبعوا اى السادة والروسا من الذين اتبعوا اى ممن تبعهم على الكفر والمعنى
انكروا اضلالهم السدى هم الشياطين تبروا من الانس وراوا العذاب
حال اى وقد راوا العذاب قيل فى الدنيا وقيل عند العرض والمسيلة وقا
القرطبى وكلاهما حاصل فانهم يعاينون عند الموت ما يصيرون اليه
من الهوان فى الاخرة وتقطعت بهم الاسباب اى الوصلات التى كا
بينهم فى الدنيا من قرابة وصداقة والاتفاق على دين والاغراض الداعية
الى ذلك واصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر وتقطعت عطف على
تبرا وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة اى رجعة للدنيا فنتبرا منهم
اى من المتبوعين ولو تمنى ولذلك اجيب بالفا كليت كما تبروا منا
الكاف فى موضع لمصدر محذوف ويجوز ان يكون نصبا على الحال اى
متبرئين والتبرى الانفصال كذلك اى مثل حالهم الفظيع فى روية
العذاب وتبرى بعضهم من بعض يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم
اى ندامات وهو المفعول الثالث ليرى ان كان من روية القلب والا
فحال قال الربيع يريهم الله الاعمال الفاسدة التى ارتكبوها فوجبت لهم
بها النار وقال ابن مسعود والسدى الاعمال الصالحة التى تركوها
ففاتهم الجنة واضيفت هذه اليهم من حيث انهم مامورون بها واما
اضافة الاعمال الفاسدة فمن حيث عملوها والحسرة اعلا درجات الندامة
على شى فايت وما هم بخارجين من النار اذا دخلوها واصله وما
يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة فى الخلود والاقناط عن
الاخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الذين امنوا كلوا مما فى الارض
حلالا طيبا نزلت فى ثقيف وخزاعة وبنى مدلج فيما حرموا على انفسهم
من

من الانعام من السوايب ونحوها وقيل فى قوم حرموا على انفسهم
رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف
او حال مما فى الارض ومن للتبعيض اذ لا يوكل كل ما فى الارض وطيبا
تاكيد للحلال لاختلاف اللفظ وهو قول مالك قال والشافعى الطيب
المستلذ الذى يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل
على الاول فهو تنويع ولذلك يمنع اكل الحيوان القذر وسمى الحلال حلالا
لانحلال عقده للخطر عنه قال سهل بن عبد الله النجاة فى ثلاث اكل الحلال
واداء الفرايض والاقتدا بالنبى صلى الله عليه وسلم قال ولا يصح اكل الحلال
الا بالعلم ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تقتدوا به فى اتباع الهوى
فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام ومنه النذر فى المعصية ومحقرات الذنوب
وقال ابن عباس خطوات الشيطان اعماله وقيل طرقه وقرى بضم الطا
واسكانها وهما لغتان والخطوة بالضم اسم لما بين القدمين وبالفتح
المصدر انه لكم عدو مبين مظهر العداوة ظاهرها عند ذوى البصا
وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا فى قوله تعالى
اولياوهم الطاغوت فعلى العاقل ان ياخذ حذره من هذا العدو
الذى قد ابان عداوته من زمن ادم وبذل نفسه وعمره فى افساد احوال
بنى ادم انما يامركم بالسوء والفحشا بيان لعداوته ووجوب التحرز
عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرايهم
وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشا ما انكره العقل واستقبحه الشرع
والعطف لاختلاف الوصفين وسمى السوء سوءا لانه يسوء صاحبه
واصله ما يضر والفحشا المعاصى ومنه الزنا والبخل وقيل المراد الاخيران

واصله قبح المنظر ثم استعمل فيما يقبح من المعاني والشرع هو الذي يحسن
ويقبح وقال مقاتل كلما في القران من ذكر الفحشا فانه الزنا الا قوله
تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا فانه منع الزكاة وقيل
السوء يعم القبايح والفحشا ما يجاوز الحد في القبح من الكباير وقيل
الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات
وهو في موضع خفض عطفا على بالسوء واذا قيل لهم الضمير للناس
اتبعوا ما انزل الله من التوحيد وتحليل الطيبات وعدل بالخطاب
عنهم على طريقة الالتفات للندا على ضلالهم لانه لا اضل ولا اضل
من المقلد كانه يقول للعقلا انظروا الى هولا الحمقى ماذا يجيبون وقيل
الضمير للكفار من اليهود وسمي منهم رافع بن خزيمة ومالك بن عوف دعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام قالوا لا بل نتبع ما الفينا
عليه اباءنا وجدناهم عليه وقيل نزلت في المشركين امروا باتباع القران
وساير ما انزل على الحجج والايات فجنحوا الى التقليد قال الله اويتبعونهم
ولو كان اباوهم لا يعقلون شيا من الدين ولا يهتدون الى الحق فالواو
للحال او للعطف والهمزة للرد والتعجيب فجواب لو محذوف اي المعنى لو
كان اباوهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم
وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واتباع
الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبيا والمجتهدين في الاحكام
فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله قال القرطبي تعلق قوم
بهذه الاية في ذم التقليد لذم الله تعالى باتباعهم في الباطل صحيح واما
ن

في الحق فاصل من اصول الدين وعصمة من عصم المسلمين يلجا اليها الجاهل
المقصر عن درك النظر ومثل اي صفة الذين كفروا كمثل الذي ينعق
اي يصوت بما لا يسمع الا دعاء ونداء على هذا حذف مضاف تقديره
ومثل داعي الذين كفروا الى الهدى كمثل الذي ينعق ومثل الذين كفروا
كمثل البهايم التي تنعق والمعنى ان الذين كفروا والانهماكهم في التقليد
لا يلقون اذانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما تقرر معهم فهم في ذلك
كالبهايم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالندا
ولا تفهم معناه قيل وفي الاية احتباك اذ المراد مثل محمد صلى الله عليه
وسلم كمثل الناعق ومثل الكفار كمثل المنعوق به فحذف كمثل المنعوق به
لدلالة ومثل الذين كفروا عليه ومثل محمد لدلالة كمثل الذي ينعق وهذا
من اشرف انواع البديع فالكفار مع محمد صلى الله عليه وسلم كغنم ينعق
بها لا تفهم ما في صوته من الكلام لانها لا تسمع الا دعاء ونداء ابن زيد
المعنى مثل الذين كفروا في دعايهم الالهة الجماد كمثل الصايح في جوف الليل
فيجيبه الصدا فهو يصيح بما لا يسمع ويجيبه ما لا حقيقة فيه ولا
منتفع وقال قطرب المعنى مثل الذين كفروا في دعايهم ما لا يفهم من الاصنام
كمثل الراعي اذا نعق بغنمه وهو لا يدري اين هي والنعيق زجر الغنم
والصياح بها قال الاخطل • انعق بضانك يا جرير فانما •
منتك نفسك بالخلا ضلالا • والندا للبعيد والدعا للقريب •
ولذلك قيل للاذان بالصلاة ندا لانه للاباعد صم بكم عمي فهم
لا يعقلون الموعظة يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات اي حلالات
ما رزقناكم هذا تاكيد للامر الاول وخص المومنين هنا بالذكر تفضيلا

والمراد بالاكل الانتفاع من جميع الوجوه وقيل الاكل المعتاد وفي صحيح مسلم
ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين ٥
فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات الاية وقال يا ايها الذين امنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم الى اخره **واشكروا لله** على ما احل لكم
ان كنتم اياه تعبدون تقدم معنى الشكر **انما حرم عليكم الميتة** اى اكلها
وانما كلمة موضوعة تتضمن النفي والاثبات فتثبت ما تناوله الخطاب
وتنفي ما عداه وقد حصرت هنا التحريم والميتة نصب بحرم وما كافة
ويجوز ان تكون بمعنى الذى منفصلة في الخط ويرفع الميتة والدم
ولحم الخنزير على خبر ان وهي قراة ابن ابي عبلة وقرئ حُرِّمَ بضم الحاء
وكسر الراء ورفع الاسما بعدها اما على نيابة الفاعل واما على خبر ان
وقرئ الميتة بالتخفيف والتشديد الطبرى قال جماعة من اللغويين
التشديد والتخفيف لغتان وقال ابو حاتم وغيره ما قدمات يقال
فيه وما لم يمت فلا يقال فيه ميت بالتخفيف قال تعالى انك ميت وانهم
ميتون وقال الشاعر ٥ ليس من مات فاستراح بميت ٥
انما الميت ميت الاحياء ٥ والميتة من زالت حياته بغير ذكاة شرعية
وهذه الاية عامة دخلها التخصيص بقوله صلى الله عليه وسلم ٥
احلت لنا ميتتان السمك والجراد ولحق بالميتة بالسنة ما أبين من
حي **والدم** المراد به المسفوح كما قيد به في اية اخرى الا ان يكون ميتة
او دما مسفوحا فخرج به الكبد والطحال كما في الحديث **ولحم الخنزير** ذكر
اللحم ليدل على تحريم عينه ذكي او لم يذكى وعبر باللحم لانه اغلب اجزايه
ولبعم الشحم والغضاريف وساير اجزايه **وما أُهِلَّ به لغير الله** اى ذكر
عليه

عليه اسم غير الله وهي ذبيحة الوثني والمجوسي والمعطل فالوثني يذبح للوثن
والمجوسي يذبح للنار والمعطل لا يعتقد شيا والاهلال رفع الصوت يقال
اهل بكذا رفع صوته ومنه استهلال الصبي صياحه عند ولادته وكانوا
يرفعون اصواتهم عند الذبح لالهتهم ابن عباس وغيره المراد ما ذبح للانصا
لا ما ذكر عليه اسم المسيح بن مريم **فمن اضطر** قرئ بضم النون للاتباع ٥
وبالكسر وهو الاصل لالتقا الساكنين وفيه اضمار اى فمن اضطر الى
شي من هذه المحرمات اى اُحوج اليها والجئ وهو افتعل من الضرورة والاضطرا
اما ان يكون باكراه من ظالم او بجوع في مخمصة والذى عليه جمهور الفقها
ان الاية فيمن ضره الجوع والعدم الى ذلك مجاهد اضطر اكره عليه كالرجل
ياخذه العدو فيكرهونه على اكل لحم الخنزير وغيره من معصية الله تعالى
واما حكم الاكل من الميتة والشبع والتزود منها وتقديم بعضها على البعض
فمذكور في الفروع قال الشافعي وكثير من العلما ان الضرورة ترفع التحريم
فيعود مباحا ومقدار الضرورة انما هو من حالة عدم القوت الى حالة
وجوده **غير باغ ولا عاد** غير نصب على الحال وقيل على الاستثناء واذا
رايت غير يصلح في موضعها في فهي حال واذا صلح موضعها الا فهي استثنا
واصل باغ باغي ثقلت الضمة على اليا فسكنت والتنوين ساكن فحذفت اليا
والكسرة تدل عليها قتادة والحسن وغيرهما غير باغ في اكله فوق حاجته
ولا عاد بان يجد عن هذه المحرمات غيرها وياكلها السدى غير باغ في اكلها
شهوة وتلذذا ولا عاد باستيفا الاكل الى حد الشبع مجاهد وابن جبير
غير باغ على المسلمين وعاد عليهم فيدخل في الباغي والعادى قطاع الطريق
والخارج على السلطان والمسافر العاصي بسفره كالابق وقاطع الرحم ما لم

يتبع وعليه الشافعي **فلا اثم عليه** اي لا حرج عليه في اكله **ان الله غفور**
رحيم اي يغفر المعاصي واولى ان لا يواخذ بما رخص فيه ومن رحمته
ان رخص **ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب** يعني علما اليهود
كتموا ما انزل الله في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته
ومعنى انزل اظهر كما قال تعالى ومن قال سانزل مثل ما انزل الله اي ساظهر
وقيل على بابه اي ما انزل به ملايكته على رسله **ويشترون به** اي
بالمكتوم **ثمنا قليلا** يعني اخذ الرشا وسماه قليلا لانقطاع مدته وسوء
عاقبته وقيل لان ما كانوا ياخذونه من سفلتهم كان قليلا القرطبي وهذه
الاية وان كانت في الاحبار فانها تتناول من المسلمين من كتم الحق مختارا
لذلك بسبب دنيا يصيبها **اولئك ما ياكلون في بطونهم** ذكر
البطون دلالة وتاكيدا على حقيقة الاكل اذ قد تستعمل مجازا في مثل اكل
فلان ارضي ونحوه وفيه ايضا تنبيه على جشعهم وانهم باعوا اخرتهم
بحظهم من المطعم الذي لا خطر له ومعنى **الا النار** اي انه حرام يعذبهم الله
عليه بالنار فسمي ما اكلوه من الرشا نارا لانه يوديهم الى النار وقيل
المعنى يعاقبهم على كتمانهم باكلهم النار في جهنم حقيقة فاخبر بالحال عن
المآل كما قال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم
نارا اي ان عاقبته تول الى ذلك **ولا يكلمهم الله يوم القيامة** هو عبارة
عن الغضب وازالة الرضى عنهم يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه
الطبري ولا يكلمهم بما يحبون وفي التنزيل اخسئوا فيها ولا تكلمون وقيل
المعنى ولا يرسل اليهم الملايكة بالتحية **ولا يزكيهم** اي لا يصلح اعمالهم الخبيثة
فيطهرهم الزجاج لا يثني عليهم خيرا ولا يسميهم ازكيا **ولهم عذاب اليم**

اي

اي مولم وفي صحيح مسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا
ينظر اليهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعايل مستكبر **اولئك**
الذين اشتروا استبدلوا **الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة** المعدة
لهم في الاخرة لو لم يكتموا ولما كان العذاب تابعا للضلالة وكانت المغفرة
تابعة للهدى دخلا في تجوز الشرا **فما اصبرهم على النار** الحسن ومجاهد
وغيرهما معناه التعجب وهو مردود الى المخلوقين كانه قال اعجبوا من صبرهم
على النار ومكثهم فيها وفي التنزيل قتل الانسان ما اكفره واسمع بهم وابصر
الحسن وقتادة وابن جبير والربيع والله ما لهم عليها من صبر ولكن المعنى
ما اجراهم على النار وهي لغة بينة ومعروفة وعن الكسائي قال اخبرني
قاضي اليمن ان خصمين اختصما اليه فوجب اليمين على احدهما فحلف فقال
له صاحبه ما اصبرك على الله اي ما اجراك عليه وقيل المعنى
ما اشجعهم اذ يعملون عملا يودي الى النار الزجاج المعنى ما ابقاهم على
النار من قولهم ما اصبر فلانا على الحبس اي ما ابقاه فيه وقيل المعنى
ما اقل جزعهم من النار فجعل قلة الجزع صبرا الكسائي وقطرب ما ادومهم
على عمل اهل النار وقيل ما استفهام معناه التوبيخ قاله ابن عباس وغيره
ومعناه اي شي صبرهم على عمل اهل النار **ذلك** قال الاخفش خبر ذلك مضمر
ومعناه ذلك معلوم لهم فهو في موضع رفع وقيل هو اشارة الى الحكم كانه
قال ذلك الحكم الذي ذكر باكلهم النار وما بعده وقيل هو اشارة الى الحكم محله
النصب اي فعلنا ذلك بهم **بان** اي بسبب ان **الله نزل الكتاب بالحق** فرفضوه
بالتكذيب والكتمان والكتاب القران وبالحق الصدق وقيل بالحجة **وان**
الذين اختلفوا في الكتاب قيل التوراة فادعى النصارى ان فيها صفة عيسى

وانكرهم اليهود صفته وقيل خالفوا آباءهم وسلفهم في التمسك بهما
وقيل الكتاب القران والذين اختلفوا كفار قريش فقال بعضهم سحر وبعضهم
شعر وبعضهم كهانة وبعضهم اساطير الاولين **لفي شقاق** خلاف وضلال
بعيد عن الحق **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** البر
كل فعل مرضي والاية نزلت ردا على اهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في
امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته
فقال تعالى ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بيّنه واتبعه
المومنون وقرئ البر بالنصب خبر ليس والمعنى ليس توليكم وجوهكم
قبل المشرق والمغرب البر كقوله ما كان حجتهم الا ان قالوا وكان عاقبتهما
انهما في النار وقرئ بالرفع على انه اسم ليس وما بعده جملة في محل نصب
على الخبرية والتقدير ليس البرّ توليكم وجوهكم والقراءتان حسنتان
لان ليس من اخوات كان فاذا وقع بعدها معرفتان جعلت ايتهما شئت
الاسم والخبر **ولكن البرّ من امن بالله** اي ولكن البر الذي يعتني به برّ من امن
بالله او المعنى ولكن ذا البر من امن بالله **واليوم الاخر والملايكة والكتاب**
المراد الجنس اي ساير الكتب وقيل القران **والنبيين واتى المال على حبه**
اي مع حب المال والشح به كما قال عليه الصلاة والسلام لما سيل اي
الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر
وقيل الضمير لله وقيل للايتاء والجار والمجرور في موضع الحال **ذوي القربى**
اي اصحاب القرابة قدمهم على غيرهم كما قال عليه الصلاة والسلام صدقتك
على المساكين صدقة وعلى ذي رحمك صدقتان لانه صدقة وصلة
واليتامى جمع يتيم يريد المحاويج من الفريقين ولم يقيد لعدم الالتباس
و

والمساكين جمع المسكين وهو من ملك شيئا يقع من كفايته ولا يكفيه كان
احتاج الى عشرة فوجد ثمانية وهو خلاف الفقير من لم يملك شيئا او ملك
ما لا يقع من كفايته موقعا كمن احتاج الى عشرة فوجد خمسة هذا ان
اجتمعا في محل فان ذكر كل في محل وحده فهما بمعنى واحد ومن ثم قيل اذا
افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا **وابن السبيل** المسافر سمي به لملازمته
السبيل اي الطريق وهو منشئ سفرا ومجتاز وقيل الضيف **والسايلين**
الذين الجاتهم الحاجة الى السوال قال عليه الصلاة والسلام للسايل حق
وان جا على فرسه **وفي فك الرقاب** هم المكاتبون يعانون في كتابتهم
والاسرى في فكهم وقيل ابتياع الرقاب لعتقها وليست الاية في الزكاة
واقام الصلاة الواجبة **واتى الزكاة** المفروضة ويحتمل ان يكون
المقصود منه ومن قوله واتى المال الغرض من الاول بيان مصارفهما
ومن الثاني اداوها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل
الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكاة وفي الحديث نسخت الزكاة
كل صدقة **والموفون بعهدهم اذا عاهدوا** الله او الناس وهو عطف
على من امن كانه قال ولكن البرّ المومنون والموفون قاله الفرا والاخفش
والصابرين في الباسا والضراء نصب على المدح ولم يعطف لفضل
الصبر على ساير الاعمال والعرب تنصب على المدح وعلى الذم يريدون
بذلك افراد الممدوح والمذموم ولا يتبعونه اول الكلام والباسا
الشدة والفقر والضرا المرض والزمانة **وحين الباس** وقت مجاهدة
العدو **اوليك** الموصوف بما ذكر **الذين صدقوا** في الدين واتباع الحق
وطلب البرّ فحققوا اقوالهم بفعلهم وقال اوليك قربهم منزلة البعيد

فى الاشارة لعلو مرتبتهم **واولٰيك هم المتقون** عن الكفر وساير الرذايل
وكرر اولٰيك للاعتنا برفع منزلتهم وانى بضمير الفصل للحصر والاية كما ترى
جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها
بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلاثة اشيا صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة
وتهذيب النفس فقد جمعت انواع كل خير من الايمان بالله تعالى وباسمايه
وصفاته والنشر والحشر والصراط والشفاعة والجنة والنار والملايكة
والكتب المنزلة وايمانا من عند الله والنبيين وانفاق المال فى الواجب
والمندوب وايصال القرابة وترك قطعهم وتفقد اليتيم وعدم اهماله
والمساكين كذلك ومراعاة ابن السبيل والسوال وفك الرقاب الى غير
ذلك مما لا يخفى ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه
واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الاية فقد
استكمل الايمان **يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى**
اى فرض واثبت والكتب يكون كثيرا فى الامور المخلدة الدايمة وقيل ان
كتب اخبار عما ثبت فى اللوح المحفوظ وسبق به القضا والقصاص
المماثلة ماخوذ من قص الاثر وهو اتباعه فكان القاتل سلك طريقا
من القتل فقص اثره فيها ومشى على سبيله فى ذلك وصورة القصاص هو
ان القاتل فرض عليه اذا اراد الولى القتل الاستسلام لامر الله تعالى
والانقياد لقصاصه المشروع وان الولى فرض عليه الوقوف عند
قاتل موليه وترك التعدى على غيره وليس القصاص بلازم انما اللازم
ان لا يتجاوز عن القصاص الى اعتدا فاما اذا وقع الرضى بدون قصاص

من دية

من دية او عفو فذلك مباح فان قيل فما معنى كتب عليكم ومعناه فرض
والزم قيل المعنى اذا اردتم فاعلموا ان القصاص هو الغاية عند التشاح
والقتلى جمع قتيل يونث لتانيث الجماعة وهو مما يدخل على الناس كرها
فلذلك جا على هذا البنا كجرحى وزمنا **الحر بالحر** اى يقتل الحر بالحر ولا
يقتل بالعبد **والعبد بالعبد والانثى بالانثى** وسبب الاية ان حيين من
احيا العرب كان بينهما دما وكان لاحدهما طول على الاخر فقالوا نقتل فى
العبد حرا وفى الانثى ذكرا فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
الاية رد الما قالوا وامرهم ان يتكافيوا ولا تدل الاية على ان لا يقتل الحر
بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه لان المقصود من الاية نفى ما زعموا
فعله لا غير وايضا فالاجماع قايم على قتل الانثى والعبد بالذكر والحر ومنع
مالك والشافعى قتل الحر بالعبد سوا كان عبده ام عبد غيره لما روى
على رضى الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونفاه سنة ولم يقده وروى انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذى عهد
ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضى الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد
بين اظهر الصحابة من غير نكير فالمماثلة معتبرة فى الدين والحرية
وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى النسخ بقوله
النفس بالنفس لانه حكاية ما فى التوراة فلا ينسخ ما فى القران **فمن عفى
له من اخيه شى** اى سقط له من القاتلين من دم اخيه المقتول شى من العفو
واتى بشى لان العفو عن بعض القصاص كالعفو عن كله والعفو من بعض الورثة
كالعفو من كلهم وقيل عفى بمعنى ترك وشى مفعول والمعنى تركه له وصفح
عنه والاصل فمن عفى له اخوه شيا وهو ضعيف اذ لم يثبت عفى الشى

بمعنى تركه بل هو لازم كسقط والمتعدى اعنى كترك والاخوة هنا الصحبة
وفى ذكرها تعطف داع الى العفو وايذان بان القتل لا يقطع اخوة الايمان
ومن مبتدا شرطية او موصولة والخبر فاتباع بالمعروف واداء اليه
باحسان اى فليكن اتباع او فالامر اتباع والمعنى فعلى العافى اتباع للقاتل
بالمعروف فلا يطالب بالدية بالعنف ولا باكثر منها والواجب القود عينا
والدية بدل عند سقوطه وذكر الاتباع مرتبا على العفو ليبان ان
المطالبة بالدية لا تكون الا عند العفو عليها فلو عفى ولم يسمها فلا شيء
على اصح قولى الشافعى ومعنى واداء باحسان اى وعلى القاتل اداء الدية
للقاتل باحسان بان لا يمطل ولا يبخس وقال ابن هشام التقدير والله اعلم
فاى شخص من القاتلين عفى له عفو ما من جهة اخيه والاخ هنا يحتمل
وجهين احدهما ان يكون المراد به المقتول فمن للسببية اى بسببه وانما
جعل اخا تعطيفا عليه وتنفيرا عن قتله لان الخلق كلهم مشتركون فى
انهم عبيد الله فهم كالاخوة ولابيهم وامهم ادم وحوا والثانى ان المراد به
ولى الدم وسمى اخا ترغيبا له فى العفو ومن على هذا لابتداء الغاية
وهذا الوجه احسن لوجهين احدهما ان كون من لابتداء الغاية
اشهر من كونها للسببية والثانى ان الضمير فى قوله واداء اليه باحسان
راجع الى مذكور فى هذا الوجه دون الاول انتهى ذلك الحكم المذكور
من جواز القصاص والعفو عنه على المال تخفيف اى تسهيل من ربكم
عليكم ورحمة بكم حيث جازه ولو شاء لحتم القتل او الدية كما حتم الاول
على اليهود والثانى على النصارى فمن اعتدى ظلم القاتل بعد ذلك اى بعد
العفو واخذ الدية وقيل بعد ما انزل الله فيه فخالف امر الله اما

بالمطل

بالمطل او باخذ اكثر من الحق او بالقتل بعد العفو فله عذاب اليم فى الاخرة
وفى الدنيا يقتل لانه قتل بلا حق وهو قول مالك والشافعى كمن قتل ابتدا
ان شا الولى قتله وان شا عفى عنه قتادة وعكرمة والسدى عذابه ان
يقتل البتة فلا يمكن الحاكم الولى من العفو الحسن عذابه ان يرد الدية
فقط ويبقى اثمه الى عذاب الاخرة ولكم فى القصاص حياة اى بقاء عظيم
وهذا كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة وذلك ان مريد القتل اذا علم
انه يقتل اذا قتل انزجر فحصلت الحياة له ولمن اراد قتله وكان ذلك
داعيا الى ان لا يقدم احد على القتل فارتفع بالقتل الذى هو القصاص
كثير من قتل الناس بعضهم بعضا وكان ارتفاع القتل حياة لهم وقيل
المراد بالحياة الحياة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه لم يواخذ به
فى الاخرة يا اولى الالباب اى ذوى العقول التامة ناداهم للتامل فى حكمة
القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون الله تعالى
او فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او تتقون القتل فتسلموا
من القصاص كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اى حضرت اسبابه وظهرت
اماراته ومتى حضر السبب عبرت به العرب عن المسبب وكتب معناه
فرض واثبت كما تقدم ان ترك خيرا اى مالا او مالا كثيرا لما روى عن على
رضى الله عنه ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعماية درهم فمنعه وقال
قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير المال الكثير وعن عايشة رضى الله عنها
ان رجلا اراد ان يوصى فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف فقالت كم
عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشى يسير
فاتركه لعيالك الوصية رفعت للنيابة عن فاعل كتب وهو متعلق

اذا ان كانت ظرفيه ودآل على جوابهما ان كانت شرطية وجواب ان
فليوص وذكر الفعل للفصل او على انه بمعنى الايصا ولهذا ذكر الراجع
في قوله فمن بدله اى كتب عليكم الايصا اذا ظهرت امارات الموت
والوصية عبارة عن كل شي يومر بفعله ويعهد به في الحياة وبعد
الموت وخصصها العرف بما يعهد بفعله وتنفيذه بعد الموت
للوالدين والاقربين فيه عطف العام على الخاص وهذا كان في مبدا
الاسلام طلبا للفخر والشرف ونسخ باية المواريث الا في حق الله تعالى
او للادميين من زكاة او حج او كفارة او ردود يعة او دين فيجب ان يوصى
اذا لم يعلم به غيره قال ابو ثور وكذلك ان كانت له حقوق عند
اناس يخاف تلفها على الورثة فهذا تجب عليه الوصية ولا يختلف
فيه وهي الان جايزة في ثلث ماله الباقي بعد موءنة تجهيزه وقضا دينه
واركانها اربعة موص وموصى له وموصى به وصيغة على ما هو مبين
في الفروع **بالمعروف** اى بالعدل فلا يخص غنيا ولا يفضله ولا يجاوز
الثلث وقال ابو حنيفة واصحابه ان لم يترك الموصي ورثة جاز له
ان يوصي بماله كله وقالوا ان الاقتصار على الثلث في الوصية انما
كان من اجل ان يدع ورثته اغنيا كما في الحديث وروى هذا القول
عن ابن عباس واليه ذهب اسحق ومالك في احد قوليه **حقا** مصدر
موكد لمضمون الجملة اى حق ذلك حقا **على المتقين** يعني ثابتا ثبوت نظر
لا ثبوت وجوب بدليل قوله على المتقين وهذا يدل على كونه ندبا لانه
لو كان فرضا لكان على جميع المسلمين ومعنى المتقين الموتمرين باوامر الله
المجتنبين لنواهيه **فمن بدله** اى غيره من شاهد او وصي والضمير يرجع
الى

الى الايصا لان الوصية في معناه وكذا في قوله **بعد ما سمعه** اى وصل
اليه وتحقق عنده **فانما اثمه** اى الايصا المبدل **على الذين يبدلونه**
اقام الظاهر مقام المضمر اعتنا بعدم التبديل اى فما اثم المغير او
التبديل الا على مبدله لانه الذي خان وخالف الشرع **ان الله سميع**
يسمع الوصية ويعلمها فلا تبدلوها **عليم** بحال من اوصى ومن بدل
وخص السمع هنا لقوله بعد ما سمعه والغفران بعد لقوله فلا اثم
عليه **فمن خاف** اى توقع وظن ظنا قويا **من موص** قرى مخففا ومثقلا **جنفا**
ميلا عن الحق خطا في الوصية والجنف ايضا الجور قال عدي بن زيد
• وامك يا نعمان في اخواتها • تاتين ما تاتينه جنفا •
او اثما اى تعمد الجنف **فاصلح بينهم** اى الموصى لهم باجرايهم على حكم الشرع
ولم يجر لهم ذكر لكن دل عليهم ذكر الموصي **فلا اثم عليه** في هذا التبديل
لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول وقيل المعنى من علم جورا في الوصية
فامر بالعدل فيها فلا اثم عليه في ذلك فالخطاب لجميع المسلمين اى ان خفتم
من موص ميلا في الوصية وعدولا عن الحق ووقوعا في اثم ولم تخرجها بالمعروف
فبادروا الى السعي في الاصلاح بينهم فاذا وقع الصلح سقط عن المصلح
الاثم والاصلاح فرض على الكفاية **ان الله غفور رحيم** فيه بشرى للمصلح
بالمغفرة والرحمة **يايها الذين امنوا كتب** اى فرض **عليكم الصيام** هو في
اللغة الامساك وفي الشرع الامساك عن المفطر مع النية في زمن مخصوص
من مسلم عاقل طاهر عن الحيض والنفاس **كما كتب على الذين من قبلكم**
يعني الانبيا والامم من لدن ادم وفيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل
وتطييب على النفس والتشبيه في اصل الصوم وقيل في كيفيته اذ الافطا

منه كان مباحا من الغروب الى وقت النوم فقط ثم نسخ قال مجاهد كتب الله
صوم شهر رمضان على كل امة فصاموا قبل الثلاثين يوما وبعدها
يوما قرنا بعد قرن حتى بلغ صومهم خمسين يوما فصعب عليهم في الحر
فنقلوه الى الفصل الشمسي وقيل غير ذلك لعلكم تتقون الشهوات
بالصوم فانه يكسرها لانها مبدا المعاصي اياما معدودات موقتات
بعدد معلوم او قلايل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا
وفيه تنبيه بذكر قلة ايامه تنشيطا لنا على الصوم ونصب اياما
بفعل دل عليه الصيام اي صوموا او الصيام لوقوع الفصل بينهما وقال
الفرا مفعول ثان بكتب وقيل على الظرف لكتب اي كتب عليكم الصيام
في ايام والمراد بها رمضان وفرض بعد الهجرة بسنتين تقريبا وقيل
المراد ما وجب صومه قبل وجوب رمضان ونسخ به وهو عاشوراء
وثلاثة ايام من كل شهر فمن كان منكم حين شهوده مريضا مرضا يضره
الصوم ويعسر معه وللمريض حالتان احداهما ان لا يقدر على الصوم
بحال فالفطر عليه واجب الثانية ان يقدر على الصوم بحال ومشقة
فهذا يستحب له الفطر ولا يصوم الا جاهل او على سفر اي راكب سفر
قصر واجهده الصوم في المرض ولم يرده في السفر وفيه ايما بان من سافر
اثنا النهار لا يفطر فعدة من ايام اخر يقضي بها ما فاته من ايام المرض
والسفر ففي الكلام حذف اي فافطر فعليه عدة الى اخره اي عدد ما افطر
وقيل المعنى ان افطر فعليه فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه
للعلم بها وهذا على سبيل الرخصة وعلى الذين يطيقونه اي الصوم
اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام اي اطعام مسكين قدر
ما

ما ياكله في يوم وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء
العراق ومد عند فقهاء الحجاز فان شاوا صاموا وان شاوا افطروا ه
واخرج عن كل يوم مدا من غالب قوت البلد رخص لهم في ذلك اول الامر
لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرئ فدية
بغير تنوين طعام بالخفض فكانه فسر الفدية باضافتها الى نفسها
كخاتم حديد وقرئ بالتنوين والرفع ابدالا الطعام من فدية او عطف
بيان او خبر مبتدا محذوف تقديره هي وقرئ مساكين بالجمع حملا على
ما قبله من قوله وعلى الذين يطيقونه اذ الجماعة اذا افطروا اطعموا
جماعة عادة وقرئ بالافراد لانه اخف لفظا مع افادة ان المفطر لا يلزمه
الا اطعام واحد فمن تطوع خيرا زاد في الفدية وقال ابن شهاب من
اراد الاطعام مع الصوم وخير الثاني صفة تفضيل وكذلك الثالث فهو
اي التطوع خير له وان تصوموا مبتدا خبره خير لكم من الفدية ان
كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضل وقيل المعنى ان كنتم تعلمون انه
خير في تلك الايام فافعلوه وقيل المعنى ان كنتم من اهل العلم علمتم
ان الصوم خير وكان هذا في اول الاسلام ثم نسخ كما تقدم بوجوب
الصوم على المطيقين غير المسافر بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه
كما ياتي قال ابن عباس الا الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على الولد
فانها باقية بلا نسخ في حقهما ومنهم من يقول هي محكمة والمراد بها من كان
يطيقه ثم عجز عنه لهرم ويقول التقدير وعلى الذين لا يطيقونه
او يطيقونه حال الشباب ثم يعجزون عنه بعد الكبر شهر رمضان
مبتدا خبره ما بعده او خبر مبتدا محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان

وقيل غير ذلك وسمي الشهر شهرا لشهرته ورمضان مصدر رمض اذا احترق واضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية وزيادة الالف والنون وسمي بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لوقوعه ايام رمض الحر لانهم لما نقلوا اسما الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها وقيل لانه يرمض الذنوب اي يحرقها بالاعمال الصالحة فيه وقيل رمضان اسم الله وبني عليه كراهة لفظه بلا شهر والصحيح خلافه قال اهل التاريخ اول من صام رمضان نوح عليه السلام لما خرج من السفينة **الذي انزل فيه القران** اي ابتدي فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر وقيل انزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى سما الدنيا ثم نزل به جبريل نجما نجما في الاوامر والنواهي والاسباب وقيل انزل في تعظيمه القران وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين منه والانجيل لثلاث عشره والقران لاربع وعشرين والقران اسم لكلام الله وهو بمعنى المقرو كالمكتوب يسمى كتابا وسمي قرانا لجمعه السور والاي والحروف وتقدم في مقدمة التفسير وكذا معنى الانزال فيهما **هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** حالان من القران اي انزل وهو هداية للناس من الضلالة باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فقوله من الهدى والفرقان صفة لهدى وبينات قبله ويتعلق بمحذوف اي القران هدى بينات كاين من جملة هدى الله وبيناته لكن عبر عن البينات بالفرقان لان فيه زيادة معنى وهو

كونه

كونه يفرق بين الحق والباطل ولان في لفظ الفرقان تواخي الفواصل **فمن شهد منكم الشهر** اي حضر فيه **فليصمه** اي فليصم فيه ونصب الاول على الظرف وحذف الجار ونصب المضمر في يصمه على الاتساع وقيل المعنى فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون قوله **ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر** مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه **يريد الله بكم اليسر** اي الرخصة **ولا يريد بكم العسر** بالزام المريض ونحوه واليسر من السهولة ومنه اليسار للغنا وسميت اليد اليسرى تفاولا او لان الامر يسهل بمعاونتها اليمين **ولتكملوا** بالتخفيف والتشديد **العدة** اي عدة رمضان ولا تزيدوا فيه كما فعلت النصارى وفيه تاويلان احدهما اكمال عدة الادا لمن افطر في سفره او مرضه الثاني عدة الهلال سوا كان تسعا وعشرين او ثلاثين **ولتكبروا الله** عند اكمالها **على ما هداكم** اي ارشدكم في دينه ومنه الرخصة **ولعلكم تشكرون** فضله في عدم ارادة العسر وهي علل الفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضا ومراعات عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخره على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعات العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضا وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون وقيل غير ذلك والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثنا عليه ولذلك عدي بعلى وقيل

تكبيره يوم الفطر وما يحتمل المصدر والخبر اي على هدايته لكم او الذي
هداكم اليه **واذا سالك عبادي عني** قال الحسن سببها ان قوما قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه
فنزلت وروي في سببها ان اليهود قالت كيف يسمع ربنا دعاءنا
وانت تزعم ان بيننا وبين السما خمسماية عام وغلظ كل سما مثل ذلك
وقال عطا وقتادة لما نزل ادعوني استجب لكم قال قوم في اي ساعة
ندعوه فنزلت **فاني قريب** اي فقل لهم اني قريب اليهم بعلمي وقيل بالاجابة
وقيل المعنى اذا سالوك عن المعبود فاخبرهم انه قريب يثيب على
الطاعة ويجيب الداعي ويعلم ما يفعله العبد من طاعة وغيرها
وقيل قريب من اوليائي بالافضال والانعام وحذف قل مع انها
منوية للاشارة الى انه تعالى تولى جواب السايل عنه بنفسه **اجيب
دعوة الداع اذا دعان** بانالة السوال وهو اشارة الى القرب
وانما لم يستجب لكثير من الدعا لانتفا شروط الاجابة من طاعة الله تعالى
واكل الحلال وحضور القلب ولان الداعي يعتقد مصلحته في اجابة
دعوته والله يعلم ان المصلحة في تاخيرها او يعطيه بدلها وهذا
اقرب لما روى الحاكم من قوله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو
الله تعالى بدعوة الا اتاه الله اياها او صرف عنه من السوء مثلها او ادخر
له من الاجر مثلها ما لم يدع باثم القرطبي فان قيل ما للداعي يدعو فلا يجاب
فالجواب ان تعلم ان قوله الحق في الايتين اجيب واستجب لا يقتضي
الاستجابة مطلقا لكل داع فقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية
انه لا يحب المعتدين وكل مصر على كبيرة عالم بها او جاهل فهو معتد
وقد

وقد اخبر انه لا يحب المعتدين فكيف يستجيب له وقال بعض العلما اجيب
ان شيت قال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شا فيكون من باب المطلق
والمقيد وقيل المعنى اقبل عبادة من عبدني فالدعا بمعنى العبادة
والاجابة بمعنى القبول وفي الحديث الدعا هو العبادة **فليستجيبوا لي**
اي يجيبوا اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم
وقيل المعنى فليستدعوا مني الاجابة **وليومنوا بي** امرهم بالثبات
والمداومة عليه **لعلهم يرشدون** اي يفعلون ذلك مع رجايهم لاصابة
الرشد وهو الظفر بالحق وهو خلاف الغي قال الهروي الرشد والرشاد
الهدى والاستقامة **احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم** لفظة
احل تقتضي انه كان محرما قبل ذلك ثم نسخ وذلك ان الجماع كان محرما بعد
العشا في ايام الصوم فوقع فيه جماعة من الصحابة وشكوا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي البخاري لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون
النسا رمضان كله وكان رجال يخونون انفسهم بالمباشرة في ليالي الصوم
ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشا فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم
واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشا فنزلت
وليلة الصيام الليلة التي تصبح منها صايما والرفث كناية عن الجماع
لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي
بالى لتضمنه معنى الافضا وقال الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد
الرجل من امراته **هن لباس لكم وانتم لباس لهن** فيه ذكر سبب الحل
وهو كناية عن عدم استغنا كل عن صاحبه وذلك لقلة الصبر عنهن
وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولاشتمال كل على

صاحبه سمي لباسا لان الرجل والمراة لما كانا يعتنقان شبها باللباس ٥
قال الجعدي ٥ اذا ما الضجيع ثنى عطفها ٥ تثنت فكانت عليه لباسا
او ان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور وقيل هن سكن لكم
وانتم سكن لهن وقيل هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقيل غير ذلك علم
الله انكم كنتم قبل نزول هذه الاية تختانون انفسكم اى تخونونها بالجماع
بعد العشا وتظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب
وسماهم خائنين لانفسهم من حيث كان الضرر عائدا عليهم وقيل المعنى
يستامر بعضكم بعضا في موافقة المحظور من الجماع والاكل بعد النوم
في ليالي الصوم والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب
ومعنى علم الله وقع علمه في الزمن الماضي ولا يلزم انه لم يكن قبل ذلك فان
العلم في زمن ماض اعم من المستمر على الدوام قبل ذلك الزمن وبعده ٥
وعلم الله تعالى لا يتجدد فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه ويحتمل
ان يكون المعنى خفف عنكم بالرخصة والاباحة كقوله علم ان لن تحصوه
فتاب عليكم اى خفف وعفا عنكم يحتمل من الذنب اى محا اثره ويحتمل
التوسعة والتسهيل والمعنى ان الالزام بذلك نسخ البدل هو الاخف
عليكم قال ابن العربي قال علماؤنا هكذا فلتكن العناية وشرف المنزلة
خان نفسه عمر فجعلها الله تعالى شريعة وخفف لاجله عن الامة
رضي الله عنه فالان باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز
نسخ السنة بالقران والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع ٥
وابتغوا ما كتب الله لكم ابن عباس وغيره معناه واطلبوا الولد وقيل
ما اباحه من الجماع وقدره من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون
غرض

غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر
وقيل النهي عن العزل الزجاج اى تبتغوا القران ما ابيح لكم فيه وامرتم به
وقيل اطلبوا ليلة القدر قتادة اطلبوا الرخصة والتوسعة وكلوا
واشربوا الليل كله روى البخاري عن البرا قال كان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا كان الرجل صايما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر
لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري كان صايما
فلما حضر الافطار اتى امراته فقال اعندك طعام فقالت لا وفيه
فغلبته عيناه فجاءته امراته فلما راته قالت خيبة لك فلما انتصف
النهار غشي عليه فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ى وكلوا واشربوا
وان نمتم قبل الاكل او لم تاكلوا قبل العشا حتى يتبين يظهر لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود من الفجر الصادق اى بياض النهار من ظلام الليل فهو
تمثيل شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخيطين ممتدين
ابيض واسود وقوله من الفجر بيان الخيط الابيض وبيان الاسود محذوف
تقديره من الليل فاقتصر على الاول لانه المقصود بدوام نحو الاكل اليه وما
روي من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا
يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل
دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باجتهادهم
في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح
دلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام
من الفجر الى الليل بيان اخر وقته والمراد غروب الشمس وفيه ما يقتضي النهي
عن الوصال اذ الليل غاية الصيام وقالت عائشة رضي الله عنها وقد

اختلف فيه فممن واصل عبد الله بن الزبير فكان يواصل سبعة ايام
فاذا افطر شرب السمن والصبر حتى يفتق امعاءه وابو الجوزا كان يواصل
سبعا ولو قبض على ذراع الرجل الشديد لحطمها وابرهيم التيمي ٥
وظاهر القران والسنة يقتضي المنع وفي مسلم اذا غابت الشمس وجاء
الليل فقد افطر الصايم وفي البخاري اياكم والوصال اياكم والوصال
ولما فيه من ضعف القوى وانهاك الابدان وجمهور العلما على جوازه ٥
وقد حرمه بعضهم لما فيه من مخالفة الظاهر والتشبه باهل الكتاب
ولا تباشروهن اي نساكم والمراد بها الوطي ابن عباس المباشرة الجماع
ولكن الله يكني وعنه ايضا ان الله كريم يكني فكنى عن الجماع بالرفث وعن
طلبه بالمراودة وعن المعانقة باللباس وعن البول والغايط بقوله
او جا احد منكم من الغايط واصله المكان المطمين من الارض وعن
قضا الحاجة باكل الطعام في مريم وابنها بقوله كانا ياكلان الطعام
وكنى عن الاستناه بالادبار وانتم عاكفون في المساجد اي مقيمون فيها
بنية الاعتكاف والعكوف الاقامة على الشيء وهو في الشرع الاقامة
في المسجد بنية القربة ويحصل عند الشافعي بلبث قد ريسمى عكوفا
ولو وقفة لطيفة ولا يشترط فيه الصوم ونزلت الاية نهيا لمن كان
يخرج وهو معتكف فيجامع امراته ويعود على ظن ان الجماع لا يبطله ٥
وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولم يرد ما يدل على جوازه
في غيره فاختص به ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطي يحرم فيه ويفسده
لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكر
فلا تقربوها اي لا تاتوها والحد ما منع منه وحدت للعباد ليقفوا

عندها

عندها وقال هنا فلا تقربوها وفيما بعدها فلا تعتدوها لان الحد
هنا نهي هو قوله ولا تباشروهن وما كان من الحدود نهيا نهي فيه
عن المقاربة والحد فيما بعد امر بعد بيان عدد الطلاق بقوله
الطلاق مرتان الاية وما كان امرا نهي فيه عن الاعتدا وهو مجاوزة
الحد فنهى تعالى عن قربان الحد الحاجز بين الحق والباطل فضلا عن ان
يتخطى عنه كما قال عليه الصلاة والسلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله
محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه كذلك اي مثل هذا
التبيين يبين الله اياته العظمى للناس لعلهم يتقون النواهي ومخالفة
الاوامر ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي لا ياكل بعضكم مال بعض
بغير حق والمراد بالباطل كل وجه لم يبحه الشرع كالقمار والخداع والغصوب
وما لا تطيب به نفس مالكه او حرمه الشرع وان طابت نفس مالكه ٥
كمهر البغي وحلوان الكاهن واثمان الخمور والخنازير وغير ذلك واضيفت
الاموال الى ضمير المنهي كما قال ولا تقتلوا انفسكم وقيل المراد ولا تاكلوا
اموالكم في الملاهي والقيان والشرب والبطالة فيجي على هذا اضافة
المال الى ضمير المالكين وبينكم نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا
بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلا الالقا ولا
تلقوا تحاكمكم فيها الى الحكام او بالاموال رشوة وهو ماخوذ من ادلى حجته
وادلى دلوه اذا ارسلها ليملاها وناسب التعبير به لانه يطلب بها الحاجة
كما يطلب بادلا الدلو الما لتاكلوا بالتحاكم فريقا طايفة من اموال
الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او متلبسين
بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون وعلمتم ان ارتكاب المعصية مع العلم

بها اقبح وقال الزجاج تعملون بما يوجب ظاهر الاحكام وتتركون ما علمتم
انه الحق والمعنى لا تصانعوا الحكام باموالكم وترشوهم ليقضوا لكم على
اكثر منها قال ابن عطية وهذا القول يترجح لان الحكام اكلت الرشا الا
من عصم الله وهو الاقل وقيل هو مال اليتيم في ايدي الاوصيا ترفعه
الى الحكام اذا طولبت به ليقتطع بعضه ويقوم له في الظاهر حجة وروي
ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم تكن له
بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم
به فقرا صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل
على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض
فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشي من حق اخيه فانما اقطع
له قطعة من النار والحرام لا يصير حلالا بقضا القاضي لانه انما يقضي
بالظاهر وهذا اجماع في الاموال وقال ابو حنيفة ينفذ قضاوه في الفروج
واذا كان لا ينفذ قضا القضاة في الاموال فهو في الفروج اولى **يسئلونك عن
الاهلة** السايل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة بفتح المهملة والنون قالا
ما بال الهلال يبدو رقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص
حتى يعود كما بدا ولا يكون على حال واحدة كالشمس **قل** لهم جوابا وكل سوال
جا في القران قيل في جوابه قل الا في طه في قوله ويسيلونك عن الجبال
فقل بالفا لان الجواب في الجميع كان بعد وقوع السوال وفي طه قبله
والتقدير ان سيلت عن الجبال **هي مواقيت للناس** في الاجال والعدد

والصوم ومدة الحمل والاجارات وغير ذلك من مصالح العباد **والحج**
فيعلم بها وقته ادا وقضا وهذا جواب فيه اعلام بان حقهم ان يسالوا
عن حكمة ذلك لا عن هيئته وذلك لان الاصل في الجواب ان يكون مطابقا
للسوال وعدل هنا عن الجواب عما يقتضيه السوال تنبيها على ما ذكره
والمواقيت جميع الميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان
ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبتداها الى منتهاها والزمان
مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وافرد الحج بالذكر لانه مما
يحتاج اليه والى معرفته في الوقت ولانه لا يجوز النسي فيه عن وقته
بخلاف ما عليه العرب فانها كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فابطل
الله قولهم وفعلهم واستدل مالك وابو حنيفة على صحة الاحرام بالحج
في غير اشهر الحج بهذه الاية وخالف في ذلك الشافعي لقوله تعالى الحج
اشهر معلومات على ما ياتي **وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها**
اتصل هذا بذكر مواقيت الحج لاتفاق وقوع القضيتين في وقت السوال
عن الاهلة وعن دخول البيوت من ظهورها فنزلت الاية في الامرين جميعا
وكانت الانصار اذا حجوا وعادوا لا يدخلون من ابواب بيوتهم وكانوا اذا
احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون
من نقب وفرجة فيعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر
من اتقى المحارم والشهوات بقوله **ولكن البر من اتقى** ويحتمل ان يكون وجه
الاتصال انه لما ذكر مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره استطرادا
او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السوال وتمثيلهم بحال من ترك باب
البيت ودخل من ورايه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسايلكم ولكن

البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله قال ابو عبيدة الاية ضرب مثل
المعنى ليس البر ان تسالوا الجهال ولكن اتقوا الله واسألوا العلما كما تقول
اتيت الامر من بابه **واتوا البيوت من ابوابها** اذ ليس في العدول بر
او المعنى باشروا الامور من وجوهها **واتقوا الله** في تغيير احكامه والاعتراض
على افعاله **لعلكم تفلحون** لكي تظفروا بالهدى والبر ولما صد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على ان يعود
العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة ايام وتجهز لعمرة القضا وخاف
المسلمون ان لا تفي لهم قريش ويقاتلوهم في الحرم والاحرام والشهر الحرام
وكرهوا ذلك فنزل **وقاتلوا** اي جاهدوا **في سبيل الله** لاعلاء دينه **الذين
يقاتلونكم** من الكفار دون غيرهم وكان الامر بذلك قبل قتال الكافة
ولا تعتدوا بابتدا القتال او بقتال غيرهم او بقتل من نهيتم عن قتله
كقتل النسا والصبيان **ان الله لا يحب المعتدين** اي المجاوزين ما حد لهم
ومعنى لا يحب لا يريد بهم الخير **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** اي وجدتموهم
اي في حل او حرم واصل الثقافة الحذق والبصر بالامر علما كان او عملا
فهو يتضمن الغلبة ولذلك استعمل فيها **واخرجوهم من حيث اخرجوكم**
اي من مكة وقد فعلوا ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح **والفتنة اشد من القتل**
اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل
لدوام تعبها وتالم النفس بها كما قيل ٭ لقتل بحد السيف اهون موقعا ٭
على النفس من قتل بحد فراق ٭ وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم
عنه اشد من قتلكم اياهم فيه وقيل الفتنة التي حملوكم عليها وراموا
رجوعكم بها الى الكفر اشد من القتل اي من ان يقتل المومن اخف عليه من الفتنة
وقيل

وقيل شركهم بالله اعظم جرما واشد من القتل الذي عيروكم به وهذا
على ان الاية نزلت في شان عمرو بن الحضرمي حين قتله واقد بن عبد الله التميمي
في اخر يوم من رجب حسب ما هو مذكور في سيرة عبد الله بن جحش **ولا
تقاتلوهم عند المسجد الحرام** اي في الحرم **حتى يقاتلوكم فيه** اي لا تفاتحوهم
بالقتال وهتك المسجد الحرام **فان قاتلوكم فيه فاقتلوهم** فيه ولا تبالوا
بقتالهم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم
فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم **كذلك** اي قتلهم واخراجهم **جزاء
الكافرين** اي مثل ذلك جزاؤهم فهو نهي عن ابتدا قتالهم في الحرم ودليل
لجواز قتلهم اذا قاتلوا وهو منسوخ باية براءة مجاهد الاية محكمة ولا يجوز
قتل احد في المسجد الحرام الا بعد ان يقاتل وبه قال طاوس واليه ذهب
ابو حنيفة واصحابه **فان انتهوا** عن الشرك والقتال الكفر **فان الله غفور رحيم**
يغفر لهم ما قد سلف **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** اي يوجد شرك **ويكون
الدين** العبادة **لله** خالصا ليس للشيطان فيه نصيب وقال في الانفال
ويكون الدين كله لله لان القتال هنا مع اهل مكة فقط وثم مع جميع الكفار
فناسب ذكر كل ثم **فان انتهوا** عن الكفر بالاسلام او اعطوا الجزية ان كانوا
اهل كتاب كما ياتي في براءة **فلا عدوان الا على الظالمين** اي فلا تعتدوا
على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فاوقع العلة موقع الحكم
وسمى ما يصنع بالظالمين جزاء باسم مقابله للمشاكلة كقوله
من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم من
الظالمين وينعكس الامر عليكم والظالم واضع الشي في غير محله وسمي به
الكافر لوضعه العبادة في غير محلها والفاء الاولى للتعقيب والثانية

للجزا والمعنى لا يقاتل الا الكافر والجملة دالة على جواب الشرط المقدر
اى فان انتهوا فلا تعتدوا عليهم بقتل ولا غيره الشهر الحرام المحرم
اى ذو القعده الذى دخلتم مكة فيه لعمرة القضا سنة سبع مقابل
بالشهر الحرام وهو ذو القعدة ايضا الذى صددتم فيه عن البيت
سنة ست وذلك ان المشركين لما قاتلوا المسلمين عام الحديبيه
فى ذى القعدة واتفق خروجهم لقضا العمرة فيه كرهوا ان يقاتلوا
المشركين لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذلك وهتكه بهتكه فلا
تبالوا والمعنى كما قاتلوكم فيه فاقتلوهم فيه فهو رد لاستعظام المسلمين
ذلك والحرمات قصاص احتجاج عليه اى كل حرمة وهى ما يجب ان
يحافظ عليها او ما منعت من انتهاكه وجمعها لانه اراد حرمة الاحرام
وحرمة الشهر الحرام والبلد الحرام والقصاص المماثلة والمساواة
وهذا قبل ان نومر بقتالهم فى شهر حرام بدؤنا او لم يبدؤنا فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم من غير زيادة فهو عموم
متفق عليه اما بالمباشرة واما بالحكام وسمى جزا العدوان عدوانا
لشبهه بالمقابل به فى الصورة كما تقدم واتقوا الله فى الانتصار وترك
الاعتدا واعلموا ان الله مع المتقين بالحفظ والنصر فيحرسهم ويصلح
شانهم وانفقوا فى سبيل الله هو الجهاد اذا اطلق وكل خير سبيل الله
ايضا لانه فى الطريق التى امر الله بها ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكه بالاسراف وتضييع وجه المعاش او المعنى
لا تكفوا عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوى العدو ويسلطهم على
اهلاككم ويويده ما روى عن ابى ايوب الانصارى انه قال لما اعز الله

الاسلام

الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها
فنزلت وقيل المعنى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالامساك وحب
المال فانه يودى الى الهلاك المويد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو فى
الاصل انتها الشى فى الفساد وقيل المعنى لا تنفقوا من حرام فيرد عليكم
فتهلكوا ونحوه عن عكرمة وعن البرا بن عازب قيل له هو الرجل يحمل
على الكتيبة قال لا ولكنه الرجل يصيب الذنب فيلقى بيده الى التهلكه
ويقول قد بالغت فى المعاصى فييأس من رحمة الله فينهمك بعد ذلك على
المعاصى فيهلك والالقا طرح الشى وعدى بالى لتضمن معنى الانتهاء
والبا مزيدة والمراد بالايدى الانفس والتهلكة والهلاك والهلك
بمعنى واحد وهى مصدر كالتصرة اى لا توقعوا انفسكم فى الهلاك وقيل
المعنى ولا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها
فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم باتباع الامر ومنه النفقة فى الطاعة
واحسنوا الظن بالله فى اخلافه عليكم ان الله يحب المحسنين اى يثيبهم
وينعم عليهم واتموا الحج والعمرة لله اى ايتوا بهما تامين مستجمعى المناسك
لوجه الله وهو يدل على وجوبهما وبه قال على وابن عمر وابن عباس وعطا
وطاوس ومجاهد والحسن وابن سيرين وغيرهم وقيل تمامهما الافراد
بان يحرم بالحج من سنته فاذا فرغ منه اتى بالعمرة فى بقية السنة وقال
سفيان اتمامهما ان تخرج قاصدا لهما لا التجارة ونحوها وقال على
رضى الله عنه اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقال مقاتل اتمامهما
ان لا تستحلوا فيهما ما لا ينبغى لكم فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو
واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضى مثل صده واصده والمراد حصر العدو

عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول
ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند
ابي حنيفة واصحابه واحتجوا بمقتضى الاحصار مطلقا قالوا وذكر الامن
في اخر الاية لا يدل على انه لا يكون من المرض ففي الخبر الزكام امان من الجذام وفي
ابن ماجة من سبق العاطس بالحمد امن من الشوص واللوص والعلوص اي من
وجع السن والاذن والبطن والاحصار المبيح للتحلل عند الشافعي منع العدو
وشبهه شرط التحلل بالمرض في عقد الاحرام وان لم يشترط لم يتحلل فالمراد
منعتم من اتمام النسك ولقوله صلى الله عليه وسلم لضباعة بنت الزبير
حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي
اي فعليكم او فالواجب ما تيسر او فاهدوا ما تيسر والمعنى فان احصرتم
فلكم التحلل وعليكم ما تيسر من الهدي وانما قدر ذلك لان نفس الاحصار
لا يوجب الهدي وما استيسر عند الجمهور شاة او بدنة او بقرة او سبع
واحدة منهما بان يشترك فيها قوم ويفرق لحمها في محل ذبحها وهو الموضع
الذي احصر فيه عند الشافعي فان عجز اشترى بقيمة الشاة طعاما وتصدق
به فان عجز صام عن كل مد يوما ولا تحلقوا رؤسكم اي لا تتحللوا حتى يبلغ
الهدي هو اسم لكل ما يهدى الى بيت الله تقربا اليه والمراد به هنا
ما يذبح من النعم محله اي يصل الى المحل الذي يحل ذبحه فيه وذلك حيث
احصر في الحل او الحرم فلا يجوز للمحصر تقديم الحلق على الذبح ويجب ان ينوي
التحلل عند الذبح والحلق وقيل محل هدي المحصر الحرم فان كان حاجا
ذبح يوم النحر وان كان معتمرا ذبحه يوم بلوغه الحرم وبه قال ابو حنيفة
والاول قول الشافعي فالمراد عنده مكانه المعهود لامكانه الذي لا يجوز
ان

ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا
تنهض حجة المخالف على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم والمحل بالكسر يطلق
للمكان والزمان فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى
من راسه كجراحة وقمل وصداع فحلق في الاحرام ففدية اي فعليه فدية
او فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية
واما قدرها فقد روي انه عليه الصلاة والسلام قال لكعب بن عجرة
لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة
ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة واو للتخيير والفرق
ثلاثة اصع والصاع اربعة امداد والمد رطل وثلث بالبغدادي وهو
مائة وثمانية وعشرون درهما واربعة اسباع درهم فهذه كفارة لمن
خشي من عدم الحلق محذورا ابيح التيمم من خشية تلف عضو او نقص منفعة
او بطؤ برء او شين فاحش في عضو ظاهر والحلق بغير عذر كذلك بل هو
اولى بالتكفير وكذلك كل استمتاع كطيب ولبس ودهن لعذر او
غيره واصل النسك العبادة ومنه وارنا مناسكنا وقيل اصله الغسل
يقال نسك ثوبه اذا غسله فكان العابد غسل نفسه من دران الذنوب
بالعبادة فاذا امنتم الاحصار بان ذهب العدو او كنتم في حال امن
وسعة وقيل معناه برئتم من المرض فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي فمن استمتع
بسبب فراغه من العمرة بمحظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج وهو من احرم
متمتعا في اشهر الحج ثم حج من سنته فما استيسر اي تيسر من الهدي
عليه اي شاة بصفة الاضحية او سبع بدنة او سبع بقرة فهو دم جبران
يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه ووقت ذبحه بعد التحلل من العمرة

والافضل ذبحه بعد الاحرام بالحج ويوم النحر وقال ابو حنيفة انه دم
نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد الهدى بان عجز عن تحصيله او وجده
باكثر من ثمن المثل فصيام اى فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج اى في ايام
الاشتغال به فيجب ان يصومها بعد الاحرام ان احرم والمدة تسع س ٥
فيجب ان يحرم قبل السابع من ذي الحجة والاولى ان يحرم قبل يوم السادس
ويصومه ويصوم السابع والثامن ويفطر التاسع لانه يوم عرفة
فيكره صومه للحاج الذي لم يوخر الوقوف الى الليل ولا يجوز صوم
يوم النحر ولا ايام التشريق للمتمتع عند الامام الشافعي والجمهور وسبعة اذا
رجعتم الى وطنكم مكة او غيرها فان جاور بمكة صامها فيها مفرقا بقدر
تفريق الاداء وهو اربعة ايام ومدة امكان السير الى اهله غالبا وقيل
المعنى اذا رجعتم نفرتم وفرغتم من اعماله وبه قال ابو حنيفة وفيه التفات
عن الغيبة تلك عشرة اى تلك الايام عشرة وذكر عشرة لئلا يتوهم
ان الواو بمعنى او كجالس الحسن او ابن سيرين او لان السبعة تستعمل
للتكثير او لان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم
يحسنوا الحساب كاملة صفة موكدة اراد بها المبالغة في حفظ العدد
لئلا يتوهم تصحيف سبعة بتسعة او معناه كاملة ثوابا مع كونها
متفرقة او واقعة بدلا عن الهدى مكملا اى كاملة في قيامها مقام الهدى
ذلك اشارة الى الحكم المذكور من وجوب الهدى او الصيام على من تمتع
عند الشافعي او التمتع عند ابي حنيفة لانه لا متعة ولا قران لحاضرى
المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جنايه لمن لم يكن اهله
حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند

الشافعي

الشافعي وحاضروه من هم دون ذلك فهم مقيمون بالحرم او في حكمهم
ومن مسكنه وراء الميقات عند ابي حنيفة واهل الحل عند طاوس وغير
المكي عند مالك وذكر الاهل مشعر بالاستيطان فلو اقام قبل اشهر الحج
ولم يستوطن وتمتع فعليه الدم ولحق بالمتمتع فيما ذكر القارن وهو
من احرم بالحج والعمرة معا او ادخل الحج عليها قبل الطواف كما بينته السنة
والكلام في قوله لمن بمعنى على اى وجوب الدم على من لم يكن واتقوا
الله فيما فرضه عليكم وخصوصا في الحج وقيل هو امر بالتقوى على العموم
واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن
العصيان فهو تحذير من شدة عقابه الحج اى وقته اشهر او اشهر الحج
اشهر او وقت عمل الحج اشهر معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة
وعشر ليال من ذي الحجة عند الشافعي وبه قال ابن عباس والسدى
والنخعي وسمى بعض الشهر شهرا اقامة للبعض مقام الكل واطلاقا للجموع
على ما فوق الواحد وقيل وذو الحجة كله وبه قال مالك ولم يسم الله
تعالى اشهر الحج في كتابه لانها كانت معلومة عندهم فمن فرض فيهن
الحج اى الزم نفسه بالشروع فيه بان احرم به ويحصل بمجرد النية
ولا يشترط التلبية وسمى المحرم فارضا لانه الزم نفسه بما لا يجوز
له التحلل منه ولا تركه الا لما سبق واصل الفرض الحز الذي يكون في السهام
والقسي وغيرها وقيل فرض ابان وهذا يرجع الى القطع وقال فيهن
ولم يقل فيها لانهما سواء في الاستعمال المازني الجمع الكثير لما لا يعقل
ياتي كالواحدة المونثة والقليل ليس كذلك ويويد ذلك قوله تعالى
ان عدة الشهور الاية فلا رفث اى جماع قاله ابن عباس وابن جبير والحسن

وغيرهما او فلا فحش في الكلام وقيل هو كلما يريده الرجل من اهله **ولا**
فسوق اى ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات
ابن عمر وجماعة الفسوق اتيان معاصى الله تعالى في حال الاحرام كقتل
الصيد وقص الظفر واخذ الشعر وشبه ذلك ابن زيد ومالك الفسوق
الذبح للاصنام **ولا جدال** اى لا مراء ولا مخاصمة مع الخدم والرفقاء وشبههم
في الحج في ايامه ابن عباس الجدال هنا ان تمارى مسلما حتى تغضبه فينتهى
الى السباب اما مذاكرة العلم فلا نهى عنها وقيل الجدال ان يختلفوا
ايهم صادف موقف ابراهيم كما كانوا يفعلون في الجاهلية وقيل
غير ذلك وانما امروا باجتناب الجدال في الحج مع انه واجب الاجتناب
في كل حال لانه مع الحج اقبح كلبس الحرير في الصلاة وقرئ رفث وفسوق
بالرفع والتنوين وقرئ بالنصب وترك التنوين فيهما ولا خلاف في
ولا جدال انه بالفتح لانه اخبار محض وفي الاولين يحتمل الاخبار والنهي ه
ووجه القراءتين ظاهر لان كلمة لا مع اسمها على الفتح ان كان نكرة ويجوز
رفعه اذا كرر ويجوز المغايرة والمراد بالنفي وجوب انتفائها وحقيقته
ان لا يكون قال الزمخشري ورود الخبر والمراد الامر والنهي ابلغ من صريح
الامر والنهي كانه سورع فيه الى الامتثال واخبر عنه وقال ابن العربي
المراد بقوله فلا رفث نفيه مشروعا لا موجودا فانا نجد الرفث فيه
ونشاهده وخبر الله تعالى لا يجوز ان يقع بخلاف مخبره وانما يرجع النفي
الى وجوده مشروعا لا الى وجوده محسوسا كقوله لا يمسه الا المطهرون
اذا قلنا انه وارد في الادميين وهو الصحيح والمعنى لا يمسه احد شرعا
فان وجد المس فعلى خلاف حكم الشرع وهذه الدقيقة التي فاتت العلما
فقالوا

فقالوا ان الخبر يكون بمعنى النهي وما وجد ذلك قط ولا يصح ان يوجد
فانهما يختلفان حقيقة ويتضادان وصفا **وما تفعلوا من خير** كصدقة
يعلمه الله شرط وجوابه يعنى ان الله يجازيكم على اعمالكم والمجازاة
انما تقع من العالم بالشئ وقيل هو تحريض وحث على حسن الكلام مكان الفحش
وعلى البر والتقوى مكان الفسوق وعلى الوفاق والاخلاق الجميلة مكان
الجدال **وتزودوا** امر باتخاذ الزاد لان قوما من اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون
ويقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا مكة سالوا الناس فامرهم بالزاد العام
الذي هو العاجل والآجل ولذلك عقبه بقوله فان خير الزاد التقوى ه
وقال بعض الناس وتزودوا الرفيق الصالح ابن عطية وهذا تخصيص
ضعيف القرطبي المراد الزاد المتخذ في سفر الحج الماكول حقيقة وعليه
اكثر المفسرين ابن العربي امر الله تعالى بالتزود لمن كان له مال وان كان
ذا حرفة ينفق في الطريق او سايل فلا خطاب عليه وانما خاطب الله
اهل الاموال الذين كانوا يتركون اموالهم ويخرجون بغير زاد ويقولون
لا ندخل في الخطاب فانه خرج على الاغلب من الخلق وهم المقصرون عن
درجة التوكل الغافلون عن حقائقه قال ابن الجوزي وقد لبس ابليس على
قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا ان هذا هو التوكل وهم على خطا
قال رجل لاحمد بن حنبل اريد ان احج الى مكة على التوكل بغير زاد فقال
له احمد اخرج في غير القافلة فقال لا معهم فقال فعلى جرب الناس
توكلت **فان خير الزاد التقوى** اى خير الزاد اتقاء المنهيات وهذا
محمول على المعنى اى تزودوا واتقوا الله في اتباع ما امركم به من الخروج بالزاد
وقيل المعنى فان خير الزاد ما اتقى به المسافر من الهلكة او الحاجة الى السوال

والتكفف وفيه تنبيه على ان هذه الدار ليست بدار قرار قالت
اهل الاشارة ذكرهم الله تعالى سفر الاخرة وحثهم على تزود التقوى
فانها زاد الاخرة قال الاعشى ٭ اذا انت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ٭ ندمت على ان لا تكون كمثله
وانك لم ترصد كما كان ارصدا ٭ واتقون يا اولي الالباب
ذوي العقول خص اولي الالباب بالخطاب وان كان الامر يعم الكل لانهم
الذين قامت عليهم حجة الله وهم قابلوا اوامره والناهضون لها
والالباب جمع لب ولب كل شي خالصه ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم جناح اثم وهو اسم ليس وان تبتغوا في موضع نصب خبرها
والمعنى في ان تبتغوا وعلى قول الخليل والكسائي في موضع خفض وابتغا
الفضل ورد في القران بمعنى التجارة قال تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله وفي البخاري عن ابن عباس كانت عكاظ ومجنه وذو المجاز
اسواقا في الجاهلية فتاثموا ان يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج ففي الاية دليل على جواز
التجارة في الحج للحجاج مع اداء العبادة وان القصد الى ذلك لا يكون
شركا ولا يخرج به المكلف عن رسم الاخلاص المفترض عليه خلافا لبعضهم
الا ان الحج دون تجارة افضل لعروها عن شوايب الدنيا وتعلق القلب
بغيرها فاذا افضتم من عرفات اي اندفعتم منها بعد الوقوف بها
يقال افاض الانا اي امتلا حتى ينصب عن نواحيه وعرفات اسم علم ٭
مسمى بجمع كاذرعات وقيل سمي بما حوله كارض سباسب قيل سميت
تلك البقعة بذلك لان الناس يتعارفون بها وقيل لان ادم لما هبط
وقع

وقع بالهند وحوا بجده فاجتمعا بعد طول الطلب بعرفات وكان ذلك
يوم عرفة قاله الضحاك ابن عطيه والظاهر انه اسم مرتجل كساير
البقاع وعرفة هي نعمان الاراك وقيل ماخوذة من العرف وهو الطيب
قال تعالى عرفها لهم اي طيبها لهم وقيل غير ذلك واحكام الوقوف
بعرفة مستوفاه في الفروع فاذكروا الله بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية
والتهليل والدعا عند المشعر الحرام هو جبل في اخر المزدلفة يقال له
قزح ويسمى جمعا لانه يجمع به المغرب والعشا قاله قتادة وسمي مشعرا
من الشعار وهو العلامه لانه معلم الحج والصلاة والمبيت به
والدعا عنده من شعاير الحج ووصف بالحرام لحرمته واذكروه كما
هداكم لمعالم دينه ومناسك حجه كرر الامر تاكيدا كما تقول ارم ارم
وقيل الاول امر بالذكر عند المشعر الحرام والثاني امر بالذكر على حكم الاخلاص
وقيل المراد بالثاني تعديد النعمة وامر بشكرها ثم ذكرهم بحال ضلالهم
ليظهر قدر الانعام فقال وان كنتم من قبله لمن الضالين والكاف في كما
للتعليل او نعت لمصدر محذوف وما مصدريه او كافة والمعنى اذكروه
ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة واذكروه كما علمكم كيف تذكرونه
وان مخففة من الثقيلة بدليل دخول اللام في الخبر وقيل نافية بمعنى ما
واللام بمعنى الا والها كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير مذكور
وقيل عايده الى الهدى وقيل الى القران اي وما كنتم من قبل انزاله الا
ضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس قيل الخطاب للحمس فانهم
كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات بل كانوا يقفون بمزدلفة وهي من الحرم
وكانوا يقولون نحن قطان الله فينبغي لنا ان نعظم الحرم ولا نعظم شيا

من الحل وكانوا مع معرفتهم واقرارهم ان عرفة موقف ابرهيم عليه السلام
لا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ويفيضون منه ويقف الناس بعرفة
فقيل لهم افيضوا مع الجملة وثم ليست في الاية للترتيب انما هي عطف جملة
على جملة منها منقطعة الضحاك المخاطب بها جميع الامة والمراد بالناس
ابرهيم عليه السلام ويحتمل ان تكون افاضة اخرى وهي التي من مزدلفة
فيجي على هذا الاحتمال ان ثم على بابها وعلى هذا الاحتمال عول الطبري
والمعنى افيضوا من حيث افاض الناس ابرهيم من مزدلفة اي ثم افيضوا
لان الافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع القرطبي والصحيح في تاويل
الاية من القولين الاول واستغفروا الله من ذنوبكم ان الله غفور
للمومنين رحيم لهم فاذا قضيتم اديتم وفرغتم مناسككم قيل المناسك
الذبايح وقيل شعاير الحج ففي الحديث خذوا عني مناسككم والمعنى فاذا
فعلتم منسكا من مناسك الحج فاذكروا الله واثنوا عليه بالايه وقيل
المعنى فاذا اديتم عبادات حجكم بان رميتم جمرة العقبة وطفتم
واستقررتم بمنى فاذكروا الله بالتكبير والثنا كذكركم اباءكم كانت
العرب اذا قضت مناسكها تقف عند الجمرة فتفاخر بالاباء وتذكر
ايام اسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك حتى ان احدهم ليقول اللهم
ان ابي كان عظيم القبة عظيم الجفنة كثير المال فاعطني كما اعطيته نخ مثل ما
فلا يذكر غير ابيه فنزلت الاية ليلزموا انفسهم ذكر الله تعالى اكثر
من التزامهم ذكر ابايهم ايام الجاهلية ابن عباس وغيره واذكروا الله كذكر
الاطفال اباءهم وامهاتهم اي فاستغيثوا به والجاوا اليه كما كنتم تفعلون
في حال صغركم باباءكم وقالت طايفة اذكروا الله وعظموه وذبوا عن حرمه
وادفعوا

وادفعوا من اراد الشرك في دينه ومشاعره كما تذكرون اباءكم بالخير اذا
غمص احد منهم وتحمون جوانبهم وتذبون عنهم او اشد ذكرا اشد
في موضع خفض عطفا على ذكر المعنى او كاشد ويجوز ان يكون في موضع
نصب بمعنى او اذكروه اشد ذكرا وذكرا نصب على البيان ابن عباس
وقد قيل له ان الرجل اليوم لا يذكر اباه فما معنى الاية قال ليس كذلك
ولكن المعنى ان تغضب لله عز وجل اذا عصي اشد من غضبك لوالديك اذا
شتما فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا المراد المشركون قال
السدي وابن زيد كانت العرب تدعو في مصالح الدنيا فقط وكانوا
يسالون الابل والغنم والظفر بالعدو ولا يطلبون الاخرة اذ كانوا
لا يعرفونها ولا يومنون بها فنهوا عن ذلك الدعا المخصوص بامر الدنيا
وجا في صيغة الخبر عنهم ويجوز ان يتناول هذا الوعيد المومن ايضا
اذا قصر دعواته في الدنيا وعلى هذا فما له في الاخرة من خلاق اي نصيب
ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة اي نعمة كزوجة صالحة
حسنة وعلم وعمل وصحة وكفاية وتوفيق وفي الاخرة حسنة كالجنة
والثواب والحور العين وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة والحفظ
من الشهوات والذنوب المودية الى النار وهذا بيان حال المشركين
والمومنين والقصد به الحث على طلب خير الدارين كما وعد الثواب عليه
بقوله اولئك لهم نصيب اي حظ وثواب وهو اشارة الى الفريق الثاني
وقيل اليهما مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاوه او المعنى من اجله كقوله
مما خطاياهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم ما قدرناه فسمى الدعاء
كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب هو مصدر كالمحاسبة

والحساب العدد والحسب ما عد من مفاخر المرء ويقال حسبه
دينه وقيل ماله وفي الحديث الحسب المال والكرم التقوى والمعنى
في الاية ان الله تعالى لا يفتقر الى عد ولا الى عقد يد ولا الى اعمال
فكر كما يفعله الحساب الحسن حسابه اسرع من لمح البصر وفي
الخبر ان الله يحاسب في قدر حلب الشاة وفي رواية في قدر نصف
نهار من ايام الدنيا وقيل انه اذا حاسب واحدا فقد حاسب جميع
الخلايق اذ قد علم ما للمحاسب وعليه لان الفايدة في الحساب علم
حقيقته وقيل المعنى سريع المجازاة للعباد باعمالهم قيل لعلي بن
ابي طالب رضي الله عنه كيف يحاسب الله الخلق في يوم فقال
كما يرزقهم في يوم ومعنى الحساب تعريف الله عباده مقادير الجزا
على اعمالهم فينبغي للعاقل العالم بانه يحاسب ان يبادر للاعمال
ومحاسن الافعال وقيل المعنى يوشك ان يقيم الله تعالى القيامة
ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا
الله في ايام معدودات بان تكبروه وخصوصا عند رمي الجمار والمعدودات
هي ايام التشريق كما رواه البيهقي باسناد حسن او صحيح عن ابن عباس
ويكبر الحاج في ادبار الصلوات من ظهر النحر ويختم بصبح اخر التشريق
وغيره من صبح عرفة ويختم بعصر اخر التشريق عند الشافعي وبه
قال عمر وعلي وابن عباس وقال مالك يكبر من ظهر النحر الى الصبح من
اخر ايام التشريق وهو قول ابن عمر فمن تعجل في يومين اي استعجل النفر
فيهما وهما يوم النفر والذي بعده اي فمن نفر في ايام التشريق بعد
رمي جمار اليوم الثاني فلا اثم عليه بالتعجيل ومن تاخر فلا اثم عليه

اي

اي ومن تاخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال ومعنى نفي الاثم
بالتعجيل والتاخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم
من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر والمعنى لا اثم على المتاخر في ترك
الاخذ بالرخصة مع ان الله تعالى يحب ان تؤتى رخصه كما تؤتى عزايمه
فان قيل ان التعجيل انما هو في اليوم الثاني لا فيه ولا في اليوم الاول
فلم قال في يومين واجيب بان المعنى في مجموع اليومين الصادق
باحدهما وهو الثاني كما في قوله يخرج منهما اللولو والمرجان وهما
لا يخرجان من الملح ونفي الاثم لمن اتقى بان راعى ما يجب في الحج لانه الحاج
على الحقيقة والمنتفع به اذ المعنى لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه
منهما وقيل لمن راعى الحدود كلها ومن حج وعاد الى منى للرمي يرمي يوم النحر
الى جمرة العقبة ويدخل وقت الرمي اليها بدخول النصف الثاني من ليلة
النحر ويرمي في اليوم الثاني الى الجمرات الثلاث كل جمرة بسبع حصيات
وفي اليوم الثالث كذلك بعد الزوال فيهما ثم ان شا نفر فجا الى مكة او
اي محل شا وهذا متعجل لانه عجل لنفسه الفراغ من الرمي ومن تاخر الى غروب
الشمس ليلة اخر ايام التشريق لزمه المبيت بمنى والرمي في اليوم الذي يليها
وليس بمتعجل لانه اتى بالاكمل وقال علي وابن مسعود وابن عباس معنى من
تعجل فقد غفر له ومن تاخر فقد غفر له واحتجوا له بقوله صلى الله عليه
وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من خطاياه كيوم
ولدته امه فقوله فلا اثم عليه نفي عام وتبرئة مطلقة وقيل غير ذلك
واتقوا الله فانه يحاسبكم على اعمالكم ويحشركم اليه بلا مال ولا جاه
ومن هاهنا ناسب قوله واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء

واصل الحشر الجمع وضم المفترق **ومن الناس من يعجبك قوله** اى تستحسنه
ويعظم في نفسك يقال في الاستحسان اعجبني كذا وفي الكراهة عجبت
من كذا والتعجب حيرة تعرض للانسان لعدم اطلاعه على سبب المتعجب
منه وقال الزمخشري هو استعظام امر خفيت عاقبته وقوله **في الحياة**
الدنيا متعلق بالقول اى ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او
في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او يعجبك
في الدنيا قوله حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه
من الدهشة او لانه لا يؤذن له في الكلام او لا يعجبك في الاخرة لمخالفته
لاعتقاده **ويشهد الله على ما في قلبه** اى يحلف ويستشهد الله على
ان ما في قلبه موافق لقوله انى بك مؤمن ولك محب **وهو الد الخصام**
شديد العداوة او الجدال للمسلمين وقيل شديد الفسوق في المعاصي
جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل الخطيئة والد ماخوذ من لديدي
العنق وهما صفحتاه والاضافة فيه بمعنى في والخصام المخاصمة وقيل
جمع خصم كبحر وبحار بمعنى اشد الخصوم خصومة لك ولانبياء عليهم
والمعنى انه في اى وجه من وجه الخصومة اخذ غلب ونزلت في الاخنس
ابن شريق الثقفي واسمه ابى وكان منافقا حلو الكلام حسن المنظر يوالي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام قيد في مجلسه فاكذبه
الله في ذلك وقيل في المنافقين كلهم **واذا تولى** انصرف وادبر واعرض
عنك **سعى في الارض** اى عمل فيها وقيل سار ومشى **ليفسد فيها**
باكاذيبه وافعاله **ويهلك الحرث والنسل** كما فعله الاخنس بثقيف
اذ بيتهم واحرق زرعهم واهلك مواشيهم وكما يفعله ولاة السوء
من

من القتل والاتلاف وقيل الحرث النساء وسماهم بذلك على التشبيه
والنسل ماخوذ من نسل ينسل اذا خرج والمراد نسل كل ما نبت على وجه
الارض اذ هلاك بعضه عمدا يدل على ارادة اهلاك الكل وقيل المعنى
اذا تولى صار واليا واذا تولى ولاية ظلم كثيرا فمنع الله بسبب ظلمه
القطر فهلك الحرث والنسل **والله لا يحب الفساد** اى لا يرتضيه ولا
يثيب عليه وقيل لا يحبه من اهل الصلاح وهما مبنيان على الخلاف
في الارادة والمحبة وهما غيران على الصحيح اذ الارادة تشمل كل كائن والمحبة
تختص بما يثيب الله عليه فهو مريد لكل شيء لكن لا يثيب على الفساد والاية
تعم كل فساد كان في ارض او مال او بدن **واذا قيل له اتق الله** في فعلك
اخذته العزة بالاثم اى المنعة وشدة النفس فاعتز في نفسه وانتحى
فاوقعته تلك العزة في الاثم حتى اخذته به والزمته اياه فالباء في بالاثم
للسببية وقيل اخذته العزة مع الاثم وقيل حملته الانفة وحمية
الجاهلية على العمل بالاثم الذي يؤمر باتقائه والاثم الظلم والعدوان
قال قتادة اذا قيل له مهلا زاد اقداما على المعصية وقد قيل كفى بالمرء
اثما ان يقول له اتق الله فيقول عليك بنفسك مثلك يوصيني **فحسبه**
جهنم اى كافيه عاقبة وجزاء وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف
للنار وقيل معرب **ولبئس المهاد** جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم
محذوف للعلم به اى هي والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والاية عامة
في ولاة السوء وان نزلت في الاخنس **ومن الناس من يشري** يبيع **نفسه**
اى يبذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل **ابتغاء**
مرضات الله طلبا لرضاه وهو نصب على المفعول له قيل انها نزلت في

والله رؤف بالعباد يا ايها الذين
امنوا امنوا ادخلوا في السلم كافة

صهيب الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير
لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم اذا كنت عليكم فخلوني وما انا
عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة فتلقاه ابو بكر ورجال
فقال ربح بيعك ابا يحيى قال فما ذاك قال انزل الله فيك كذا وكذا
وقرا عليه الاية **والله رؤف بالعباد** حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرا
وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهدا او المعنى الى ما فيه
رضاه **يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة** السلم بالكسر والفتح
الاستسلام والطاعه ولذلك يطلق في الصلح والاسلام وقرئ بهما
وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء عن التفرق وحال من الضمير او السلم
لانها تؤنث كالحرب والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا
وباطنا والاية نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه لما عظموا السبت
وكرهوا الابل بعد الاسلام وقيل الخطاب للمنافقين اي ادخلوا في
الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره او المعنى ادخلوا في جميع شعب
الاسلام واحكامه كلها ولا تخلوا بشي **ولا تتبعوا خطوات الشيطان**
اي طرقه واثاره في التفرق والتفريق **انه لكم عدو** يقع على الواحد
والاكثر **مبين** مظهر العداوة لانه ابا نها في زمن ادم او بين في نفسه **فان**
زللتم اي ملتم عن الدخول في جميع السلم او ضللتم عنه **من بعد**
ما جاتكم البينات اي وصلت اليكم الحجج الواضحات الصحيحة
على انه حق **فاعلموا ان الله عزيز** لا يعجزه شي عن انتقامه منكم او لا يوجد
له مثل يدفع عنكم ولا يحتاج اليكم **حكيم** لا يضع العقاب فيكم الا
في محله واصل الزلل في القدم ثم يستعمل في الاعتقادات والاراء

دن

وفي الاية دليل على ان عقوبة العالم بالذنب اعظم من عقوبة الجاهل به
ومن لم تبلغه دعوة الاسلام لا يكون كافرا بترك الشرايع **هل ينظرون**
اي هل ينتظر التاركون الدخول في الاستسلام والاستفهام بمعنى
النفي ولذلك جا بعده **الا ان ياتيهم الله** اي امره او باسه كقوله
او ياتي امر ربك اي عذابه فحذف الماتي به للدلالة عليه بقوله
ان الله عزيز حكيم **في ظلل** جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك **من الغمام**
هو السحاب الرقيق الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة
فاذا جاء العذاب منه كان افظع لان الشر اذا جا من حيث لا يحتسب
كان اصعب فكيف اذا جا من حيث يحتسب في الخير **والملايكة** بالرفع
لانهم الواسطة في اتيان امره او الاتون على الحقيقة بباسه او لانهم رسله
في الامور الى الانبيا وقرئ الملايكة بالجر عطفا على ظلل او الغمام
وقضي الامر اي تم وهو هلاكهم ووضع الماضي موضع المستقبل لدنوه
وتيقن وقوعه والله سبحانه منزه عن المجي والذهاب وسمات الحدوث
والاتيان يؤول عند اهل التاويل الاحكام او لا يؤول مع ان ظاهره
غير مراد عند اهل التسليم الاسلام وانقو من اول ومن سلم على ان
جهلنا بتفصيله لا يقدح ويحتمل ان يكون معنى الاتيان راجعا
الى الجزا ابن عباس هذا من المكتوم الذي لا يفسر وقيل الفا بمعنى الباء
اي بظلل ومنه الحديث ياتيهم الله في صورة اي بصورة امتحانا لهم
والى الله ترجع الامور بالبنا للفاعل والمفعول في الاخرة فيجازي ومرد
كل شي اليه يفعل ما يشا ويحكم ما يريد **سل بني اسرايل** هو سوال
تبكيت وهو امر للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد **كم اتيناهم**

من اية بينة اى معجزة ظاهرة كفلق البحر والعصا واليد وغير ذلك
او اية فى الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدى الانبيا وكم
خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع
بالابتدا على حذف العايد من الخبر واية مميزها ومن للفصل وقيل
المراد كم جاهم فى امر محمد صلى الله عليه وسلم من اية دالة عليه فبدلوها
كفرا ومن يبدل نعمة الله اى اياته فانها سبب الهدى الذى هو اجل
النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل
الزايغ من بعد ما جاته وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض
بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها قيل
ومن يبدل ويدخل فى اللفظ ايضا كفار قريش فان بعث محمد صلى الله
عليه وسلم نعمة عليهم فبدلوا قبولها والشكر عليها كفرا فان الله
شديد العقاب له فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة
والعقاب ماخوذ من العقب كان المعاقب يمشى بالمجازاة له فى اثار
عقبه فالعقاب والعقوبة يعقبان الذنب زين للذين كفروا
من اهل مكة الحياة الدنيا بالتموية فحسنت فى اعينهم واشربت
محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على
الحقيقة هو الله اذ ما من شى الا وهو فاعله وكل من الشيطان والقوة
الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهيمية والاشيا الشهية
مزين بالعرض وخص الذين كفروا بالذكر لقبولهم التزيين ويسخرون
من الذين امنوا يريد فقراء المومنين كبلال وعمار وصهيب اى
يستهزون ويضحكون منهم ويتعالون بالمال عليهم ومن للابتدا

كانهم جعلوا مبدا السخرية منهم لرفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى
فنبه سبحانه على خفض منزلتهم لقبح فعلهم بقوله والذين اتقوا وهم
هولا المومنون فوقهم لم يقل امنوا للاشارة الى ان مجرد الايمان
لا يقتضى الرفعة الكاملة الا مع العمل الصالح او المراد اتقوا الشرك
واقتصر عليه لانه الاصل فى الاتقا وفى الحديث من استذل مومنا او مومنة
او حقره لفقره وقلة ذات يده شهره الله يوم القيمة ثم فضحه ومن
بهت مومنا او مومنة او قال فيه ما ليس فيه اقامه الله تعالى على
تل من نار يوم القيمة حتى يخرج مما قال فيه الى اخره يوم القيمة لانهم
فى عليين وهم فى اسفل السافلين او لانهم فى كرامة وهم فى مذلة او لانهم
يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا والله يرزق
من يشا بغير حساب بغير تقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا تارة وابتلا
اخرى الضحاك المعنى من غير تبعة فى الاخرة وقيل المراد المستضعفين
يرزقهم الله فى الدنيا رزقا واسعا بان يملكهم اموال الساخرين منهم
ورقابهم ويحتمل ان يكون المعنى بغير احتساب من المرزوقين كما قال
ويرزقه من حيث لا يحتسب كان الناس امة واحدة اى على دين واحد
اى فاختلفوا وانما حذفه للدلالة عليه فى قوله ليحكم بين الناس
فيما اختلفوا فيه والناس قيل بنوا ادم حين اخرجهم نسما من ظهر ادم
فاقروا له بالوحدانية وقيل ادم وحده وسماه بلفظ الجمع لانه
اصل النسل ابن عباس وغيره المراد القرون التى كانت بين ادم ونوح
وهى عشرة كانوا على الحق حتى اختلفوا فبعث الله تعالى نوحا فمن بعده
وقيل المراد نوح ومن كان فى سفينته كانوا مسلمين ثم بعد وفاة نوح

اختلفوا وقيل كانوا امة واحدة على الكفر والجهالة في فترة
ادريس او نوح عليهما السلام **فبعث الله النبيين مبشرين**
من امن بالجنة **ومنذرين** من كفر بالنار قيل هم مائة واربعة وعشرون
الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكورون في القران
باسم العلم ثمانية وعشرون واول الرسل ادم وقيل نوح **وانزل**
معهم الكتاب يريد به الجنس بمعنى الكتب ولا يريد به انه انزل
مع كل نبي كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب وانما كانوا
ياخذون بكتاب من قبلهم وقيل اللام للعهد والمراد التوراة
بالحق حال من الكتاب اي متلبسا بالحق شاهدا به **ليحكم بين الناس**
به اي ليحكم الله او ليحكم الكتاب وهو قول الجمهور فهو مجاز مثل قوله
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقيل المعنى ليحكم كل نبي بكتابه
فيما اختلفوا فيه اي الدين وقيل في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما
التبس عليهم **وما اختلف فيه** اي في الدين او الحق او الكتاب **الا الذين**
اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف فامن بعض وكفر بعض الزجاج
الضمير يعود على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم اي وما
اختلف في النبي صلى الله عليه وسلم الا الذين اعطوا علمه **من بعد**
ما جاءتهم البينات اي الحجج الظاهرة على التوحيد ومن متعلقة باختلف
وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء في المعنى **بغيا** من الكافرين **بينهم**
اي حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم وهو
نصب على المفعول له **فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من** البيان
الحق اي ارشد الله امة محمد صلى الله عليه وسلم الى الحق بان بين لهم

ما

ما اختلف فيه من كان قبلهم وقيل المعنى كذب بعضهم كتاب بعض
فهدى الله امة محمد للتصديق بجميعها وقيل لما اختلفوا فيه من
القبلة ومن يوم الجمعة ومن صيامهم وقيل لما اختلفوا فيه من امر
عيسى وقيل غير ذلك **باذنه** اي بعلمه قاله الزجاج وغلطه النحاس
وقال المعنى بامره اي فهدى الذين امنوا بان امرهم بما يجب ان يستعملوه
وقيل بارادته ولطفه **والله يهدي من يشاء** هدايته **الى صراط مستقيم**
طريق الجنة لا يضل سالكه **ام حسبتم** اي ظننتم **ان تدخلوا الجنة**
خطاب للنبي والمومنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبيا بعد
مجيء الايات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم وام منقطعة بمعنى
بل ومعنى الهمزة فيها الانكار وقيل نزلت الاية في غزوة الخندق حين
اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد والشدة وسوء العيش وكانت
كما قال الله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت تسلية
للمومنين المهاجرين حين تركوا ديارهم واموالهم بايدي المشركين
واثروا رضى الله ورسوله وقيل غير ذلك **ولما** هي بمعنى لم وفيها توقع
ولذلك جعل مقابل قد **ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم** مثل شبه
والمعنى لم ياتكم ولم تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم فتصبروا كما
صبروا قال وهب وجد فيما بين مكة والطايف سبعون نبيا موتى من
الجوع والقمل **مستهم** جملة مستانفة **الباسا والضرا** شدة الفقر
والمرض **وزلزلوا** ازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد
والزلزلة شدة التحريك يكون في الاشخاص وفي الاحوال **حتى يقول الرسول**
والذين امنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت

حبال الصبر وقرئ بنصب يقول على اضمار ان ومعنى الاستقبال الان ان
علم له وقرئ بالرفع على انه حكاية حال ماضية كقولك مرض زيد
حتى لا يرجونه النحاس قراة الرفع ابين اى وزلزلوا حتى الرسول يقول
اى حتى هذه حاله والرسول هنا شعيا في قول مقاتل وقيل في كل رسول
بعث الى امته واجتهد في ذلك حتى قال **متى نصر الله** يأتي الذي وعدناه
الضحاك هو محمد صلى الله عليه وسلم وقول الرسول متى نصر الله استبطا
له لتاخيره على معنى استعجال النصر لا على شك وارتياب **الا ان نصر الله**
قريب نيانه استيناف على ارادة القول اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم
وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى
واللذات ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقيل في الكلام تقديم
وتاخير والتقدير حتى يقول الذين امنوا متى نصر الله فيقول الرسول
الا ان نصر الله قريب فقدم الرسول في الرتبة لمكانته ثم قدم قول المومنين
لانه المتقدم في الزمان ابن عطية وهذا تحكم وحمل الكلام على وجهه
غير متعذر وقريب لا تثنيه العرب ولا تجمعه ولا تونثه قال الله تعالى
ان رحمت الله قريب من المحسنين فان قلت فلان قريب لي ثنيت وجمعت
فقلت قريبان وقريبون واقربا وقربا **يسلونك** يا محمد **ماذا ينفقون**
نزلت في عمرو بن الجموح الانصارى كان غنيا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله
ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها وما في موضع رفع بالابتدا وذا الخبر
وهو بمعنى الذى وحذفت الها لطول الكلام والتقدير ما الذى ينفقونه
وان شيت كانت ما في موضع نصب بينفقون وذا مع ما بمنزلة شي

واحد

واحد السدى نزلت قبل فرض الزكاة ثم نسختها الزكاة المفروضة **قل**
لهم هو ما انفقتم من خير بيان شامل للقليل والكثير **فللوالدين**
والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل اى هم اولى به ان قيل
كيف طابق الجواب السوال وهم قد سالوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا
ببيان المصرف والجواب انه قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان
ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف
لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها ولانه كان في سوال عمرو
وان لم يكن مذكورا في الاية **وما تفعلوا من خير** انفاق وغيره وهو في معنى
الشرط **فان الله به عليم** جوابه اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه
ويوفى ثوابه وليس في الاية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ **كتب عليكم**
القتال اى فرض الجهاد للكفار **وهو كره لكم** اى شاق عليكم مكروه طبعا
وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز ابن عرفة
الكره بالضم المشقة وبالفتح ما اكرهت عليه وانما كان الجهاد كرها لان
فيه اخراج المال ومفارقة الوطن والتعرض بالجسد للجراح وقطع
الاطراف وذهاب النفس لا انهم كرهوا ما انزل الله عليهم **وعسى ان تكرهوا**
شيا وهو خير لكم وعسى من الله تعالى واجبة في جميع القران وقيل هي
هنا بمعنى قد قال ابو عبيدة المعنى عسى ان تكرهوا شيا وهو جميع ما كلفوا
به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم لما في الجهاد
من المشقة وهو خير لكم في انكم تظهرون وتغنمون وتوجرون ومن مات
مات شهيدا **وعسى ان تحبوا شيا** من الدعة وترك القتال وجميع ما نهوا
عنه **وهو شر لكم** في انكم تغلبون ويذهب امركم وقال الحسن لا تكرهوا

الملمات الواقعة فلربما تكرهه وفيه نجاتك ولربما تحبه وفيه عطبك **والله يعلم** ما هو خير لكم **وانتم لا تعلمون** ذلك فبادروا
الى ما يامركم به وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة
وان لم تعرف عينها **يسالونك عن الشهر الحرام** نزلت في قصة عبد الله
ابن جحش وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على سرية في جمادى
الاخيرة وقيل في رجب ليترصد عير القريش وكتب اليه كتابا وامره
ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ولا يكرهن احدا من اصحابه وكان اميرهم
ففعل عبد الله ما امره فلما فتح الكتاب وجد فيه اذا نظرت في كتابي
فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطايف فترصد بها قريشا وتعلم لنا
من اخبارهم فسار حتى نزل نخلة فمر به عير قريش تحمل تجارة وفيها
عمرو بن الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير
وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى ثم قدموا بالعير والاسيرين
فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف وشق ذلك
على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله
صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهي اول غنيمة في الاسلام
والسايلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل
اصحاب السرية **قتال فيه** بدل الاشتمال من الشهر لان السوال اشتمل
على الشهر وعلى القتال فيه فسوالهم عن الشهر انما كان لاجل القتال
فيه والمعنى يسالونك عن القتال في الشهر الحرام **قل لهم قتال فيه كبير**
اي ذنب كبير والجمهور على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث

وجدتموهم خلافا لعطا وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى
منع دلالة الاية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان
قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم **وصد** اي صرف ومنع **عن سبيل**
الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات **وكفر به**
اي بالله **والمسجد الحرام** على ارادة المضاف اي وصد عن المسجد الحرام كقوله

اكل امرئ تحسبين امرءا ونار توقد بالليل نارا

ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع
منه اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء
في به فان العطف على المضمر المجرور انما يكون باعادة الجار **واخراج اهله**
منه اي اهل المسجد وهم النبي والمومنون **اكبر عند الله** مما فعلته
السرية خطا وبناء على الظن وهو خبر عن الاشيا الاربعة المعدودة
من كباير قريش وافعل من يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث
وقال الفرا صد عطف على كبير والمسجد عطف على الها في به فيكون الكلام
نسقا غير منقطع ابن عطيه وذلك خطا لان المعنى يسوق الى ان قوله
وكفر به عطفا ايضا على كبير والمسجد عطف على الها ويجي من ذلك ان
اخراج اهل المسجد منه اكبر من الكفر عند الله وهذا بين فساده وقال
السيوطي فان قتال فيه كبير مبتدا وخبره وصد مبتدا عن سبيل الله
دينه وكفر به بالله وصد عن المسجد الحرام اي مكة واخراج اهله منه وهم
النبي والمومنون وخبر المبتدا اكبر اعظم وزرا عند الله من القتال فيه
والفتنة اكبر من القتل اي ما يرتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما
ارتكبه من قتل الحضرمي وقال كثير الفتنة هنا فتنتهم المسلمين عن دينهم

حتى يهلكوا **ولا يزالون يقاتلونكم** مجاهد يعني كفار قريش **حتى يردوكم**
عن دينكم الى الكفر وهو اخبار عن دوام عداوتهم فانهم لا ينفكون عنها
حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل
الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم **ان استطاعوا** فيه استبعاد لاستطاعتهم
كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم
ومن يرتدد منكم عن دينه اي يرجع عن الاسلام **فيمت وهو كافر فاولئك**
حبطت بطلت **اعمالهم** قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال وذلك
يفيد انه لو رجع الى الاسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه ولا يفسده كالحج
مثلا كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة **في الدنيا** لفوات
ما للاسلام من الفوايد الدنيوية **والاخرة** بسقوط الثواب **واولئك**
اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة والردة قطع الاسلام
عزما ولو في المستقبل او قولا او فعلا استهزاء كان او عنادا او اعتقادا
بخلاف ما لو اقترن به ما يخرجه عن الردة كسبق لسان او حكاية او اكراه
وذلك كنفي الصانع او نبي او تكذيبه او جحد مجمع عليه اثباتا او نفيا
معلوم من الدين ضرورة او القاء مصحف بقاذورة او سجود لمخلوق كصنم
او شمس **ان الذين امنوا** نزلت في السرية ايضا لما ظن بهم انهم ان سلموا
من الاثم فليس لهم اجر **والذين هاجروا** فارقوا اوطانهم **وجاهدوا في**
سبيل الله لاعلاء دينه كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما
مستقلان في تحقيق الرجا **اولئك يرجون رحمة الله** اي ثوابه اي يستحقون
ان يرجوا وانما قال يرجون وقد مدحهم لانه لا يعلم احد في هذه الدنيا
انه صاير الى الجنة ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ لامرين الاول

لانه

لانه لا يدري بما يختم له والثاني لئلا يتكل على عمله **والله غفور** لما فعلوا
خطا **رحيم** باجزال الثواب والاجر والرجاء تعلق القلب بمحبوب سيحصل
في المستقبل والفرق بينه وبين التمني ان التمني يورث صاحبه الكسل ولا
يسلك به طريق الجد وبعكسه صاحب الرجا فالرجا محمود والتمني معلول
قال شاه الكرماني علامة الرجا حسن الظن وقيل الرجال ثلاثة رجل
عمل حسنة فهو يرجو قبولها ورجل عمل سيئة وتاب منها فهو يرجو
المغفرة ورجل عالم من نفسه الاساءة فينبغي ان يكون خايفا **يسئلونك**
عن الخمر والميسر اي ما حكمهما السايلون هم المومنون والخمرة ماخوذة
من خمر اذا استتر ومنه خمار المراة وخمروا انيتكم فالخمر تخمر العقل اي تغطيه
والخمر كل ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك
نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد
حل منه ما شرب دون المسكر عند ابي حنيفة وهو حرام عند اكثر الفقها
كالخمر وكذا كل ما اسكر من كل شراب والميسر هو قمار العرب بالازلام قال
ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله او ماله فايهما
قمر صاحبه ذهب بماله او اهله حتى نزلت مجاهد وغيره كل شي فيه
قمار من نرد وشطرنج فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب الا
ما ابيح من الرهان في الخيل والقرعة في افراز الحقوق وقال الازهري هو الجزور
الذي كانوا يتقامرون عليه سمي ميسرا لانه يتجزا اجزا فكانه موضع التجزية
قل لهم **فيهما** اي في تعاطيهما **اثم كبير** من حيث انه يودي الى ارتكاب
المحظور فاثم الخمر ما يصدر عن الشارب من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش
والزور وزوال العقل ثم ان الشارب يصير ضحكة للعقلاء وربما لعب

بوله وعذرته وقد يمسح وجهه واما القمار فيورث العداوة والبغضا
لانه اكل مال الغير بالباطل وقرئ كبير بالموحدة وبالمثلثة والقرآنان
بمعنى لان ما كبر فقد كثر **ومنافع للناس** من كسب المال بلا كد في الميسر
والالتذاذ والطرب ومصادقة القيان في الخمر وقيل كانوا يجلبون
الخمر من الشام برخص فيبيعونها في الحجاز بربح وقيل منفعة الميسر
التوسعة على المحاويج فانه من قمر منهم كان لا ياكل من جزور القمار بل
يفرقه على المحتاجين **واثمهما اكبر من نفعهما** اى المفاسد التي تنشا
عنهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما قبل التحريم واعود بالضرر في الاخرة
ويسالونك ماذا ينفقون لما كان السوال في الاية المتقدمة عن النفقة
الى من يصرف ودل عليه الجواب كان السوال في هذه عن قدر الانفاق وهو
في شان عمرو بن الجموح فانه لما نزل قل ما انفقتم من خير فللوالدين الاية
قال عمرو كم انفق فنزل **قل العفو** وهو ما سهل وتيسر ولم يشق على القلب
اخراجه وهو نقيض الجهد قال • خذي العفو مني تستديمي مودتي •
ولا تنطقي في سورتي حين اغضب • فالمعنى انفقوا ما فضل عن حوايجكم
ولم تؤذوا فيه انفسكم فتكونوا عالة وقال مجاهد صدقة عن ظهر غنى
وقال الكلبي كان الرجل بعد نزول هذه الاية اذا كان له مال من ذهب او
فضة او زرع او ضرع نظر الى ما يكفيه ويكفي عياله لنفقة سنة امسكه
وتصدق بالباقي حتى نزلت اية الزكاة المفروضة فنسخت وقرئ العفو
بالرفع وبالنصب قال النحاس ان جعلت ذا بمعنى الذي كان الاختيار
الرفع على معنى الذي تنفقون هو العفو وجاز النصب وان جعلت
ما وذا شيا واحدا كان الاختيار النصب على معنى قل انفقوا العفو

وجاز الرفع الا ان التفسير في الاية على النصب **كذلك** اى مثل ما بين
ان العفو اصلح من الجهد وما ذكره من الاحكام **يبين الله لكم الايات**
وقال المفضل بن سلمة اى في امر النفقة والكاف في موضع النصب صفة
لمصدر محذوف اى تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة
والمخاطب به جمع على تاويل القبيل والجمع **لعلكم تتفكرون** في الدلايل
والاحكام **في الدنيا** فتحبسون من اموالكم ما يصلحكم في امور الدنيا
والاخرة فتنفقون ما ينفعكم في العقبى وقيل لعلكم تتفكرون في زوال
الدنيا فتزهدون فيها وفي اقبال الاخرة وبقايها فترغبون فيها وقيل
المعنى تاخذون بالاصلح والانفع من الدنيا وتجتنبون ما يضركم ولا ينفعكم
او يضركم اكثر مما ينفعكم **ويسالونك عن اليتامى** وما يلقونه من الحرج
في شانهم فان واكلوهم اثموا وان عزلوا اموالهم من اموالهم وصنعوا لهم
طعاما وحدهم فحرج وعن ابن عباس لما نزل قوله تعالى ولا تقربوا مال
اليتيم وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انطلق من كان عنده
يتيم فعزل طعامه عن طعامه وشرابه عن شرابه فجعل يفضل من طعامه
فيحبس له حتى ياكله او يفسد فاشتد عليهم ذلك فذكروا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله **قل اصلاح لهم خير** اى مداخلتهم
لاصلاحهم واصلاح اموالهم خير من مجانبتهم فخالطوا طعامهم بطعامهم
وقيل كانت تتشام بملابسة اموال اليتامى في مواكلتهم فنزلت
وان تخالطوهم فاخوانكم اى فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط
الاخ فلكم ذلك وهذه المخالطة خلط المثل بالمثل وقال ابو عبيدة
مخالطة اليتامى ان يكون لاحدهم المال ويشق على كافله ان يفرد

طعامه عنه ولا يجد بدًّا من خلطه بعياله فياخذ من مال اليتيم
ما يرى انه كفاية بالتحري فيجعله مع نفقة اهله قال العمراني وغيره
هذا اذا كان لليتيم حظ في الخلط والا امتنع لقوله تعالى ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن والله يعلم المفسد من المصلح وعيد
ووعد لمن خالطهم اي يعلم المفسد لاموال اليتامى بمخالطتهم من المصلح
لها فيجازي كلا بعمله ومن هنا للتمييز فتدخل على ثاني المتضادين كقوله
حتى يميز الخبيث من الطيب ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعنتكم
لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم
مداخلتهم ان الله عزيز غالب لا يمتنع عليه شي حكيم يحكم بما تقتضيه
الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا ايها المومنون المشركات حتى يومن
اي لا تتزوجوهن والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون
لقوله وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله الى
قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب وروي انه عليه الصلاة والسلام بعث
ابا مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا فاتته عناق وكان يهواها
في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت
هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستامره فنزلت ولامة مومنة خير من مشركة اي ولامراة
مومنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عباد الله واماوه وقيل
المعنى ولامة مملوكة خير من المشركة الحرة ولو اعجبتكم في الحسن والمال
وغير ذلك والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ونزلت في خنسا

وليده

وليدة سودا وكانت لحذيفة بن اليمان فقال لها حذيفة يا خنسا
قد ذكرت في الملا الاعلى مع سوادك ودمامتك وانزل الله تعالى
ذكرك في كتابه فاعتقها حذيفة وتزوجها وقال السدي نزلت في
عبد الله بن رواحة كانت له امة سودا فلطمها في غضب ثم ندم
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال ما هي قال تصلي وتصوم وتحسن
الوضوء فقال صلى الله عليه وسلم هذه مومنة فقال ابن رواحة
لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا نكح
امة وكانوا يرودون ان ينكحوا المشركات رغبة في احسابهن فنزلت ولا
تنكحوا المشركين حتى يومنوا اي ولا تزوجوا المسلمة من المشرك وهو على
عمومه ولعبد مومن اي مملوك خير من مشرك حسيب تعليل للنهي
عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المومنين ولو اعجبكم اي حسنه وقيل
المعنى ولرجل مومن كما في الاية قبله وفي الحديث كل رجالكم عبيد الله وكل
نسايكم اماء الله وهذا احسن ما حمل عليه القول في هذه الاية وبه
يرتفع النزاع ويزول الاشكال اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين
والمشركات يدعون الى النار اي الكفر والعمل المودي الى النار فلا يليق
موالاتهم ومصاهرتهم فان صحبتهم ومعاشرتهم توجب الانحطاط في
كثير من هواهم والله يدعو على لسان رسوله اي يدعو اولياءه المومنين
فحذف تفخيما لشانهم الى الجنة والمغفرة اي الى الاعتقاد والعمل الموصلين
اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيقه وتيسيره او بقضايه
وارادته وقيل بامره فتجب اجابته بتزويج اوليايه ويبين اياته للناس
لعلهم يتذكرون اي لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر

ويسألونك عن المحيض نزلت لما كانت العرب في المدينة وما والاها
استسنوا بسنة بني اسرائيل في تجنب مواكلة الحائض ومساكنتها
مجاهد كانوا يتجنبون النسا في الحيض ويأتونهن في ادبارهن
مدة زمن الحيض السدي السائل ثابت بن الدحداح وقيل اسيد
ابن حضير وعباد بن بشر وهو قول الاكثرين والمحيض مصدر
كالمجي والمبيت ولعله سبحانه اعاد ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا
ثم بها ثلاثا لان الثلاث الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاث
الاخيرة كانت في وقت فلذلك ذكرها بحرف الجمع والمحيض الحيض
وقيل هو عبارة عن الزمان والمكان والمعنى يسألونك عن الحيض
او زمانه ومكانه ماذا تفعل بالنسا فيه واصل الكلمة من السيلان
يقال حاض الوادي اذا سال ابن عمر المحيض والحيض اجتماع الدم
الى ذلك الموضع وبه سمي الحوض لاجتماع الما فيه والحيض جبلة في
النسا وطبع معتاد منهن ويقال ان اول من حاض حوا لما كسرت
الشجرة ادمتها قال الله تعالى لادمينك كهذه الشجرة واقل الحيض
عند الشافعي يوم وليلة واكثره خمسة عشر يوما بلياليها قل هو
اذى اي شي تتاذى منه المراة وغيرها لانه مستقذر مود والاذى
كناية عن القذر على الجملة ويطلق على القول المكروه قال تعالى ودع
اذاهم وفي حديث الايمان وادناها اماطة الاذى عن الطريق يعني
الشوك ونحوه مما يتاذى به المار فاعتزلوا النساء في المحيض اي
فاجتنبوا وطيهن في زمان الحيض ان حمل على المصدر او في محل الحيض
ان حمل على الاسم فمقصود النهي ترك المجامعة والجمهور من العلما على
ان

ان للرجل منها ما فوق الميزر وهذا اقتصاد بين افراط اليهود
وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض
ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان
يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه قراة من قرا يطهرن بتشديد
الطا والها وفتحهما الطبري قراة التشديد بمعنى يغتسلن لاجماع
الجميع على ان حراما على الرجل ان يقرب امراته بعد انقطاع الدم حتى
تطهر قال وانما الخلاف في الطهر ما هو فقال قوم هو بالاغتسال بالما
وقال اخرون هو وضوء كوضوء الصلاة وقال قوم هو غسل الفرج فاذا
تطهرن قال مالك يعني بالما وقال الشافعي ان طهرت الحائض وتيممت
حيث لا ما حلت لزوجها وان لم تغتسل وقال ابو حنيفة ان انقطع
دمها بعد مضي عشرة ايام جاز ان يطاها قبل الغسل فاتوهن من حيث
امركم الله هو القبل فمن بمعنى في كقوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض
اي في الارض وقوله اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة وقيل المعنى
في الوجه الذي اذن لكم فيه اي من غير صوم واحرام واعتكاف ابن عباس
من قبل الطهر لا من قبل الحيض وقيل من قبل الحلال لا من قبل الزنا
ان الله يحب التوابين قيل من الذنوب والشرك ويحب المتطهرين بالما
من الاحداث وقيل المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض
والاتيان في غير الماتى وقيل المتطهرين الذين لم يذنبوا وقدم الذي
اذنب على الذي لم يذنب لئلا يقنط التائب من الرحمة ولا يعجب
المتطهر بنفسه كما قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات وقوله فاتوهن الى اخره فيه اعتراض باكثر من جملة لانه كلام

يشتمل على جملتين وقع بين كلاميه أو لهما قوله فأتوهن من حيث
أمركم الله وهو مكان الحرث والنكتة في هذا الاعتراض الترغيب
فيما أمر به والتنفير عما نهوا عنه **نساؤكم حرث لكم** أي مواضع
حرث لكم شبههن بها تشبيها بما يلقى في أرحامهن من النطف بالبذور
وروى مسلم عن جابر قال كانت اليهود تقول إذا أتى الرجل امرأته
من دبرها في قبلها كان الولد أحول فنزل نساؤكم حرث لكم الآية
وفي رواية إن شاء مجبية وإن شاء غير مجبية غير أن ذلك في صمام
واحد **فأتوا حرثكم** أي محله وهو القبل وهو كالبيان لقوله فأتوهن
من حيث أمركم الله **أنى شئتم** أي من أي جهة شئتم وكيف شئتم مستقبلات
ومستدبرات ومستلقيات وعنى بذلك موضع الولد **وقدموا
لأنفسكم** أي قدموا ما ينفعكم غدا والمعنى قدموا لأنفسكم الطاعة
والعمل الصالح فحذف المفعول وقيل اطلبوا الولد والنسل فقد يكون
الولد شفيعا وقيل هو التزوج للعفايف ليكون الولد صالحا
طاهرا ابن عباس قدموا ذكر الله عند الجماع فتندب التسمية عند الوطي
واتقوا الله بامتثال أمره واجتناب مناهيه **واعلموا أنكم ملاقوه**
بالبعث فتزودوا ما لا تفتضحون فيه فإنه مجازيكم على البر والإثم
وبشر المومنين الكاملين في الإيمان بالكرامة والنعيم الدايم وهو
أمر للرسول صلى الله عليه وسلم أن ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل
أمره منهم فهو تنبيس لفا على البر ومبتغى سنن الهدى **ولا تجعلوا الله
عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس** قال
سعيد بن جبير هو الرجل يحلف أن لا يبر ولا يصلي ولا يصلح بين الناس

فيقال

فيقال له بر فيقول قد حلفت وتكره اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث
ويكفر بخلافهما على فعل البر ونحوه فهي طاعة وقال قوم المعنى ولا تحلفوا
بالله كاذبين إذا أردتم البر والتقوى والإصلاح فلا يحتاج إلى تقدير
لا بعد أن وقيل المعنى لا تستكثروا من اليمين بالله فإنه أهيب
للقلوب ولهذا قال واحفظوا أيمانكم وعلى هذا أن تبروا معناه
أقلوا الأيمان لما فيه من البر والتقوى وإن الإكثار يكون معه الحنث
وعن مالك بلغني أنه الحلف في كل شيء الزجاج معنى الآية أن يكون الرجل
إذا طلب منه فعل خير قال علي يمين وهو لم يحلف وقيل المعنى
إذا حلفتم أن لا تصلوا أرحامكم ولا تصدقوا ولا تصلحوا وأشباه ذلك
فكفروا وقيل نزلت بسبب الصديق إذ حلف لا ينفق على مسطح حين
تكلم في عايشة على ما يأتي في النور وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة
حين حلف لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته
والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء
وللمعرض للأمر ومعنى الآية على الأول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم
عليه من أنواع الخير فيكون المراد بالأيمان الأمور المحلوف عليها
وأن مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من
معنى الاعتراض ويجوز أن تكون للتعليل وتتعلق أن بالفعل أو بعرضة
أي ولا تجعلوا الله عرضة لأن تبروا الأجل أيمانكم به وعلى الثاني ولا
تجعلوا الله معرضا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به وأن تبروا
علة النهي أي أنهاكم إرادة بركم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس فإن
الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا

في اصلاح ذات البين والله سميع لاقوال العباد عليم بنياتهم لا يواخذكم
الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام
وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا
لمعناه كقول الشخص لا والله وبلى والله لمجرد التوكيد غير معتقد اليمين
ولا مريدها وعن عايشة يمين اللغو ما كان في الهزل والمزاح والحديث
الذي لا ينعقد عليه القلب ابن عباس هو قول الرجل في درج كلامه
واستعجاله في المحاورة لا والله وبلى والله فلا اثم عليه ولا كفارة وقال
مالك لغو اليمين ما يحلف به على الظن ثم يكون بخلافه الضحاك
لغو اليمين هي المكفرة وقيل يمين المكره والايمان جمع يمين وهو الحلف
واصله ان العرب كانت اذا تحالفت اخذ الرجل بيمين صاحبه وقيل
من اليمن وهي البركة وسماها الله تعالى بذلك لانها تحفظ الحقوق ولكن
يواخذكم بما كسبت قلوبكم اي قصدته من الايمان اذا حنثتم والمعنى
لا يواخذكم بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يواخذكم بهما او باحدهما
بما قصدتم من الايمان وواطات فيها قلوبكم السنتكم وكسب القلوب هو
ما عقدت عليه وقال زيد بن اسلم هو في الرجل يقول هو مشرك ان فعل
كذا فهو لغو الا ان يعقد الشرك بقلبه ويكسبه والله غفور حيث
لم يواخذ باللغو حليم حيث لم يعاجل بالمواخذة على يمين الجد تربصا
للتوبة للذين يولون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن
والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا الحلف معنى البعد عدي
بمن فكانه قيل يبعدون من نسائهم مولين تربص اربعة اشهر مبتدا
خبره ما قبله والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على
الاتساع

الاتساع اي للمولي حق التثبت في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق
ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويويده
فان فاؤا اي رجعوا فيها او بعدها عن اليمين الى الوطي والفيء هنا
الجماع لمن لا عذر له فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او
ما توخى بالايلاء من ضرر المراة بالفيئة التي هي التوبة قال ابن عباس كان
ايلاء الجاهلية السنة والسنتين واكثر يقصدون بذلك ايذاء المراة
فوقت لهم اربعة اشهر فمن آلى اقل من ذلك فليس بايلاء حكمي والايلاء
الشرعي حرام للايذاء وهو غير ما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم في
السنة التاسعة كما سياتي واختلف فيما يقع به الايلاء فقيل لا يقع الا
باليمين بالله ابن عباس كل يمين منعت جماعا فهي ايلاء وقوله من نسائهم
يدخل فيه الحراير والذميات والاماء والعبد يلزمه الايلاء الحسن
ايلاؤه من زوجته الامة شهران ومن الحرة اربعة اشهر وبه قال
ابو حنيفة وفايدة توقيت الاربعة اشهر ما تقدم عن ابن عباس من
اهل الجاهلية فمنع الله من ذلك وجعل للزوج مدة اربعة اشهر في تاديب
المراة بالهجر وقد آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا
تاديبا لهن وقد قيل ان الاربعة اشهر هي التي لا تستطيع ذات الزوج
ان تصبر اكثر منها وروى البيهقي عن عمر انه خرج مرة في الليل تقول

تطاول هذا الليل واسود جانبه • وارقني ان لا خليل الاعبه •
فوالله لولا الله اني اراقبه • لحرك من هذا السرير جوانبه •
مخافة ربي والحياء يصدني • واكرم بعلي ان تنال مراتبه •

فقال عمر لابنته حفصة كم اكثر ما تصبر المراة عن الزوج وروى انه

سال النسا فقلن تصبر شهرين وفي الثالث يقل وفي الرابع يفنى فكتب
الى امراء الاجناد ان لا تحبسوا رجلا اكثر من اربعة اشهر عن امراته
وان عزموا الطلاق اي عليه اي صمموا قصده **فان الله سميع** لطلاقهم
عليم بغرضهم منه والمعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر الا الفيئة او
الطلاق وقال ابو حنيفة الايلا في اربعة اشهر فما دونها وحكمه
ان المولى اذا فاء في المدة بالوطء ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم
الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعند الشافعي نطالب بعد
المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم ويدل لذلك قوله
فان عزموا الطلاق فلا تطلق بمضي اربعة اشهر ما لم يقع انشا تطليق
بعد المدة والطلاق حل عقدة النكاح واصله الانطلاق **والمطلقات**
يريد به المدخول بهن من ذوات الاقرا لما دلت الايات والاخبار ان حكم
غيرهن خلاف ما ذكر تخرجت المطلقة قبل الدخول باية الاحزاب
والحامل باية واولات الاحمال والايسة والصغيرة باية فعدتهن
ثلاثة اشهر كما في سورة الطلاق والاما فعدتهن قران بالسنة
كما سياتي **يتربصن** خبر معناه الامر وتغيير العبارة للتاكيد
والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب امتثل
الامر فاخبر عنه **بانفسهن** تهييج وبعث لهن على التربص فان
نفوس النسا طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على
التربص **ثلاثة قروء** نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن
مضيها وقروء جمع قرء بفتح القاف وهو يطلق للحيض لقوله عليه
الصلاة والسلام دعي الصلاة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين
حيضتين

حيضتين واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية
لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال ابو حنيفة لقوله تعالى
فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في
الحيض وروى الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها
حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شا امسكها بعد وان شا طلق قبل
ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النسا والمقصود
من الاقرا الاستبرا بخلاف عدة الوفاة التي هي عبادة والعدة
في الشرع اسم لمدة تتربص فيها المراة لتعرف براءة الرحم وذلك
يحصل بالاقرا وبالولادة وبالاشهر وشرعت صيانة للانساب
وحفظا لها من الاختلاط رعاية لحق الزوجين والولد والمغلب
فيها التعبد والثلاثة قروء في الحرة واما ام الولد والمكاتبة ومن
فيها رق فتعتد بقرءين لان الامة على النصف من الحرة في القسم والحد
فكذا هنا لكن القرء لا يتبعض فكمل الثاني كما في الطلاق **ولا يحل لهن
ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن** من الولد والحيض استعجالا في
العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك
لانه لما دار امر العدة على الحيض والاطهار ولا اطلاع عليه الا من
جهة النسا جعلن موتمنات على ذلك وقال قتادة كانت عادتهن
في الجاهلية ان يكتمن الحمل ليلحقن الولد بالزوج الجديد ففي ذلك نزلت
ان كن يومن بالله واليوم الاخر فيه وعيد عظيم لتاكيد تحريم
الكتمان وايجاب لاداء الامانة في الاخبار عن الرحم بحقيقة ما فيه
وليس المراد منه نفي تقييد الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي

الايمان اى سبيل المومنات ان لا يكتمن الحق وان المومن لا يجترى عليه
ولا ينبغى له ان يفعل وهذا مثل قولك ان كنت اخى فلا تظلمنى **وبعولتهن**
اى ازواج المطلقات وبعولة جمع بعل والتا لاحقة لتانيث الجمع
وسمى بعلا لعلوه على الزوجة بما قد ملكه من تزوجها والمباعلة
والبعال الجماع ومنه الحديث فى ايام التشريق هى ايام اكل وشرب
وبعال **احق بردهن** اى برجعتهن **فى ذلك** اى فى العدة وهو زمان
التربص ان كان الطلاق رجعيا للاية التى تتلوها فالضمير اخص
من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه وقد
اجمع العلما على ان الحر اذا طلق زوجته الحرة وكانت مدخولا بها
تطليقة او تطليقتين انه احق برجعتها ما لم تنقض العدة وان كرهت
المراة ولفظ احق يطلق عند تعارض حقين وترجح احدهما فالمعنى حق
الزوج فى مدة التربص احق من حقها بنفسها السيوطى واحق لا تفضيل
فيه اذ لا حق لغيرهم فى نكاحهن فى العدة والرجعة مندوب اليها
اذا قصد الزوج الاصلاح باصلاح حاله معها وازالة الوحشة بينهما
فاما اذا قصد الاضرار وتطويل العدة فتحرم لقوله ولا تمسكوهن ضرارا
لتعتدوا واشتراط ارادة الاصلاح فى قوله **ان ارادوا اصلاحا**
خرج مخرج الغالب وليس المراد منه شرطية قصد الاصلاح للرجعة
بل التحريض عليه والمنع من قصد الاضرار وقال الشافعى المراد اصلاح
الطلاق بالرجعة وشرط المرتجع اهلية النكاح بنفسه لانها كانشاء
النكاح **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** شرعا اى ولهن من حقوق
الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن من الحقوق وترك الاضرار
وقال

وقال ابن عباس انى لاتزين لامراتى كما تتزين لى وعنه ولهن من حسن الصحبة
والعشرة بالمعروف على ازواجهن مثل الذى عليهن من الطاعة فيما
وجب عليهن لازواجهن الطبرى والاية تعم حقوق الزوجية والمراد
بالمماثلة مماثلة الواجب فى كونه حسنة لا فى جنس الفعل فلا يجب
عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل لها نحو ذلك قال
الشافعى وجماع المعروف بين الزوجين الكف عن المكروه وان يوفى
كل واحد حق صاحبه بشروطه وطلاقة وجه من غير قطوب وعبوس
وان لا يمطل كل واحد منهما فيما عليه فان مطل صاحبه فمطل الغنى
ظلم **وللرجال عليهن درجة** اى منزلة وزيادة فى الحق وفضل الرجل
بعقله وقوته وبالانفاق وبالدية والميراث والجهاد وقيل الدرجة
الصداق ابن عباس الدرجة اشارة على حض الرجال على حسن العشرة
والتوسع للنساء فى المال والخلق اذ الافضل ينبغى ان يتحامل على نفسه
قال ابن عطية وهذا قول حسن بارع وقال الماوردى ويحتمل انها فى
حقوق النكاح فان له رفع العقد دونها ويلزمها اجابته الى الفراش
ولا يلزمه اجابتها وقيل ان المراة تنال من اللذة مثل ما ينال
الرجل وله الفضل بقيامه عليها والانفاق فى مصالحها **والله عزيز**
يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام **حكيم** يشرعها لحكم ومصالح
الطلاق مرتان اى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اى الطلاق الرجعى
اثنتان لما روى انه عليه الصلاة والسلام سئل اين الثالثة فقال
او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعى تطليقة بعد
تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين

والثلاث بدعة ولم يكن للطلاق في الجاهلية عدد وكانت العدة
معلومة مقدرة وكان هذا في اول الاسلام برهة يطلق الرجل
امراته فاذا دنى مضي العدة راجعها فشكى النسا ذلك الى عايشة
فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية
بيانا لعدد الطلاق الذي للمرء فيه ان يرتجع دون تجديد مهر
وولي ونسخ ما كانوا عليه والطلاق حل العصمة المنعقدة بين الازواج
بالفاظ مخصوصة وهو مباح بهذه الاية وغيرها وقد طلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة ثم راجعها فامساك بمعروف
بالمراجعة وهو ابتدا والخبر مثل واحسن ويصح ان يرتفع على خبر ابتدا
محذوف اي فعليكم امساك بمعروف اي بما يعرف انه الحق قال ابن عطية
سبيل الواجبات الاتيان بالمصدر مرفوعا كما هنا وسبيل المندوبات
الاتيان به منصوبا كقوله فضرب الرقاب قال ابو حيان والاصل
في هذه التفرقة قالوا سلاما قال سلام فالاول مندوب والثاني
واجب والنكتة في ذلك ان الجملة الاسمية اثبت واوكد او تسريح
باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وتملك
نفسها وهو قول السدي والضحاك والاول قول مجاهد وغيره
ورجح الطبري قول الضحاك والسدي وقال ان الطلقة الثالثة
انما هي مذكورة في مساق الخطاب في قوله فان طلقها فلا تحل له قال
ولو كان قوله او تسريح باحسان معنى الثالثة كان قوله عقب ذلك
فان طلقها الرابعة لان الفا للتعقيب وقد اقتضى طلاقا مستقبلا
بعد ما تقدم ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن من الصدقات
شيا

شيا روي ان جميلة اخت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض
زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت
لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله لا اعيبه في دين ولا في
خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت
جانب الخبا فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فاختلعت منه بحديقة اخذتها والخطاب
مع الحكام واسناد الاخذ والايتا اليهم لانهم الامرون بهما عند
الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب الحكام وهو
يشوش النظم على القراة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان ان
لا يقيما حدود الله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله اي يظن كل واحد
منهما بنفسه ان لا يقيم حق النكاح لصاحبه حسب ما يجب عليه فيه
لكراهة يعتقدها فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي في اخذ ما افتدت
والمعنى فلا حرج على المراة ان تفتدي ولا على الزوج ان ياخذ وسوا كان
مثل الصداق او اكثر وبه قال مالك والشافعي وابو حنيفة وغيرهم
وقيل الخوف بمعنى العلم وهو من الخوف الحقيقي وهو الاشفاق من وقوع
المكروه وهو قريب من معنى الظن وقرئ ان لا يخافا على ما لم يسم فاعله
والفاعل محذوف وهو الولاة والحكام تلك حدود الله اشارة الى
ما حد من الاحكام فلا تعتدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد
واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق
ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزايد ويويد ذلك قوله

عليه الصلاة والسلام ايما امراة سالت زوجها طلاقها في غير
باس فحرام عليها رايحة الجنة والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان
المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه
سماه افتدا واختلف في انه اذا اجري بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق
ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد
ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر
انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله
فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان
اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض
اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد ذلك الطلاق
حتى تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج زوجا غيره وسماه زوجا لان العقد
يؤول الى زوجيته فهو من مجاز الاول والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج
وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه
لا بد من الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير
تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل
ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج وقال
الحسن بن ابي الحسن لا يكفي مجرد الوطي حتى يكون معه انزال واكتفى الجمهور
بالاصابة التي هي التقا الختانين لانه يوجب الحد والغسل ويفسد

الصوم

الصوم والحج ويحصن الزوجين ويوجب كمال الصداق والحكمة في هذا
الحكم الردع والتنفير من الطلقات الثلاث والعود الى المطلقة ثلاثا
والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة
مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له
فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما اي الزوجة والزوج الاول
ان يتراجعا اي يرجع كل من المراة والزوج الى الاخر فان قيل مع النكاح
والوطي لا يحصل الحل للاول حتى تطلق الثاني وتنقضي عدتها منه فكيف
لم ينص على ذلك في الاية ولا في الحديث والجواب ان بالنكاح والوطي يرتفع
التحريم من الطلاق الثلاث ويخلفه التحريم الى الطلاق لكونها زوجة
الغير وفي الطلاق الى انقضا العدة كسائر المعتدات عن غيره فهما
تحريمان غير تحريم الطلاق الثلاث فلا يحتاج الى النص عليهما قال
ابن المنذر اجمع اهل العلم على ان الحر اذا طلق زوجته ثلاثا ثم انقضت
عدتها ونكحت زوجا غيره ودخل بها ثم فارقها وانقضت عدتها
ثم نكحها زوجها الاول انه تكون عنده على ثلاث تطليقات ان ظنا
ان يقيما حدود الله اي ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه
من حقوق الزوجية وقيل ظنا علما اي علما انه يكون بينهما الصلاح
بنكاح الثاني فمتى علم الزوج انه يعجز عن نفقة زوجته او صداقها
او شيء من حقوقها الواجبة عليه فلا يحل له ان يتزوجها حتى يبين لها
او يعلم من نفسه القدرة على اداء حقوقها وكذا ان كان به علة تمنع
عن الاستمتاع بها كان عليه ان يبين لها كيلا يغرها كما لا يجوز ان يغرها
بنسب يدعيه او مال او حرفة وهو كاذب وحكم المراة كذلك فيما

يجب جلبها الزمخشري قال ان ظنا ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان
اليقين مغيب عنهما وقال غيره تفسير العلم بالظن ههنا غير
سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت
ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله
اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون اي يفهمون ويعملون
بمقتضى العلم والجاهل لا يحفظ الامر والنهي ولا يتعاهده والعالم
يحفظ ويتعاهد فلهذا خاطب العلما ولم يخاطب الجهال واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن اي قاربن انقضا عدتهن باجماع ولان المعنى يضطر
الى ذلك لانه بعد بلوغ الاجل لا خيار له في الامساك وهو في الاية التي
بعدها بمعنى التناهي لان المعنى يقتضي ذلك فهو حقيقة في الثانية
مجاز في الاولى والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها يقال لعمر الانسان
اجل وللموت الذي ينتهي اجل والبلوغ هو الوصول الى الشي وقد يقال
للدنو منه وهو المراد ههنا فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
اي فراجعوهن من غير اضرار وخلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل
وهو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا
اي ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن روى مالك عن ثور بن زيد
ان الرجل كان يطلق امراته ثم يراجعها يعني اذا شارفت الاجل ولا حاجة
له بها ولا يريد امساكها الا كيما تطول بذلك العدة عليها وليضارها
فانزل الله ولا تمسكوهن ضرارا الاية وضرارا منصوب على العلة او الحال
اي مضارين لتعتدوا بالتطويل او بالالجا الى الافتدا ومن يفعل ذلك
فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله هزوا اي مهزوا

بها

بها بالاعراض عنها والتهاون بالعمل بما فيها وايات الله دلايله وامره
ونهيه يقال لمن لم يجد في الامر انما انت هازي كانه نهي عن الهزؤ واراد
به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب
فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها
الهداية وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القران والسنة افردهما بالذكر
اظهارا لشرفهما وقيل الحكمة ما في القران من الاحكام يعظكم به اي
يخوفكم بما انزل عليكم بان تشكروها بالعمل به واتقوا الله واعلموا ان الله
بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء وهو تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي دل سياق الكلامين على
افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاوليا
لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى زوجها
الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت
منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب
توقفه على اذنهن وسماهم ازواجا باعتبار ما كانوا عليه وقيل الخطاب
للازواج وذلك بان يكون الارتجاع مضادة عضلا عن نكاح الغير
بتطويل العدة عليها فلا يتركوهن يتزوجن عدوانا وقيل الاوليا والازواج
وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم
وهم راضون به كانوا كالفاعلين والعضل الحبس والتضييق ومنه
عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب

والنسا وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف اى بما يعرفه الشرع
وتستحسنه المروة وقيل بمهر المثل وهو حال من الضمير المرفوع او صفة
مصدر محذوف اى تراضيا كاينا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل
عن التزوج من غير كفو غير منهى ذلك اشارة الى النهى عن العضل او الى
ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تاويل القبيل دون تعيين المخاطبين او
للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله يا ايها النبى اذا طلقتم
النسا يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ به
والمنتفع ذلكم اى ترك العضل او العمل بمقتضى ما ذكر ازكى انفع لكم
واطهر من دنس الاثام لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة
بينهما والله يعلم ما فيه النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور
علمكم فاتبعوا امره والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر
للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبى الا
من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات
تعم المطلقات وغيرهن وقيل تختص بهن اذ الكلام فيهن وقال
السدى والضحاك وغيرهما الوالدات احق برضاع اولادهن من
الاجنبيات لانهن احنى وارق وانتزاع الولد الصغير اضرار به وبهما
القرطبى والاظهر ان الاية فى الزوجات فى حال بقا النكاح لانهن المستحقات
للنفقة والكسوة والامر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى جهة
الندب لبعضهن انتهى واختلف فى الرضاع هل هو حق للام او هو حق
عليها حولين سنتين من حال الشى اذا انقلب كاملين قيد بالكمال لانه
قد يكون حولا وبعض اخر كما فى قوله تعالى فمن تعجل فى يومين لمن اراد ان يتم

الرضاعة

الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او
هو متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام
ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به
بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه فلا يجب على الزوج اعطا الاجرة لاكثر
من حولين فان اراد الاب الفطم قبل هذه المدة ولم ترض الام لم يكن له ذلك
والزيادة على الحولين او النقصان عنهما انما يجوز عند عدم الاضرار بالولد
وعلى المولود له اى الذى يولد له يعنى الاب فان الولد يولد له وينسب
اليه رزقهن وكسوتهن اى المرضعات اجرة لهن على الرضاع اذا كن
مطلقات وقيل الرزق هنا الطعام الكافى وفيه دليل على وجوب نفقة
الولد على الوالد لعجزه وسماه الله تعالى للام لان الغذا يتصل اليه
بواسطتها فى الرضاع واختلف فى استيجار الام فجوزه الشافعى ومنعه
ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه
الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها اى طاقتها وهو تعليل
لايجاب المؤن وتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما
لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له
بولده تفصيل له وتقريب يعنى لا يكلف كل منهما الاخر ما ليس فى وسعه
ولا يضاره بسبب الولد فلا تابى الام ان ترضعه اضرارا بابيه او تطلب
اكثر من اجرة مثلها ولا يمنع الاب الام من ارضاعه مع رغبتها فيه وقرئ
لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف وبالفتح واصله على القراءتين لا تضارر
بكسر الراء الاولى او بفتحها مبنيا للفاعل او للمفعول ادغمت الرا الاولى
فى الثانية فمن رفع جعله خبرا بمعنى النفى ومن فتح فهى نهى تحركت الرا له

ففتحت لالتقا الساكنين كما تقول لا تعض زيدا واضافة الولد اليها تارة
واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على
استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به ولا ان يتضارا بسببه وعلى
الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له وما بينهما تعليل
واعتراض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي وعلى المولود مثل
ما على المولود له في ماله اذا ورث اباه ارضاع نفسه فتعان المرضعة
من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين بعد وفاة الاخر وكلا
القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولادة •
وقيل وارث الطفل ان لو مات وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب
ابي حنيفة وقيل غير ذلك والاشارة الى اجرة الرضاع والنفقة •
وقالت طائفة المعنى يرجع الى تحريم الاضرار اي وعلى الوارث مثل ذلك
من تحريم الاضرار فان ارادا فصالا اي اراد الوالدان فطاما واصله
التفريق فهو تفريق بين المولود وثدي امه عن تراض منهما وتشاور
اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين فلا
جناح عليهما في ذلك فليس لاحدهما ان يستبد بالفطام قبل الاخر
وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا من ان يقدم
احدهما على ما يضر به لغرض والتشاور والمشورة والمشاورة استخراج
الراي من شرت العسل اذا استخرجته وان اردتم خطاب للآبا ان تسترضعوا
اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف المفعول الاول للاستغنا
عنه اي مراضع غير الوالدات الخاس المعنى ان تسترضعوا الاجنبية
لاولادكم فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع
للولد

للولد ويمنع الزوجة من الارضاع وقيل ذلك اذا لم ترض الام بما يرضى
به غيرها اذا سلمتم اي الى المراضع ما آتيتم اي ما اردتم ايتاءه كقوله
اذا قمتم الى الصلاة يعني اذا اسلمتم الاجرة الى المرضع الظئر وقيل الى
الامهات اجرهن بحساب ما ارضعن الى وقت ارادة الارضاع بالمعروف
بالجميل بطيب النفس وقرئ آتيتم بالمد من باب الاعطا اي ما اتاكم الله
واقدركم من الاجرة وبالقصر من باب المجي بمعنى فعلتم واتقوا الله مبالغة
في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون
بصير فلا يخفى عليه شي فهو حث وتهديد والذين يتوفون منكم اي
وازواج الذين يتوفون منكم ويذرون يتركون ازواجا يتربصن اي يصبرن
بانفسهن بعدهم عن النكاح وقيل المعنى ولهم زوجات فالزوجات
يتربصن وحذف المبتدا في الكلام كثير وقيل التقدير والرجال الذين
يتوفون منكم وحكي عن سيبويه ان المعنى وفيما يتلى عليكم الذين يتوفون
وهو خبر بمعنى الامر اربعة اشهر وعشرا هذه الاية ناسخة للاية
بعدها وهي قوله وصية لازواجهم متاعا الى الحول والاية مطلقة غير
انها خاصة في الحراير وغير الحاملات فالحامل بوضع الحمل عند الجمهور
لاية واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد
باقصى الاجلين احتياطا واما الامة فشهران وخمس ليال على النصف من
الحرة للاجماع فعدة الوفاة تلزم الحرة والامة والصغيرة والكبيرة
والتي حاضت والايسة والتي لم تحض مسلمات كن او كتابيات وتانيث
العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون
التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له

قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم قال ان لبثتم الا يوما وقال المبرد انما
انث العشر لان المراد به المدة المعنى وعشر مدد كل مدة يوم وليلة ولعل
المقتضى لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان
كان ذكرا ولاربعة اشهر ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه
العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادى فلا يحس بها فاذا
بلغن اجلهن اى انقضت عدة تربصهن واضاف الاجل اليهن لانه مضروب
في امرهن فلا جناح عليكم ايها الاوليا او المسلمون او الايمة لان المتبيئين
لهذا الحكم هم الحكام والاوليا فيما فعلن في انفسهن يريد التزويج فما دونه
من التزين والاحداد والتعرض للخطاب وساير ما حرم عليهن للعدة
بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع من اختيار اعيان الازواج وتقدير
الصداق ودون مباشرة العقد لانه حق الاوليا ومفهومه انهن لو فعلن
ما ينكر فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون
خبير عالم بباطنه كظاهره فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم اى لا اثم فيما
عرضتم به اى لوحتم والخطاب لجميع الناس والمراد بحكمها هو الرجل الذى
في نفسه تزويج معتدة من خطبة النسا التعريض والتلويح ابهام
المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول القايل جيتك لاسلم
عليك والكناية هى الدلالة على الشى بذكر لوازمه وروادفه كقولك
طويل النجاد للطوال وكثير الرماد للمضياف وقيل التعريض افهام
المعنى بالشى المحتمل له ولغيره والخطبة بالضم وبالكسر اسم الحالة غير
ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنسا
المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافعة

ومن

ومن عرض اى انا تزوج ورب راغب قال ابن عطية اجمعت الامة على ان الكلام
مع المعتدة بما هو نص في تزويجها او تنبيه عليه لا يجوز ويجوز ما عدا
ذلك ومن اعظمه قربا الى التصريح قول النبى صلى الله عليه وسلم لفاطمة
بنت قيس كونى عند ام شريك ولا تسبقينى بنفسك ولا يجوز التعريض
بخطبة الرجعية اجماعا لانها كالزوجة واختلف في معتدة الفراق
والاظهر جوازه او اكننتم في انفسكم اى اضمرتم في قلوبكم قصد نكاحهن
فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا فرفع الله الجناح عمن اراد تزويج المعتدة
مع التعريض ومع الاكنان ونهى عن المواعدة التى هى تصريح بالتزويج علم الله
انكم ستذكرونهن اما سرا واما اعلانا ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن
الرغبة فيهن فرخص في التعريض دون التصريح وفيه نوع توبيخ الحسن ستذكرونهن
ستخطبونهن ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه
ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا اى نكاحا اى لا يقل
الرجل لهذه المعتدة تزوجينى بل يعرض وقيل السر الجماع قال امرى القيس
الا زعمت بسباسة القوم اننى ٭ كبرت وان لا يحسن السر امثالى ٭
اى لا تصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع ترغيبا لهن في النكاح فان ذكر
الجماع مع غير الزوجة فحش وقيل السر الزنا اى لا يكن منكم مواعدة
على الزنا في العدة ثم التزويج بعدها الا ان تقولوا قولا معروفا
اى ما عرف شرعا فلكم ذلك وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه
محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او لا مواعدة
بقول معروف وقيل هو استثنا منقطع بمعنى لكن ولا تعزموا عقدة
النكاح اى لا تعزموا على عقدة النكاح في زمان العدة حتى يبلغ الكتاب

اجله اى حتى ينتهى ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم
من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ان يعاقبكم فلا تعزموه وهذا نهاية
التحذير من الوقوع فيما نهى عنه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل
خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم اى لا تبعة
من مهر بل عليكم نصف المفروض لمن فرض لها كما ياتى وقيل من وزر
لانه لا بدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل لما نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن التزوج بمعنى الذوق وقضاء الشهوة وامر به لطلب
العصمة والتماس ثواب الله وقصد دوام الصحبة وقع فى نفوس المؤمنين
ان من طلق قبل البناء فقد اوقع جزءا من هذا المكروه فنزلت الاية
رافعة للحرج وان كان اصل النكاح على المقصد الحسن ان طلقتم
النساء ما لم تمسوهن اى تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة
اى الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب
على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية
الى الاسمية ويحتمل المصدر اى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر
اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم مهرا اذ لو كانت ممسوسة
فعليه المسمى او مهر المثل وان كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها
نصف المسمى السيوطى ما لم تمسوهن وفى قراءة تماسوهن او لم تفرضوا
لهن فريضة مهرا وما مصدرية ظرفية اى لا تبعة عليكم فى الطلاق
زمن عدم المسيس والفرض باثم ولا مهر وقيل او بمعنى الواو كقوله تعالى
ولا تطع منهم اثما او كفورا وما كان مثله ويعضد هذا انه تعالى
عطف عليها بعد ذلك المفروض لها فى قوله تعالى وان طلقتموهن
من

من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم الاية فلو كان الاول لبيان المفروض لها
قبل المسيس لما كرره ومتعوهن عطف على مقدر اى فطلقوهن
ومتعوهن والمعنى اعطوهن شيئا يكون متاعا لهن وحمله جماعة من
الصحابة والتابعين على الوجوب وهو مذهب الشافعى وحمله مالك
واصحابه على الندب القرطبى والقول الاول اولى ابن عباس المتعة
واجبة للمطلقة قبل البناء والفرض ومندوبة فى حق غيرها والحكمة
فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره اى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به
ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام لانصارى طلق امراته المفوضة
قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وهو يدل على وجوب المتعة ومفهوم
الاية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى لم يسم لها الزوج
والحق بها الشافعى فى احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا
وهو مقدم على المفهوم متاعا اى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى
استحسنه الشرع والمروءة ويستحب ان لا ينقص عن ثلاثين درهما والواجب
ما تراضيا عليه فان تنازعا قدرها القاضى بنظره لاختلافها باختلاف
العادات معتبرا حالهما وقيل حاله كالنفقة وظاهر الاية يدل له
حقا صفة ثانية لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين
الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال والى المطلقات بالتمتيع
وسماهم محسنين قبل الفعل للمشارفة ترغيبا وتحريضا فائدة
المطلقات اربعة مطلقة مدخول بها مفروض لها ذكر الله تعالى حكمها
قبل هذه الاية وانه لا يسترد منها شيء من المهر وان عدتها ثلاثة قروء

ومطلقة غير مدخول بها ولا مفروض لها فهذه الاية في شانها فلا
مهر لها بل امر الله تعالى بامتاعها وبين في الاحزاب انه لا عدة عليها
كالتي بعدها ومطلقة مفروض لها غير مدخول بها فذكرها بعد
هذه الاية بقوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم
لهن فريضة الاية ومطلقة مدخول بها غير مفروض لها ذكرها الله
في قوله فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن ولما قسم الله تعالى
المطلقة هنا الى قسمين مطلقة سمي لها ومطلقة لم يسم لها دل على
جواز نكاح التفويض ولا خلاف فيه ويفرض لها بعد ذلك الصداق ۵
**وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف
ما فرضتم** اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم من المهر ويرجع لكم النصف
ولما ذكر حكم المفوضة اتبعها ذكر قسيمها وهو دليل على ان الجناح المنفي
ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها **الا** لكن **ان يعفون**
اي المطلقات فلا ياخذن والصيغة تحتمل التذكير والتانيث ۵
والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام
الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يوثر فيه ان هنا ونصب
المعطوف عليه ووزنه يفعلن الا ان يتركن النصف الذي وجب لهن
عند الزوج والعافيات في هذه الاية كل امراة تملك امر نفسها فاذن
الله تعالى لهن في اسقاطه بعد وجوبه **او يعفوا الذي بيده عقدة
النكاح** قيل هو الزوج المالك لعقده وحله والمعنى عقده نكاحه
لما ادخل اللام حذف لها كقوله فان الجنة هي الماوى اي ماواه وروى
الدارقطني مرفوعا ولي عقدة النكاح الزوج وبه قال مجاهد وسعيد

ابن

ابن جبير وغيرهما وهو الاظهر من قولي الشافعي وعفو الزوج عما
يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وقيل هو الولي وبه
قال مالك وجماعة وروي عن ابن عباس فيجوز للاب العفو عن نصف
صداق ابنته البكر حاضت ولم تحض **وان تعفوا اقرب للتقوى**
ابتدا وخبر وهو يويد الوجه الاول وعفو الزوج عبارة عن الزيادة
على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر
الى النسا عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف
فاذا لم يسترده فقد عفى عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة ۵
وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو **ولا تنسوا
الفضل بينكم** اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض مجاهد الفضل
اتمام الرجل الصداق كله او ترك المراة النصف الذي لها **ان الله بما
تعملون بصير** اي لا يخفى عليه عفوكم ولا استقصاوكم ولا يضيع
تفضلكم واحسانكم **حافظوا على الصلوات** الخمس بالادا لوقتها والمداومة
عليها بجميع شروطها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج
لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها **والصلاة الوسطى** بينها
والفضلى منها وهي تانيث الاوسط ووسط الشي خياره واعدله
وافردت بالذكر بعد دخولها في عموم الصلاة تشريفا لها واختلف
في تعيينها فقيل هي الظهر لانها اول صلاة ظهرت وصليت في الاسلام
ووقتها وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم وقيل العصر
لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة
الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال انها الصلاة التي

شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب ولكثرة اشتغال
الناس في وقتها واجتماع الملائكة ولان قبلها صلاتا نهار وبعدها
صلاتا ليل وبه قال الشافعي واكثر اهل العلم ابن عطية وعلى هذا
القول جمهور الناس وبه اقول وقيل المغرب لانها متوسطة في عدد
الركعات ولا تقصر في السفر وقبلها صلاتا سر وبعدها صلاتا
جهر وقيل العشا لانها بين صلاتين لا يقصران وواقعة بين جهريتين
في طرفي الليل وقيل الصبح لان قبلها صلاتا ليل يجهر فيهما وبعدها
صلاتا نهار يسر فيهما ولان وقتها يدخل والناس نيام والقيام
لها شاق لشدة البرد في الشتا وقصر الليل في الصيف وبه قال
مالك وجماعة وقيل صلاة الجمعة لانها خصت بالجمع لها والخطبة
وجعلت عيدا وقوموا لله قانتين اي في صلاتكم ومعنى قانتين اي
مطيعين سعيد بن جبير كل قنوت في القران يعني به الطاعة وقيل
خاشعين والقنوت طول الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح
وقيل هو طول القيام وفي الحديث فضل الصلاة طول القنوت
اخرجه مسلم وقيل داعين وقيل ساكتين ويدل له ان الاية نزلت
في المنع من الكلام في الصلاة وكان ذلك مباحا في اول الاسلام لحديث
زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل وقوموا لله قانتين فامرنا
بالسكوت ونهينا عن الكلام رواه الشيخان وقال ابن المسيب المراد
به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او سيل او سبع فرجالا او ركبانا
اي فصلوا راجلين او راكبين اي كيف امكن مستقبلين القبلة وغيرها
ويومي بالركوع والسجود ورجال جمع راجل اي ماش وفيه دليل على وجوب

الصلاة

الصلاة حال المسابقة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة
لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم اي زال
خوفكم الذي الجاكم الى هذه الصلاة فاذكروا الله صلوا صلاة الامن
او المعنى اشكروه على الامن كما علمكم اي ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع
او على هذه النعمة في تعليمكم هذه الصلاة حالتي الخوف والامن ه
وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرئ وصية
بالرفع على تقدير وصية الذين يتوفون منكم او وحكمهم وصية او والذين
يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية وقرئ بالنصب حملا على الفعل
اي يوصون وصية او فليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم
الذين يتوفون وصية متاعا اي يعطوهن او يمتعوهن متاعا او جعل
الله ذلك لهن متاعا لدلالة الكلام عليه الى تمام الحول والمتاع هنا
نفقة سنتها غير اخراج بدل من متاعا او مصدر موكد كقولك هذا
القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات من مسكنهن والمعنى
انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان
يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة
بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر
في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد
ثابتة عند الشافعي خلافا لابي حنيفة فان خرجن من منزل الازواج
باختيارهن قبل الحول فلا جناح عليكم ايها الائمة واوليا الميت فيما
فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب وترك الحداد من معروف

اي مما يوافق الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن
الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة
وبين الخروج وتركها وقال جماعة من المفسرين ان المتوفى عنها كانت
تحبس في بيت المتوفى حولا وينفق عليها من ماله ما لم تخرج من المنزل فان
خرجت منه لم يكن على الورثة جناح في قطع النفقة عنها ثم نسخ بما تقدم
والله عزيز ينتقم ممن خالفه حكيم فيما يفعله وللمطلقات متاع يعطينه
بالمعروف حقا نصب بفعله المقدر على المتقين الله اوجب المتعة
للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها للواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم
لا يخصصه اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير
لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد
بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد
او لتكرر القصة السبوطي كرره ليعم الممسوسة ايضا اذ الاية السابقة
في غيرها كذلك اشارة لما سبق اي كما بين لكم من احكام الطلاق والعدد
يبين الله لكم اياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلايل والاحكام ما
ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لكي تفهموها وتستعملوا
العقل فيها الم تر تعجيب وتشويق الى استماع ما بعده وتقرير لمن سمع
بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم
يسمع فانه صار مثلا في التعجب وتسمى هذه الروية روية القلب والمعنى
الم تعلم او الم ينته علمك الى الذين وهي عند سيبويه بمعنى تنبه الى
امر الذين خرجوا من ديارهم هم قوم من بني اسرايل وقع فيهم الوبا وكانوا
بقرية يقال لها داوردان قيل واسط فخرجوا هاربين ونزلوا واديا

فا

فاماتهم الله من عند آخرهم وقيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا
من الموت ابن عباس خرجوا فرارا من الطاعون وقالوا نأتي ارضا لا موت فيها
فمر بهم نبي ودعا الله فاحياهم قيل ماتوا ثمانية ايام الحسن اماتهم الله
قبل آجالهم عقوبة لهم ثم بعثهم الى بقية آجالهم قيل انما فعل ذلك معجزة
لنبي لهم اسمه شمعون وهم الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل
سبعون وقيل ثمانون وقيل مثنا الفون جمع الف وآلف كقاعد وقعود
والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا هو امر تكوين
فماتوا والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته
وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل
مر حزقيل عليه السلام وهو بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي على اهل
داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت وصالهم فتعجب من ذلك فاوحى
الله تعالى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لا اله الا انت قال مجاهد انهم لما رجعوا الى قومهم
بعد احيايهم كانوا يعرفون بسحنة الموتى على وجوههم ولا يلبس احد
منهم ثوبا الا عاد كفنا دسما وعن ابن عباس وبقيت الرايحة على ذلك السبط
من بني اسرايل الى اليوم وفايدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض
للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضا وان الموت اذا لم يكن
منه بد فاولى ان يكون في سبيل الله والدليل على ذلك ما تبع هذه
القصة من الامر بالقتال ان الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم
ما يعتبرون به كما بصر اولئك او حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا
ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث وقص عليكم حالهم لتعتبروا ولكن

اكثر الناس الكفار لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغى ويجوز ان يراد
بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا فى سبيل الله لاعلاء دينه
لما بين ان الفرار من الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم
بالقتال اذ لو جا اجلهم ففى سبيل الله والا فالنصر والثواب وهو خطاب
لامة محمد صلى الله عليه وسلم بالقتال فى قول الجمهور وسبل الله كثيرة
فهى عامة قال مالك ما من سبيل الا ويقاتل عليه واعظمها دين الاسلام
وقيل الخطاب للذين احيوا من بنى اسرايل فعلى هذا هو عطف على الامر
المتقدم وفى الكلام متروك تقديره وقيل لهم قاتلوا وعلى الاول
هى عطف جملة كلام على جملة كلام ولا حاجة الى اضمار واعلموا ان الله سميع
لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه من ذا الذى يقرض الله من
استفهامية مرفوعة الموضع بالابتدا وذا خبره والذى صفة ذا او بدله
واقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه والاستفهام للترغيب
قرضا حسنا اى اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او حلالا
طيبا وقيل المعنى لا يمن به ولا يوذى والقرض اسم لكل ما يلتمس عليه الجزا
وقال الكسائى القرض ما اسلفت من عمل صالح او سيئ واصل الكلمة
القطع واستدعا القرض فى هذه الاية تانيس وتقريب للناس بما
يفهمونه والله هو الغنى الحميد لكنه تعالى شبه اعطا المومن فى الدنيا
بما يرجو به ثوابه فى الاخرة بالقرض كما شبه اعطا النفوس والاموال
فى اخذ الجنة بالبيع والشرا الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله ه
وكنى سبحانه عن الفقير بنفسه العلية المنزهة عن الحاجات ترغيبا
فى الصدقات كما كنى عن المريض والجايع والعطشان بنفسه المقدسة
وفى

وفى الحديث الصحيح اخبارا عن الله تعالى يا ابن ادم مرضت فلم تعدنى ه
استطعمتك فلم تطعمنى استسقيتك فلم تسقنى الى اخره فيضاعفه
له اى فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرى بالنصب
على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان معنى من ذا الذى يقرض الله فى معنى
ايقرض الله احد وقرئ بالرفع نسقا على قوله يقرض وقيل على تقدير
هو يضاعفه وقرئ بالتشديد على التكثير اضعافا كثيرة قال الحسن
والسدى لا يعلم هذا التضعيف الا الله وقيل من عشرة الى سبعمائة
واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب والمفعول الثانى
لتضمن المضاعفة معنى التصيير او على المصدر على ان الضعف اسم المصدر
وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ابتلاء ويوسع على
بعض امتحانا حسبما اقتضته حكمته سبحانه فلا تبخلوا بما وسع عليكم
لئلا يبدل احالكم واليه ترجعون فى الاخرة بالبعث فيجازيكم على حسب
ما قدمتم الم تر الى الملا من بنى اسرايل الملا الاشراف من الناس كانهم
مليون شرفا والملا هنا جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم
ومن للتبعيض من بعد موسى اى من بعد وفاته ومن للابتدا اى قصتهم
وخبرهم اذ قالوا لنبى لهم هو يوشع بن نون قاله قتادة ابن عطية وهو
ضعيف لان مدة داود بعد موسى بقرون وقيل هو شمويل بن بان ويعرف
بابن العجوز ويقال فيه سمعون وهو من ولد يعقوب ابعث لنا ملكا
نقاتل فى سبيل الله اى اقم معنا اميرا ننهض معه للقتال تصدر فى
فى تدبير الحرب عن رايه وننتهى الى امره وجزم نقاتل على الجواب وقرئ
بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين للقتال وقرى باليا مجزوما

ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال النبي لهم هل عسيتم ان كتب
عليكم القتال ان لا تقاتلوا معنى عسيتم قاربتم وخبرها ان لا تقاتلوا
وفصل بينهما بالشرط والمعنى هل الامر كما اتوقعه انكم تجبنون عن القتال
ان كتب عليكم واراد بالاستفهام التقرير والتثبت ان المتوقع كاين
وانه مصيب في توقعه وقرئ بفتح السين وكسرها لغتان قالوا وما
لنا ان لا نقاتل في سبيل الله قال الاخفش ان زايدة وقال الفرا هو
محمول على المعنى اي ومامنعنا وقيل المعنى واي شئ لنا في ان لا نقاتل
وقد اخرجنا من ديارنا قيل بعلبك وابنائنا بسبيهم اي اي غرض لنا
في ترك القتال وقد عرض لنا مايوجبه ويحث عليه من الاخراج عن
الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن كان معه من العمالقة
كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرايل
فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعماية
واربعين قال تعالى فلما كتب عليهم القتال اي فرض عليهم ورأوا الحقيقة
ورجعت افكارهم الى مباشرة الحرب وان نفوسهم ربما تذهب تولوا اي
اضطربت نياتهم وفترت عزايمهم وهذا شان الامم المتنعمة المايلة
الى الدعة تتمنى الحرب وقت الانفة فاذا حضرت الحرب كعت وانقادت
لطبعها الاول الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر مع طالوت ثلاث
ماية وثلاثة عشر بعدة اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على
ظلمهم في ترك الجهاد وسال النبي ربه ارسال ملك فاجابه الى ارسال
طالوت وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا اي اجابكم
الى ماسالتم وطالوت علم عبري كداود وقيل كان سقا وقيل دباغا

وكان

وكان عالما فلذلك رفعه الله وكان من سبط بنيامين ولم يكن فيهم النبوة
والملك وانما كانت النبوة في بني لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهوذا
وكان فيهم من السبطين خلق فلذلك انكروا وقالوا انى يكون له الملك
علينا اي كيف يكون ملكنا ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من المال
والحال انا احق بالملك منه وراثة ومكنة نجريا على سنتهم في تعنتهم بالانبيا
وحيدهم عن امر الله وقالوا من اي جهة ياتي ونحن من سبط الملوك وليس
هو كذلك وهو فقير ليس معه مايستعين به على اقامة الملك فتركوا
السبب الاقوى وهو قدر الله وقضاوه السابق حتى احتج عليهم نبيهم
وقال ان الله اصطفاه اي اختاره للملك عليكم وزاده بسطة سعة
في العلم والجسم والله يوتي ملكه من يشا ايتاه والله واسع عليم لما استبعدوا
تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفا الله
وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه
وفور العلم ليتمكن به من امور السياسة وجسامة البدن ليكون
اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب
لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما قال ابن عباس كان طالوت يوميذ اعلم
رجل في بني اسرايل واجمله واتمه وكان الرجل القايم يمد يده فينال راسه
وثالثا بان الله تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يوتيه من يشا
ورابعا بانه واسع الفضل موسع على الفقير ومغنيه عليم بمن يليق
بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه
سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ويحتمل انه قال لهم من غير سوال
منهم على جهة التنبيه ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت اي الصندوق

فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وهو صندوق
التوراة وكان من خشب الشمشار اى البقس مموها بالذهب نحو من
ثلاثة اذرع فى ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اى فى
اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اى مودع فيه ما تسكنون
اليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن
نفوس بنى اسرايل ولا يفرون وقيل صورة كانت من زبرجد او
ياقوت له راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان ولعينيه شعاع
فاذا انظرقا الى الجيش انهزم قاله مجاهد ابن عباس طست من ذهب
من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبيا وقيل صور الانبيا من ادم الى
محمد صلى الله عليه وسلم ويقال ان الله تعالى انزله على ادم وكان عنده
الى ان وصل الى يعقوب وكان فى بنى اسرايل يغلبون به من قاتلهم
حتى عصوا فغلبت العمالقة عليهم وسلبوهم التابوت وقال
النحاس والاية فى التابوت على ما روى انه كان يسمع فيه انين فاذا
سمعوا ذلك ساروا الى حربهم واذا هدى الانين لم يسيروا وقيل
السكينة روح من الله تتكلم فكانوا اذا اختلفوا فى امر نطقت ببيان
ما يريدون واذا صاحت فى الحرب كان لهم الظفر وعن على هى ريح
هفافة لها وجه كوجه الانسان وقيل التابوت هو القلب
والسكينة ما فيه من العلم واتيانه تصيير قلبه مقر العلم والوقار
بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون هى رضاض الالواح
وعصى موسى وثيابه وعمامة هرون وقفيز من المن والهما ابنا وهما
او انفسهما والال مقحم لتفخيم شانهما او انبيا بنى اسرايل لانهم ابنا عمهما

تحمله

تحمله الملائكة حال من فاعل ياتيكم قيل رفعه بعد موسى فنزلت به الملائكة
وهم ينظرون اليه وقيل كان فى ارض جالوت الى ان ملك طالوت
فاصابهم بلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاموا به فوضعوه على ثورين
فساقتهما الملائكة الى طالوت ان فى ذلك لاية لكم على ملكه ان كنتم
مومنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبى عليه السلام وان يكون
ابتدا خطاب من الله تعالى فلما اتاهم التابوت اقروا بملكه وتسارعوا
الى الجهاد فلما فصل طالوت بالجنود اى انفصل بهم عن بلده بيت المقدس
لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله
صار كاللازم روى انه قال لهم لا يخرج معى الا الشاب النشيط
الفارغ فاجتمع اليه مما اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا
فسلكوا مفازة قال وهب فلما فصل طالوت قالوا ان المياه
لا تحملنا فادع الله لنا ان يجرى لنا نهرا فقال لهم ان الله مبتليكم
بنهر اى معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه ومعنى الابتلا
انه اختبرهم فمن ظهرت طاعته فى ترك الما علم انه مطيع فيما عدا
ذلك ومن غلبته شهوته فى الماء وعصى الامر فهو بالعصيان فى
الشدايد احرى والنهر قيل هو نهر بين الاردن وفلسطين فمن
شرب منه اى من مايه فليس منى اى من اصحابى فى هذه الحرب ولم
يخرجهم عن الايمان بذلك ومن لم يطعمه فانه منى اى من لم يذقه من
طعم الشى اذا ذاقه ماكولا او مشروبا ولم يقل ومن لم يشربه لان
من عادة العرب اذا كرروا شيا ان يذكروه بلفظ اخر وانما علم ذلك
بالوحى ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبى الا من اغترف غرفة بيده

فاكتفى بها ولم يزد عليها فانه منى وهو استثناء من قوله فمن شرب وانما
قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها والاغتراف الاخذ من الشيء
باليد او بآلة وقرئ غرفة بفتح الغين مصدر وهي المرة الواحدة وقرئ
بضم الغين وهي الشيء المغترف والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير
فشربوا منه لما وافوه بكثرة الا قليلا منهم فاقتصروا على الغرفة
قال ابن عباس شربوا على قدر يقينهم وشرب الكفار شرب الهيم وشرب
العاصون دون ذلك وانصرف من القوم ستة وسبعون الفا وبقي بعض
المومنين لم يشرب شيا وروي انهم اتوا النهر وقد نالهم العطش وهو
في غاية العذوبة والحسن ولذلك رخص للمطيعين في الغرفة ليرتفع
عنهم اذى العطش بعض الارتفاع وليكسروا نزاع النفس في هذه
الحال فان الغرفة كافية ضرر العطش وروي ان الذي لم يقتصر
عليها غلب عليه العطش واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي
واما من ترك الما فحسنت حاله وكان اجلد ممن اخذ الغرفة
وهكذا الدنيا لقاصد الاخرة فلما جاوزه اي النهر هو توكيد
والذين امنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه وهم الذين اقتصروا
على الغرفة وروي انها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلثمائة
وبضعة عشر وقال ابن عباس والسدي جاوز معه النهر اربعة الاف
قالوا اي بعضهم لبعض اي الذين شربوا للذين لم يشربوا لا طاقة
قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي بقتالهم لكثرتهم وقوتهم وجالوت
جبار من العمالقة من ولد عمليق بن عاد وكانت بيضته ثلثمائة
رطل قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين يتيقنوا

لقاء الله

لقاء الله بالبعث وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب
فيلقون الله قيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير
المتخذلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا
والنهر بينهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه
وتيسيره وقيل بارادته وكم تحتمل الاستفهام والخبر ومن مبينة
او زائدة والفئة الفرقة من الناس والله مع الصابرين بالنصر
والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم
وقيل برزوا صاروا في البراز وهو الافيح من الارض المتسع وكان
جالوت امير العمالقة ويقال ان البربر من نسله وكان فيما روي
في ثلثمائة الف فارس قالوا ربنا افرغ اصبب علينا صبرا وثبت
اقدامنا اي هب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلب
والقاء الرعب في قلب العدو وانصرنا على القوم الكافرين التجاؤا
الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر في
قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم ثم النصر على العدو
المرتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله اي فكسروهم بارادته
او مصاحبين نصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت
قيل كان ايشا في عسكر طالوت مع ستة من اخوته فاوحى الله الى
نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبوه من ابيه وهو داود بن ايشا
بكسر الهمزة والشين المعجمة من سبط يهوذا بن يعقوب جمع له بين
النبوة والملك بعد ان كان راعيا وكان اصغر اخوته يرعى غنما
فقال في نفسه لاذهبن لرؤية هذه الحرب فلما نهض مر في طريقه

فناداه حجر يا داود خذني معك فبي تقتل جالوت ثم ناداه اخر ثم
اخر فاخذها ثم وضعها في مخلاته وسار مع جنود طالوت فخرج
جالوت يطلب مبارزا وكع الناس عنه حتى قال طالوت من يبرز له
ويقتله وانا ازوجه ابنتي واحكمه في مالي فجا داود فقال انا
فازدراه طالوت لصغر سنه ورده ثم نادى ثانية وثالثة فخرج
داود وكان من ارمى الناس بالمقلاع فاخذ مخلاته فتقلدها
واخذ مقلاعه وجا الى جالوت وهو شاكي السلاح وعلى راسه
بيضة فيها ثلثماية رطل فيما ذكر الماوردي وغيره فقال له جالوت
انت يا فتى تخرج الي فقال نعم قال هكذا كما تخرج الى الكلب قال نعم
وانت اهون ثم تدانيا واراد جالوت ان ياخذ داود بيده استخفافا
به فادخل داود يده الى الحجارة فروي انها التامت فصارت حجرا
واحدا فوضعه في المقلاع وسمى الله تعالى ورماه فاصاب راس
جالوت فقتله وجز راسه وجعله في مخلاته فاختلط القوم
وحمل اصحاب طالوت وكانت الهزيمة وروي ان الحجر خرج من قفا
جالوت واصاب جماعة من عسكره فقتلهم واتاه الله اي داود الملك
اي ملك بني اسرايل ولم يجتمعوا قبل داود على ذلك والحكمة اي النبوة
بعد موت شمويل السدي اعطاه الله ملك طالوت ونبوة شمعون
ابن عباس ان الله اعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة وراسها عند
صومعته فكان لا يحدث شي الا صلصلت السلسلة فيعلم داود
ما حدث وكان لا يمسها ذو عاهة الا برى وكانوا يتحاكمون اليها
بعد داود الى ان رفعت وقيل الحكمة الزبور وعلمه مما يشا من
صنعة

صنعة الدرع ومنطق الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض قرئ دفع ودفاع وهما مصدران
واسم الله في موضع رفع بالفعل اي ولولا ان يدفع الله دفع مرفوع
بالابتدا عند سيبويه والناس مفعول به وبعضهم بدل من الناس
وببعض في موضع المفعول الثاني واختلف في المدفوع بهم الفساد
فقيل هم الابدال الاربعون رجلا كلما مات احدهم بدله اخر وفي
نوادر الاصول للترمذي عن علي قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الابدال يكونون بالشام وهم اربعون رجلا كلما
مات منهم رجل ابدل الله مكانه رجلا يسقي بهم الغيث وينصرهم
على الاعدا ويصرف بهم عن اهل الارض البلا وقال ابن عباس ولولا دفع
الله العدو بجنود المسلمين لغلب المشركون ولخربت المساجد وقيل
هم الشهود الذين يستخرج بهم الحقوق وقيل المعنى لولا ان يدفع بمن
يصلي عمن لا يصلي وبمن يتقي عمن لا يتقي لاهلك الناس بذنوبهم وقيل
لولا دفع الله بالمومنين الابرار عن الكفار الفجار لغلب الكفار وافسدوا
في الارض او لفسدت الارض بشومهم وقيل هذا الدفع بما شرع على هم
السنة الرسل من الشرايع ولولا ذلك لتسالب الناس بعضهم وتناهبوا
وهلكوا ولكن الله ذو فضل على العالمين يدفع بعضهم ببعض تلك ايات الله
اشارة الى ما قص من حديث طالوت وتمليك طالوت واتيان التابوت
وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها نقصها عليك
يا محمد بالحق اي بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب
وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف

واستماع فنبه سبحانه ان هذه الايات لا يعلمها الا نبي مرسل والتاكيد
بان وغيرها لقول الكفار له لست مرسلا تلك الرسل اشارة الى
الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول صلى الله
عليه وسلم او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على
بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره وتلك مبتدا والرسل
صفة والخبر فضلنا واختلف في معنى ذلك مع ما ورد من قوله
صلى الله عليه وسلم لا تخيروا بين الانبيا ولا تفضلوا بين انبيا الله
فقيل ان ذلك قبل ان يوحى اليه بالتفضيل وقيل ان يعلم انه سيد
ولد ادم يوم القيمة لانه الشافع يومئذ وله لواء الحمد واراد بقوله
لا تفضلوني على موسى هو على طريق التواضع ومثاله لا يقل احد انا خير
من يونس بن متى وفي قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت ما يدل على
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل منه وقيل انما نهى عن الخوض
في ذلك ذريعة الى الجدال ولما يتوهم النقص في المفضول لقرطبي
واحسن من هذا قول من قال ان المنع من التفضيل انما هو من جهة النبوة
التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها وانما التفاضل في زيادة الاحوال
والالطاف والمعجزات واما النبوة نفسها فلا تفاضل فيها وهكذا
القول في الصحابة وهو انهم اشتركوا في الصحبة ثم تباينوا في الفضايل
منهم من كلم الله تفضيلا له وهو موسى وقيل موسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم كلم موسى ليلة الحيرة في الطور ومحمد صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما
بون بعيد ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة

ومراتب

ومراتب متباعده وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة
العامة والحجج المتكاثره والمعجزات المستمرة حيث اوتى ما لم يوته احد
من الايات المرتقية الى ثلاثة الاف ايه واكثر المتعاقبة بتعاقب الدهر
والفضايل العلمية والعملية الفاينة للحصر ولو لم يوت الا القران وحده
لكفى به فضلا منيفا على ساير ما اوتي الانبيا لانه المعجزة الباقية على وجه
الدهر دون ساير المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره
ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمميز الذي
لا يلتبس وقيل ابرهيم عليه السلام لتخصيصه بالخلة التي هي
اعلا المراتب وقيل ادريس عليه السلام لقوله تعالى ورفعناه مكانا
عليا وقيل اولوا العزم من الرسل واتينا عيسى بن مريم البينات هي
احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وخلق الطير من الطين وايدناه بروح القدس
اي قويناه بجبريل يسير معه حيث سار وتقدم وخصه بالتعيين لافراط
اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه ولو شا الله هدى الناس جميعا
ما اقتتل الذين من بعدهم اي من بعد الرسل والمراد ما اقتتل الناس بعد
كل نبي كما تقول اشتريت خيلا ثم بعتها وانت تريد انما اشتريت فرسا
وبعته ثم اخر وبعته وهكذا من بعد ما جاتهم البينات اي المعجزات
الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا لمشيئة
ذلك فمنهم من امن ثبت على ايمانه بتوفيقه التزام دين الانبيا تفضلا ومنهم
من كفر بغيا وحسدا على حطام الدنيا بخذلانه ولو شا الله خلاف ذلك
ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشا فضلا
ويخذل من يشا عدلا وفيه دليل على ان الحوادث بيده تابعة لمشيئته

خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا **يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم**
ما اوجبنا عليكم انفاقه وقال ابن جريج هذه تجمع الزكاة والتطوع
من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة اي من قبل ان
ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع
فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة
حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم فيه والخلة بالضم في الصداقة
وبالفتح في الفاقة والخصلة ولا شفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له
فولا حتى تتكلوا على شفعا تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت
ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة
او شفاعة وقرئ بفتحها على الاصل **والكافرون هم الظالمون** بوضعهم
العبادة في غير موضعها وقيل هم التاركون للزكاة لانهم ظلموا انفسهم
اذ وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون
موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج وايذانا بان
ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة
الله لا اله الا هو مبتدا وخبره اي لا معبود بحق في الوجود الا هو والمعنى
انه المستحق للعبادة لا غير **الحي** اي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكلما يصح
له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن الامكان قيل هو اسم الله الاعظم
قتادة الحي الذي لا يموت وقيل الباقي **القيوم** اي الدائم القيام
بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقيل معناه
القايم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها باعمالها ابن عباس هو الذي
لا يحول ولا يزول وقيل هو الذي لا ينام والحي القيوم نعتان لله وان
شئت

شئت بدلا من هو وان شئت خبرا بعد خبر **لا تاخذه سنة ولا نوم**
السنة النعاس في قول الجميع والنعاس ما كان من العين فاذا صار
في القلب صار نوما السدي السنة هي ريح النوم القرطبي وبالجملة
فهو فتور يعتري الانسان ولا يفقد معه عقله انتهى والنوم حال يعرض
للحيوان من استرخا شعب اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة
بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه
وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد
لكونه حيا قيوما فان من ياخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحياة قاصرا
في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف وفي الجملة التي بعده والمراد
من الاية تعالى لا يدركه خلل ولا يلحقه ملل بحال من الاحوال **له ما في
السموات وما في الارض** ملكا وخلقا وهو تقرير لقيوميته واحتجاج
على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما
او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض
وما فيهن **من ذا الذي** اي لا احد **يشفع عنده الا باذنه** له فيها وهو
بيان لكبريا شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه مستقلا بان يدفع
ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبة
ومن رفع بالابتدا وذا خبره والذي نعت لذا وان شئت بدل والاستفهام
للتعظيم وفي الاية دليل وتقرير بان الله تعالى ياذن لمن شا في الشفاعة
وهم الانبيا والعلما والملايكة وغيرهم ممن اكرمهم وشرفهم ثم
لا يشفعون الا لمن ارتضى **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** ما قبلهم وما
بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي مجاهد

مابين ايديهم الدنيا وما خلفهم الاخرة والضمير لما في السموات وما
في الارض لان فيهم العقلا او ما دل عليه من ذا من الملايكة والانبيا
ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته لان علم الله تعالى الذي
هو صفة ذاته لا يتبعض والفرق بين العلم والمعلومات ان المعلوم منفصل
عن ذاته والعلم متصل بها الا بما شا ان يعلموا باخبار الرسل وعطفه
على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي الدال على وحدا
وسع كرسيه السموات والارض في الحديث الكرسي لولو والقلم لولو
وطول القلم سبعماية سنه وطول الكرسي لا يعلمه العالمون وفي الخبر
ما السموات السبع مع الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض فلاه وفضل العرش
على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج
ابن عباس كرسيه علمه ورجحه الطبري قال ومنه الكراسة التي تضم العلم
ومنه قيل للعلما الكراسي كما يقال اوتاد الارض وقيل كرسيه قدرته
التي يمسك بها السموات والارض وقال ابو موسى الاشعري الكرسي موضع
القدمين وله اطيط كاطيط المرجل يريد هو من عرش الرحمن كموضع
القدمين في اسوة الملوك فهو مخلوق عظيم بين يدي العرش نسبته
اليه كنسبة الكرسي الى سرير الملك ولا يوده اي لا يثقله ماخوذ من
الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفا
واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي اي المتعالي عن الانداد والاشباه
والمراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لانه سبحانه منزه عن التحيز
والعلي والعالي هو القاهر الغالب للاشيا العظيم المتحقر بالنسبة اليه
كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسايل الالهية فانها

دالة على انه سبحانه وتعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحياة
واجب الوجود لذاته موجد لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا
عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح
مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد يد
الذي لا يشفع له الا من اذن له العالم وحده بالاشيا كلها جليلها
وحقيرها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كلما يصلح ان
يملك ويقدر عليه لا يوده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم
وهو عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه افضل الصلاة والسلام
ان اعظم اية في القران اية الكرسي من قراها بعث الله له ملكا يكتب من
حسناته ويمحو من سياته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرا اية الكرسي
دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب
عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على
نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله رواه علي وفي الخبر من قرا
اية الكرسي دبر كل صلاة كان الذي يتولى قبض روحه ذو الجلال
والاكرام وكان كمن قاتل مع انبيا الله حتى استشهد لا اكراه في الدين
على الدخول فيه الدين هنا المعتقد والملة واللام للعهد او بدل من
الاضافة اي في دين الله كقوله فان الجنة هي الماوى اي ماواه والاكراه
في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين
الرشد من الغي اي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل
على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يودي
الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه

الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجا
وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام
منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب
لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة
فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا واختصموا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وان اهل الكتاب لا يكرهون اذا
ادوا الجزية والرشد والرشاد ضد الغي والغي مصدر غوى اذا ضل
في معتقد او راي ولا يقال الغي في الضلال على الاطلاق فمن يكفر بالطاغوت
اي الشيطان او الاصنام او كلما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله
وهو فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه وهو يونث ويذكر
من طغى اذا جاوز الحد ويوصف بالواحد والجمع وقال الجوهري الطاغوت
الكاهن وكل راس في الضلالة ويومن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل
فقد استمسك بالعروة الوثقى اي تمسك او طلب الامساك من نفسه
بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك الحق من النظر
الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها والانفصام الانكسار
من غير بينونة قال مجاهد العروة الوثقى هي الايمان ابن عباس
وغيره هي لا اله الا الله والله سميع للاقوال عليم بالنيات ولعله
تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا اي محبهم او متولي امرهم او
ناصرهم والمراد بهم من اراد الله ايمانه وسبق في علمه انه يومن والولي
فعيل بمعنى فاعل يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات اي ظلمات
الجهل واتباع الهوى وقبول الوسواس والشبه المودية الى الكفر الى النور

الى

الى الهدى الموصل للايمان والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي
الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم
من النور الى الظلمات اي من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر
وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى
ظلمات الشكوك والشهوات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام
وذكر الاخراج اما في مقابلة قوله يخرجهم من الظلمات او في كل من
آمن بالنبي من اليهود قبل بعثته ثم كفر واسناد الاخراج الى الطاغوت
باعتبار السبب لا يابى تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير وحكم عليهم بالخلود في النار
لكفرهم عدلا منه لا يسال عما يفعل وهم يسالون ولعل عدم مقابلته
بوعد المومنين تعظيم لشانهم الم تر الى الذي حاج اي خاصم وجادل
ابرهيم في ربه تعجيب لمحاجة نمرود وحماقته وهو نمرود بن كنعان
ابن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ملك زمانه وصاحب النار والبعوض
وكان هلاكه لما قصد المحاربة مع الله ان فتح عليه بابا من البعوض
حتى ستر عين الشمس فاكل جميع عسكره ولم يترك الا العظام ودخلت
واحدة منها في دماغه فاكلته حتى صارت مثل الفارة فكان اعز
الناس عنده من يضرب دماغه بمطرقة عتيدة فبقي في البلاء اربعين
قتادة هو اول من تجبر وهو صاحب الصرح ببابل ويقال انه ملك
الدنيا باسرها وهو احد الكافرين الذين ملكا الدنيا وكان مدة ملكه
اربعمائة سنة وانما لم يذكره باسمه لشهرته لانه المرسل اليه ابرهيم
وقيل انما لم يذكره باسمه لانه كان بليدا ولهذا قال انا احيي واميت

وفعل ما فعل من قتل شخص والعفو عن آخر وذلك غاية البلادة بخلاف
فرعون فانه كان اذكى من نمرود كما يوخذ من اجوبته لموسى ان اتاه
الله الملك اي لان اتاه الله الملك اي ابطره ايتا الملك واورثه
العتو والكبر فحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة
العكس كقولك عاديتني لان احسنت اليك تريد انه عكس ما كان
يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان اذ قال ابرهيم اذ ظرف
لحاج او بدل من ان اتاه الله الملك والمعنى لما قال له نمرود من ربك
الذي تدعونا اليه قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحياة
والموت في الاجساد قال هو انا احيي واميت بالعفو عن القتل
والقتل قال السدي لما قال النمرود انا احيي واميت عمد الى اربعة
نفر فادخلهم بيتا وامر ان لا يطعموا شيا حتى اذا جاعوا اخرجهم
فاطعم اثنين فحييا وترك اثنين فماتا فعارضه ابرهيم لما راه غبيا
بامر الشمس كما قال الله حاكيا عنه قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس
من المشرق فات بها من المغرب عرض ابرهيم عن الاعتراض على
معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا
التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال
جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى
ولعل نمرود زعم انه يقدر على انه يفعل كل جنس يفعله الله تعالى
فنقضه ابرهيم بذلك وذكر في قصة محاجته انهم كانوا قد خرجوا
الى عيد لهم فدخل ابرهيم على اصنامهم فكسرها فلما رجعوا قال لهم
اتعبدون ما تنحتون فقالوا فمن تعبد قال اعبد ربي الذي يحيي

ويميت

ويميت فلما عارضه ابرهيم بامر الشمس امر نمرود باحراق ابرهيم
على ما ياتي فبهت الذي كفر اي تحير ودهش وصار مدهوشا وانقطعت
حجته ولم يمكنه ان يقول انا الاتي بها من المشرق لان ذوي الاسنان
يكذبونه والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالامتناع عن قبول الهداية الى محجة الاحتجاج او لا يهديهم سبيل النجاة
او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره او رايت
مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه
لان المنكر للاحيا كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف
مدعي الربوبيه وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي
حاج او الذي مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره جوابا لمعارضته
فتقديره او ان كنت تحيي فاحيي كما احيا الله الذي مر على قرية
وهو عزير او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود
والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج
منها الالوف واشتقاقها من القري وهو الجمع والذي احياها بعد
خرابها كوشك الفارسي وهي خاوية على عروشها اي ساقطة حيطانها
على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها هو اعتراف بالقصور
عن طريق معرفة الاحيا واستعظام لقدرة المحيي ان كان القايل
مومنا واستبعاد ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف
بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله ماية عام اي فالبثه
ميتا ماية عام او اماته فلبث ماية عام وانما كان التقدير كذلك
لان الموت عرض لا يبقى زمانين ثم بعثه بالاحيا ليريه كيفية ذلك

وظاهر هذه الاماتة انها باخراج الروح من الجسد قال كم لبثت
اي كم مكثت هنا قيل القايل هو الله تعالى وساغ ان يكلمه ان كان كافرا
لانه امن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي القرطبي
القايل هو الله تعالى لقوله وانظر الى العظام كيف ننشزها وقيل
سمع صوتا من السما يقول ذلك قال لبثت يوما او بعض يوم كقول
الظان قتادة والربيع اماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب
فظن ان هذا اليوم واحد فقال لبثت يوما ثم راى بقية من الشمس
فخشي ان يكون كاذبا فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت
ماية عام وراى من مباني القرية واشجارها وعمارتها ما دله على
ذلك فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير اي لم تغيره
السنون بمرورها عليه والاسن بالمد والقصر من السنة والهاء
اصلية ان قدرت لام السنة هاء وهاء السكت ان قدرتها واوا
وقري بحذف الهاء وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس
الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا
فكان الكل على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه قال
وهب بن منبه وانظر الى اتصال عظامه واحيايه جزا جزا ويروى
ان الله تعالى احياه وذلك بعد ان كان عظاما هشيمة ثم كساه لحما
حتى كمل حمارا ثم جاءه ملك فنفخ في انفه الروح فقام الحمار ينهق وعن
الضحاك وغيره ان المعنى وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه
بلا ما ولا علف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير وانما العظام
التي نظر اليها هي عظام نفسه بعد ان احيى الله تعالى منه عينيه وراسه
واعمى

واعمى الله العيون عنه وعن حماره هذه المدة ولنجعلك اية للناس اي
وفعلنا ذلك لتعلم ولنجعلك اية على البعث وروي انه اتى قومه على
حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التوراة من الحفظ ولم يحفظها احد
قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان
شابا واولاده شيوخا واذا حدثهم بحديث قالوا حديث ماية سنة
وانظر الى العظام اي الى عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيايهم
كيف ننشرها بالراء اي كيف نحييها وقري بالزاي ومعناه نرفعها اي نرفع
بعضها على بعض في التركيب للاحيا لان النشز الارتفاع ومنه قوله
واذا قيل انشزوا فانشزوا اي ارتفعوا وانضموا قيل وقراة الزاي اوضح
لان العظام لا تحيى على الانفراد حتى ينضم بعضها الى بعض والمعنى وانظر
الى العظام كيف نرفعها من اماكنها من الارض الى جسم صاحبها ثم
نكسوها لحما والكسوة ما وارى من الثياب وشبه اللحم بها استعارة
وروي في القصة ان بخت نصر غزا بني اسرايل فسبى منهم خلقا كثيرا وفيهم
عزير وكان من علما بني اسرايل فخرج لحاجة له الى دير هرقل على شاطي الدجلة
فنزل تحت ظل شجرة وهو على حمار له فطاف بالقرية وهي كالتل العظيم
وراى البيوت قد سقطت حيطانها على سقفها ولم ير بها احدا فقال
انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله ماية عام ثم بعثه وقيل
كان مقبلا من مصر ومعه طعامه وشرابه تين اخضر وركوة من عصير عنب
وقيل قلة ما وقيل غير ذلك فلما تبين له ذلك بالمشاهدة وقيل
فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين ان الله على كل شي
قدير قال اعلم علم مشاهدة ان الله على كل شي قدير فحذف الاول لدلالة

الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه الطبري المعنى لما
اتضح له عيانا ما كان مستنكرا في قدرة الله تعالى عنده قبل عيانه
قال اعلم وردّ ابن عطية هذا وقال ليس هذا عندي باقرار بما كان قبل
ينكره بل هو قول بعثه الاعتبار كما يقول الانسان المومن اذا راى شيا غريبا
من قدرة الله لا اله الا الله وقرئ قال اعلم بوصل الالف على الامر
وهو يحتمل وجهين احدهما ان الملك قال له اعلم والاخر انه نزل نفسه
منزلة المخاطب الاجنبي كانه قال لنفسه اعلمي يا نفس هذا العلم اليقين
الذي لم تكوني تعلمينه معاينة على طريقة التبكيت وقيل الامر من الله
له واذكر اذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سال ذلك
ليصير علمه عيانا لان النفوس مستشرقة الى روية ما اخبرت به
ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ليس الخبر كالمعاينة قال الاخفش
لم يرد روية القلب وانما اراد روية العين وقيل لما قال نمرود انا
احيي واميت قال له ان احيا الله برد الروح الى بدنها فقال له نمرود
هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم فانتقل الى تقرير اخر ثم سال ربه
ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال الله له
اولم تومن باني قادر على الاحيا باعادة التركيب والحياة قال له ذلك
وقد علم انه اعرف الناس في الايمان ليجيب بما اجاب به فيعلم السامعون
غرضه وليست الهمزة للاستفهام وانما هي الف ايجاب وتقرير كما
قال جرير * الستم خير من ركب المطايا * والواو واو الحال وتومن
معناه ايمانا مطلقا دخل فيه احيا الموتى قال بلى ولكن ليطمين قلبي
اي بلى امنت ولكن سالت ليطمئن قلبي بحصول الفرق بين المعلوم برهانا

وبين

وبين المعلوم عيانا والطمانينة اعتدال وسكون في الاعضا وطمانينة
القلب هي ان يسكن فكره في الشي المعتقد والفكر في صورة الاحيا
غير محظور فاراد الخليل ان يعاين فيذهب فكره في صورة الاحيا قال
الحسن وابو حنيفة راى جيفة تصفها في البر تتوزعها السباع وتصفها في
البحر تتوزعها دواب الما فاحب ان يرى انضمامها فسال ليطمين قلبه
برويته كيفية الجمع كما راى كيفية التفريق فقيل له خذ اربعة من الطير
قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة وقيل مكان الحمامة نسرا وفيه
ايماء الى ان احيا النفس بالحياة الابدية انما تتاتى باماتة حب الشهوات
والزخارف التي هي صفة الطاوس والصولة التي مشهور بها الديك
وخسة النفس وبعد الامل اللذين متصف بهما الغراب والترفع والمسارعة
الى الهوى الموسوم بهما الحمامة وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان
واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك
اي فاملهن واضممهن لتتاملها وتعرف شانها لئلا تلتبس عليك
بعد الاحيا وقرئ بضم الصاد وكسرها لغتان وقيل المعنى قطعهن
وفي الكلام متروك اي فاملهن اليك ثم قطعهن ثم اجعل على كل جبل
منهن جزا اي فرق اجزاهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة
وقيل سبعة ثم ادعهن اليك اي قل لهن تعالين باذن الله ياتينك سعيا
اي ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف
ريشها ويقطعها ويمسك روسها عنده ويخلط سائر اجزائها
ويوزعها على الجبال ترتيبا ذبحهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير
الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى روسهن وروي انه

كان اذا اشار الى واحد منها بغير راسه تباعد عنه وان اشار
اليه براسه قرب حتى لقى كل طاير راسه وطرن باذن الله تعالى وفيه
اشاره الى ان من اراد احيا نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل
على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سوريتها
فتطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع **واعلم ان الله
عزيز** لا يعجز عما يريده **حكيم** ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله **مثل** صفة
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله طاعته **كمثل حبة** اى مثل نفقتهم
كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف **انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة ماية حبة** فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعماية
ضعف واسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما اسند الى الارض
والما والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق
يتشعب منه سبع شعب لكل منها سنبله فيها ماية حبه فان قيل
كيف صح التمثيل والممثل غير موجود قلنا بل هو موجود في الدخن والذرة
وربما فرخت ساق البر في الاراضي القوية فبلغت هذا المبلغ ولو لم
يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير **والله يضاعف** تلك المضاعفة
او اكثر من ذلك **لمن يشا** بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه ونيته
ومن اجله تتفاوت الاعمال في مقادير الثواب فاذا كان المتصدق له
صالحا والمال طيبا ويضعه موضعه فيصير الثواب اكثر كما ان الزارع
اذا كان حاذقا في عمله ويكون البذر جيدا وتكون الارض عامرة فيكون
الزرع اكثر **والله واسع** فضله لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق وقدر انفاقه ومن يستحق المضاعفة **الذين ينفقون**

اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في
عثمان رضي الله عنه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها
واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فانه اتى النبي صلى الله
عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة والمن ذكر النعمة على معنى التعديد
لها مثل ان تقول قد احسنت اليك وقيل هو التحدث بما اعطى حتى يبلغ
ذلك المعطى فيوذيه والاذى هو التطاول على المنعم عليه بسبب ما انعم
وقيل هو السب والتشكي وهو اعم من المن لان المن جزء من الاذى لكنه
نص عليه لكثرة وقوعه قال ابن زيد ان ظننت ان سلامك يثقل على من
انفقت عليه تريد وجه الله فلا تسلم عليه ومعنى ثم اظهار التفاوت
بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق **لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** الاجر الجنة والخوف يكون
في المستقبل والحزن على ما مضى ولعله لم يدخل الفا فيه وقد تضمن
ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل ذلك وان لم يفعلوا فكيف
بهم اذا فعلوا **قول معروف** اى كلام حسن ورد جميل مثل ان تقول للفقير
يوسع الله عليك او يرزقنا الله واياك **ومغفرة** اى تجاوز عن سايل الحاجة
او المعنى نيل مغفرة من الله بالرد الجميل **خير من صدقة يتبعها اذى**
بالمن وتعييره له بالسوال وخير خبر عنهما وانما صح الابتدا بالنكرة
لاختصاصها بالصفة وسماها صدقة لانها في الظاهر صدقة
وفي باطنها لا شي لان القول المعروف فيه اجر وهذه لا اجر فيها
والمغفرة هنا هي الستر للخلة وستر حالة المحتاج **والله غني** عن صدقة
العباد وانما امرهم بها ليثيبهم عليها **حليم** لا يعاجل بالعقوبة

من منٍّ واذى بصدقته يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ
والاذى عبّر عن عدم القبول وحرمان الثواب بالابطال اى لا تحبطوا
اجرها بكل واحد منهما والعقيدة ان السيات لا تبطل الحسنات ولا
تحبطها قال جمهور العلما فى هذه الاية ان الصدقة التى يعلم الله من
صاحبها انه يمنّ ويوذى بها لا يقبل وقيل بل جعل الله للملك عليها
امارة فلا يكتبها كالذى ينفق ماله ريٰاء الناس ولا يومن بالله
واليوم الاخر الكاف فى موضع نصب على المصدر اى ابطالا كالذى
ويجوز ان يكون فى موضع الحال اى مماثلين الذى ينفق ريا وريا نصب
على المفعول له او الحال اى مرآئيا او المصدر اى انفاقا ريآء مثل
مثل الله الذى يمن ويوذى بصدقته بالذى ينفق ماله ريا الناس
لا لوجه الله وبالكافر الذى ينفق ليقال وليثنى عليه فمثله اى
فمثل المراى فى انفاقه كمثل صفوان اى كمثل حجر املس عليه تراب
فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب
لا يقدرون استيناف على شى مما كسبوا اى لا ينتفعون بما فعلوا ريآء
ولا يجدون ثوابه فى الاخرة كما لا يوجد على الصفوان شى من التراب الذى
كان عليه لاذهاب المطر له والضمير للذى ينفق باعتبار المعنى لانّ
المراد به الجنس ولانّ من والذى يتعاقبان والجمع كقوله ن
وان الذى حانت بفلج دماهم وقيل المراد المراى والكافر والما
وعبر عن النفقة بالكسب لانهم قصدوا بها الكسب والله لا يهدى
القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الاذى والمنّ
والريا فى الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمومن ان يتحرز عنها

و

ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله مفعول لاجله وتثبيتا
من انفسهم عطف عليه ومعنى ابتغاء مرضات الله طلب مرضاته تعالى
ومعنى من انفسهم بعض انفسهم على الايمان فانّ المال شقيق الروح
فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها
كلها فان بذل المال اشق شى على النفس فاذا ريضت بالتحامل عليها
وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها
فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين وقيل من ابتدائيه
والمعنى تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزا مبتدا من اصل انفسهم وفيه
تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال
وقال الحسن ان الرجل اذا همّ بصدقة تثبت فان كان ذلك لله تعالى
امضاه وان كان قد خالطه شك امسك وقيل تثبيتا ان انفسهم
لها بصاير فهى تثبتهم على الانفاق فى طاعته تثبيتا كمثل جنّة اى
بستان بربوة اى ومثل نفقة هولا كمثل بستان بموضع مرتفع
وخصه بالذكر لان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا اصابها وابل اى
مطر عظيم القطر فآتت اكلها اى اعطت ثمرتها واضافته الى الجنة
اضافة اختصاص كسرج الدابة ضعفين اى مثلى ما كانت تثمر بسبب
الوابل وقيل مثلى ما يثمر غيرها والمراد بالضعف المثل كما اريد
بالزوج الواحد فى قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثال
ونصبه على الحال اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فيصيبها
طل او فالذى يصيبها طل او فطل يكفيها الكرم منبتها او برودة هوايها
لارتفاع مكانها والطل المطر الصغير القطر والمعنى ان الجنة تثمر

وتزكو كثر المطر قل كذلك نفقة هولاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله والله بما تعملون بصير تحذير عن الريا وترغيب في الاخلاص ايود اتحب احدكم الهمزة للانكار ان تكون له جنة بستان من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيهما من ساير الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها من كل الثمرات ليدل على احتوايها على ساير انواع الاشجار واصابه الكبر اي كبر السن فضعف عن الكسب فان الفاقة والعالة في الشيوخة اصعب والواو للحال او للعطف وهو محمول على المعنى اي ايود احدكم ان لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفا اي اولاد صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابها والاعصار قال الحسن ريح فيها برد شديد الزجاج هي الريح الشديدة التي تهب من الارض الى السما وهي التي يقال لها الزوبعة وام زوبعة وهي ريح تثير الغبار وترتفع الى السما كانه عمود وقيل ريح عاصف وسموم شديده وقيل غير ذلك والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما تحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتد اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال ببصره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا وفي البخاري عن ابن عباس ضربت هذه الاية مثلا

مثلا لرجل غني عمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل في المعاصي حتى احرق عمله وفي رواية فاذا فني عمره واقترب اجله ختم ذلك بعمل من اعمال اهل الشقا كذلك اي كما بين ما ذكر يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها ابن عباس تتفكرون في زوال الدنيا وفنايها واقبال الاخرة وبقايها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم اي من خياره او حلاله والكسب يكون بعمل بدن وهي الاجارة او معاملة في تجارة كالبيع والميراث داخل في هذا ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه اي ولا تقصدوا الردي منه اي من المذكور او من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه بتنفقون ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه ولستم باخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذون الخبيث في حقوقكم لردائته الا ان تغمضوا فيه اي الا ان تسامحوا فيه وتتركوا من حقوقكم فكيف تودون منه حق الله فهو مجاز من اغمض جفنه اذا غضه وقال الحسن المعنى ولستم باخذيه ولو وجدتموه في السوق يباع الا ان يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وفي الترمذي عن البرا بن عازب ان رجلا علق قنو حشف فراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بيسما علق هذا فنزلت وعن علي رضي الله عنه ان الاية في الزكاة المفروضة
بصره
ابن عطيه والظاهر من قول الحسن وقتادة انها في التطوع والاية

تعم الوجهين واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به
لانتفاعكم حميد يقبوله ومحمود في كل حال الشيطان يعدكم الفقر
اي يخوفكم الفقر في الانفاق ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا
والوعد في الاصل سايغ في الخير والشر ومتى اطلق فهو في الخير كالبشارة
ويامركم بالفحشا اي ويغريكم على البخل ومنع الزكاة والعرب تسمي البخل
فاحشا وقيل المعاصي فالشيطان له مدخل في التثبيط في الانفاق
في سبيل الخير وهو مع ذلك يامر بالمعاصي والله يعدكم مغفرة منه
اي يعدكم على الانفاق مغفرة لذنوبكم وفضلا اي خلفا افضل مما
انفقتم في الدنيا بالتوسعة وفي الاخرة بالنعيم والثواب والله واسع
يعطي من سعة عليم يعلم الغيب والشهادة فهو عالم بالمنفعة يوتي
الحكمة اي يعطيها من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني
واختلف في الحكمة فقال السدي النبوة ابن عباس هي المعرفة بالقران
فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدمه وموخره وقيل
الاصابة في القول والعمل وقيل العلم النافع المودي الى العمل
ابن زيد هي العقل في الدين مالك هي المعرفة بدين الله والفقه فيه
والاتباع له وقيل الورع ومن يوت الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود
وذكر الحكمة ولم يضمرها اعتنا بها وتنبيها على شرفها فقد اوتي
خيرا كثيرا اذ له خير الدارين ومصيره الى السعادة الابدية قال
بعض الحكما من اعطي القران والعلم ينبغي ان يعرف نفسه ولا يتواضع
لاصحاب الدنيا لاجل دنياهم فانما اعطي هذا افضل مما اعطي اهل
الدنيا لان الله تعالى سمى الدنيا متاعا قليلا وسمى القران والعلم

خرا

خيرا كثيرا وما يذكر اي وما يتعظ بما قص من الايات الا اولوا الالباب
اي ذووا العقول الخالصة عن شوايب الوهم والركون الى متابعة الهوى ۝
وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل ۝
او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه
فيجازيكم عليه وكان النذر من سيرة العرب فذكر تعالى النوعين ما يفعله
العبد متبرعا وما يفعله بعد الزامه لنفسه ووحد الضمير وقد ذكر شيين ۝
قال النحاس التقدير وما انفقتم من نفقة فان الله يعلمها او نذرتم من نذر
فان الله يعلمه ثم حذف ابن عطية ووحد الضمير من حيث اراد ما ذكر وما
للظالمين بمنع الزكاة والنذر او بوضع الانفاق في غير محله من معاصي الله
من انصار مانعين لهم من عذابه ان تبدوا تظهروا الصدقات فنعما هي
اي فنعم شيا ابداوها قال ابو علي ما في موضع نصب وقوله هي تفسير
للفاعل والابدا هو المخصوص بالمدح الا ان المضاف حذف واقيم المضاف
اليه مقامه وهو ثناء على ابدا الصدقة وان تخفوها وتوتوها الفقراء
فهو خير لكم اي فالاخفا خير لكم من ابدايها وايتايها للاغنيا وهذا في التطوع
ولمن لم يعرف بالمال واما ابدا الفرض فلغيره افضل لنفي التهمة وليقتدى
به وايتايها الفقرا متعين وعن ابن عباس صدقة التطوع السر في التطوع
تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من
سرها بخمسة وعشرين ضعفا ونكفر عنكم من بعض سياتكم قرئ بالياء
اخبارا عن الله وقرئ بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية
معطوفة على ما بعد الفا اي ونحن نكفر قال سيبويه وهو الجيد لان الكلام
الذي بعد الفا يجري مجراه في غير الجزا وقرئ بالجزم عطفا على محل الفا وما بعده

والله بما تعملون خبير عالم بباطنه كظاهره وهو ترغيب في الاسرار ٭
ليس عليك هداهم اى لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك
الارشاد والحث على الطاعة والنهى عن القبايح كالمن والاذى وانفاق
الخبيث وروى ان سبب نزولها ان المسلمين كانوا يتصدقون على فقرا اهل
الذمة فلما كثر فقرا المسلمين قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تتصدقوا
الا على اهل دينكم فنزلت الاية مبيحة للصدقة على من ليس من اهل
دين الاسلام وقيل غير ذلك وهذا فى صدقة التطوع واما الصدقة
المفروضة فلا يجزى دفعها للكافر ولكن الله يهدى من يشاء هدايته
فهو صريح من الله وبمشيته وانما تختص بقوم دون قوم وما تنفقوا من
خير من مال او نفقة ومعروف فلانفسكم اى فهو لانفسكم لا ينتفع به
غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء
وجه الله حال فكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين
الا لابتغا وجه الله وطلب ثوابه لا غيره من اعراض الدنيا او عطف على
ما قبله اى وليس نفقتكم الا ابتغا وجه الله فما لكم تمنون بها وتنفقون
الخبيث وقيل نفى فى معنى النهى فبين تعالى ان النفقة المعتد بقبولها
انما هى ما كان ابتغا وجهه وقيل انه شهادة من الله تعالى للصحابة انهم
انما ينفقون ابتغا وجهه فهذا خرج مخرج التفضيل والثنا عليهم وعلى
التاويل الذى قبله اشتراط عليهم وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه
اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة وانتم لا تظلمون
اى لا تبخسون ولا تنقصون من ثواب نفقتكم للفقرا متعلق بمحذوف
اى اعمدوا للفقرا واجعلوا ما تنفقون للفقرا او خبر لمبتدا اى الصدقا
للفقرا

للفقرا الذين احصروا فى سبيل الله احصرهم الجهاد اى حبسهم ومنعهم قتادة
حبسوا انفسهم عن التصرف فى معايشهم خوف العدو ولهذا قال لا يستطيعون
ضربا فى الارض اى ذهابا فيها للكسب لكون البلاد كلها كفرا مطبقا وقيل
هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعماية من فقرا المهاجرين يسكنون صفة
المسجد يستغرقون وقاتهم فى التعلم والعبادة وكانوا يخرجون فى كل سرية
بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنيا من
التعفف اى انهم من الانقباض وترك المسيلة والتوكل على الله بحيث يظنهم
الجاهل بهم اغنيا والتعفف تفعل من عف عن الشى اذا امسك عنه وتنزه
عن طلبه ومن لابتدا الغاية وقيل لبيان الجنس تعرفهم بسيماهم من الضعف
ورثاثة الحال والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم او لكل احد والسيما مقصور
وهو العلامة لا يسالون الناس الحافا اى الحاحا وهو ان يلزم المسئول
حتى يعطيه من قولهم لحفنى من فضل لحافه اى اعطانى من فضل ما عنده والمعنى
انهم لا يسئلون وان سالوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفى للامرين اى لا يسالون
فيلحفون الحافا اى لا سوال لهم اصلا فلا يقع منهم الحاف كقوله ٭
على لاحب لا يهتدى لمناره ٭ ونصبه على المصدر فانه كنوع من السوال او
على الحال اى ملحفين وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيبا فى الانفاق
وخصوصا على هولا الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه تصدق
باربعين دينارا عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية
وقيل فى على رضى الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا
وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل فى ربط الخيل فى سبيل الله

والانفاق عليهما والبا بمعنى في ودخلت الفا في فلهم اجرهم عند ربهم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون لان في الكلام معنى الجزا الذين ياكلون الربا
اي ياخذونه وعبر عن الاخذ بالاكل لان الاخذ انما يراد للاكل ولانه اعظم
منافع المال والربا بالقصر في اللغة الزيادة مطلقا ويطلق على المال
الحرام قال تعالى في اليهود واخذهم الربا وقد نهوا عنه ولم يرد به الربا
الشرعي الذي حكم بتحريمه علينا وانما اراد المال الحرام والربا الشرعي ان
يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او ان يباع احدهما باكثر منه
من جنسه على ما هو مبين في الفروع وغالبه ما كانت العرب تفعله في قولهم
اتقضي ام تربي فكان الغريم يزيد في المال ويصبر الطالب وهو من الكباير
وفي الصحيح لعن اكله وموكله وكاتبه وشاهده لا يقومون من قبورهم اذا
بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام المصروع
وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط
ضرب على غير اتساق كضرب العشوا من المس اي الجنون قتاده ومجاهد
وغيرهما يجعل معه شيطان يخنقه ويبعث كالمجنون ويتخبطه يتفعله
كما تقول تعبده وتملكه جعل الله هذه العلامة لاكلة الربا وذلك
انه ارباه في بطونهم فاثقلهم فهم اذا اخرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون
ويقال انهم يبعثون يوم القيمة قد انتفخت بطونهم كالحبالى كلما قاموا
سقطوا والناس يمشون عليهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا
اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد
لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربا مثل
البيع لان الكلام في الربا لا في البيع فعدلوا عن ذلك وجعلوا الربا

اصلا

اصلا ملحقا به البيع في الجواز كانه الخليق بالحل وعكسوا للمبالغة
فقالوا انما البيع مثل الربا اي انما الزيادة عند حلول الاجل اخرا
كمثل اصل الثمن في اول العقد قال الله تعالى واحل الله البيع وحرم الربا
انكار لتسويتهم بينهما وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه
موعظة من ربه اي فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا فانتهى
اي فاتعظ وانتهى عن اكله قال جعفر بن محمد حرم الله الربا ليتقارض
الناس وسقطت علامة التانيث لان تانيث الموعظة غير حقيقي
فله ما سلف اي تقدم اخذه قبل التحريم فلا يسترد منه ولا تباعة
عليه منه في الدنيا ولا في الاخرة وهذا الحكم من اسلم من كفار قريش وثقيف
ومن كان يتجر وقيل المعنى غفرت خطاياه فهي له وما في موضع الرفع
بالظرف ان جعل من موصولة وبالابتدا ان جعلت شرطية على راي
سيبويه ان الظرف غير معتمد وامره الى الله يجازيه على انتهايه
ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل تحكم في شانه ولا اعتراض
لكم عليه وقيل الضمير عايد على الربا اي وامر الربا الى الله في تحريمه
وغير ذلك ومن عاد الى تحليل الربا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به وقيل المعنى ومن عاد الى فعل
الربا حتى يموت قاله سفيان قال ابن عطية ان قدرنا الاية
في كافر فالخلود خلود تابيد حقيقي وان لحظناها في مسلم عاص
فهو خلود مستعار على معنى المبالغة يمحق الله الربا اي يذهب
بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ابن عباس المعنى لا يقبل الله منه
صدقة ولا حجا ولا جهادا ويربي الصدقات اي يضاعف ثوابها

ويبارك فيما اخرجت منه وفي الحديث ان الله تعالى يقبل الصدقة
فيربيها كما يربي احدكم مهره والله لا يحب كل كفار اي مصر على تحليل
المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه اي يعاقبه والكفار الذي يكثر فعل
ما يكفر به ووصفه بالاثيم مبالغة ان الذين امنوا بالله ورسله وبما
جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة ه
عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على ساير الاعمال الصالحات لهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ات وعلى فايت
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا اي اتركوا بقايا
ما شرطتم على الناس من الربا وظاهره انه ابطل من الربا ما لم يكن مقبوضا
وان كان معقودا قبل نزول اية التحريم ولا يتعقب بالنسخ ما كان مقبوضا
وقيل ان الاية نزلت بسبب ثقيف وكانوا عاهدوا النبي صلى الله
عليه وسلم على ان ما لهم على الناس من الربا فهو لهم وما للناس عليهم
فموضوع فلما ان جاء اجال رباهم بعثوا الى مكة للاقتضاء وكانت
الديون على بني المغيرة فقال بنو المغيرة لا نعطي شيئا فان الربا
قد رفع ورفعوا امرهم الى عتاب بن اسيد فكتب به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية وكتب بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى عتاب فكتب بها ثقيف والمعنى اجعلوا بينكم وبين عذاب الله
وقاية بترككم ما بقي من الربا وصفحكم عنه ان كنتم مومنين بقلوبكم
فان دليله امتثال ما امرتم به وهو شرط محض في ثقيف على بابه لانه
كان في اول دخولهم في الاسلام وان كان فيمن تقرر ايمانه فهو شرط مجازي
على جهة المبالغة كما تقول للرجل ان كنت رجلا فافعل كذا فان لم

تفعلوا

تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا
علم به وقرئ بالمد من آذن اي فاعلموا بها غيركم وهو وعيد شديد
فان الحرب داعية الى القتل وروي ابن عباس انه يقال يوم القيمة
لآكل الربا خذ سلاحك للحرب وقيل المعنى فان لم تنتهوا فانتم
حرب الله ورسوله اي اعداؤه وتنكير حرب للتعظيم اي فانها اعظم
من ان تعرف وتعين ولما نزلت قالوا لا طاقة لنا بحربه وان تبتم
من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤوس اموالكم اي اصولها التي اقرضتموها
لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم
ان لم يتوبوا فليس لهم رؤوس اموالهم اذ المصر على التحليل مرتد وماله
فيء وان كان ذو عسرة اي وان وقع غريم ذو عسرة فنظرة اي فالحكم
نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار الى ميسرة بفتح السين
وضمها اي يسار والعسرة ضيق الحال من جهة عدم المال وان تصدقوا
بالابراء خير لكم اي اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون ان كنتم
تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل فامر تعالى بتاخير راس المال
اذا كان من عليه معسرا واعلم ان التصدق عليه بذلك افضل وفي
الحديث من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا
ظله رواه مسلم واذا ثبت اعسار المديون لم يجز حبسه ولا ملازمته
بل يمهل حتى يوسر واتقوا يوما ترجعون بالبناء للمفعول تردون ه
وللفاعل تصيرون فيه الى الله قيل هو يوم القيمة وقيل يوم
الموت فتاهبوا لمصيركم اليه ويوم منصوب على المفعول به ثم توفى
فيه كل نفس ما كسبت اي جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون

نخ لا قدرة

بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها اخر اية نزل بها جبريل
وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقره وعاش رسول الله
صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين يوما وفي رواية ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اجعلوها بين اية الربا واية الدين وتزلت قبل موت
النبي صلى الله عليه وسلم بتسع ليال وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث
ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اي اذا داين بعضكم بعضا
تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او اخذا وفايدة ذكر الدين
ان لا يتوهم من التداين المجازاة وقيل ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله
فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين ولم يكن النظم بذلك
الحسن الى اجل مسمى اي معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم
الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والضمير للدين وقيل للاجل
ويقال انه امر بالكتابة والمراد بها الاشهاد لان الكتابة بغير شهود
لا تكون حجة والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به
السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلم وليكتب كتاب الدين
بينكم كاتب بالعدل اي بالسوية او بالحق في كتابته لا يزيد ولا ينقص
في المال والاجل وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار فقيه كاتب
دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع قال مالك لا يكتب
الوثايق بين الناس الا عارف بها عدل في نفسه مامون فالبا على هذا
متعلقة بكاتب اي ليكتب بينكم كاتب عدل فبالعدل هو موضع
الصفة ولا ياب كاتب اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب اذا
دعي اليها كما علمه الله اي مثل ما علمه الله من كتبه الوثايق والمعنى
لا

لا يمتنع ان ينتفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله
واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها
بعد النهي عن الاباء تاكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر
فيكون النهي عن الامتناع عنها مطلقة ثم الامر بها مقيدة واختلف
في وجوب الكتابة على الكاتب اذا طلب منه ان يكتب والشهادة
على الشاهد فقال الطبري والربيع واجب على الكاتب اذا امر الكتابة
وقال الحسن ذلك واجب عليه في الموضع الذي لا يقدر فيه على كاتب
غيره فيضر صاحب الدين اذا امتنع وقال الضحاك هو منسوخ
بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد القرطبي وهو بعيد فانه لم يثبت
وجوب ذلك على من اراده المتبايعان كائنا من كان ولو كانت الكتابة
واجبة لما صح الاستيجار بها لان الاستيجار على فعل الواجب باطل ولم
يختلف العلماء في جواز اخذ الاجرة على الوثيقة ابن العربي والصحيح انه
امر ارشاد وليملل الذي عليه الحق اي وليكن المملي الكاتب من عليه
الدين لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله
ربه اي المملي في املائه او الكاتب ولا يبخس اي لا ينقص منه شيئا
اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها اي ناقص
العقل مبذرا او ضعيفا اي صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع
ان يمل هو اي غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة
فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من والد ووصي
وقيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع
وهو دليل جواز النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم

او الوكيل واستشهدوا شهيدين اى اطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان
من رجالكم اى من رجال المسلمين الاحرار وهو دليل اشتراط الاسلام
فى الشهود واليه ذهب عامة العلما وقال ابو حنيفة تسمع شهادة
الكفار بعضهم على بعض وقال مجاهد المراد الاحرار فان لم يكونا
رجلين اى فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان اى فليشهد
رجل وامراتان وهذا مخصوص بالاموال عند الشافعى وبما عدا الحدود
والقصاص عند ابى حنيفة ممن ترضون من الشهدا لعلمكم بعدالتهم
وهو فى موضع رفع على الصفة لرجل وامراتان والخطاب للحكام ان
تضل احداهما اى تنسى الشهادة والضلال عن الشهادة انما هو
نسيان جزء منها وهو علة لاعتبار العدد اى لاجل ان ضلت احداهما
عن الشهادة فتذكر احداهما الاخرى الذاكرة الناسية والعلة فى
الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا نزل منزلته وكانه قيل
ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقص عقلهن
وقلة ضبطهن وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع لانه
جواب الشرط نحو ومن عاد فينتقم الله منه ولا ياب الشهدا اذا
ما دعوا لادا الشهادة وقيل لتحملها وقال الحسن جمعت الاية
امرين الاجابة اذا دعيت اليها لتحصيل الشهادة والاخر
الاتيان اذا دعيت الى ادايها وتتعين على الشاهد اذا لم يوجد
من يقيمها غيره فان كانت قد تحملها جماعة لم تتعين عليه وكذلك
حال التحمل لانه فرض على الكفاية فلا يجوز للكل الامتناع منه
وقيل لهم شهدا قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكاين وما
مزيده

مزيده ولا تساموا ان تكتبوه اى ولا تملوا من كثرة مداينتكم من
ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب صغيرا او كبيرا اى صغيرا كان
الحق او كبيرا قليلا او كثيرا الى اجله اى الى وقت حلوله وان تكتبوه
فى موضع نصب بالفعل وصغيرا او كبيرا حالان من الها فى تكتبوه وقدم
الصغير اهتماما به ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اى لكتب اقسط
عند الله اى اكثر قسطا اى عدلا واقوم للشهادة اى اثبت لها واعون
على ادايها لانه يذكرها وادنى ان لا ترتابوا اى اقرب من ان لا تشكوا فى
جنس الدين وقدره واجله ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة
تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها استثنا عن الامر
بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين والمراد التجر
فيه وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اى الا ان تتبايعوا يدا
بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ تجارة
بالرفع فكان بمعنى وقع وحدث اى الا ان يقع تجارة قاله الاخفش
وقال غيره تديرونها الخبر وقرئ بالنصب على خبر تكون
واسمها مضمر فيها وحاضرة نعت لتجارة واشهدوا اذا تبايعتم
هذا التبايع او مطلقا لانه احوط الطبرى معناه واشهدوا على
صغير ذلك وكبيره وهو امر ارشاد وقيل على الندب وقيل
على الوجوب ولا يضار كاتب ولا شهيد قيل المعنى لا يكتب الكاتب
ما لم يمل عليه ولا يزيد الشاهد فى شهادته ولا ينقص منها قاله
الحسن وغيره وقيل لا يمتنع الكاتب ان يكتب ولا الشاهد ان يشهد
فلا يضار على هذين القولين اصله يضارر بكسر الرا ثم ادغمت.

الراء وفتحت في الجزم لخفة الفتحة وقيل المعنى ان الشاهد كان
اذا دعي للشهادة والكاتب للكتابة وهما مشغولان فاعتذرا
بعذرهما واوذيا وقيل لهما خالفتما امر الله ونحو هذا القول
او كلفا الخروج عما حد لهما او لا يعطى الكاتب جعله والشهيد
مؤنة مجيئه فنهى الله عن ذلك فاصل ضار على هذا يضارر بفتح الراء
فالكاتب والشهيد على هذا القول رفع على المفعولية وعلى القولين
الاولين رفع على الفاعلية وان تفعلوا المضارة او ما نهيتم عنه
فانه فسوق بكم اى خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة
امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم وهو وعد
من الله بان من اتقاه علمه بان يجعل في قلبه نورا يميز به ما يلقى اليه
وهي حال مقدرة او مستانف والله بكل شئ عليم كرر لفظة الجلالة
في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية
وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من
الكناية وان كنتم على سفر اى مسافرين وتداينتم ولم تجدوا كاتبا
فرهن مقبوضة اى فالذى يستوثق به رهن او فعليكم رهن وقد ثبتت
السنة جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب فليس هذا التعليق
لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه
عليه الصلاة والسلام رهن درعه من يهودي بعشرين صاعا
من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام
التوثيق بالكتب في السفر الذى هو مظنة اعوازه والجمهور على اعتبار
القبض فيه والاكتفاء به من المرتهن ووكيله والرهن هو احتباس
العين

العين وثيقة بالحق ليستوفى الحق من ثمنها او من ثمن منافعها عند
تعذر اخذه من الغريم وهو في كلام العرب بمعنى الدوام والاستمرار
وقرئ فرهن ورهان فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين
بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذى اؤتمن
اى المديون امانته اى دينه وسماه امانة لائتمانه عليه بترك
الارتهان به واضافها الى الذى عليه الحق من حيث ان لها اليه
نسبة كما قال تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم وليتق الله ربه
في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها
الشهود اذا دعيتم لاقامتها او المديونون والشهادة شهادتهم
على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اى يأثم قلبه او قلبه يأثم
والجملة خبر ان وخص القلب بالاثم لان الكتمان من افعاله اذ هو
المضغة التي بصلاحها يصلح الجسد كله فعبر بالبعض عن الجملة
ولانه اذا اثم تبعه غيره فيعاقب معاقبة الآثم واثم القلب
سبب مسخه وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه
واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه والله بما تعملون عليم
لا يخفى عليه منه شئ وهو تهديد لله ما في السموات وما في
الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها
من السوء والعزم عليه ليترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم
به الله اى يجزيكم به الله يوم القيامة وهو حجة على من انكر الحساب
كالمعتزلة والروافض وقال ابن عباس وجماعة انها منسوخة
وانه بقى هذا التكليف حولا حتى انزل الله تعالى الفرج بقوله

لا يكلف الله نفسا الا وسعها وعن عكرمة والشعبي وغيرهما انها محكمة
مخصوصة وهي في معنى الشهادة التي نهي عن كتمها وروي ان الله تعالى
اذا جمع الخلايق يوم القيمة يقول انا اخبركم بما اكننتم في انفسكم
فاما المومنون فيخبرهم ثم يغفر لهم واما اهل الشك والريب
فيخبرهم بما اخفوه من التكذيب فذلك قوله يحاسبكم به الله الاية
وقال الضحاك يعلم الله تعالى العبد يوم القيمة بما كان يسره
ليعلم انه لم يخف عليه شيء وقيل ان المعنى مما هو في وسعكم وتحت
كسبكم فلما كان اللفظ مما يمكن ان يدخل فيه الخواطر اشفق الصحابة
فبين لهم ما اراده بالاية الاخرى ونص على حكمها بقوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها والخواطر ليست هي ولا دفعها في الوسع بل هو امر
غالب وليس مما يكتسب فكان في هذا البيان فرجهم وكشف كربهم
ومما يدفع امر النسخ ان الاية خبر والاخبار لا يدخلها النسخ
وقيل غير ذلك **فيغفر لمن يشاء** مغفرته **ويعذب من يشاء**
تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقرئ بالجزم عطفا
على الجواب وبالرفع على الاستيناف اي فهو يغفر ويعذب
والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحيا والمحاسبة **آمن** صدق
الرسول محمد **بما انزل اليه من ربه** من القران وهو شهادة آمن الرسول
وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره
غير شاك **والمومنون كل** تنوينه عوض من المضاف اليه **آمن
بالله وملايكته وكتبه ورسله** لا يخلو من ان يعطف المومنون
على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول

والمومنين

والمومنين او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمومنين وباعتباره يصح
وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما
لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر
واستدلال وقرئ وكتابه يعني القران او الجنس والفرق بينه
وبين الجمع انه شايع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك
قيل ان الكتاب اكثر من الكتب وروي ان سبب نزول الاية انه
لما نزل قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به
الله اشتد ذلك على الصحابة فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام
والجهاد وقد نزل عليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولون كما قال اهل الكتابين
من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا فلما اقر بها القوم
ودانت بها السنتهم انزل الله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه
الاية **لا نفرق بين احد من رسله** اي يقولون لا نفرق وقال
بين احد ولم يقل احاد لان احدا يتناول الواحد والجمع والمعنى يقولون
امنا بجميع الرسل ولا نفرق بينهم بالتصديق والتكذيب كما فرقت
اليهود والنصارى **وقالوا سمعنا** اي اجبنا **واطعنا** امرك **غفرانك**
منصوب على المصدر والعامل فيه مقدر اي اغفر غفرانك او نسال
غفرانك **ربنا واليك المصير** اي المرجع بعد الموت وهو اقرار
منهم بالبعث **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** اي الا ما تسعه
قدرتها فضلا ورحمة والتكليف الامر بما يشق على المكلف والوسع

الطاقة والآية تدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا تدل على امتناعه
فقد قال الاشعري وجماعة من المتكلمين تكليف ما لا يطاق جائز
عقلا لها ما كسبت من خير ثوابه وعليها ما اكتسبت من شر
وزره لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها ولا تؤاخذ
بما لم تكسبه مما وسوست به نفسه وتخصيص الكسب بالخير
والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه
النفس وتنجذب اليه وكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير
وجاءت العبارة في الخير بلها من حيث هو مما يفرح بكسبه ويسر
المرء به ويضاف الى ملكه وجاءت في الشر بعليها من حيث هو وزر
وثقل وهذا تقول لي مال وعلي دين ربنا اي قولوا ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطانا الصواب اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان
او خطا من تفريط وقلة مبالات او بانفسهما اذ لا تمتنع المؤاخذة
بهما عقلا فان الذنوب كالسموم حكما لان تناولها يؤدي الى
الهلاك وان كان خطا فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب
وان لم يكن عزيمة كما اخذ بذلك من قبلنا لكنه تعالى وعد التجاوز
عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به اعتدادا بالنعمة
ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتي
الخطا والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا اي عبا ثقيلا ياصر
صاحبه اي يحبسه في مكانه وقال مالك الاصر الامر الغليظ
الصعب سعيد بن جبير الاصر شدة العمل وما غلظ على بني اسرايل
والمراد التكاليف الشاقة كما حملته على الذين من قبلنا اي حملا
مثل

نخ بنى

مثل الذي حملته اياهم والمراد به ما كلف به بنوا اسرايل من
قتل الانفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة
في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة او المعنى ما اصابهم
من الشدايد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة اي قوة لنا به
من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بحملها الطاقة
البشرية وهو يدل على جواز تكليف ما لا يطاق والا لما سئل
التخلص عنه ابن جريج المعنى لا تمسخنا قردة ولا خنازير وقيل
الغلمة واعف عنا اي امح ذنوبنا واغفر لنا اي استر عيوبنا ولا
تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا تعطف بنا وتفضل علينا ففي الرحمة
زيادة على المغفرة انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين
باقامة الحجة والغلبة على قتالهم فان شان المولى نصر مواليه
على اعدايهم روي انه عليه الصلاة والسلام لما دعى بهذه
الدعوات قيل له عقب كل كلمة قد فعلت وعنه عليه الصلاة
والسلام انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل
ان يخلق الخلق بالفي عام من قراهما بعد العشا الاخرة اجزاتاه
عن قيام الليل وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا الايتين
من سورة البقرة في ليلة كفتاه سورة ال عمران مدنية
وحكى النقاش ان اسمها في التوراة طيبة وهي مايتا اية
بسم الله الرحمن الرحيم الم تقدم
الله لا اله الا هو الحي القيوم روي انه عليه الصلاة والسلام
قال ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا اله الا

هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه
وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك يا محمد الكتاب اى القران
نجوما بالحق اى بالصدق في اخباره وقيل بالحجة البالغة والبا
في موضع الحال من الكتاب متعلقة بمحذوف تقديره اتيا بالحق
او متلبسا به مصدقا لما بين يديه من الكتب المنزلة وانزل
التوراة والانجيل جملة على موسى وعيسى والتوراة معناها الضيا
وهي مشتقة من ورى الزند اذا اخرجت ناره والانجيل افعيل
من النجل وهو الاصل وقيل من نجلت الشيء اذا استخرجته وقيل
غير ذلك من قبل هدى للناس ابن عباس من قبل تنزيل القران هدى
للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد
به قومهما وقال ابن فورك هدى للناس المتقين وهو في موضع
نصب على الحال اى هاديين من الضلال وعبر فيهما بانزل وفي القران
بنزل المقتضي للتكرير لانهما نزلا دفعة واحدة بخلافه وانزل الفرقان
يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل وذكر
ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها كانه قال وانزلت
ساير ما يفرق به بين الحق والباطل وقيل الزبور وقيل القران
وكرر ذكره بما هو نعت له لزيادة شرفه من حيث انه يشارك ما في
كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين الحق والمبطل ان
الذين كفروا بايات الله القران وغيره من كتبه المنزلة لهم عذاب
شديد بسبب كفرهم والله عزيز اى غالب لا يمنع من التعذيب
ذو انتقام اى لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل
منه

منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد
والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا
عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء كاين في الارض ولا في السما
اى شيء كان في العالم كليا كان او جزئيا فعبر عنه بالسما والارض
اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى
ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشاء من الصور المختلفة من ذكورة وانوثة وحسن وقبح
وسواد وبياض وطول وقصر وسلامة وعاهة والارحام جمع رحم
واصله من الرحمة لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر
على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وحكمته هو
الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات واضحات الدلالة
هن ام الكتاب اى اصله يرد اليها غيره واخر متشابهات اى
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر
قال جابر بن عبد الله وغيره المحكمات ما عرف تاويله وفهم
معناه وتفسيره والمتشابه ما لم يكن لاحد الى علمه سبيل مما استاثر
الله به في علمه دون خلقه قال بعضهم وذلك مثل وقت الساعة
وخروج ياجوج وماجوج والدجال وعيسى عليه السلام ونحو الحروف
المقطعة في اوايل السور القرطبي وهذا احسن ما قيل في المتشابه
وقال ابو عثمان المحكم فاتحة الكتاب التي لا تجزي الصلاة الا بها
وقيل سورة الاخلاص لانه ليس فيها الا التوحيد ابن عباس المحكمات
هن ما في سورة الانعام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الايات

الثلاث وفي بني اسرائيل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه ابن عطية
وهذا مثال اعطاه في المحكمات ابن مسعود المحكمات الناسخات
والمتشابهات المنسوخات وقاله قتادة والربيع وغيرهما
وقيل غير ذلك وجعله كله محكما في قوله احكمت اياته بمعنى انه
ليس فيه عيب ومتشابها في قوله كتابا متشابها بمعنى انه يشبه
بعضه بعضا في الحسن والصدق **فاما الذين في قلوبهم زيغ** اي
عدول عن الحق كالمبتدعة وهي تعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل
وان كانت الاشارة بها في ذلك الوقت الى نصارى نجران واصل الزيغ
الميل ومنه زاغت الشمس وزاغت الابصار **فيتبعون ما تشابه منه**
اي يتعلقون بظاهره او بتاويل باطل قال ابن عباس يحملون المحكم
على المتشابه والمتشابه على المحكم ويلبسون وقال السدي
يقولون ما بال هذه الاية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت **ابتغاء الفتنة**
طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة
المحكم بالمتشابه والفتنة افساد ذات البين **وابتغاء تاويله** اي
طلب ان يؤولوه على ما يشتهونه الزجاج طلبوا تاويل بعثهم
واجابهم فاعلم الله عز وجل ان تاويل ذلك لا يعلمه الا هو قال
والدليل على ذلك قوله تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي
تاويله اي يوم يرون ما يوعدون من البعث والنشور والعذاب
وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه **الا الله** وروي ان جماعة
من اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا بلغنا انه نزل عليك
الم فان كنت صادقا فان ملك امتك يكون احدى وسبعين سنة
لان

لان الالف بواحد واللام بثلاثين والميم باربعين فنزل وما يعلم تاويله
الا الله والتاويل يكون بمعنى التفسير وبمعنى ما يؤول الامر اليه وحده
الفقهاء فقالوا هو ابداء احتمال في اللفظ معتضد بدليل خارج عنه
والتفسير بيان اللفظ **والراسخون في العلم** اختلف في والراسخون هل
هو مقطوع مما قبله او معطوف فتكون الواو للجمع والاول قول عمر
وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وغيرهم وهو مذهب الكسائي
والاخفش والوقف التام عند قوله الا الله والقول الثاني لمجاهد
واختاره النووي وقال انه الاصح لانه يبعد ان يخاطب الله عباده
بما لا سبيل لاحد من الخلق الى معرفته وقال ابن الحاجب انه الظاهر
وقرا مجاهد هذه الاية وقال انا ممن يعرف تاويله والرسوخ الثبوت
في الشيء سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الراسخين في العلم فقال
هو من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه وقيل
هو من جمع اربع خصال التقوى فيما بينه وبين الله تعالى والتواضع فيما
بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه
وبين نفسه والصواب انه العالم المتصرف في الكلام وموارد الاحكام
ومواقع المواعظ **يقولون امنا به** اي بالمتشابه وهو استئناف موضح
لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدا **كل من عند ربنا**
اي كل من المحكم والمتشابه من عنده **وما يذكر** يتعظ **الا اولوا الالباب**
مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر اي ما يقول هذا ويؤمن به
ويقف حيث وقف ويدع اتباع المتشابه الا ذو لب وهو العقل
ولب كل شيء خالصه **ربنا لا تزغ قلوبنا** من مقال الراسخين

اى يقولون اذا راوا من يتبع المتشابه ربنا الى اخره وقيل استيناف
والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه
قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن
ان شا اقامه على الحق وان شا ازاغه عنه وقيل لا تبتلينا ببلايا
تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا ارشدتنا الى الحق او الى الايمان
وبعد نصب على الظرف واذ فى موضع الجر باضافته اليه وقيل انه
بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك
او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب وقوله من لدنك اى
من عندك ومن قبلك تفضلا لا عن سببية منا ولا عمل والمعنى هب
لنا نعيما صادرا عن الرحمة لان الرحمة راجعة الى صفة الذات فلا
يتصور فيها الهبة انك انت الوهاب لكل سول وفيه دليل على ان
الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم به على عباده فلا يجب
عليه شى ربنا انك جامع الناس اى تجمعهم ليوم اى فى يوم او
لحساب يوم او لجزايه لا ريب فيه اى لا شك فى وقوعه وما فيه من
الحشر والجزا فنجازيهم كما وعدت بذلك ان الله لا يخلف الميعاد
لان الالهية تنافيه واستدل به الوعدية وليس بان وعيد
الفساق مشروط بعدم العفو لدلايل منفصلة كما هو مشروط بعدم
التوبة وفاقا وفيه التفات ويحتمل ان يكون من كلامه تعالى والغرض
من الدعا بذلك بيان ان همهم امر الاخرة ولذلك سالوا التثبت
على الهداية لينالوا ثوابها روى الشيخان عن عايشة قالت تلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية هو الذى انزل اليك الكتاب

ال

الى اخرها وقال اذا رايت الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين
سمى الله فاحذرهم ان الذين كفروا عام فى الكفرة وقيل المراد به
وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغنى عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيا اى لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله
شيا او من بمعنى عند واولئك هم وقود النار بفتح الواو اى حطبها
كداب ال فرعون الداب العادة والشان وهو مصدر داب فى العمل
اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان واختلف فى الكاف فقيل فى موضع
رفع اى دابهم كداب ال فرعون مع موسى وقيل متعلقة بقوله لن تغنى
عنهم اموالهم اى لم تغن عنهم كما لم تغن الاموال والاولاد عن ال فرعون
او المعنى توقد بهم النار كما توقد باولئك والذين من قبلهم كعاد وثمود
عطف على ال فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا يحتمل ان يريد
المتلوة وان يريد الايات المنصوبة على الوحدانية فاخذهم
الله اهلكهم بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم
او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل
للمواخذة وزيادة تخويف للكفرة قل يا محمد للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم اى قل لمشركى مكة ستغلبون اى يوم بدر وقيل
لليهود فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر فى سوق
بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك
اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لين قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس
فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل قريظة واجلاء بنى النضير
وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلايل النبوة وفى رواية

عن ابن عباس ان اليهود لما فرحوا بما اصاب المسلمين يوم احد نزلت
وقرئ ستغلبون وتحشرون بالتا الفوقيه ومعناه الامر بان يخبرهم
بما سيجري عليهم من الغلبة في الدنيا والحشر الى جهنم في الاخرة وهو
الكاين من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ وقرئ باليا التحتية
ومعناه الامر بان يحكي لهم ما اخبره من وعيدهم بلفظه كانه قال
اد هذا القول الذي هو قولي سيغلبون ويحشرون كما قال قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف **وبئس المهاد** اي بئس ما مهدوا
لانفسهم وقيل المعنى بئس فعلهم الذي اداهم الى جهنم **قد كان لكم آية**
وذكر الفعل للفصل والخطاب لقريش او لليهود وقيل للمومنين **في**
فئتين فرقتين **التقتا** يوم بدر للقتال **فئة تقاتل في سبيل الله** في
طاعته وهم النبي واصحابه **واخرى كافرة يرونهم مثليهم** اي يرى
المشركون المومنين مثلي عدد المشركين وكان قريبا لفا او مثلي عدد
المسلمين وكانوا ثلثماية وبضعة عشر منهم فرسان وستة اذرع
وثمانية سيوف وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حين احتروا عليهم
وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا امددا من الله
تعالى للمومنين او يرى المومنون المشركين مثلي المومنين وكانوا ثلاثة
امثالهم ليثبتوا لهم ويثقوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويويده قراة التاء
راي العين اي روية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم
وقرئ فئة بالرفع بمعنى احداهما فئة وقرئ بالخفض على البدل
وسميت الجماعة من الناس فئة لانها يفاء اليها اي يرجع وفي الاية
احتباك

احتباك وهو ان يحذف من الاول ما اثبت نظيره في الثاني ومن
الثاني ما اثبت نظيره في الاول والتقدير في الاية فئة مومنة
تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت فحذف
من الاولى مومنة ومن الثانية تقاتل في سبيل الطاغوت **والله يويد**
اي يقوي **بنصره من يشا** نصره كما ايد اهل بدر **ان في ذلك** اي التقليل
او التكثير او غلبة القليل عديم العده على الكثير شاكي السلاح
لعبرة لاولي الابصار اي لعظة لذوي البصاير وقيل لمن ابصرهم
افلا تعتبرون بذلك فتومنوا **زين للناس حب الشهوات** اي
المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها
حتى احبوا شهواتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى
لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة
الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى ولانه
من اسباب التعيش وبقا النوع وفي التنزيل انا جعلنا ما على الارض
زينة لها وقيل المزين الشيطان فان الاية في معرض الذم وهو
ظاهر قول الحسن وتزيينه بالوسوسة والخديعة وتحسين اخذها
من غير وجهها **من النسا والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب**
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات وبدا
بالنسا لكثرة تشوق النفوس اليهن لانهن حبايل الشيطان وفتنة
الرجال والبنين عطف على ما قبله وفي الحديث انهم لثمرة القلوب وقرة
الاعين وانهم مع ذلك لمجبنة مبخلة محزنة والقناطير الاموال الكثيرة
واحدها قنطار قيل هو اسم للمعيار الذي يوزن به كالرطل والتخلف

في نحو برحده فقيل الف اوقية ومايتا اوقية وقيل اثنى عشر الف اوقية
وقيل ماية الف دينار وقيل ماية رطل من الذهب وثمانون الف
درهم من الفضة وقيل غير ذلك والمقنطرة المجمعة ماخوذ منه
للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل القنطار واحد القناطير والمقنطرة
جمع القناطير والذهب مونثه يقال هي من الذهب الحسنة والفضة
معروفة وهما ماخوذان من الذهاب والانفضاض وذلك يشعر
بزوالهما وعدم ثبوتهما كما هو مشاهد في الوجود ولبعضهم
النار اخر دينار نطقت به ۝ والهم اخر هذا الدرهم الجاري ۝
والمرء بينهما ان كان ذا ورع ۝ معذب القلب بين الهم والنار ۝
والخيل مونثة وسميت بذلك لانها تختال في مشيها والمسومة
الراعية في المروج والمسارح وقيل المعدة للجهاد وقيل الحسان
وقيل المعلمة شيات الخيل وقيل المعروفة في البلاد وقيل
البلق والانعام هي الابل والبقر والغنم والحرث اسم لكل ما يحرث
بمعنى الفلاحة فيقع على زرع الحبوب وعلى الجنات قال العلماء ذكر
الله تعالى اربعة اصناف من المال كل صنف منه يتمول به صنف من
الناس فالذهب والفضة يتمول بهما التجار والخيل المسومة يتمول
بها الملوك والانعام يتمول بها اهل البوادي والحرث يتمول به
اهل الرساتيق فيكون فتنة كل صنف في الصنف الذي يتمول به واما
النسا والبنون ففتنة للجميع **ذلك متاع الحيوة الدنيا** اشارة
الى ما ذكر وهو ما يتمتع به فيها ثم يذهب وهذا منه تعالى تزهيد
في الدنيا وترغيب في الاخرة **والله عنده حسن الماب** اي المرجع

وهو

وهو الجنة وفيه تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية
الابدية بالشهوات المخرجة الناقصة **قل** يا محمد لقومك **اونبئكم**
اخبركم **بخير من ذلكم** المذكور من الشهوات يريد به تقرير ان ثواب الله
خير من مستلذات الدنيا ومنتهى الاستفهام عند قوله من ذلكم **للذين**
اتقوا الشرك **عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها**
استيناف لبيان ما هو خير فللذين اتقوا خبر مقدم وجنات رفع
بالابتدا وقيل منتهى الاستفهام عند ربهم وجنات على هذا رفع
بمبتدا مضمر تقديره هو جنات وخالدين حال مقدرة اي مقدرين
الخلود فيها اذا دخلوها **وازواج مطهرة** مما يستقذر من النسا
من حيض ونفاس وبول ونحوه **ورضوان من الله** مصدر من الرضا اي
رضى كثير وهو انه اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون
شيا ازيدكم فيقولون يا ربنا اي شي افضل من هذا فيقول رضائي فلا
اسخط عليكم ابدا وقرئ بضم الرا وكسرها لغتان الاولى لتميم والثانية
لاهل الحجاز **والله بصير** عالم **بالعباد** اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب
المسي او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه تعالى
بهذه الاية على نعمه فادناها متاع الحياة الدنيا واعلاها رضوان الله
اذ هو راس كل سعادة ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها
الذين يقولون ربنا اننا امنا اي صدقنا بك وبرسولك **فاغفر**
لنا ذنوبنا اي استرها علينا ولا تفضحنا بالمواخذة بها **وقنا**
عذاب النار نجنا منه وهو صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب
او مرفوع وفي ترتيب السوال على مجرد الايمان دليل على انه كاف

في حصول المغفرة او الاستعداد لها الصابرين عن المعاصي والشهوات
وعلى الطاعات والصادقين في اقوالهم وافعالهم والقانتين اى
الطايعين والمنفقين في سبيل الله والمستغفرين بالله بالاسحار
قبل السايلين المغفرة قتادة هم المصلون وسال رسول الله صلى الله
عليه وسلم جبريل عليه السلام اى الليل اسمع قال لا ادرى غير ان
العرش يهتز عند السحر الزجاج السحر من حين يدبر الليل الى ان يطلع
الفجر وهذا حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان
معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس
وهو منعها عن الرذايل وحبسها على الفضايل والصبر يشمله واما
بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذى
هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما
بالطلب وهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها
وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم
فيها كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة او هي لتغاير
الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لانها وقت الغفلة ولذة النوم او
لانهم كانوا يقدمون قيام الليل ويصلون الى السحر ثم يستغفرون
ويدعون فيجلس طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب •
والعمل الصالح يرفعه شهد الله انه لا اله معبود بحق في الوجود
الا هو بين وحدانيته بنصب الدلايل الدالة عليها وانزال الايات
الناطقة بها وقال مجاهد حكم الله انه لا اله الا هو وقال
ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد باربعة الاف سنة

وخلق

وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة الاف سنة فشهد بنفسه
لنفسه قبل ان يخلق الخلق ولم يكن سما ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال
شهد الله انه لا اله الا هو وشهد الملايكة بالاقرار واولوا العلم
بالايمان بها والاحتجاج عليها او بالاعتقاد واللفظ وشبه ذلك
في البيان والكشف بشهادة الشاهد واولوا العلم قيل الانبيا
ابن كيسان المهاجرون والانصار مقاتل مومنوا اهل الكتاب •
السدي المومنون كلهم وقيل معنى شهد اعلم قال سعيد بن جبير
كان حول البيت ثلثماية وستون صنما فلما نزلت هذه الاية
خررن سجدا قايما بالقسط اى قايما بتدبير مصنوعاته او مقيما
بالعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله والعامل فيه
معنى الجملة اى تفرد وانما جاز افراده بها ولم يجز نحو جا زيد وعمرو
راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة • ولو
قلت جا زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة ويجوز نصبه على
المدح وان كان نكرة لا اله الا هو العزيز الحكيم كرره للتاكيد ومزيد
الاعتنا بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به اقامة الحجة لان الاولى
حلت محل الدعوى والشهادة والثانية محل الحكم وقال جعفر
الصادق الاولى وصف وتوحيد والثانية رسم وتعليم يعني قولوا
لا اله الا هو وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته
ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روى في
فضلها انه عليه الصلاة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة
فيقول الله تعالى ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفا بالعهد

ادخلوا عبدى الجنة وهى دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله
ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة موكدة للاولى اى
لا دين مرضى عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع
الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ انّ بالفتح على انه بدل
اشتمال من قوله انه لا اله الا هو وبالكسر على الاستيناف لان الكلام الذى
قبله قد تم والاصل فى الاسلام الدخول فى السلم وهو الانقياد
والاسلام الايمان والطاعات والاصل فى مسمى الاسلام والايمان
التغاير لحديث جبريل وقد يكون بمعنى المرادفة فيسمى كل واحد
منهما باسم الاخر كما فى حديث وفد عبد القيس وفيه وهل تدرون
ما الايمان قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله الى اخره ويكون بمعنى التداخل وهو ان يطلق احدهما
ويراد به مسماه فى الاصل ومسمى الاخر كما فى هذه الاية اذ قد دخل
التصديق والاعمال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود
والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم
انه حق وقالت قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا
او فى التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل
هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل النصارى اختلفوا فى امر عيسى
الا من بعد ما جاءهم العلم بالتوحيد وبعد ما علموا حقيقة الامر
وتمكنوا من العلم بها بالايات والحجج بغيا من الكافرين بينهم اى
حسدا وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فى الامر وبغيا نصب على المفعول
من اجله وفى الكلام تقديم وتاخير والمعنى وما اختلف الذين

اوتوا الكتاب بغيا بينهم الا من بعد ما جاءهم العلم قاله الاخفش
ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب اى المجازاة له فهو وعيد
لمن كفر منهم فان حاجوك الكفار فى الدين اى جادلوك بالاقاويل
المزورة والمغالطات بعد ما اقمت الحجج واشتد امرك الى ما كلفت
من الايمان والتبليغ فقل لهم اسلمت وجهى لله اى اخلصت نفسى
وجملتى له لا اشرك فيهما غيره وهو الدين القويم الذى قامت به
الحجج ودعى اليه الايات والرسل وانما عبّر بالوجه عن النفس لانه
اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس فغيره اولى وقيل
الوجه هنا القصد ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او
مفعول معه والمعنى انقدت له انا ومن اتبعنى وقل للذين اوتوا الكتاب
اليهود والنصارى والاميين الذين لا كتاب لهم وهم مشركوا العرب
وغيرهم ااسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم
ونظيره فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة والمعاندة وقال
الزجاج اسلمتم تهديد لان المعنى اسلمتم ام لا وقيل المعنى اسلموا فان
اسلموا فقد اهتدوا اى فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال
وجاءت العبارة للماضى مبالغة بالاخبار بوقوع الهدى له وتحصيله
وان تولوا اى اعرضوا عن الاسلام فانما عليك البلاغ التبليغ
للرسالة اى فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت وقيل
منسوخ باية السيف والله بصير بالعباد فيجازيهم باعمالهم وهو
وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط بالعدل من الناس

فبشرهم اعلمهم **بعذاب اليم** مولم وذكر البشارة تهكم بهم وهم اهل الكتاب
الذين في عصره قتل اولوهم الانبيا ومتابعيهم وهم راضون به
وقصدوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين ولكن الله عصمهم
وقال المبرد كان ناس من بني اسرايل جاهم النبيون يدعونهم الى
الله فقتلوهم فقام من بعدهم اناس من المومنين فامروا بالاسلام
فقتلوهم وروي انهم قتلوا ثلاثة واربعين نبيا فنهاهم عن ذلك
مائة وسبعون من عبادهم فقتلوهم من يومهم وفي الخبر بيس القوم
قوم يقتلون الذين يامرون بالقسط بيس القوم قوم لا يامرون
بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ودخلت الفا في خبر ان لتضمن اسمها
معنى الجزا كانه قال الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشره وان
لا تغير معنى الابتدا فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت
او لعل لامتنع دخول الفا لتغير معنى الابتدا ومنع الاخفش ادخال
الفا في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر **اوليك الذين حبطت اعمالهم**
في الدنيا والاخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح ومعنى حبطت اعمالهم
بطل ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم فلا اعتداد بها لعدم
شرطها **وما لهم من ناصرين** يدفع عنهم العذاب **الم تر** تنظر **الى**
الذين اوتوا نصيبا حظا **من الكتاب** اي التوراة او جنس الكتب
السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم
والتحقير **يدعون** حال **الى كتاب الله ليحكم بينهم** الداعي محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القران قال ابن عباس سبب نزولها
ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدارس على جماعة من اليهود

فدعاهم

فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي
دين انت يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم على ملة ابرهيم فقالوا
ان ابرهيم كان يهوديا فقال صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة
فهي بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم **ثم يتولى**
فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب
وهم معرضون اي وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق
وساغ لتخصيصه بالصفة **ذلك** اشارة الى التولي والاعراض
واغترارهم في قولهم نحن ابناء الله واحباوه وغير ذلك **بانهم** اي
بسبب انهم **قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات** اربعين
يوما مدة عبادة ابائهم العجل او بسبب تسهيلهم امر العقاب على
انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ **وغرهم في دينهم**
متعلق بقوله **ما كانوا يفترون** من ان النار لن تمسهم الا اياما
قلايل وان اباهم الانبيا يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه
السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم **فكيف اذا جمعناهم**
ليوم لا ريب فيه لا شك فيه استعظام لما يحيق بهم في الاخرة وتكذيب
لقولهم لن تمسنا النار الا اياما لما روي ان اول راية ترفع يوم
القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد
ثم يامر بهم الى النار وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وامته على جهة التوقيف والتعجيب والمعنى فكيف يكون حالهم
او كيف يصنعون اذا حشروا يوم القيمة واضمحلت عنهم تلك الزخارف
التي ادعوها في الدنيا واللام في ليوم بمعنى في وقيل التقدير

لحساب يوم ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزا ما عملت من خير وشر وفيه
دليل على ان العبادة لا تحبط وان المومن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه
وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها
وهم لا يظلمون اي لا يظلمون بنقص حسنة ولا زيادة سيئة والضمير
لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك
لا يجتمعان وهو من خصايص هذا الاسم وقيل اصله يا الله امنا بخير
فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته وقال النضر بن
شميل من قال اللهم فقد دعا الله بجميع اسمايه كلها مالك الملك نداء ثان
عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية قال قتادة بلغني ان
النبي صلى الله عليه وسلم سال الله تعالى ان يعطي امته ملك
فارس فنزلت وروي انه صلى الله عليه وسلم لما وعد امته ملك
فارس والروم قال المنافقون هيهات فنزلت توتي الملك من تشا
من خلقك وتنزع الملك ممن تشا اي تعطي منهما ما تشا من تشا وتسلبه
ممن تشا فالملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد
بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشا وتذل
من تشا في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق
والخذلان يقال عز اذا غلب وذل اذا غلب وقهر بيدك اي بقدرتك
الخير اي والشر فحذف كما قال سرابيل تقيكم الحر ودل على ذلك قوله
انك على كل شي قدير وخص الخير لانه موضع دعا ورغبة او لانه اكثر
وجودا في العالم او لان اضافة الشر الى الله ليس من باب الادب كما في
الحديث والشر ليس اليك تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل

قال

قال ابن عباس وغيره تدخل ما نقص من احدهما في الاخر وتخرج الحي من
الميت وتخرج الميت من الحي قال الحسن يخرج المومن من الكافر ويخرج الكا فر
من المومن فالموت والحياة مستعاران وقال عكرمة يخرج الدجاجة
وهي حية من البيضة وهي ميتة ويخرج البيضة من الدجاجة ابن مسعود
يخرج النطفة من الرجل والرجل من النطفة السدي الحبة من السنبلة
والسنبلة من الحبة والنخلة من النواة والنواة من النخلة وقرئ الميت
بالتخفيف والتشديد وترزق من تشا بغير حساب اي بغير تضييق ولا
تقتير يقال فلان يعطي بغير حساب كانه يعطي ولا يحسب لا يتخذ
المومنون الكافرين اوليا نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية
ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم
في الغزو وساير الامور الدينية من دون اي غير المومنين اشارة
الى انهم الاحقا بالموالاة فان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة
ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اوليا فليس من الله في شي اي من ولايته
او دينه في شي يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعادين لا يجتمعان
وقيل المعنى فليس من حزب الله ولا من اوليايه الا ان تتقوا منهم
تقاة مصدر تقية اي الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاوه والفعل
يعدى بمن لانه في معنى تحذروا او تخافوا فامنع عن موالاتهم ظاهرا
وباطنا في الاوقات كلها الا في وقت المخافة فان اظهار الموالاة
باللسان دون القلب كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش
جانبا وقال مجاهد المعنى الا مصانعة في الدين وقال معاذ كانت
التقية في جدة الاسلام قبل قوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله

الاسلام ان يتقوا من عدوهم وقال الحسن التقية جايزة
للانسان الى يوم القيمة ويجرى ذلك فيمن هو في بلد ليس قويا
فيها ويحذركم الله نفسه اى اياه وقيل المعنى ويحذركم الله عقابه
فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدايه وهذه وعيد شديد والى الله
المصير اى والى جزا الله المصير قل ان تخفوا ما في صدوركم قلوبكم
او تبدوه يعلمه الله اى يعلم ضمايركم من موالاة الكفار وغيرها ان
تخفوها او تبدوها وهو يعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم
سركم وعلانيتكم والله على كل شى قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم
تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه
لانها متصفة بعلم ذاتى تحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتيه
تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية
الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينه وبينها
امدا بعيدا يوم منصوب بتود اى تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف
اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين
ذلك اليوم امدا بعيدا او منصوب بمضمر نحو اذكر وتود حال
من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على
ما عملت من خير ولا تكون ما شرطيه بارتفاع تود والامد
الغاية في الزمان والمكان ومعناه كما بين المشرق والمغرب ويحذركم
الله نفسه كرره للتاكيد والتذكير والله روف بالعباد اشارة
الى انه تعالى انما حذرهم ونهاهم رافة بهم ومراعاة لصلاحهم

او

او انه ذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته وتخشى عقابه قل
لهم يا محمد ان كنتم تحبون الله فاتبعونى المحبة ميل النفس الى
الشى لكمال ادرك فيه بحيث تحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم
ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كلما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو
من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك تقتضى ارادة
طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة وجعلت ملتزمة
لاتباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر
لكم ذنوبكم جواب للامر اى يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم له
ويتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوءكم فى جوار
قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله
غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت
لما قالت اليهود نحن ابنا الله واحباوه وقيل فى وفد نجران
لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل لما قال المشركون ما نعبد
الاصنام الا حبا لله ليقربونا اليه وقال الحسن زعم اقوام على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان
يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله
فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رايت من يذكر محبة الله تعالى
يصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك انه
لا يعرف الله ولا يدرى ما محبته وما تصفيقه وطربه وصعقه
الا انه يصور فى نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها
الله بجهاله تعالى الله عن ذلك وربما رايت حمقى العامه حواليه

قد بلوا اردا انهم بالدموع قل لهم اطيعوا الله والرسول فيما يامركم
به من التوحيد وبانى بيانه فى النسا فان تولوا يحتمل المضى
والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين اى لا يرضى
عنهم ولا يثنى عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة
على ان التولى كفر وانه من هذه الحيثية ينفى محبة الله وان محبته
مخصوصة بالمومنين ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابرهيم
وآل عمران على العالمين اصطفى اختار والتقدير اصطفى دينهم وهو دين
الاسلام الزجاج اختارهم للنبوة على عالمى زمانهم وقيل بالرسالة
والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو
عليه غيرهم وقيل بجعل الانبيا من نسلهم ولما اوجب طاعة الرسول
وبين انها الجالبة لمحبته عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها
وبه استدل على فضيلتهم على الملايكة ونوح شيخ المرسلين واول نبى
بعثه الله بعد ادم بتحريم البنات والاخوات والعمات والخالات واول
آل ابرهيم اسحق ويعقوب والاسباط وقد دخل فيهم الرسول صلى الله
عليه وسلم فانه من آل ابرهيم وقيل آل ابرهيم نفسه وآل عمران
موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب
وعيسى وامه بنت عمران بن ماثان بن اليعازر بن ابى يود بن بابل بن سالبا
ابن يوحنا بن يهلوسا بن اموذ بن ميسكن بن حارف بن احاد بن يوفام
ابن عزريا بن يوارم بن ساقط بن ايشا بن سليمان بن داود بن ايشا بن
عوبد بن سلمون بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانماية
سنة وفى البخارى آل ابرهيم وآل عمران المومنون من آل ابرهيم وآل عمران
وآل

وآل ياسين وآل محمد ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الالين او منهما
ومن نوح اى انهم ذرية واحدها متشعبة بعضها من بعض وقيل
بعضها من بعض فى الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعيلة
من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء
وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفى من كان
مستقيم القول والعمل او سميع لقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت
امراة عمران رب انى نذرت لك ان اجعل ما فى بطنى محررا عتيقا خالصا
من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس قال ابو عبيدة اذ زايدة
محمد بن يزيد التقدير اذكر وهى حنة بالحا المهملة والنون ابنت فاقود
ام مريم جدة عيسى ويقال ان سبب قولها انها كانت كبيرة لا تلد
وكانت من اهل بيت من الله بمكان وانها كانت تحت شجرة فابصرت
طايرا يزق فرخا فتحركت نفسها لذلك ودعت ربها ان يهب لها ولدا
ونذرت ان ولدت ان تجعل ما ولدته محررا اى عتيقا خالصا للكنيسة
حبيسا عليها مفرغا لعبادة الله وكان ذلك جايزا فى شرعهم وكان
على اولادهم ان يطيعوهم ومحررا نصب على الحال فتقبل منى ما نذرته
انك انت السميع العليم لقولى ونيتى وهلك عمران وهى حامل فلما
وضعتها قالت معتذرة رب انى وضعتها انثى الضمير لما فى بطنها
وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا لان تانيثها علم
او على تاويل مونث كالنفس وانما قالت ذلك تحسرا وتحزنا الى ربها
لانها كانت ترجوان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره ابن عباس
انما قالت هذا لانه لم يكن يقبل فى النذر الا الذكور والله اعلم عالم

بما وضعت اى بالشئ الذى وضعت وهو استيناف من الله تعالى ه
تعظيما لموضوعها وقرئ بضم التا فهو من جملة كلامها والكلام متصل
وفيه معنى التسليم لله والخضوع له ولم تقل على طريق الاخبار
لان علم الله فى كل شئ قد تقرر فى نفس المومنين **وليس الذكر كالانثى**
بيان لقوله والله اعلم اى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى الذى
وهبت لانه يقصد للخدمة وهى لا تصلح لها لضعفها وعورتها
وما يعتريها من الحيض ونحوه وانما كان المعنى كذلك لان الاصل
وليس الانثى كالذكر ويجوز ان يكون من قولها اى وليس الذكر والانثى
سيان فيما نذرت فاللام للجنس فيهما وعلى الاول للعهد فيهما **وانى
سميتها مريم** عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما
ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لانه يعصمها ويصلحها حتى يكون
فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على
ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة **وانى اعيذها بك** اى اجيرها
بحفظك **وذريتها من الشيطان الرجيم** اى المطرود واصل الرجم الرمى
بالحجارة وفى الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد
فيستهل من مسه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمها ببركة هذه
الاستعاذة **فتقبلها ربها** اى فرضى بها فى النذر مكان الذكر **بقبول
حسن** المعنى سلك بها طريق السعدا ابن عباس معنى التقبل التكفل
فى التربية والقيام بشانها روى ان حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة
وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه
النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم
فان

فان بنى ماثان كانت روس بنى اسرايل وملوكهم فقال زكريا عليه
السلام انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة
وعشرين فانطلقوا الى نهر الاردن فالقوا فيه اقلامهم على ان من ثبت قلمه
فى الما وصعد فهو اولى بها فطفى قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز
ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل
بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اى فاخذها فى اول امرها حين ولدتها بقبول
حسن **وانبتها نباتا حسنا** مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها
وقيل سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت فى اليوم
ما ينبت المولود فى عام **وكفلها زكريا** اى ضمها اليه ابو عبيدة
ضمن القيام بها وقرئ وكفلها بالتشديد والتقدير وكفلها ربها
زكريا اى الزمه كفالتها **كلما دخل عليها زكريا المحراب** اى الغرفة التى
بنيت لها او المسجد او اشرف موضع من بيت المقدس وسمى المحراب لانه
محل محاربة الشيطان وفى الخبر ان زكريا كان يصعد اليها بسلم وكان
اذا خرج غلق سبعة ابواب **وجد عندها رزقا** جواب كلما وناصبه
وكان لا يدخل عليها غيره فكان يجد عندها فاكهة الشتا فى الصيف
وبالعكس وكان ياتيها رزقها من الجنة ولم ترضع ثديا قط **قال يا مريم
انى لك هذا** اى من اين لك هذا الرزق الاتى فى غير اوانه والابواب مغلقة
عليك وفى هذا دليل على جواز الكرامة للاوليا وجعل ذلك معجزة لزكريا
يدفعه اشتباه الامر عليه **قالت هو من عند الله** ياتينى به من الجنة
فلا يستبعد قيل تكلمت وهى صغيرة كعيسى **ان الله يرزق من يشا
بغير حساب** اى بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه

وهو يحتمل ان يكون من كلامهما وان يكون من كلام الله تعالى وروى ان فاطمة
رضى الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة
لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن طبق فاذا هو مملوء
خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة
بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته ونفى الطعام
كما هو فاوسعته على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه فى ذلك المكان
الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان واصلها ان تستعمل للامكنة
ولما راى كرامة مريم ومنزلتها وعلم ان القادر على الشيء فى غير حينه
قادر على اتيان الولد على الكبر رغب ان يكون له ولد من زوجته ايشاع
ولد مثل اختها حنة فى التحرير والكرامة عند الله ولو كانت عاقرا فقد
كانت اختها كذلك قال رب هب لى اعطنى من لدنك اى من عندك
ذرية طيبة اى نسلا صالحا كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقال
من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعتادة
والذرية تكون واحدا وجمعا وهو هنا واحد بدليل قوله هب لى
من لدنك وليا وانث طيبة لتانيث لفظ الذرية انك سميع الدعاء اى مجيبه
فنادته وقرئ فناداه على التذكير الملائكة جمع الملائكة اذ اسناد
الفعل الى الجماعة يجوز تذكيره وتانيثه السدى ناداه جبريل له
وحده وجائز فى العربية ان يخبر عن الواحد بلفظ الجمع والاظهر
الاول اى جاءه النداء من قبلهم وهو قائم يصلى فى المحراب المسجد اى قائما
فى الصلاة ويصلى صفة قائم او خبر او حال اخرى او حال من الضمير
فى

فى قائم ان الله اى بان الله وقرئ بكسر ان اى قال ان الله فالنداء بمعنى القول
يبشرك بيحيى قرئ يبشرك بالتشديد والتخفيف ويحيى اسم اعجمى
وان جعل عربيا فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل وكان اسمه فى الكتاب
الاول يوحنا قتادة سمى يحيى لان الله احياه بالايمان والنبوة
وقيل لانه احيى به رحم امه وقيل لانه استشهد والشهداء احياء
وقيل غير ذلك ونباه الله صغيرا وقتل ظلما مصدقا بكلمة من الله اى
بكلمة كائنة من الله لانه لم يوجد الا بقوله كن والمراد عيسى وقيل
بكلمة من الله اى بكتابه ويحيى اول من امن بعيسى وصدقه وكان اكبر من
عيسى بثلاث سنين وقيل بستة اشهر وذكر الطبرى ان مريم لما حملت
بعيسى حملت اختها ايضا بيحيى فقالت اشعرت انى حملت فقالت لها
يا مريم اشعرت انت انى حملت فقالت انى لاجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك
وذلك انه روى انها احست جنينها يخر براسه الى ناحية بطن مريم
قال السدى فذلك قوله مصدقا بكلمة وهو نصب على الحال وسيدا
يسود قومه ويفوقهم فى الشرف وينتهى الى قوله ابن جبير والضحاك
فى العلم والتقى مجاهد السيد الكريم ابن زيد هو الذى لا يغلبه الغضب
وقيل الحليم وكان فائقا للناس كلهم فى انه ما هم بمعصية وحصورا
اى مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى وروى انه الذى يكف
عن النساء ولا يقربهن مع القدرة ولعل هذا كان شرعه واما شرعنا
فالنكاح افضل ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عدادهم
والصالح القائم بحقوق الله وحقوق العباد روى انه مر وهو طفل
بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت وروى

انه لم يفعل خطيئة ولم يهم بها قال رب انى كيف يكون لى غلام ولد
استبعادا من حيث العادة او استعظاما وتعجبا او استفهاما عن
كيفية حدوثه هل يكون له الولد وهو وامراته على حالهما او هل
يرزق الولد من امراته العاقر ام من غيرها وقيل المعنى باى وجه استوجب
هذا على وجه التواضع والرب هنا قيل جبريل اى قال لجبريل رب اى
يا سيدى وقيل هو الله عز وجل وقد بلغنى الكبر اى ادركنى كبر السن
واثر فى وكان له تسع وتسعون سنه ولامراته ثمان وسبعون سنه
ابن عباس وغيره بشر وهو ابن عشرين ومايه وامراته بنت ثمان
وتسعين فالله اعلم وامراتى عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها
ذات عقر من الاولاد قال كذلك الامر كذلك من خلق غلام منكما
الله يفعل ما يشا اى يفعل ما يشا من العجايب مثل ذلك الفعل وهو
انشا الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من
الكبر والعقر يفعل ما يشا من خلق الولد او كذلك الله مبتدا وخبر
اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشا بيان له ولما تاقت نفسه
الى سرعة المبشر به قال رب اجعل لى اية اى علامة اعرف بها الحبل
لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال ايتك
عليه ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام بلياليها اى لا تقدر على تكليم
الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله
وشكره قضا لحق النعمة وكانه قال ايتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر
الا رمزا اى اشارة بيد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر
ابن زيد ان زكريا لما حملت زوجته منه بيحيى اصبح لا يستطيع ان يكلم

احدا

احدا وهو مع ذلك يقرا التوراة ويذكر الله وقيل طلب الاية زيادة
طمانينة ورمزا نصب على الاستثنا المنقطع وقيل متصل والمراد
بالكلام ما دل على الضمير واذكر ربك كثيرا فى ايام المحنة وهو موكد
لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد
التكرار وسبح بالعشى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر وقيل
من الغروب الى ذهاب صدر من الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى
قيل ومعنى سبح صل سميت الصلاة به لما فيها من تنزيه الله واذ
قالت الملايكة جبريل يا مريم ان الله اصطفاك اى اختارك وطهرك
من الكفر عن مجاهد الزجاج من سابر الادناس من الحيض والنفاس
وقيل من مسيس الرجال واصطفاك لولادة عيسى على نسا العالمين
اى عالمى زمانها عن الحسن وابن جريج وقيل على نسا العالمين اجمع الى يوم
القيمة القرطبى وهو الصحيح وقول الزجاج وغيره انتهى والتكليم كان
شفاها كرامة والاجماع على انه تعالى لم ينبئ امراة لقوله تعالى
وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل التكليم كان الهاما منهم اياها
قيل والاصطفا الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها
للعبادة واغناوها برزق الجنة عن الكسب والثانى هدايتها وارسال
الملايكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب
وتبريتها مما قذفتها اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها اية
للعالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين اقنتى
معناه اطيلى القيام فى الصلاة قاله مجاهد قتاده اديمى الطاعة
قال الاوزاعى لما قالت لها الملايكة ذلك قامت فى الصلاة حتى

توريت قدمها وقدم السجود على الركوع لان الواو لا توجب الترتيب
وقيل كان شرعهم السجود قبل الركوع او ليقترن اركعي مع الراكعين
للايذان بان من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل
المراد بالسجود الصلاة لقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع
والاخبات وقيل المعنى صلي مع المصلين ذلك اي الذي ذكرناه
من حديث زكريا ويحيى ومريم من انباء الغيب اي اخباره التي
غابت عنك نوحيه اليك يا محمد الايحا هنا الارسال والوحي
يكون الهاما وايماء وغير ذلك واصله في اللغة اعلام في خفاء
وما كنت لديهم اي عندهم وبحضرتهم اذ يلقون اقلامهم اي
قداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون
بها التوراة وهو اجود لان الازلام قد نهى عنها والمراد تقرير
كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع
المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة عندهم
فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل
مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها
ليعلموا او ليظهر لهم ايهم يكفل يقال ان كل واحد جا بقلمه واتفقوا
ان يجعلوا الاقلام في الما الجاري فمن وقف قلمه ولم يجره الما فهو
صاحبها فجرت الاقلام ووقف قلم زكريا وكانت اية له لانه
نبي وتقدم قريب من ذلك وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا
في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما
اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة
و

في زمان متسع كقولك لقيت سنة كذا او باضمار اذكر يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه
وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه
المبارك لقوله وجعلني مباركا اينما كنت وعيسى معرب ايشوع
ابن عباس سمي مسيحا لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا بري وقيل لانه
ممسوح بدهن البركة وقيل انه كان ممسوح الاخمص ولم يقل اسمها
لان معنى كلمة ولد وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه
يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا
فقد الاب فايدة اخرج ابن ابي حاتم عن عمرو بن امية قال خمسة
سموا قبل ان يكونوا محمد ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد
ويحيى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وعيسى يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى بن مريم واسحق ويعقوب فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق
يعقوب وجيها في الدنيا والاخرة اي شريفا ذا جاه وقدر والوجاهة
في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة والدرجات العلى ووجيها
حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره
للمعنى ومن المقربين عند الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة
او رفعه الى السما وصحبة الملايكة ويكلم الناس في المهد مضجع
الصبي في رضاعه وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا قبل وقت الكلام
وكهلا وهو بين حالة الغلومة وحالة الشيوخة وهو الذي وخطه
الشيب قال ابو العاليه كلمهم في المهد حين برا امه فقال اني عبد الله
واما كلامه وهو كهل فاذا انزله الله انزله وهو ابن ثلاث وثلاثين

سنة فيقول لهم اني عبد الله قال المهدوي وفائدة الآية انه اعلمها ان
عيسى يكلمهم في المهد ويعيش الى ان يكلمهم كهلا وكانت العادة ان
من تكلم في المهد لم يعش وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد
الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين اي ومن العباد الصالحين
وهو حال ثالث من كلمة او من الضمير في تكلم قالت رب انى يكون لي
ولد ولم يمسسني بشر هذا تعجب واستبعاد عادي او استفهام من انه
يكون بتزويج او غيره ولم تستبعد من قدرة الله شيا لكن ارادت
كيف يكون هذا الولد من قبل زوج في المستقبل ام يخلقه الله تعالى
ابتدا فروي ان جبريل حين قالت ذلك قال كذلك الله يخلق ما يشا
وقيل القائل هو الله تعالى وجبريل حكى لها قوله تعالى قال ابن جريج
فنفخ جبريل في جيب درعها وكمها وقال ابن عباس اخذ جبريل ردن
قميصها باصبعه فنفخ فيه فحملت من ساعتها بعيسى اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون اي فهو يكون اشارة الى انه كما يقدر ان يخلق
الاشيا مدرجات باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك
ونعلمه بالنون الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل كلام مبتدا
ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف اللوم لما علمت انها تلد
من غير زوج وقرئ بالياء عطفا على يبشرك او وجيها والكتاب الخط
او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما والحكمة الفقه
ورسولا الى بني اسرائيل او ونجعله رسولا او ويكلمهم رسولا في الصبا
وبعد البلوغ وقيل معطوف على وجيها فان ثبت كانت الواو مقحمة
والرسول حالا لها اي ونعلمه الكتاب رسولا وتخصيص بني اسرائيل

لخصوص

لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم فلما
بعثه الله اليهم قال اني رسول الله اليكم اي اني قد جئتكم باية
علامة من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير قرئ بكسر الهمزة
على الابتدا او بفتحها على البدل من اني جئتكم والمعنى اقدر لكم واصور
شيا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل
فيكون طيرا باذن الله اي فيصير حيا طيارا باذن الله نبه به على
ان الاحياء من الله لا منه وقرئ طايرا بالالف والهمزة قال وهب كان
يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا
ليتميز فعل الخلق من فعل الله وقيل ان عيسى لم يخلق غير الخفاش
لانه اكمل الطير خلقه لان له ثديا واسنانا واذنا ويحيض ويلد
وابرئ اشفي الاكمه الذي ولد اعمى او الممسوح العين مجاهد
هو الذي يبصر بالنهار دون الليل ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه
والابرص معروف وكان الغالب على زمن عيسى الطب فاراهم الله
تعالى المعجزة في جنس ذلك وخصا بالذكر لانهما داءان اعيا الاطبا
روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن
لم يطق منهم اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعا بشرط الايمان وروي انه
ابرا في يوم خمسين الفا واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا
لتوهم الالوهية فان الاحيا ليس من جنس الافعال البشرية قيل
احيا اربعة انفس العازر وكان صديقا له وابن العجوز وسام بن نوح
وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم الا ساما فانه مات في الحال وفي
الخبر انهم قالوا له انك تحيي من كان موته قريبا فلعلهم لم يموتوا فاصابتهم

سكنته فاحيى لنا سام بن نوح فقال دلونى على قبره فخرج وخرج
القوم معه حتى انتوا قبره فدعا فخرج من قبره قد شاب راسه فقال
عيسى كيف شاب راسك ولم يكن فى زمانكم شيب فقال يا روح الله
انك لما دعوتنى سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان القيمة
قد قامت فمن هول ذلك شاب راسى فساله عن النزع فقال يا روح الله
ان مرارة النزع لم تخرج من حنجرتى وكان من وقت موته الى زمن عيسى
اكثر من اربعة الاف سنة **وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى**
بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها فكان يخبر الشخص
بما اكل وبما ياكله بعد **ان فى ذلك** المذكور **لاية لكم ان كنتم مومنين**
اى عبرة للايمان فان غير المومنين لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق
غير معاندين **ومصدقا لما بين يدى من التوراة** عطف على رسولا
او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جيتكم اى وجيتكم مصدقا **ولاحل**
لكم اى وجيتكم لاحل لكم **بعض الذى حرم عليكم** فيها او فى شريعة
موسى عليه السلام من الاطعمة كاكل الشحوم والثروب والسمك ولحوم
الابل والعمل فى السبت وقيل بعض بمعنى كل وهو يدل على ان شرعه
كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يعود
نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة
بيان وتخصيص فى الازمان وقيل انما احل لهم اشيا حرمتها عليهم
الاحبار ولم تكن فى التوراة محرمة عليهم وعن قتادة جاهم عيسى
بالين مما جاهم به موسى عليهما السلام **وجيتكم باية من ربكم**
انما وحد وهى ايات لانها جنس واحد فى الدلالة على رسالته وكرره

للتاكيد

للتاكيد او ليبنى عليه **فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم** وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم اى وجيتكم باية اخرى الهمنيها ربى
وهو قولى ان الله ربى وربكم فانها دعوة للحق المجمع عليها فيما بين
الرسل الفارق بين النبى والساحر او جيتكم باية على ان الله ربى وربكم
وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والمعنى فاتقوا الله فى المخالفة
واطيعون فيما دعوتكم اليه من توحيد الله وطاعته ثم وبين ان الجمع
بين الامرين هو الطريق المستقيم المشهود بالاستقامة **فلما احس**
عيسى منهم الكفر اى تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس والمعنى
علم ووجد واصل ذلك وجود الشى بالحاسة **قال من انصارى** اعوانى
الى الله ملتجيا الى الله او ذاهبا او ضاما نصرته ويجوز ان يتعلق
الجار بانصارى مضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم
الى الله فى نصرى وقيل الى ها هنا بمعنى مع او فى او اللام **قال الحواريون**
حوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن وسمى به اصحاب عيسى لخلوص نياتهم ونقاء
سرايرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود
وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها وكانوا اثنى عشر رجلا
نحن انصار الله اى انصار دينه **امنا بالله واشهد** يا عيسى **بانا مسلمون**
اى اشهد لنا يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم **ربنا امنا**
بما انزلت من الانجيل **واتبعنا الرسول** عيسى **فاكتبنا مع الشاهدين**
بك اى مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبيا الذين يشهدون
لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهدا على الناس

ابن عباس اثبت اسمانا مع اسمايهم واجعلنا من جملتهم قال الله تعالى
ومكروا اى الذين احس عيسى منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه
من يقتله غيلة **ومكر الله** مكره استدراجهم من حيث لا يعلمون وذلك
ان عيسى عليه السلام لما اخرجه قومه من بين اظهرهم عاد عليهم مع
الحواريين ودعاهم الى الاسلام فهموا بقتله وتواطئوا على الفتك به
فذلك مكرهم ومكر الله القاوه شبه عيسى على غيره ورفع عيسى اليه
وذلك ان اليهود لما اجتمعوا على قتله دخل بيتا هاربا منهم فرفعه
جبريل من كوة الى السما فقال ملكهم لرجل منهم ادخل عليه البيت ٥
فاقتله فدخل الرجل فلم يجد احدا هناك والقى الله عليه شبه عيسى
فلما خرج اليهم راوه على شبه عيسى قتلوه وصلبوه ثم شكوا فيه
فقالوا الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان كان هذا
عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم اختلاف
وقتال حتى قتل بعضهم بعضا وقيل في القصة غير ذلك والله اعلم
وقال الزجاج معنى مكر الله مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزا مكرا واصل
المكر في اللغة الاحتيال وهو لا يسند الى الله الا على سبيل المقابلة
والازدواج **والله خير الماكرين** اى اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال
الضرر من حيث لا يحتسب وقيل اعلمهم به وفي الحديث اللهم
امكر لي ولا تمكر علي **اذ قال الله** ظرف لمكر الله او خير الماكرين او
لمضمر مثل وقع ذلك او اذكر **يا عيسى اني متوفيك** اى متوفي اجلك ٥
ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او متوفيك نايما
اذ روي انه رفع نايما او مميتك عن الشهوات العايقة عن العروج

ال

الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السما
واليه ذهب النصارى **ورافعك الي** اى الى محل كرامتي ومقر ملايكتي
بلا موت وقال الضحاك وغيره في الكلام تقديم وتاخير اى رافعك
الي ومتوفيك لان الواو لا يجب معها ترتيب **ومطهرك من الذين
كفروا** اى مبعدك من سوء جوارهم قال الضحاك كانت القصة لما
ارادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون في غرفة وكانوا اثنى عشر رجلا
فدخل عليهم المسيح من كوة فاخبر ابليس جميع اليهود فركب منهم اربعة
الاف فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل
ويكون معي في الجنة فقال رجل انا يا نبي الله فالقى اليه مدرعة من صوف
وعمامة من صوف والقى عليه شبه عيسى وخرج على اليهود فقتلوه
وصلبوه واما المسيح فكساه الله تعالى الريش والبسه النور وقطع عنه
لذة المطعم والمشرب وطار مع الملايكة ثم قيل ان التمام عند قوله
ومطهرك من الذين كفروا قال النحاس وهو قول حسن **وجاعل الذين
اتبعوك** يا محمد **فوق الذين كفروا الى يوم القيمة** يغلبونهم بالحجة
في غالب الامر او السيف وقال الضحاك المراد الحواريون وقيل
المراد من امن بنبوة عيسى من المسلمين والنصارى والى الان لم تسمع غلبة
لليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة **ثم الى مرجعكم** الضمير
لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطب على الغايب **فاحكم بينكم
فيما كنتم فيه تختلفون** من امر الدين **فاما الذين كفروا فاعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا** يعني بالقتل والسبي والجزية **وفي الاخرة** بالنار
وما لهم من ناصرين مانع يدفع عنهم **واما الذين امنوا وعملوا الصالحات**

فنوفيهم اجورهم فهو تفصيل للحكم وتفسير له والله لا يحب الظالمين
تقرير لذلك اي يعاقبهم وروي ان الله تعالى ارسل اليه سحابة فرفعته
فتعلقت به امه وبكت فقال لها ان القيامة تجمعنا وكان ذلك
ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وماتت امه
بعده بست سنين وروى الشيخان انه ينزل قريب الساعة ويحكم
بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويقتل الدجال والخنزير
ويكسر الصليب ويضع الجزية وفي مسلم يمكث سبع سنين وفي حديث
عند ابي داود اربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه فيحتمل ان المراد مجموع
لبثه في الارض قبل الرفع وبعده ذلك اشارة الى ما سبق من نبا موسى
وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه عليك وقوله من الايات حال من الهاء
والذكر الحكيم اي القران المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق
الخلل اليه وقيل هو اللوح المحفوظ ان مثل عيسى عند الله كمثل
آدم اي ان شانه الغريب كشان آدم خلقه من تراب جملة مفسرة
للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم بلا
اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم والمعنى خلق قالبه
من التراب ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله تعالى ثم انشاناه خلقا
آخر وقدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي
الخبر لا لتراخي المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر
محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور
من ربك فلا تكن من الممترين خطاب له صلى الله عليه وسلم على طريق
التهييج لزيادة البيان او لكل سامع لانه صلى الله عليه وسلم

لم

لم يكن شاكا في امر عيسى ونزلت الاية بسبب وفد نجران حين انكروا
على النبي صلى الله عليه وسلم قوله ان عيسى عبد الله وكلمته وقالوا
ارنا عبدا خلق من غير اب فقال لهم آدم من كان ابوه وروي انه
عليه الصلاة والسلام لما دعاهم الى الاسلام قالوا كنا مسلمين
قبلك فقال كذبتم يمنعكم من الاسلام ثلاث قولكم اتخذ الله ولدا
واكلكم الخنزير وسجودكم للصليب فقالوا من ابو عيسى فنزلت
فمن حاجك اي خاصمك وجادلك من النصارى فيه اي في عيسى
من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا
اي هلموا بالراي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم اي كل منا يدع نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة
وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم
ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح
اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار
فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى
المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم
ماذا ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر
صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم
فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها
وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى
اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله

فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبذلوا له الجزية الفي حلة حمرا في كل سنة وثلاثين درعا من حديد
فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا
قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران
واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم
من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبا عيسى ومريم لهو القصص الحق
محلها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكر في شان عيسى ومريم حق
دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى
المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا وما من اله الا الله صرح
فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم
وان الله لهو العزيز الحكيم فلا احد سواه يساويه في القدرة التامة
والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم
بالمفسدين وعيد لهم وضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي
عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المودي الى
فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين
وقيل يريد به وفد نجران وهو قول الحسن والسدي وابن زيد
او يهود المدينة وهو قول قتادة وابن جريج خوطبوا بذلك لانهم
جعلوا احبارهم في الطاعة لهم كالارباب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم سوا مصدر بمعنى مستو امرها لا تختلف فيها الرسل
والكتب وتفسيرها بعدها ان لا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة
ونخلص له فيها ولا نشرك به شيا اي ولا نجعل غيره شريكا له
ف

في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله
ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم لان كلا بشر مثلنا
وروي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا
يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك فان
تولوا اي اعرضوا عما دعوا اليه من التوحيد فقولوا انتم لهم اشهدوا
بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او المعنى
اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل
حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره يا اهل الكتاب لم تحاجون تختصمون
في ابراهيم بزعمكم انه على دينكم واصل لم لما حذفت الالف فرقا
بين الاستفهام وغيره وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده
نزلت بسبب دعوى كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان
على دينه وترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاكذبهم الله تعالى
والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل
على موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة
وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون دحوض حجتكم وبطلان
قولكم فتدعون المحال ها انتم هولا حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه تنبهوا بها على حالهم التي غفلوا
عنها وانتم مبتدا وهولا خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى
اي انتم هولا الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما

وجدتموه في التوراة والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم
تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابرهيم وقيل
ها للتنبيه انتم مبتدا ۱ هولا والخبر حاججتم وقيل هولا
بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله ا انتم على الاستفهام
للتعجيب من حماقتهم فقلبت الهمزة ها والله يعلم ما حاججتم فيه
وانتم لا تعلمون اي وانتم جاهلون به قال الله ما كان ابرهيم
يهوديا ولا نصرانيا وهو تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن
كان حنيفا اي مايلا عن العقايد الزايغة مسلما موحدا او منقادا
لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام
وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا و
المسيح ورد للمشركين في دعواهم انهم على ملة ابرهيم ان اولى الناس
بابرهيم اي اخصهم به واقربهم منه من الولا وهو القرب للذين
اتبعوه على ملته وسنته في زمانه قال ابن عباس قالت روسا اليهود
والله يا محمد لقد علمت انا اولى الناس بدين ابرهيم منك ومن غيرك
وانه كان يهوديا وما بك الا الحسد فنزلت وهذا النبي محمد افرده
بالذكر تعظيما له والذين امنوا امته لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم
على الاصالة فهم الذين ينبغي ان يقولوا نحن على دينه لا انتم والله
ولي المومنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طايفة
من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت لما دعى اليهود حذيفة وعمارا
ومعاذ ابن جبل الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم
اي وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به

عذابهم

عذابهم او ما يضلون الا امثالهم والمومنون لا يطيعونهم وما
يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم او المعنى تكفرون بالقران ودلايل صحة الرسول
وانتم تشهدون نعته في الكتاب وتعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل
الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته
او في التقصير في الميز بينهما واللبس الخلط وتكتمون الحق نبوة محمد
وبعثه وانتم تعلمون جملة في موضع الحال اي عالمين بما تكفرون وقالت
طايفة من اهل الكتاب يعني كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف
قالا للسفلة من قومهم لما حولت القبلة امنوا بالذي انزل على الذين
امنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار وسمي وجها
لانه احسنه واول ما يواجه منه واكفروا اخره لعلهم اي المومنين
يرجعون اي لعلهم يشكون في دينهم ظنا منهم بانكم رجعتم لخلل
ظهر لكم ويقولون اهل الكتاب اعلم به منا وقيل المعنى صلوا الى
الكعبة اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره وقيل ان اثني عشر من احبار
خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا
في كتابنا وشاورنا علمانا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التوراة
لعل اصحابه يشكون فيه ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم اي لا تصدقوا
واللام زايدة ومعنى تبع وافق ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل
دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان
رجوعهم ارجى واهم قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله يهدي من يشا

الا الايمان ويبثبته عليه ان يوتى احد مثل ما اوتيتم متعلق
بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم لان يوتى احد والمعنى ان الحسد حملكم
على ذلك او بلا تومنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان يوتى احد مثل
ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم
ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله ان الهدى هدى الله
اعتراض يدل عليه ان كيدهم لا يجدى بطايل او خبر اى على ان
هدى الله بدل عن الهدى وقراة ءان يوتى على الاستفهام يويد
الوجه الاول او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يوتى على الوجهين
الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم
والواو ضمير احد لانه فى معنى الجمع وعن الحسن ومجاهد ان المعنى ولا تومنوا
الا لمن تبع دينكم ولا تومنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانهم لا حجة لهم
فانكم اصح منهم دينا ومعنى مثل ما اوتيتم يعنى من التوراة والمن
والسلوى وفلق البحر وغيرها من الايات فيكون ان يوتى متاخرا
بعد او يحاجوكم وقال الاخفش المعنى ولا تومنوا الا لمن تبع
دينكم ولا تومنوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم ولا تصدقوا ان يحاجوكم
وقال ابن جريج المعنى ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم كراهية ان
يوتى احد مثل ما اوتيتم وقال الفرا يجوز ان يكون قد انقطع كلام
اليهود عند قوله الا لمن تبع دينكم وقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم
قل ان الهدى هدى الله اى ان البيان الحق بيان الله ان يوتى احد
مثل ما اوتيتم بين ان لا يوتى احد مثل ما اوتيتم ولا مقدرة بعد
ان اى لان لا يوتى كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اى لئلا تضلوا

فلذلك

فلذلك صلحت دخول احد فى الكلام ويحتمل ان تكون الاية كلها
خطابا من الله تعالى للمومنين على جهة التثبت لقلوبهم والتشحيذ
لبصايرهم لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم فى دينهم
والمعنى لا تصدقوا يا معشر المومنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان
يوتى احد مثل ما اوتيتم من الفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم فى دينكم
عند ربكم من خالفكم ويقدرون على ذلك فان الهدى هدى الله
وقال الضحاك ان اليهود ان الهدى هدى الله وقال الضحاك ان اليهود
قالوا انا نحاج من خالفنا فى ديننا فبين الله تعالى انهم هم المدحضون
المعذبون وان المومنين هم الغالبون وقيل غير ذلك قل ان الفضل
بيد الله يوتيه من يشا والله واسع عليم كثير الفضل عليم بمن هو اهله
يختص برحمته اى بنبوته وهدايته عن الحسن وغيره ابن جريج بالاسلام
والقران من يشا والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموا بالحجة
الواضحة قال بعض اهل الاشارات فى هذه الاية لا تعاشروا الا
من يوافقكم على احوالكم وطريقكم فان من لا يوافقكم لا يرافقكم ومن
اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار مال كثير والبا بمعنى على يدل ليل
هل امنكم عليه يوده اليك كعبد الله بن سلام ودعه رجل من قريش
الفا ومايتى اوقية من ذهب فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار
لا يوده اليك لخيانته كفنحاص بن عازورا وقيل كعب بن الاشرف
استودعه رجل دينارا فخانه وخص اهل الكتاب بالذكر وان كان
غيرهم كذلك لكون الخيانة فيهم اكثر فخرج الكلام على الغالب
والدينار اربعة وعشرون قيراطا والقيراط ثلاث حبات من وسط

الشعير الا ما دمت عليه قايما الا مدة دوامك قايما على راسه
مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة فان انظرته
انكرك ذلك اشارة الى تركه الادا المدلول عليه بقوله لا يوده بانهم
قالوا اي بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا
في شان من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا وقيل العرب عتاب
وذم ويقولون على الله الكذب بادعايهم ذلك وهم يعلمون انهم
كاذبون وذلك انهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التوراة
حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا
سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم فرد الله عليهم
فقال بلى اي بلى عليهم سبيل العذاب بكذبهم واستحلالهم اموال
العرب وقال الزجاج تم الكلام ثم قال من اوفى بعهده واتقى الشرك
او اتقى الله ولم يكذب ولم يستحل ما حرم الله فان الله يحب يثيب
المتقين اي اوليك والها في بعهده راجعة الى الله وقد جرى ذكره في
قوله ويقولون على الله الكذب ويجوز ان يعود على الموفي والعهد
مصدر مضاف الى الفاعل او المفعول وقام عموم المتقين مقام رجوع
الضمير من الجزا الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفا
وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون
اي يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول
والوفا بالامانات وايمانهم اي وبما حلفوا به من قولهم والله لنومنن
بمحمد ولننصرنه ثمنا قليلا من متاع الدنيا اوليك لا خلاق
نصيب لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشي اصلا او ان

الملايكة

الملايكة بسالونهم يوم القيمة والظاهر انه كناية عن غضبه
عليهم لقوله ولا ينظر اليهم برحمهم يوم القيمة فان من سخط على
غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات اليه كما ان
من اعتد بغيره يكلمه ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم اي ولا يثني عليهم
او لا يطهرهم ولهم عذاب اليم اي مولم على ما فعلوه ونزلت في احبار
حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات
وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في
السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وروى الايمة عن الاشعث
ابن قيس قال كان بيني وبين رجل من اليهود ارض فجحدني فقدمته الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي صلى الله عليه وسلم هل لك بينة
فقلت لا فقال لليهودي احلف قلت اذن يحلف ويذهب مالي
فانزل الله ان الذين يشترون الاية وان منهم لفريقا طايفة يعني
المحرفين من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف ومالك وحيي يلوون
السنتهم بالكتاب يميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه
الكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف
المدلول عليه بقوله يلوون قال الراغب الكتاب الاول ما كتبوه بايديهم
المذكور في قوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم والكتاب
الثاني التوراة والثالث لجنس كتب الله كلها اي ما هو من شي من كتب الله
وكلامه ويقولون هو من عند الله تاكيد لقولهم من الكتاب وزيادة
تشنيع عليهم ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما
يصرحون بانه في التوراة هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك

لفرط جراتهم على الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه
ما كان لبشر ان يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول
للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى
من اهل نجران لما قالوا ان عيسى امرنا ان نتخذه ربا وقيل ان ابا رافع
القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا
قال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بعبادة بغير عبادة الله
فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله
نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال
لا ينبغي ان نسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق
لاهله ومعنى ما كان ما ينبغي والبشر يقع على الواحد والجمع
والمراد هنا عيسى في قول الضحاك والسدي او محمد صلى الله عليه
وسلم والحكم العلم والفهم للشريعة والنبوة هي البعثة للاخبار
من الله تعالى لارشاد العباد واهتدائهم طريق السداد وهي عطاء
الهي لا مدخل للكسب فيه ولكن كونوا ربانيين اي ولكن يقول كونوا
ربانيين واحدهم رباني منسوب الى الرب بزيادة الف ونون تفخيما
والرباني هو الذي يعلم الناس بصغار العلم قبل كباره كانه يقتدي
بالرب سبحانه في تيسير الامور وقيل هو العالم بدين الرب الذي
يعمل بعلمه وعن ابن مسعود كونوا ربانيين حكماء علماء وقيل حكماء
اتقياء ابن زيد هم الولاة والاحبار العلماء وقيل فوق الاحبار بما
كنتم تعلمون الكتاب قرئ بالتخفيف من العلم وبالتشديد من التعليم

والمفعول

والمفعول الاول محذوف اي تعلمون الناس وبما كنتم تدرسون اي
بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين فان فائدة
التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل ولا يامركم
ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا كما اتخذت الصابية الملايكة
واليهود عزيرا والنصارى عيسى قرئ بنصب يامركم عطفا على ثم يقول
اي البشر وتكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر
ان يوتيه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملايكة
والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته
ولا يامر باتخاذ اكفايه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة وقرئ
بالرفع على الاستيناف اي الله ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه
للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون لا ينبغي له هذا وفيه دليل
على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اي واذكر
حين اخذ الله ميثاق النبيين عهدهم لما اتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاكم رسول مصدق لما معكم من الكتاب والحكمة لتومنن به
ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا الحكم للانبيا كان
الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين
وامهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى
النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه
الانبيا على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف
وهم بنو اسرايل وسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى
بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما

موطية للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية
ولتومنن سادة مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرئ لما
بالكسر على ان ما المصدرية اى لاجل ايتاى اياكم بعض الكتاب ثم مجى رسول
مصدق اخذ الميثاق لتومنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي
اتيتكموه وجاكم رسول مصدق له وقال سعيد بن جبير والحسن اخذ الله
ميثاق الانبيا ان يصدق بعضهم بعضا ويامر بالايمان بعضهم بعضا
فذلك معنى النصرة وقال طاوس اخذ ميثاق الاول من الانبيا ان يومن
بما جا به الاخر والرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم في قول علي
وابن عباس قال ءاقررتم واخذتم اى قبلتم على ذلكم اصري اى عهدي
سمي به لانه يوصر اى يشد قالوا اقررنا قال فاشهدوا اى فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملايكة فتكون كناية
عن غير مذكور وانا معكم من الشاهدين اى وانا ايضا على اقراركم
وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى اعرض
بعد ذلك اى بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاوليك
هم الفاسقون اى الخارجون عن الايمان افغير دين الله يبغون
عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او
محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المعمول
لانه المقصود بالانكار وقرئ الفعل بلفظ الغيبة وبالتا على الخطاب
وله اسلم انقاد من في السموات والارض طوعا وكرها اى طايعين
بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجى الى الاسلام
كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملايكة

والمومن

والمومنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي
عليهم واليه ترجعون وقرئ بالياء والتاء قل امنا بالله وما انزل
علينا الاية امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن
متبعه بالايمان والقران كما هو منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا
المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريق
الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى
بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على ساير الرسل
لانه المعرف له لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له
مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا
اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الاخرة من
الخاسرين اى الواقعين في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر
الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام ولو كان غيره
لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره
ولعل الدين ايضا للاعمال وغير مفعول يبتغ ودينا منصوب على
التمييز ويجوز ان ينتصب دينا بيبتغ وغير على الحال قال مجاهد
نزلت في الحارث بن سويد وكان من الانصار ارتد هو واثنا عشر معه
ولحقوا بمكة ثم كتب الى اخيه الجلاس بن سويد يطلب التوبة واسلم
بعد نزول الايات كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان
الحايد عن الحق بعدما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد فان
قيل ظاهر الاية ان من كفر بعد اسلامه لا يهديه الله وقد راينا كثيرا

من المرتدين قد اسلموا وهداهم الله والجواب ان معناه لا يهديهم الله
ما داموا مقيمين على كفرهم وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى
الفعل او حال باضمار قد او المعنى وشهادتهم وفيه دليل على ان
الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع
الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اوليك جزاوهم
ان عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين اي اذا داموا
على كفرهم ودل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه على نفي جواز لعن
غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى
مايوسون من الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المومنون او
العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين
فيها اي في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام
عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ولا
يوجلون ثم استثنى فقال الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد
الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى
ودخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم يقبل توبتهم ويتفضل م
عليهم وهو الحارث بن سويد كما تقدم ويدخل فيه كل من رجع الى الاسلا
واخلص ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود
كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران او كفروا بمحمد صلى الله عليه
وسلم بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعنا

والطعن

والطعن فيه والصد عن الايمان او كفروا بموسى والتوراة ثم ازدادوا
كفرا بمحمد والقران او كفروا ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم
نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهار الايمان
لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشفوا على الهلاك
فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا
لارتدادهم وزيادة كفرهم واوليك هم الضالون اي الثابتون
على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم
ملؤ الارض ذهبا تغليظا في شانهم وابراز حالهم في صورة الايسين
من الرحمة ولما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية
دخلت الفا في خبر ان للاشعار به او لشبه الذي بالشرط وملؤ الشيء
ما يملاه وذهبا نصب على التمييز ولو افتدى به محمول على المعنى كانه
قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف
على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملؤ الارض ذهبا لو تقرب به
في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله
كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شي واحد وقيل الواو
مقحمة والمعنى فلن يقبل من احدهم ملؤ الارض ذهبا لو افتدى به
وفي البخاري يجاء بالكافر يوم القيمة فيقال له ارايت لو كان لك
ملؤ الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد كنت
سئلت ما هو ايسر من ذلك اوليك لهم عذاب اليم مولم وفيه
مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفدا ربما يعفى عنه

تكونوا وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق
لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا
بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة وقيل المعنى لن تكونوا ابرارا
حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه
في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله وقيل
لن تنالوا شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وانتم اصحاء اشحاء
تاملون العيش وتخشون الفقر وقال ابو بكر الوراق دلهم بهذه
الاية على الفتوة اي لن تنالوا بري بكم الا ببركم باخوانكم وكان السلف
رضي الله عنهم اذا احبوا شيا جعلوه لله روي انها لما نزلت جا ابو
طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا فضعها حيث اراد
الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء
زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل الله فحمل عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة فقال زيد انما اردت ان
اتصدق به فقال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى قبلها منك
وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان
الاية تعم الانفاق الواجب والمستحب وما تنفقوا من شيء اي من شيء
محبوبا وغيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازي بحسبه
كل الطعام اي المطعومات والمراد كلها كان حلا لبني اسرائيل اي
حلالا لهم وهو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث
قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه هو يعقوب
عليه السلام حرم لحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا
فنذر

فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل
فعل ذلك للتداوي باشارة الاطبا واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد
وللمانع ان يقول ذلك باذن الله والاصح الاول لان الله تعالى اضاف
التحريم اليه من قبل ان تنزل التوراة اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم
ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود
في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات ~~الايتان~~ كل ذي ظفر الايتان بان قالوا لسنا اول من حرمت
عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر
الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في
امر الرسول موافقة ابرهيم بتحليله لحوم الابل والبانها ولم يكن على
عهد ابرهيم حراما زعموا قل لهم فاتوا بالتوراة ليتبين صدق
قولكم فاتلوها ان كنتم صادقين فيه امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم
بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه
عليه الصلاة والسلام لما قال لهم بهتوا ولم يجيروا ولم يخرجوا
التوراة وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب اي ابتدعه
على الله بزعمه من بعد ذلك اي من بعد ما لزمتهم الحجة بان التحريم انما
كان من جهة يعقوب لا على عهد ابرهيم فاولئك هم الظالمون
الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله
ان ذلك لم يكن لهم في التوراة وفيه تعريض بكذبهم والمعنى ثبت ان الله
صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما

كان من المشركين اى ملة ابرهيم التى هى فى الاصل ملة ابرهيم او المعنى
مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة
والزمتكم تحريم طيبات احلها لابرهيم ومن تبعه ونزل لما قالوا
قبلتنا قبل قبلتكم ان اول بيت وضع للناس اى وضع للعبادة
وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى للذى ببكة اى للبيت
الذى ببكة وهى لغة فى مكة وهو موضع المسجد ومكة البلد من بكه
اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة واما مكة
فقيل سميت بذلك لقلة ماءها وقيل لانها تمك المخ من العظم لما
ينال قاصدها من المشقة وقيل لانها تمك من ظلم فيها اى تهلكه
وقيل غير ذلك وروى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن اول
بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما
فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم فهدم فبناه قوم من جرهم
ثم العمالقة ثم قريش وقيل بيت بناه ادم وقيل الملائكة قبل ادم
فانطمس فى الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل غير ذلك وتقدم فى البقرة
مباركا اى كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره وهو حال من الضمير فى
وضع او من المستكن فى الظرف اى استقر ببكة مباركا وهدى للعالمين
لانه قبلتهم ومتعبدهم ولانه فيه ايات عجيبة فيه ايات بينات
كانحراف الطير عن موازاة البيت اذا كان صحيحا على مدى الاعصار
وان ضوارى السباع تخالط الصيود فى الحرم ولا تتعرض لها وان
كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل ومن الايات ان الغيث
اذا كان ناحية الركن اليمانى الخصب باليمن واذا كان ناحية الشامى
كان

كان الخصب بالشام واذا عم البيت كان الخصب فى جميع البلدان
ومنها ان الجمار ما يزاد عليها ترى على قدر واحد مقام ابرهيم
مبتدا محذوف خبره اى منها مقام ابرهيم او بدل من ايات بدل البعض
من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم فى الصخرة
الصما وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الاية من بين
الصخار وابقاؤها دون ساير اثار الانبيا وحفظه مع كثرة اعدايه
وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر
ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه وفسر مجاهد مقام ابرهيم
بالحرم كله فذهب الى ان من اياته الصفا والمروة والركن والمقام
وغير ذلك من المشاعر العظام ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية
او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام ابرهيم لانه فى معنى امن
من دخله اى ومنها امن من دخله والامن من العذاب يوم القيمة
قال عليه الصلاة والسلام من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيامة
آمنا وعند ابى حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم
يتعرض له ولكن الجى الى الخروج القرطبى انما يكون آمنا من النار من
دخله لقضاء النسك معظما له عارفا بحقه متقربا الى الله تعالى
ولله على الناس حج البيت اى قصده للزيارة على الوجه المخصوص
من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة
وهو يويد قول الشافعى انها بالمال ولذلك وجبت الاستنابة
على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن

فيجب على من قدر بالمشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انهما
مجموع الامرين ولا يجب الحج في العمر الا مرة والضمير في اليه للبيت او
للحج **ومن كفر** وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على
تاركه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت
ان شا يهوديا او نصرانيا وتسمية ترك الحج كفرا لانه من فعل الكفرة
وقال ابن عباس وغيره ومن كفر بفرض الحج ولم يره واجبا **فان الله غني
عن العالمين** الانس والجن والملائكة وعن عبادتهم **قل يا اهل الكتاب
لم تكفرون بايات الله** اي باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق
محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص
اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم
يومنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما **والله شهيد على ما تعملون**
والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف
والاستسرار **يا اهل الكتاب لم تصدون** تصرفون **عن سبيل الله من
آمن** بتكذيبكم النبي وكتم نعته وكرر الخطاب والاستفهام مبالغة في
التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في
نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور
بسلوكه وهو الاسلام وقيل كانوا يفتنون المومنين ويحرشون
بينهم **تبغونها عوجا** حال من الواو اي باغين اي طالبين لها اعوجاجا
بان يلبسوا على الناس ويوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ
وتغيير صفة النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهما او بان يحرشوا
بين المومنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم والعوج بكسر العين الميل

في الدين

في الدين والقول والعمل وبالفتح في الجدار والحايط **وانتم شهداء**
عالمون انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او وانتم عدول
عند اهل ملتكم يستشهدونكم في القضايا وقيل المعنى وانتم عقلاء
وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية
الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان
في هذه الاية صدهم المومنين عن الاسلام وهم يخفونه ويحتالون
فيه قال وما الله بغافل عما يعملون **يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين** نزلت
في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن
قيس اليهودي فغاظه تالفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان
يجلس اليهم ويذكر يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر
في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا
وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه
اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية
والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا
السلاح واستغفروا الله وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر رسوله
صلى الله عليه وسلم بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا للجلالة فدرهم
واشعارا بانهم احقا بان يخاطبهم الله ويكلمهم قال جابر بن عبد الله
ما كان طالع اكره الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاومأ الينا

بيده فكففنا واصلح الله ما بيننا فما كان شخص احب الينا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فما رايت يوما اقبح اولا ولا احسن اخرا من ذلك
اليوم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله
انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان
الصارفة عن الكفر والمعنى كيف يتطرق اليكم الكفر والحال ان ايات الله وهي
القران تتلى عليكم على لسان الرسول وبين اظهركم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعظكم ويزيح شبهكم ويدخل في هذه الاية من لم ير النبي
صلى الله عليه وسلم لان ما فيهم من سنته يقوم مقام رويته ومن
يعتصم بالله اي ومن يستمسك بدينه او يلتجي اليه في مجامع اموره
فقد هدي الى صراط مستقيم اي فقد اهتدي لا محالة يايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته اي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع
في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم وفي البخاري عن قرة بن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق تقاته ان يطاع فلا
يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر ابن عباس هو ان
لا يعصى طرفة عين وقيل هو ان لا ياخذه في الله لومة لايم ويقوم
بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة
عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وقيل انه لما نزلت هذه
الاية قالوا يا رسول الله من يقوى على هذا وشق عليهم فانزل الله عز
وجل فاتقوا الله ما استطعتم فهي ناسخة لها وقيل بيان لقوله
حق تقاته وحمل الشيخ ابو الحسن هذه الاية على التوحيد بدليل
قوله بعدها ولا تموتن الا وانتم مسلمون والاية الثانية على الاعمال

ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام
اذا ادركم الموت واعتصموا بحبل الله جميعا اي بدين الاسلام او
بكتاب الله لقوله عليه الصلاة والسلام القران حبل الله المتين
استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة من الردى كما
ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردي ولا تفرقوا اي ولا تتفرقوا
عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب في اديانهم ويجوز ان
يكون المعنى ولا تتفرقوا متنابعين الهوى والاغراض المختلفة وكونوا في دين الله
اخوانا فيكون ذلك منعا لكم عن التقاطع والتدابر ويدل عليه ما بعده
وليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في الفروع فان ذلك ليس اختلافا
اذ الاختلاف ما يتعذر معه الايتلاف والجمع واما حكم مسايل
الاجتهاد فان الاختلاف فيها سبب لاستخراج الفرايض ودقايق معاني
الشرع قال عليه الصلاة والسلام اختلاف امتي رحمة وانما
نهى الله عن اختلاف هو سبب الفساد وفي الحديث تفرقت اليهود على
احدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنين وسبعين وتفترق امتي على
ثلاث وسبعين فرقة وفي حديث اخر ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار
٥ الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي
واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام
المودي الى التالف وزوال الغل والمراد الاوس والخزرج وكانا اخوين
لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب ماية وعشرين
سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى
عليه وسلم والاية نعم اذ كنتم اعدا في الجاهلية فالف بين قلوبكم

بالاسلام فاصبحتم صرتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الآخرة
في الله وكنتم على شفا حفرة من النار اي مشفين على الوقوع في نار
جهنم بكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم
منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا وتانيثه لتانيث
ما اضيف اليه كقوله • كما شرقت صدر القناة من الدم •
او لانه بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها وطرفها كالجانب
والجانبة كذلك اي مثل ذلك التبيين يبين الله لكم اياته اي دلايله
لعلكم تهتدون اي لكي تثبتوا على الهدى او تزدادوا فيه ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات
ولانه لا يصلح له كل احد اذ المتصدي له شروط لا تشترك فيها جميع
الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها
والتمكن من القيام بها وخاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على
انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل
بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة
يامرون والدعا الى الخير يعم ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان
بفضله واوليك هم المفلحون اي المخصوصون بكمال الفلاح وفي الخبر
خير الناس آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم
والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يومر به والنهي
عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام ولا تكونوا كالذين

تفرقوا عن بينهم واختلفوا فيه كاليهود والنصارى من بعد ما جاءهم
البينات الايات والحجج للحق الموجبة للاتفاق عليه واوليك لهم
عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده
كناية عن ظهور بهجة السرور وكابة الخوف فيه وقيل يوسم
اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور
بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم
والهمزة للتوبيخ وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار
كفروا بعد ما اقروا حين اشهدهم على انفسهم يوم اخذ الميثاق
فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزا
كفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني نعيم الجنة
والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المومن وان استغرق
عمره في طاعة الله لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله هم فيها خالدون
اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد تلك ايات الله الواردة في وعده
ووعيده نتلوها عليك بالحق اي متلبسة بالحق لا شبهة فيها وما
الله يريد ظلما للعالمين اي يستحيل الظلم منه لانه لا يجب عليه شي
فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شي فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق
كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع تصير
الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم يا امة محمد خير امة

اخرجت ظهرت للناس دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع
طرا وقيل المعنى كنتم في علم الله او في اللوح المحفوظ او فيما بين الامم
المتقدمين تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين
به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وعن ابي هريرة كنتم خير امة اخرجت
للناس قال تجرون الناس في السلاسل الى الاسلام قال النحاس
والتقدير على هذا كنتم للناس خير امة وتومنون بالله يتضمن الايمان
بكل ما يجب ان يومن به ولو امن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا
لهم اي لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المومنون كعبد الله
ابن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن
يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وقيل كذبهم وتحريفهم
وطعنهم لا انه يكون لغلبة مقاتلة ان روس اليهود كعب وابو رافع
وابو ياسر وابن صوريا عمدوا الى مومنيهم عبد الله بن سلام واصحابه
فاذوهم باللسان لاسلامهم وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اي
ينهزموا ولا يضروكم بقتل ولا اسر ثم لا ينصرون اي ثم لا يكون احد
ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول
وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدايرة عليهم وجملة
لا ينصرون مستانف فلذلك ثبتت النون ضربت عليهم الذلة
اي هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل او الجزية
اينما ثقفوا اي حيث وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس
استثناء من اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا
معتصمين او متلبسين بذمة الله او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين
او

او بدينه الاسلام واتباع سبيل المومنين وباءوا بغضب من الله
اي رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم
احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر مساكين
ذلك اشارة الى ما ذكر من الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم
كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا بغير حق اي بسبب
كفرهم وقتلهم الانبيا ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا
يعتدون اي بسبب عصيانهم واعتدايهم حدود الله فان الاصرار
على الصغاير يفضي الى الكباير والاستمرار عليها يودي الى الكفر ليسوا
سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قايمة
استيناف لبيان نفي الاستوا والقايمة المستقيمة العادلة من اقمت
العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله اناء الليل في
ساعة وهم يسجدون يصلون اي يتلون القران في تهجدهم عبر عنهم
بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح
وقيل المراد صلاة العشا لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى
انه عليه الصلاة والسلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون
الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان من يذكر الله هذه الساعة
غيركم وقيل المعنى ليس اهل الكتاب وامة محمد سوا قاله ابن مسعود
وعن ابن عباس لما اسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن شعبة واسيد
ابن عبيد ومن اسلم من يهود فامنوا وصدقوا ورغبوا في الاسلام فقال
احبار يهود واهل الكفر منهم ما امن بمحمد ولا اتبعه الا اشرارنا ولو
كانوا من خيارنا ما تركوا دين ابايهم وذهبوا الى غيره فانزل الله تعالى

ليسوا سوآء الاية الاخفش التقدير من اهل الكتاب ذو امة اى ذو
طريقة حسنة وقيل فى الكلام حذف اى من اهل الكتاب امة قايمة
واخرى غير قايمة يومنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات صفات اخر لامة وصفهم
بخصايص ما كانت فى اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل
ومعنى يسارعون فى الخيرات مبادرين غير متثاقلين لمعرفتهم بقدر
ثوابها وقيل مبادرون بالعمل قبل الفوات والمسارعة فى الخير فرط
الرغبة فيه لان من رغب فى الامر سارع فى توليه والقيام به واثر
الفور على التراخى واوليك من الصالحين اى مع الصالحين وهم اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم فى الجنة ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا
من الصالحين وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين
قرئ بالياء فيهما اخبارا عن الامة القايمة من اهل الكتاب وقرى بالتا
فيهما على الخطاب لقوله كنتم خير امة او على تقدير قلنا ومعنى
الاية وما تفعلوا من خير فلن تجحدوا ثوابه بل يشكر لكم وتجازون عليه
ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا
الاية مقاتل لما ذكر مومنى اهل الكتاب ذكر كفارهم اى لن تدفع عنهم
كثرة اموالهم ولا كثرة اولادهم من عذاب الله شيا وقيل من الله بمعنى
عند الله واوليك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون
با قون وخص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان تارة يدفع عن نفسه
بماله وتارة يستعين باولاده مثل ما ينفقون فى هذه الحياة
الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته

الاية

الاية تصلح ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذى والعايد محذوف
اى مثل ما ينفقونه شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم فى المكارم والمفاخر
وكسب الثنا وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع
الذى حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله
مع كفرهم والصر قال ابن عباس هو البرد الشديد قال نابغة
لا يبرمون اذا ما الارض جللها ٭ صر الشتا من الامحال كالادم
وقيل اصله من الصرير الذى هو الصوت فهو صوت الريح الشديدة
الزجاج هو صوت لهب النار التى كانت فى تلك الريح والمعنى مثل نفقة
الكافرين فى بطلانها وذهابها وعدم منفعتها كمثل زرع اصابه ريح
باردة او نار فاحرقته واهلكته فلم ينتفع اصحابه بشى اذ كانوا يرجون
عايدته ونفعه وما ظلمهم الله بذلك ولكن انفسهم يظلمون بالكفر
والمعصية ومنع حق الله وقيل ظلموا انفسهم بان زرعوا فى غير وقت
الزراعة او فى غير موضعها فادبهم الله لوضعهم الشى فى غير موضعه
يايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة البطانة مصدر يسمى به الواحد
والجمع وبطانة الرجل خاصته الذين يستبطنون امره شبه ببطانة
الثوب نهى الله سبحانه المومنين ان يتخذوا من الكفار واهل الاهواء
دخلاء يفاوضونهم فى الاراء ويسندون اليهم امورهم ويقال
كل من كان على خلاف مذهبك ودينك فلا تحادثه وفى الحديث
المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل من دونكم اى من سواكم من اليهود
والنصارى والمنافقين وقيل فى السنن وحسن المذهب لا يالونكم خبالا
اى لا يقصرون بما فيه الفساد عليكم او لا يتركون الجهد فى فسادكم

يعني انهم وان لم يقاتلوكم في الظاهر لا يتركون الجهد في المكر والخديعة
وعن عمر رضي الله عنه قال لا تستعملوا اهل الكتاب فانهم يستحلون
الرشا واستعينوا على اموركم وعلى رعيتكم بالذين يخشون الله
والخبال والخبل الفساد وقد يكون ذلك في الافعال والابدان
والعقول وانتصب خبالا بالمفعول الثاني لان الالو يتعدى الى مفعولين
وان شئت على المصدر اي يخبلونكم خبالا وان شئت بنزع الخافض
اي بالخبال **ودوا ما عنتم** اي ما يشق عليكم والعنت المشقة والضرر
واصله كسر العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم
اشد الضرر وابلغه **قد بدت البغضاء من افواههم** يعني ظهرت العداوة
والتكذيب لكم والوقيعة فيكم من افواههم والبغضاء البغض وهو ضد
الحب وخص الافواه بالذكر دون الالسنة اشارة الى تشدقهم وترثرتهم
في اقوالهم فهم فوق المتستر الذي يبدو البغضاء في غيبته **وما تخفي
صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون** اخبار واعلام
بانهم يبطنون من البغضاء اكثر ما يظهرون بافواههم **ها انتم اولاء**
ها للتنبيه وانتم مبتدا واولاء خبره **تحبونهم ولا يحبونكم** يعني
المنافقين بدليل واذا لقوكم قالوا امنا والمحبة هنا بمعنى المصافاه
اي انتم ايها المسلمون تصافونهم ولا يصافونكم لنفاقهم وقيل المعنى
تريدون لهم الاسلام ويريدون لكم الكفر وقيل هم اليهود قاله
الاكثر وقيل تميلون اليهم بالطبع وذلك لما كان بينهم من الحلف
والقرابه ولا يحبونكم لمخالفتهم لكم في الدين **وتومنون بالكتاب كله**
الكتاب اسم جنس ابن عباس يعني بالكتب كلها واليهود يومنون

بالبعض

بالبعض **واذا لقوكم قالوا امنا** اي بمحمد صلى الله عليه وسلم **واذا خلوا**
فيما بينهم **عضوا عليكم الانامل** يعني اطراف الاصابع **من الغيظ** والحسد
عليكم فيقول بعضهم لبعض الا ترون الى هولاء ظهروا وكثروا والعض
عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على انفاذه او نزول ما لا يقدر
على تغييره **قل موتوا بغيظكم** ان قيل كيف لم يموتوا والله تعالى
اذا قال للشي كن فيكون فعنه جوابان احدهما هو دعا عليهم اي قل يا محمد
ادام الله غيظكم الى ان تموتوا والثاني ان المعنى اخبرهم انهم لا يدركون
ما يريدون فان الموت دون ذلك والمراد بزيادة الغيظ ما يغيظهم
من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذلة والخزي **ان الله
عليم بذات الصدور** اي فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق
والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض **ان تمسسكم
حسنة** نعمة **تسوءهم** كنصر وغنيمة **وان تصبكم سيئة** كجدب
وهزيمة **يفرحوا بها** واللفظ عام فيما يحسن ويسوء وما ذكره المفسرون
من الخصب والرخا والنصر والغنيمة واجتماع المومنين ونحو ذلك
والسيئة ما كان ضد ذلك امثلة وليس باختلاف وهذا بيان لفرط
معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما
اصابهم من الشدة ووصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة لان
المس مستعار بمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا كما قال الله تعالى ان تصبك
حسنة الاية ما اصابك من حسنة الاية اذا مسه الشر جزوعا واذا
مسه الخير منوعا **وان تصبروا** اي على اذاهم وعلى الطاعات وموالات
المومنين **وتتقوا** الله في موالاتهم وغيرها **لا يضركم كيدهم شيا** قرئ

يضركم من ضاره يضيره ومنه قوله لا ضير وحذفت اليا لالتقا الساكنين
وقرئ بالتشديد من ضره يضره قتادة شرط تعالى نفي ضررهم بالصبر
والتقوى فكان ذلك تسلية للمومنين وتقوية لنفوسهم قال
بعض الحكما اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك
ان الله بما يعملون محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله واذ
غدوت العامل في اذ مضمر تقديره واذكر اذ غدوت اي خرجت
بالصباح من اهلك من منزلك من عند عايشة تبوئ المومنين مقاعد
للقتال التبوء الاتخاذ يقال بوانه منزلا اذا اسكنته اياه
فمعنى تبوء المومنين تتخذ لهم مصاف والاية نزلت في غزوة احد في
قول الجمهور وقال مجاهد والحسن في غزوة الخندق وعن الحسن
ايضا في يوم بدر وذلك ان المشركين قصدوا المدينة في ثلاثة
الاف رجل ليا خذوا ثارهم في يوم بدر فنزلوا عند احد على شفير
الوادي مقابل المدينة يوم الاربعا ثاني عشر شوال سنة ثلاث من
الهجرة واقاموا يوم الخميس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه ان في سيفه ثلمة وان
بقرا له تذبح وانه ادخل يده في درع حصينة فتاولها ان ناسا من اصحابه
يقتلون وان رجلا من اهل بيته يصاب والدرع الحصينة المدينة
اخرجه مسلم فكان ذلك على ما هو معروف مشهور من تلك الغزاة
والذي اصيب حمزة بن عبد المطلب والله سميع لاقوالكم عليم باحوالكم
اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا العامل في اذ تبوء او والله سميع
عليم والطايفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس

والفشل

والفشل الجبن والهم من الطايفتين كان بعد الخروج لما رجع عبد الله
ابن ابي بمن معه من المنافقين فحفظ الله قلوبهم ولم يرجعوا فذلك
قوله تعالى والله وليهما يعني حافظ قلوبهما عن تحقيق هذا الهم وقيل
ذلك حديث نفوسهم خطر ببالهم فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك
فازدادوا بصيرة وعصمهم الله ونهضوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم حتى اطل على المشركين وكان خروجه من المدينة في الف فرجع عنه
عبد الله بن ابي بثلثماية رجل مغاضبا اذ خولف رايه حين اشار بالقعود
والقتال من المدينة ان نهض اليهم العدو وابى ذلك اكثر الانصار
ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين فاستشهد منهم من
اكرمه الله بالشهادة قال مالك قتل من المهاجرين يوم احد اربعة
ومن الانصار سبعون وكان مع المشركين ماية فرس عليها خالد بن
الوليد ولم يكن مع المسلمين يوميذ فرس وفيها جرح النبي صلى الله
عليه وسلم وجزاه الله عن امته ودينه بافضل ما جزا نبيا من انبيايه
عن صبره وكان الذي تولى ذلك عمرو بن قمية الليثي وعتبة بن
ابي وقاص وكان النبل ياتي من كل جانب ورسول الله صلى الله عليه
وسلم وسطها كل يصرف عنه واكبت الحجارة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى سقط في حفرة كان ابو عامر الراهب قد حفرها
مكيدة للمسلمين فخر عليه الصلاة والسلام على جنبه واحتضنه
طلحة حتى قام ومص مالك بن سنان من جرح رسول الله صلى الله عليه
وسلم الدم ونشبت حلقتان من درع المغفر في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانتزعهما ابو عبيدة بن الجراح وعض عليهما

بثنيته فسقطتا وفي هذه الغزاة قتل حمزة رضي الله عنه
قتله وحشي وكان مملوكا لجبير بن مطعم وكان حمزة حمل على قوم
من المشركين فلما رجع من حملته ومر بوحشي زرقه بالمزراق فاصابه
فسقط ميتا رضي الله عنه وعلى الله فليتوكل المومنون التوكل
في اللغة اظهار العجز والاعتماد على غيرك واما حقيقته فقال قوم
هو الرضى بالضمان وقطع الطمع من المخلوقين وقال الفقها هو
الثقة بالله والايقان بان قضاه ماض واتباع سنة نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم في السعي فيما لا بد منه من الاسباب من مطعم
ومشرب وتحرز من عدو واعداد الاسلحة واستعمال ما تقتضيه
سنة الله المعتادة والى هذا ذهب محققوا الصوفية لكنه لا يستحق
اسم التوكل عندهم مع الطمانينة الى تلك الاسباب والالتفات
اليها بالقلوب فانها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا بل السبب له
والمسبب فعل الله ولقد نصركم الله ببدر البا للظرفية المكانية
وهي قرية قريبة من المدينة وكانت غزوة بدر يوم سبعة عشر من
رمضان يوم الجمعة لثمانية عشر شهرا من الهجرة وبدر ما هنالك
وسمي به الموضع وقال الشعبي كان ذلك الما لرجل من جهينة يسمى
بدرا فسمي به والاول اكثر الواقدي وغيره بدر اسم الموضع غير منقول
وانتم اذلة اي قليلون واذلة جمع قلة وجا كذلك ليدل على انهم
على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة
السلاح والمال والمركوب وما كان معهم الا فرس واحد وكانوا ثلثمائة
وثلاثة عشر او اربعة عشر رجلا وكان عدوهم ما بين التسعماية الى

الالف مقاتل ومعهم ماية فرس والشكر والشوكة والنصر العون
فنصرهم الله يوم بدر وقتل فيه صناديد المشركين ومن ذلك اليوم
ابتنى الاسلام وكان اول قتال قاتله النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح
مسلم عن بريدة قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة عشر
غزوة قاتل في ثمان منهن وقيل غير ذلك على ما هو مبين عند اهل
السير فاتقوا الله لعلكم تشكرون نعمه اذ تقول ظرف لنصركم
للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم يعينكم امد الله بملائكته نبيه
والمومنين يوم بدر في قول جماعة العلما وعليه يدل ظاهر الاية لا في
يوم احد ومن قال ان ذلك كان يوم احد جعل قوله تعالى ولقد نصركم الله
ببدر الى قوله تشكرون اعتراضا بين الكلامين وهو قول الشعبي وخالفه
الناس الزمخشري فان قلت كيف يصح ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل
فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم
فلم يصبروا عن الغنايم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل الملائكة وفي صحيح مسلم لما كان يوم
بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه
ثلثماية وبضعة عشر فاستقبل نبي الله القبلة ثم مد يديه
وجعل يهتف بربه اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه
العصابة لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط
رداه فاتاه ابو بكر فاخذ رداه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورايه
وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
فانزل الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف

من الملائكة مردفين فامده الله بالملائكة وعن ابن عباس بينما رجل من
المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط
فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه
خر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد خطم انفه وشق وجهه فاخبر
الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد
السما فقتلوا يومئذ سبعين واسروا سبعين وعن سهل بن حنيف قال
لقد راينا يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى راس المشرك فيقع
راسه عن جسده قبل ان يصل اليه ويقال ان علامة ضرب الملائكة
ان تشتعل النار في ذلك الموضع وعن ابن عباس ومجاهد لم يقاتل الملائكة
الا يوم بدر وفي ما سوى ذلك يشهدون ولا يقاتلون ثم ما يكونوا عددا
ومددا وامدهم الله بالف ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف
فذلك قوله اني ممدكم بالف من الملائكة وقوله الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم بثلاثة الاف من الملائكة وقوله يمددكم ربكم بخمسة الاف ونزول
الملائكة سبب من اسباب النصر لا يحتاج اليه الرب وانما يحتاج اليه
المخلوق لكن اخبر بذلك ليمتثل الخلق ما امرهم به من الاسباب التي خلقت
قبل ولا يقدح ذلك في التوكل ومد في الشر وامد في الخير وانما جي
بلن اشعارا بانهم كانوا كالايسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو
وكثرتهم منزلين قرئ مخففا ومشددا بلى يكفيكم ذلك ان تصبروا
شرط وتتقوا عطف عليه والجواب يمددكم ويأتوكم من فورهم هذا
يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة اي من وجههم وقيل من غضبهم
وقيل من حالهم معجلا وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير
للرعة

للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريب فيها ولا تعريج على شي من صاحبها
فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته واصل الفور القصد الى الشي
والاخذ بجد مسومين قرئ بفتح الواو بمعنى معلمين بعلامات وقرئ
بكسر الواو اي قد علموا انفسهم بعلامة واعلموا خيلهم فمن كسر الواو اسند
الفعل اليهم ومن فتحها فلان الله تعالى فعل ذلك بهم وقيل المعنى مرسلين
خيلهم في الغارة واختلف في سيما الملائكة فروي عن علي وابن عباس ان
الملائكة اعتمت بعمايم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم الا جبريل فانه
كان بعمامة صفرا الربيع كانت سيماهم انهم كانوا على خيل بلق مجاهد
كانت خيلهم مجزوزة الاذناب واعراف معلمة الاذناب والنواصي
بالصوف والعهن وما جعله الله الا بشرى لكم الها المدد وهو الملائكة او
الامداد ودل عليه يمددكم او التسويم او الانزال ولتطمين قلوبكم به اي
ولتسكن قلوبكم به جعله من الخوف وما النصر اي نصر المومنين الا من
عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة العزيز
الذي لا يغالب الحكيم في افعاله يوتيه من يشا وليس بكثرة الخيل ليقطع
طرفا من الذين كفروا اي بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر بقتل
سبعين واسر سبعين ونظم الاية ولقد نصركم الله ببدر ليقطع وقيل
المعنى وما النصر الا من عند الله ليقطع ويجوز ان يكون متعلقا بيمددكم
او يكبتهم اي يحزنهم والمكبوت المحزون والكبت شدة غيظ او
وهن يقع في القلب واو للتنويع لا للترديد فينقلبوا خائبين غير
ظافرين والخايب المنقطع الامل خاب اذا لم ينل ما طلب ليس لك من
الامر شيء بل الامر لله فاصبر ثبت في صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم

كسرت رباعيته يوم احد وشج في راسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول
كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله
فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شي وعن الضحاك هم النبي
صلى الله عليه وسلم ان يدعو على المشركين فانزل الله تعالى ليس
لك من الامر شي او يتوب عليهم بالاسلام قيل هو معطوف على ليقطع
طرفا وليس لك من الامر شي اعتراض والمعنى ليقتل طايفة منهم او يخزيهم
بالهزيمة او يتوب عليهم بالاسلام وقيل او بمعنى الى او الا او يعذبهم
فانهم ظالمون قد استحقوا العذاب بظلمهم ولله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشا ويعذب من
يشا صريح في نفي وجوب التعذيب والله غفور رحيم فلا تبادر الى
الدعا عليهم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا هذا النهي عن اكل
الربا اعتراض بين اثنا قصة احد وانما خص الربا من بين ساير
المعاصي لانه الذي اذن الله فيه بالحرب والحرب يوذن فيه
بالقتل فكانه يقول ان لم تتقوا الربا هزمتم وقتلتم فامرهم
بترك الربا لانه كان معمولا به عندهم اضعافا نصب على الحال
مضاعفة نعته ومعناه الربا الذي كانت العرب تضعف الدين
فكان الطالب يقول اتقضي ام تربي ومضاعفة اشارة الى تكرير
التضعيف عاما بعد عام كما يصنعون واتقوا الله في اموال الربا
ولا تاكلوه لعلكم تفلحون تفوزون ثم خوفهم فقال واتقوا النار
التي اعدت للكافرين ان تعذبوا بها قال كثير من المفسرين هذا
الوعيد لمن استحل الربا وقيل المعنى اتقوا العمل الذي ينزع منكم الايمان
فتستوجبون

فتستوجبوا النار لان من الذنوب ما يستوجب به صاحبه نزع
الايمان كعقوق الوالدين وقطيعة الرحم واكل الربا والخيانة في
الامانة وقال ابو بكر الوراق عن ابي حنيفة قال اكثر ما ينزع الايمان
من العبد عند الموت الظلم قال ابو بكر فنظرنا الى الذنوب التي تنزع
الايمان فلم نجد شيئا اسرع نزعا للايمان من ظلم العباد وفي الاية
دليل على ان النار مخلوقة الان لان المعدوم لا يكون معدا واطيعوا
الله في الفرايض والرسول في السنن وقيل اطيعوا الله في تحريم الربا
والرسول فيما بلغكم من التحريم لعلكم ترحمون اي كي يرحمكم وسارعوا
قرئ بالواو عطفا للجملة على جملة وبغير واو لان الجملة الثانية
متلبسة بالاولى مستغنية بذلك عن العطف والمسارعة المبادرة
الى مغفرة من ربكم في الاية حذف اي سارعوا الى ما يوجب المغفرة
وهي الطاعة ابن عباس الى الاسلام انس بن مالك ومكحول الى تكبيرة الاسلام
علي بن ابي طالب الى ادا الفرايض عثمان بن عفان الى الاخلاص الكلبي الى
التوبة وقيل غير هذا والاية عامة في الجميع وجنة عرضها السموات
والارض اي كعرض فحذف المضاف ابن عباس تقرن السموات والارض بعضها
الى بعض كما تبسط الثياب ويوصل بعضها ببعض فذلك عرض الجنة
ولا يعلم طولها الا الله وفي الصحيح ان ادنى اهل الجنة منزلة من يتمنى
ويتمنى حتى اذا انقطعت به الاماني قال الله تعالى لك ذلك وعشرة
امثاله خرجه مسلم ولم يقل طولها لان العرض اخص اذ كل ما له عرض
فله طول ولا ينعكس اعدت اي هيئت وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة
وانها خارجة عن هذا العالم وعن طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود

سالوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنده اصحابه وقالوا ارايتم قولكم
وجنة عرضها السموات والارض فاين النار قال عمر اذا جا الليل اين
يكون النهار فقالوا انه لمثلها في التوراة للمتقين لله بعمل الطاعات
وترك المعاصي الذين ينفقون في طاعة الله في السرا والضرا اليسير
والعسر وقيل الرخا والشدة ويقال في حال الصحة والمرض وقيل
في الحياة وما يوصي به بعد الموت وقيل في الاعراس والولايم وفي النوايب
والماتم فلا يمنع المنفق حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلا من المعروف
واقتنح بذكر الانفاق لانه اشق شي على النفس وفي الحديث السخي قريب
من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار الى اخره والكاظمين
الغيظ كظم الغيظ رده في الجوف يقال كظم غيظه اي سكت عليه ولم يظهره
مع قدرته على ايقاعه بعدوه وفي الحديث من كظم غيظا وهو يقدر
على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا وعن عايشة رضي الله عنها ان
خادما لها غاظتها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفا
والغيظ اصل الغضب وكثيرا ما يتلازمان لكن فرق بينهما بان الغيظ
لا يظهر على الجوارح بخلاف الغضب فانه يظهر في الجوارح مع فعل ما
ولهذا جا اسناد الغضب الى الله اذ هو عبارة عن افعاله والعافين
عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مواخذته الزجاج والكلبي
وابو العاليه يريد عن المماليك ابن عطية وهذا حسن على جهة المثال
اذ هم الخدمة والقدرة عليهم متيسرة وانفاذ العقوبة سهل زيد
ابن اسلم والعافين عن الناس من ظلمهم واسا اليهم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم ان هولا في امتي قليل وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت
و

والله يحب المحسنين اي يثيبهم على احسانهم والذين اذا فعلوا فاحشة
فعلة بالغة في القبح ذكر صنفا دون الصنف الاول والحقهم بهم رحمة منه
ومنة وهم التوابون ابن عباس نزلت هذه الاية في نبهان التمار اتته
امراة حسنا باع منها تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت وعن علي رضي الله عنه
قال حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضا ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله
الا غفر له ثم تلى هذه الاية والاية الاخرى ومن يعمل سوا او يظلم نفسه
ثم يستغفر الله وروي ان ابليس بكى حين نزلت هذه الاية والفاحشة
تطلق على كل معصية وقد كثر اختصاصها بالزنا او ظلموا انفسهم
بما دون الفاحشة كالقبلة وقيل او بمعنى الواو والمراد ما دون الكباير.
ذكروا الله بالخوف من عقابه والحيا منه الضحاك ذكروا العرض الاكبر
على الله وقيل تفكروا في انفسهم ان الله سايلهم عنه مقاتل ذكروا الله
باللسان عند الذنوب فاستغفروا لذنوبهم اي طلبوا الغفران لاجل
ذنوبهم قال العلما الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الاصرار
ويثبت معناه في الجنان لا التلفظ باللسان فاما من قال بلسانه استغفر
الله وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج الى استغفاره
وصغيرته لاحقة بالكبيرة ومن يغفر الذنوب الا الله اي ليس احد يغفر
المعصية ولا يزيل عقوبتها الا الله فهو استفهام بمعنى النفي معترض
بين المعطوفين والمراد وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث
على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا اي ولم يثبتوا ويعزموا على

العقد بالضم ذكم ويو غوح احرر

ما فعلوا وقال مجاهد ولم يمضوا والاصرار هو العزم بالقلب على الامر
وترك الاقلاع عنه ومنه صر الدنانير اى الربط عليها قتادة الاصرار
الثبوت على المعاصى وقال سهل الجاهل ميت والناسى نايم والعاصى
سكران والمصر هالك والاصرار هو التسويف والتسويف ان تقول
اتوب غدا وهذا دعوى النفس كيف تتوب غدا وغدا لا تملكه وروى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا توبة مع اصرار ولا كبيرة مع
الاستغفار وقال السدى الاصرار السكوت وترك الاستغفار وهم
يعلمون ان الذى اتوه معصية او يذكرون ذنوبهم فيتوبون منها وقيل
وهم يعلمون انى اعاقب على الاصرار وقيل وهم يعلمون انهم ان استغفروا
غفر لهم وقيل وهم يعلمون بما حرمت عليهم الحسن وهم يعلمون ان لهم
ربا يغفر الذنوب وقال على رضى الله عنه عجبت ممن يهلك ومعه
النجاة قالوا وما هو قال الاستغفار اولئك اشارة الى المذكورين
جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها حال مقدرة اى مقدرين الخلود فيها اذا دخلوها واولئك خبر
للذين ان ابتدات به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفت
على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين
جزاءلهم ان لا يدخلها غيرهم ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف
تقديره ونعم اجر العاملين بالطاعة ذلك يعنى المغفرة والجنات ونزل
فى هزيمة احد قد خلت من قبلكم سنن اى وقايع سنها الله تعالى فى
الامم المكذبة والسنن جمع سنة وهى الطريق المستقيم وفلان على السنة
اى على طريق الاستواء وقال الزجاج المعنى اهل سنن فحذف المضاف

ابو زيد

ابو زيد امثال مجاهد قد خلت من قبلكم سنن بالهلاك كعاد وثمود
فسيروا ايها المومنون فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
الرسل لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم والعاقبة اخر الامر هذا
اى القران بيان للناس كلهم وهدى وموعظة للمتقين او اشارة
الى قوله قد خلت ومفهوم قوله فانظروا اى انه مع كونه بيانا للمكذبين
فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين وعن الحسن وغيره هدى للمتقين
يعنى القران ولا تهنوا ولا تحزنوا عزاهم وسلاهم فيما نالهم يوم احد
من القتل والجراح وحثهم على قتال عدوهم ونهاهم عن الفشل فقال
ولا تهنوا اى تضعفوا ولا تجبنوا عن جهاد عدوكم[٢] لما اصابكم ولا
تحزنوا على ظهورهم ولا على ما اصابكم من الهزيمة وانتم الاعلون اى
وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم فى الجنة
وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم فى النار او لانكم اصبتم
منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم او انكم الاعلون فى العاقبة
فيكون بشارة بالنصر والغلبة ان كنتم مومنين حقا متعلق بالنهى اى
لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضى قوة القلب بالوثوق بالله او متعلق
بالاعلون وقيل ان بمعنى اذ وجواب الشرط دل عليه مجموع ما قبله
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرئ بضم القاف وفتحها
وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراح وبالضم المها
والمعنى ان يصبكم قرح يوم احد فقد اصاب القوم يوم بدر مثله
ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون
من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين

[٢] نخ اعدايكم

نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم وتلك الايام
نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل هولاء تارة وهولاء اخرى
كقوله ، فيوم علينا ويوم لنا ، ويوم نساء ويوم نسر ،
والمداولة كالمعاورة والمراد بالايام اوقات النصر والغلبة
فتكون مرة للمومنين بنصر الله تعالى دينه وتكون مرة للكافرين اذا
عصى المومنون ليبتليهم ويمحص ذنوبهم فاما اذا لم يعصوا فان حزب
الله هم الغالبون وقيل نداولها بين الناس من هم وفرح وصحة
وسقم وغنا وفقر وليعلم الله علم ظهور الذين امنوا اخلصوا في الايمان
من غيرهم عطف على علة محذوفة اى نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم
الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة او الفعل المعلل به محذوف
تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك
والقصد في امثال ذلك ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات
المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل المعنى ليعلمهم علما يتعلق
به الجزاء وهو العلم بالشى موجودا كما علمه غيبا قبل ان كلفهم وتقدم
في البقرة ويتخذ منكم شهداء اى يكرم ناسا منكم بالشهادة يريد
شهداء احد او المعنى ويتخذ منكم شهداء معدلين بما علم منهم من الثبات
والصبر على الشدائد فيكون لهذا المعنى قيل له شهيد وفي الاية دليل
على ان الارادة غير الامر فان الله تعالى نهى الكفار عن قتل المومنين
واراد قتلهم والله لا يحب الظالمين اى المشركين اى يعاقبهم وان نالوا
من المومنين وان لحق الما بالمومنين فانه يحبهم وهو اعتراض وفيه تنبيه
على انه لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم
وابتلاء

وابتلاء للمومنين وليمحص الله الذين امنوا اى ليطهرهم وينقيهم من الذنوب
ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين اى يهلكهم ان كانت عليهم والمحق
نقص الشى قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة اى بل احسبتم
ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اى ولما تجاهدوا
والفرق بين لما ولم ان لما فيه توقع الفعل فيما يستقبل ويعلم الصابرين
نصب باضمار ان على ان الواو للجمع والمعنى احسبتم يا من انهزم يوم احد
ان تدخلوا الجنة كما دخل الذين قتلوا وصبروا على الم الجراح والقتل من
غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم لا حتى يعلم الله الذين جاهدوا
منكم اى علم شهادة ولقد كنتم تمنون فيه حذف احدى التائين الموت
بالشهادة او الحرب فانها من اسباب الموت والخطاب للذين لم يشهدوا
بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا
لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج فقد
رايتموه اى اسبابه وانتم تنظرون اى معاينين حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم
واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا
اليها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمنى الشهادة فان في تمنيها تمنى غلبة
الكفار وتمنى الموت يرجع من المسلمين الى تمنى الشهادة المبنية على الثبات
والصبر على الجهاد لا الى قتل الكفار لهم لانه معصية وعلى هذا يحمل
سوال المسلمين الشهادة من الله فيسالون الصبر على الجهاد دون ادراك
القتل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل نزلت بسبب انهزام
المسلمين يوم احد حين صاح الشيطان قد قتل محمد وذلك لما رمى عبد الله
بن قمية الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه

اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر
ويوم احد حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قد قتلت محمدا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الي
عباد الله حتى انحازت اليه طايفة من اصحابه وكشفوا عنه المشركين
وتفرق الباقون وقال بعض المنافقين لو كان نبيا ما قتل ارجعوا الى
اخوانكم ودينكم وقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان
قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده وقال
بعض الناس ان محمدا قد اصيب لا تمضون على ما مضى عليه نبيكم حتى تلحقوا
به فاعلم الله في هذه الاية ان الرسل ليست بباقية في قومها ابدا
وانه يجب التمسك بما اتت به الرسل وان فقد الرسول بموت او قتل
افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار على ارتدادهم وانقلابهم
على اعقابهم عن الدين لخلوه صلى الله عليه وسلم بموت او قتل بعد
علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وان النبوة لا تدرأ
الموت فالاية عقاب للمنهزمين ودخل حرف الاستفهام على حرف الجزا
لان الشرط قد انعقد به وصار جملة واحدة وخبرا واحدا والمعنى
افتنقلبون على اعقابكم ان مات او قتل والجملة الاخيرة محل الاستفهام
الانكاري وهو تمثيل ومعناه ارتددتم كفارا بعد ايمانكم قاله قتادة
وغيره ويقال لمن عاد لما كان عليه انقلب على عقبيه وقيل المراد
هنا الانهزام فهو حقيقة لا مجاز فان قيل لم ذكر القتل وقد علم انه
لا يقتل قيل لانه مجوز عند المخاطبين فان قيل اما علموه من قوله والله
يعصمك من الناس قيل هذا مما يختص به العلماء منهم الا ترى انهم

لما

لما سمعوا بخبر قتله انهزموا ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيا
بارتداده بل يضر نفسه بان يعرضها للعقاب والله تعالى لا تنفعه
الطاعات ولا تضره المعصية لغناه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة
الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا
باذن الله اي الا بمشيته تعالى وباذنه لملك الموت في قبض روحه
والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه وقضائه لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض
وتشجيع على القتال ووعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتاخير
الاجل كتابا مصدر موكد اذ المعنى كتب الموت كتابا موجلا صفة له
اي موقتا لا يتقدم ولا يتاخر فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت والثبات
لا يقطع الحياة واجل الموت هو الوقت الذي في معلومه سبحانه ان
روح الحي تفارق جسده ومتى قتل العبد علمنا ان ذلك باجله ومن يرد
بعمله ثواب الدنيا اي جزاءها نوته منها يعني الغنيمة نزلت في الذين
تركوا المركز طلبا للغنيمة وقيل الاية عامة في كل من اراد الدنيا دون
الاخرة والمعنى نوته ما قسم له منها ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها
اي نوته جزاء عمله على ما وصف الله تعالى من تضعيف الحسنات لمن يشاء
وقيل المراد بهذا عبد الله بن جبير ومن لزم المركز معه حتى قتلوا
وسنجزي الشاكرين اي نوتيهم الثواب الابدي جزاءهم على ترك الانهزام فهو
تاكيد لما تقدم وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الزهري صاح
الشيطان يوم احد قتل محمد وانهزم جماعة من المسلمين قال كعب بن مالك
فكنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عينيه من تحت

المغفرة هزان فناديت باعلى صوتي هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأومى الي ان اسكت فانزل الله وكاين من نبي الاية وكاين بمعنى كم قال
الخليل وسيبويه هي اي دخلت عليها كاف التشبيه وبنيت معها
فصار الكلام بمعنى كم اي كثير من الانبيا قتل معه ربيون كثير او كثير
من الانبيا قتلوا فما ارتد امتهم قولان الاول للحسن وسعيد بن جبير ٥
قال الحسن ما قتل نبي في حرب قط والقول الثاني عن قتادة وعكرمة
فالوقف على هذا القول على قتل جايز ويكون القتل واقعا على النبي
وحده ويكون في الكلام اضمار اي ومعه ربيون كثير كما يقال خرجت
معي تجارة اي ومعي تجارة والوجه الثاني يكون الكلام قتل بعض من كان
مع النبي ويكون قوله فما وهنوا لما اصابهم راجعا الى من بقي منهم ٥
القرطبي وهذا اشبه بنزول الاية وانسب فان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقتل وقتل معه جماعة من اصحابه وقرئ قاتل قال ابو عبيدة ان الله تعا
اذا احمد من قاتل كان من قتل داخلا فيه واذا احمد من قتل لم يدخل غيره
فقاتل اعم وامدح والربيون الجماعة الكثيرة عن مجاهد وغيره ابن مسعود
الربيون الالوف الكثيرة وقيل الاتباع الحسن هم العلما الصبر ٥
فما وهنوا اي ضعفوا وجبنوا لما اصابهم في سبيل الله من الجراح والوهن
انكسار الحد بالخوف وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا لما اصابهم
من الجهاد كما فعلتم حين قالوا قتل النبي والاستكانة الذلة والخضوع
والله يحب يثيب الصابرين على البلا او من صبر على الجهاد فينصرهم
ويعظم قدرهم ويثيبهم وما كان قولهم عند قتل نبيهم مع ثباتهم
وصبرهم وهو بالنصب خبر كان واسمها الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا
يعني

يعني الصغاير واسرافنا في امرنا يعني الكباير والاسراف الافراط في
الشي ومجاوزة الحد وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين سالوا
الثبات حتى لا ينهزموا والنصر على اعدايهم وخصوا الاقدام بالثبات
دون غيرها من الجوارح لان الاعتماد عليها يقول فهلا فعلتم وقلتم
مثل ذلك يا اصحاب محمد واضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما
لها فاتاهم الله ثواب الدنيا اي اعطاهم النصر والظفر والغنيمة
في الدنيا وحسن ثواب الاخرة اي المغفرة والجنة اذا صاروا اليها
وخص ثواب الاخرة بالحسن دلالة على تقدمه وفضله وانه هو المتعبد
به عنده والله يحب المحسنين يثيبهم يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يعني مشركي العرب فيما يامرونكم به ابا سفيان واصحابه
وقيل اليهود والنصارى لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه
في الدين ويقولون لو كان نبيا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم
وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس تارة يوما له وتارة يوما عليه
وقال علي يعني المنافقين في قولهم للمومنين عند الهزيمة ارجعوا الى دين
ابايكم يردوكم على اعقابكم اي الى الكفر فتنقلبوا خاسرين اي ترجعوا
مغبونين بل الله مولاكم اي متولي نصركم وحفظكم ان اطعتموه وهو خير
الناصرين فاستعينوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب قرئ باسكان العين وبضمها وهما لغتان والرعب الخوف
واصله الملء يقال رعبت الحوض ملأته والمعنى سنملأ قلوب الكافرين
خوفا وفزعا قال السدي وغيره لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم
احد متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا ببعض الطريق ندموا وقالوا بيس ٥

ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا
فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا
عما هموا به والالقا حقيقة في الاجسام قال الله تعالى والقى الالواح
فالقوا حبالهم وعصيهم ومجاز في المعاني كما في هذه الاية والقيت
عليك محبة مني بما اشركوا بالله تعليل اي كان سبب القا الرعب في
قلوبهم اشراكهم فما للمصدر ويقال اشرك به اي عدل به غيره ليجعله شريكا
ما لم ينزل به سلطانا اي حجة وبيانا واصل السلطنة القوة ومنه
السلاطة لحدة اللسان ومعنى ذلك انه لم يثبت عبادة الاوثان في
شي من الملل ولم يدل عقل على جواز ذلك وماواهم النار اي مصيرهم
ومرجعهم ثم ذمه فقال وبئس مثوى الظالمين الكافرين اي مثواهم
فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل والمثوى المكان الذي
يقام فيه والماوي كل مكان يرجع اليه ليلا او نهارا ولقد صدقكم
الله وعده قال محمد بن كعب لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
بعد احد وقد اصيبوا قال بعضهم لبعض من اين اصابنا هذا وقد وعدنا
الله النصر فنزلت هذه الاية وذلك انهم قتلوا صاحب لوا المشركين
وسبعة نفر بعده منهم على اللوا وكان الظفر للمسلمين ابتدا غير انهم
اشتغلوا بالغنيمة وترك بعض الرماة مركزهم طلبا للغنيمة فكان ذلك
سبب الهزيمة اذ تحسونهم اي تقتلونهم وتستاصلونهم من احسه اذا
ابطل حسه قال الشاعر ومن الذي لاقا بسيف محمد
فحس به الاعدا عرض العساكر باذنه بعلمه وقضائه وامره حتى اذا
فشلتم اي جبنتم وضعفتم وجواب حتى اذا محذوف اي اذا فشلتم

اثخنتم

اثخنتم وقيل الجواب دل عليه ما قبله اي منعكم نصره وقال الفرا
جواب حتى اذا تنازعتم والواو مقحمة ولا يجوز اقحام الواو من وعصيتم
وقيل فيه تقديم وتاخير اي حتى اذا تنازعتم وعصيتم فشلتم وقال
ابو علي يجوز ان يكون الجواب صرفكم عنهم وثم زايدة والتقدير حتى
اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم صرفكم عنهم وقيل حتى بمعنى الى وحينئذ
لا جواب له اي صدقكم الله وعده الى ان فشلتم اي كان ذلك الوعد
بشرط الثبات ومعنى وتنازعتم اختلفتم يعني الرماة حتى قال بعضهم
لبعض نلحق الغنايم وقال بعضهم بل نثبت في مكاننا الذي امر النبي صلى
الله عليه وسلم بالثبات فيه وعصيتم اي خالفتم امر الرسول صلى الله
عليه وسلم في الثبات فتركتم المركز لطلب الغنيمة من بعد ما اراكم
الله ما تحبون يعني من الغلبة التي كانت للمسلمين يوم احد اول مرة وذلك
حين صرع صاحب لوا المشركين والفاظ الاية تقتضي التوبيخ لهم ووجه
التوبيخ انهم راوا مبادي النصر فكان الواجب ان يعلموا ان تمام النصر في
الثبات لا في الانهزام ثم بين سبب النزاع فقال منكم من يريد الدنيا
يعني الغنيمة قال ابن مسعود ما شعرنا ان احدا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم احد ومنكم من يريد
الاخرة وهم الذين ثبتوا في مراكزهم ولم يخالفوا امر نبيهم صلى الله عليه
وسلم مع اميرهم عبد الله بن جبير فحمل خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل
وكانا يومئذ كافرين فقتلوه مع من بقي والعتاب مع من انهزم لا مع من
ثبت فان من ثبت فاز بالثواب ثم صرفكم عنهم اي عن المشركين ليبتليكم
اي بعد ان استوليتم عليهم ردكم عنهم بالانهزام ليختبركم ليتبين الصابر

من الجازع **ولقد عفا عنكم** ما ارتكبتموه فلم يبيتا صلكم بعد المعصية
والمخالفة والخطاب قيل هو للجميع وقيل هو للرماة الذين خالفوا ما
امروا به **والله ذو فضل على المومنين** بالعفو والمغفرة **اذ تصعدون**
اذ متعلق بقوله ولقد عفا عنكم وقيل بصرفكم وقيل بمقدر اي اذكروا
وتصعدون بضم التا وكسر العين وقري تَصْعَدون بفتح التا والعين
قال ابو حاتم اصعدت اذا مضيت حيال وجهك وصعدت اذا ارتقيت
في جبل وغيره فالاصعاد السير في مستوى الارض وبطون الاودية
والصعود الارتفاع على الجبل والسطوح والسلاليم فيحتمل ان يكون
صعودهم في الجبل بعد اصعادهم في الوادي فيصح المعنى على القرائتين
وقال القتيبي والمبرد اصعد اذا ابعد في الذهاب وامعن فيه وقال
الفرا الاصعاد الابتدا في السير والانحدار الرجوع وقال المفضل صعد
واصعد وصعد بمعنى واحد ومعنى الاية تبعدون في الارض هاربين
ولا تلوون اي تعرجون وتقيمون **على احد** لا يلتفت بعضكم الى بعض
هربا فان المعرج على الشي يلوي اليه عنقه او عنان دابته وقيل
على احد يريد محمدا صلى الله عليه وسلم قاله الكلبي **والرسول يدعوكم
في اخراكم** اي اخركم يقال جا فلان في اخر الناس واخرة الناس واخرى
الناس واخريات الناس وفي البخاري اخراكم تانيث اخركم وعن البرا بن
عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجاله يوم احد عبد الله
ابن جبير واقبلوا منهزمين فذاك اذ يدعوهم الرسول في اخراهم ولم
يبق منهم مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلا قال ابن عباس
وغيره كان دعا النبي صلى الله عليه وسلم الي عباد الله ارجعوا انا

رسول الله

رسول الله من يكر فله الجنة وكان دعاوه تغيير المنكر ومحال ان يرى
عليه الصلاة والسلام المنكر وهو الانهزام ثم لا ينهى عنه القرطبي
هذا على ان يكون الانهزام معصية وليس كذلك **فاثابكم** اي جازاكم
غما بغم الغم التغطية ومنه غم الهلال اذا لم ير قال مجاهد وغيره
الغم الاول القتل والجراح والغم الثاني الارجاف بقتل النبي صلى الله
عليه وسلم اذ صاح الشيطان قتل محمد وقيل الغم الاول ما فاتهم من
الظفر والغنيمة والثاني ما اصابهم من القتل والهزيمة وقيل الاول
الهزيمة والثاني اشراف ابي سفيان وخالد عليهم في الجبل فلما نظر
المسلمون غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيغلبونهم والبا في
بغم على هذا بمعنى على وقيل هي على بابها والمعنى انهم غموا النبي صلى الله
عليه وسلم بمخالفتهم اياه فاثابهم بذلك غمهم بما اصيب فيهم وقال
الحسن فاصابكم غم يوم احد بغم يوم بدر للمشركين وسمى الغم ثوابا
كما سمي جزا الذنب ذنبا **لكيلا تحزنوا على ما فاتكم** اللام متعلقة
بقوله ولقد عفا عنكم لان عفوه يذهب كل غم وقيل متعلقة باثابكم
غما بغم اي كان هذا الغم بعد الغم لكيلا تحزنوا على ما فات من الغنيمة
ولا ما اصابكم من الهزيمة والاول الحسن ولا ما اصابكم ما في موضع
خفض وقيل لا صلة والمعنى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
عقوبة لكم في مخالفتكم رسول الله وقيل اراد بقوله فاثابكم غما بغم
اي توالت عليكم الغموم لكيلا تشتغلوا بعد هذا بالغنايم **والله خبير
بما تعملون** فيه معنى التحذير والوعيد **ثم انزل عليكم من بعد الغم
امنة نعاسا** امنة نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول

وامنة حال منه بتقدمه وقيل غير ذلك والامنة والامن سوا وقيل
الامنة انما تكون من اسباب الخوف والامن مع عدمه تفضل الله تعالى
على المومنين بعد هذه الغموم في يوم احد بالنعاس حتى نام اكثرهم وانما
ينعس من يامن والخايف لا ينام والمعنى امنكم حتى نمتم روى البخاري عن انس
ان ابا طلحة قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد قال فجعل
سيفي يسقط من يدي واخذه ويسقط واخذه يغشى قرى بالياء للنعاس
وبالتاء للامنة طايفة منكم هم المومنون والطايفة تطلق على الواحد
والجماعة وطايفة قد اهمتهم انفسهم يعني المنافقين معتب بن قشير
واصحابه وكانوا خرجوا طمعا في الغنيمة وخوف المومنين فلم يغشهم
النعاس وجعلوا يتاسفون على الحضور ومعنى اهمتهم انفسهم حملتهم
على الهم فلا رغبة لهم الا نجاتها فلم يناموا والهم ما هممت به يقال
امر مهم اي شديد واهمني الامر اقلقني وهمني اذابني والواو في قوله
وطايفة واو الحال يظنون بالله ظنا غير الحق اي يظنون ان امر محمد
باطل وانه لا ينصر ظن الجاهلية اي كظن اهل الجاهلية يقولون هل لنا
من الامر من شيء لفظ استفهام ومعناه الجحد اي ما لنا شي من الامر اي
من امر الخروج وانما خرجنا كرها يدل عليه قوله اخبارا عنهم لو كان
لنا من الامر شي ما قتلنا هاهنا وقيل المعنى يقولون ليس لنا من الظفر
الذي وعدنا محمد شي قل ان الامر كله لله قري كله بالرفع على الابتدا
وخبره لله والجملة خبر ان وقري بالنصب توكيدا وهو بمعنى اجمع في الاحاطة
والعموم اي ان النصر بيد الله ينصر من يشا ويخذل من يشا يخفون في
انفسهم اي من الكفر والتكذيب ما لا يبدون يظهرون لك يقولون في

انفسهم

انفسهم اذا خلا بعضهم الى بعض لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا هاهنا
اي ما قتل عشايرنا وقيل ان المنافقين قالوا لو كان لنا عقل ما خرجنا
الى قتال اهل مكة ولما قتل روسانا فرد الله عليهم فقال قل لهم لو كنتم
في بيوتكم وفيكم من كتب عليه القتل لبرز اي لخرج الذين كتب اي قضي
عليهم في اللوح المحفوظ القتل منكم الى مضاجعهم اي مصارعهم وقيل
كتب عليهم القتل اي فرض عليهم القتال فعبر عنه بالقتل لانه قد
يوول اليه وقيل المعنى لو تخلفتم ايها المنافقون لبرزتم الى موطن اخر
غيره تصرعون فيه حتى يبتلي الله ما في الصدور ويظهره للمومنين والواو
في قوله وليبتلي مقحمة وحذف الفعل الذي مع لام كي والتقدير وليبتلي
الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم فرض عليكم القتال والحرب
ولم ينصركم يوم احد ليختبركم وليمحص عنكم سيا تكم ان تبتم واخلصتم
وقيل المعنى وفعل ما فعل باحد ليبتليكم ومعنى ليبتليكم ليعاملكم
معاملة المختبر او ليقع منكم مشاهدة ما علمه منكم غيبا وقيل المعنى
وليمحص ما في قلوبكم يطهرها من الشك بما يريكم من عجايب صنعه في
الامنة واظهار سرايرا المنافقين وهذا خاص بالمومنين هذا قول قتادة
وقال غيره اراد بالتمحيص ابانة ما في القلوب من الاعتقاد فهو خطاب
للمنافقين والله عليم بذات الصدور اي بما فيها من خير وشر وفيه
تنبيه على انه غني عن الابتلا وانما فعل ذلك لتمييز المومنين واظهار
حال المنافقين للناس وقال ذات لان ذات الشي نفسه ان الذين تولوا
منكم عند القتال يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع الكافرين باحد
انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد

انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه
واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فمنعوا
التاييد وقوة القلب بمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل استزلال
الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي تجر
بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بان ذكرهم ذنوبا سلفت منهم
فكرهوا الثبوت لئلا يقتلوا قبل اخلاص التوبة والخروج من المظالم
ولقد عفى الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم
لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم او في شانهم والمراد اخوتهم
في النفاق او في النسب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا
للتجارة او غيرها فماتوا وقوله اذا هو لما مضى اي اذ ضربوا الان في الكلام
معنى الشرط من حيث كان الزمن غير موقت فوقع اذا موضع اذ كما يقع
الماضي في الجزا موضع المستقبل او جا على حكاية الحال الماضية او كانوا
غزا جمع غاز فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا
وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين ليجعل الله ذلك حسرة في
قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثله في ليكون لهم
عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول
والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه
قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله
انتفا كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم
والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة

والغ

والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد
والله بما تعملون بصير تهديد للمومنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء
على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم اللام للقسم في سبيل الله في
الجهاد او متم اي متم في سبيله قرئ بضم الميم من مات يموت وقرئ بكسرها
من مات يمات لمغفرة كائنة من الله ورحمة خير مما تجمعون جواب القسم
وهو ساد مسد الجزا والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم
الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت
خير مما تجمعون من الدنيا ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق
هلاككم لالى الله اي الى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه
لا الى غيره لا محالة تحشرون في الاخرة فيوفي جزاكم ويعظم ثوابكم فبما
رحمة من الله لنت يا محمد لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة
على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم
بعد ان خالفوه ولو كنت فظا اي سيئ الخلق جافيا غليظ القلب
قاسيه وهو عبارة عن قلة الانفعال في الرغائب وقلة الاشفاق
والرحمة لانفضوا من حولك اي لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك
والمعنى لولا رفقك لمنعهم الاحتشام والهيبة من القرب منك بعد
ما كان من توليهم فاعف تجاوز عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم
فيما لله وشاورهم في الامر اي استخرج اراهم في امر الحرب اذ الكلام فيه
او فيما يصح ان يشاور فيه تطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة
للامة قال العلما امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يعفو عنهم ما له
في خاصته عليهم تبعة فلما صاروا في هذه الدرجة صاروا اهلا

للاستشارة في الامور رفعا لاقدارهم وان كان الله تعالى قد اغناه عن
رايهم بوجه وقال قتادة والربيع كانت سادات العرب اذا لم
يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله نبيه عليه الصلاة والسلام ان
يشاورهم في الامر فان ذلك اعدل لهم واذهب لاضغانهم وذلك فيما
لم يات فيه وحي وفي الحديث ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امورهم
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا عزمت اي فاذا وطنت نفسك على
شي بعد الشورى فتوكل على الله في امضا امرك على ما هو اصلح لك فانه
لا يعلمه سواه وقال قتادة امر الله نبيه عليه الصلاة والسلام اذا
عزم على امر ان يمضي فيه ويتوكل على الله لا على مشاورتهم وقال على الله
ولم يقل علي لما في لفظ الله من تقوية الداعي الى التوكل لدلالته على ذات
موصوفة بالاوصاف الكاملة من القدرة وغيرها قال النقاش العزم
والحزم واحد الحا مبدلة من العين قال ابن عطية وهذا خطاء
فالحزم جودة النظر في الامر وتنقيحه والحذر من الخطا فيه والعزم
قصد الامضا والتوكل الاعتماد على الله مع اظهار العجز وقال ذو النون
التوكل ترك تدبير القلب والانخلاع من الحول والقوة وانما يقوى
العبد على التوكل اذا علم ان الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه وقال
سهل علامة التوكل ثلاثة لا تسال ولا ترد ولا تحبس والتوكل محله
القلب والحركة بالظاهر لا تنافي توكل القلب بعد ما تحقق العبد ان
التقدير من قبل الله فان تيسر شي فبتيسيره ان الله يحب المتوكلين
عليه فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله يعينكم على عدوكم
كما

كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم اي فلا احد يغلبكم وان يخذلكم
ترك نصركم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد
خذلانه اياكم او من بعد الله وعلى الله لا غيره فليتوكل المومنون ٥
فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وامنوا به وما كان
لنبي ان يغل اي وما صح لنبي ان يخون في الغنايم فان النبوة تنافي الخيانة
يقال غل شيا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد
منه اما براة الرسول صلى الله عليه وسلم عما اتهم به اذ روي ان
قطيفة حمرا فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذها او ظن بها الرماة يوم احد حين تركوا
المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخذ شيا فهو له ولا يقسم الغنايم واما المبالغة في النهي للرسول
على ما روي انه بعث طلايع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقسم على من معه ولم يقسم للطلايع فنزلت فيكون تسمية حرمان
بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة وقال محمد بن كعب ما كان لنبي
ان يكتم شيا من كتاب الله وقرى ان يُغَل بالبنا للمفعول والمعنى يخون
ويحتمل معنيين احدهما ما كان لنبي ان يوخذ من غنيمته والاخر ان
ينسب الى الغلول قال ابن عرفة وسميت غلولا لان الايدي مغلولة
عنها اي ممنوعة ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة اي يات بالذي غله
يحمله على عنقه كما جا في الحديث وبما احتمل من اثمه ثم توفى كل نفس
ما كسبت اي تعطى جزا ما كسبت وافيا وكان مقتضى الظاهر ثم
توفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان المقصود والمبالغة

فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزي بعمله فالغال مع عظيم جرمه بذلك
اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد عذاب عاصيهم
افمن اتبع رضوان الله بالطاعة وترك الغلول والصبر على الجهاد كمن
باء اى رجع بسخط من الله بسبب المعاصى من غلول او غيره وماواه
جهنم اى مثواه ان لم يتب ويعف الله عنه وبيس المصير هى له والفرق
بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع
هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب
والعقاب وهم ذو درجات اى ليس من اتبع رضوان الله كمن باء بسخط
من الله بل درجاتهم متفاوته فلمن اتبع رضوان الله الكرامة والثواب
العظيم ولمن باء بسخط من الله المهانة والعذاب الاليم والدرجة الر تبة
والله بصير بما يعملون اى عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم
فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المومنين اى انعم على من امن
بالرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة
البعث عامة لزيادة انتفاعهم اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
فى معنى المنة اقوال منها ان يكون معنى من انفسهم اى بشر مثلهم فلما
اظهر البراهين وهو بشر مثلهم علم ان ذلك من عند الله تعالى وقيل
من انفسهم منهم فشرفوا به صلى الله عليه وسلم فكانت تلك المنة
وقيل من انفسهم ليعرفوا حاله ولا يخفى عليهم طريقته واذا كان
محله فيهم هكذا كانوا احق بان يقاتلوا عنه ولا ينهزموا دونه
او المعنى من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا
واقفين على حاله فى الصدق ومفتخرين به وعن جعفر بن محمد قال

علم الله

علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكى يعلموا انهم لا ينالون
الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم فى الصورة
البسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا
وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وعن عايشة قالت فى قوله تعالى لقد من الله على
المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم قالت هذه للعرب خاصة
وقال اخرون اراد به المومنين كلهم ومعنى من انفسهم انه واحد منهم
وبشر مثلهم وانما امتاز عنهم بالوحى وخص المومنين بالذكر لانهم
المنتفعون فالمنة عليهم اعظم يتلو عليهم اياته فى موضع نصب نعت
لرسول ومعناه يقرا والتلاوة القراءة اى يقرا عليهم القران بعد
ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع
وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة
وان كانوا اى ولقد كانوا من قبل اى من قبل محمد وقيل ان بمعنى ما
واللام فى الخبر بمعنى الا اى وما كانوا من قبل الا فى ضلال مبين
مثله وان كنتم من قبله لمن الضالين وقيل ان هى المخففة واللام
الفارقة اى ان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول فى ضلال ظاهر اولما
اصابتكم الالف للتقرير والتقريع والواو العاطفة للجملة على ما سبق
من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا او قلتم ولما ظرفية
اى حين اصابتكم مصيبة اى غلبة يوم احد قد اصبتم مثليها يوم
بدر بان قتلتم منهم سبعين واسرتم سبعين والاسير فى حكم المقتول
وهزمتموهم يوم بدر ويوم احد ايضا فى الابتدا وقتلتم فيه قريبا

من عشرين فقتلتم منهم في يوم بدر ونالوا منكم في يوم احد قلتم متعجبين
انى هذا اي من اين اصابنا هذا الانهزام والقتل ونحن نقاتل في سبيل
الله ونحن مسلمون وفينا النبي والوحي وهم مشركون قل هو من
عند انفسكم يعني مخالفة الرماة وما من قوم اطاعوا نبيهم في حرب
الا نصروا لانهم اذا اطاعوا فهم في حزب الله وحزب الله هم الغالبون
قتادة والربيع يعني سوالهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما اراد
الاقامة في المدينة وتاولها في الرويا التي راها درعا حصينة وعن
علي رضي الله عنه هو اختيارهم الفدا يوم بدر على القتل وقد قيل
لهم ان فاديتم الاسارى قتل منكم على عدتهم فمعنى من عند انفسكم على
القولين الاولين بذنوبكم وعلى القول الاخير باختياركم ان الله على
كل شي قدير فيقدر على النصر ومنعه وما اصابكم يوم التقى الجمعان
جمع المسلمين وجمع الكافرين يوم احد من القتل والجرح والهزيمة فباذن
الله اي بعلمه وقيل بقضائه وقدره ودخلت الفا لان في الكلام
معنى الشرط لقول سيبويه الذي قام فله درهم وليعلم الله المومنين
حقا وليعلم الذين نافقوا اي ليميز وقيل ليرى وقيل ليظهر ايمان
المومنين بثبوتهم على القتال ويظهر كفر المنافقين باظهارهم الشماتة
وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله اي والذين قيل لهم وهم عبد الله
ابن ابي واصحابه الذين انصرفوا معه عن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم
وكانوا ثلثمايه فمشى في اثرهم عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري
ابو جابر بن عبد الله فقال لهم اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم وقاتلوا
في سبيل الله او ادفعوا ونحو هذا من القول فقال له ابن ابي ما ارى ان

يكون

يكون قتال ولو علمنا ان يكون قتال لكنا معكم فلما يئس منهم عبد الله
قال اذهبوا اعداء الله فسيغني الله رسوله عنكم ومضى مع النبي صلى الله
عليه وسلم واستشهد رضي الله عنه واختلف في معنى او ادفعوا فقال
السدي وابن جريج وغيرهما كثروا سوادنا وان لم تقاتلوا معنا
فيكون ذلك دفعا للعدو وقيل المعنى رابطوا وقيل ان لم
تقاتلوا في سبيل الله فقاتلوا دفعا عن انفسكم وحريمكم قالوا لو
نعلم قتالا لاتبعناكم اي مكان قتال والمراد مكانا صالحا للقتال وانما
كان كذلك لانهم كانوا اخبر الناس بالقتال ويتعيرون بان يتفوهوا
بانهم لا يعرفونه فالعادة تمنع ان يريدوا لو نعلم حقيقة القتال
فكذلك قدره مجاهد مكان القتال ويدل عليه انهم اشاروا على
النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يخرج من المدينة وقيل المعنى لو
نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزا فقال الله تكذيبا
لهم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان انما قال يومئذ لانهم لم
يظهروا قبل ما اظهروه يومئذ فهي اول امارات ظهرت منهم موذنة
بكفرهم لانهم بينوا احوالهم وهتكوا استارهم وكشفوا عن نفاقهم
لمن كان يظن انهم مسلمون فصاروا اقرب للكفر في ظاهر الحال وان
كانوا كافرين على التحقيق يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
ولو علموا قتالا لم يتبعوكم والله اعلم بما يكتمون من النفاق اي اظهروا
الايمان واضمروا الكفر وذكر الافواه تاكيد مثل يطير بجناحيه
الذين بدل او نعت قالوا لاخوانهم اي الشهدا المقتولين من الخزرج
وهي اخوة نسب ومجاورة لا اخوة الدين اي قالوا لاجل هولا الشهدا

وقعدوا اى فى المدينه لو اطاعونا فى ان لا يخرجوا الى قريش ما قتلوا كما
لم نقتل وقيل قال عبد الله بن ابى واصحابه لاخوانهم اى لاشكالهم
من المنافقين لو اطاعونا هولاء الذين قتلوا لما قتلوا وقوله وقعدوا
اى قالوا هذا القول وقعدوا بانفسهم عن الجهاد فرد الله عليهم بقوله
قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اى قل لهم يا محمد
ان صدقتم فادفعوا عن انفسكم الموت والدرأ الدفع بين بهذا ان
الحذر لا يدفع القدر وان المقتول يقتل باجله وما علم الله واخبر به
كاين لا محالة وقيل مات يوم قالوا هذا سبعون منافقا ولا تحسبن
الذين قتلوا بالتخفيف والتشديد فى سبيل الله امواتا بل احياء
نزلت الاية فى شهدا احد وقيل فى شهدا بير معونة وقيل بل هى
عامة فى جميع الشهدا وفى مصنف ابى داود باسناد صحيح عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد
جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة تاكل من
ثمارها وتاوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا
طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا اننا احيا
فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله
تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله
امواتا الايات وعن سعيد بن جبير لما اصيب حمزة بن عبد المطلب
ومصعب بن عمير ورأوا ما رزقوا من الخير قالوا ليت اخواننا يعلمون
ما اصابنا من الخير كى يزدادوا فى الجهاد رغبة فقال الله تعالى انا
ابلغهم عنكم فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله الى قوله
لا

لا يضيع اجر المومنين وقيل نزلت فى شهدا بدر وقال اخرون ان
اوليآء الشهدا كانوا اذا اصابتهم نعمة او سرور تحسروا وقالوا
نحن فى النعمة والسرور وابآونا واخواننا فى القبور فانزل الله هذه
الاية تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم وبالجملة فالشهدا احيا
فى الجنة يرزقون ولا محالة انهم ماتوا وان اجسادهم فى التراب
وارواحهم حية كارواح ساير المومنين واتصلوا بالرزق فى الجنة
من وقت القتل حتى كانت حياة الدنيا دايمة لهم وقد اختلف العلما
فى ذلك فالذى عليه المعظم ما ذكروا ان حياة الشهدا محققة ثم
منهم من يقول ترد الى الاجساد فى قبورهم فينعمون كما يحيى الكفار
فى قبورهم فيعذبون وقال مجاهد يرزقون من ثمر الجنة اى
يجدون ريحها وليسوا فيها وصار قوم الى ان هذا مجاز والمعنى
انهم كانوا فى حكمة الله تعالى مستحقون للتنعيم فى الجنة وهو كما يقال
ما مات فلان اى ذكره حى فالمعنى انهم يرزقون الثنا الجميل وقيل
غير ذلك واذا كان الشهيد حيا حكما فلا يصلى عليه كالحى حسا
عند ربهم فيه حذف مضاف تقديره عند كرامته وعند هنا
تقتضى غاية القرب فهى عندية الكرامة لا عندية القرب والمسافة
يرزقون هو الرزق المعروف فى العادات ومن قال هى حياة الذكر
قال يرزقون الثنا الجميل والاول الحقيقة فرحين بما اتاهم الله من فضله
نصب على الحال من المضمر فى يرزقون والفرح بمعنى السرور والفضل
هنا النعيم المذكور ويستبشرون اى يسرون بالبشارة بالذين لم
يلحقوا بهم من خلفهم المعنى لم يلحقوا بهم فى الفضل وان كان لهم فضل

قال السدي يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من اخوانه
فيستبشر كما يستبشر اهل الغايب بقدومه في الدنيا وقال
قتادة وغيره استبشارهم بانهم يقولون اخواننا الذين تركنا خلفنا
في الدنيا يقاتلون في سبيل الله مع نبيهم فيستشهدون فينالون
من الكرامة مثل ما نحن فيه فيسرون ويفرحون لهم بذلك وقيل ان
الاشارة بالاستبشار للذين لم يلحقوا بهم الى جميع المومنين وان لم يقتلوا
لكنهم لما عاينوا ثواب الله وقع اليقين بان دين الاسلام هو الحق فهم
فرحون لانفسهم بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون للمومنين
بان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ذهب الى هذا الزجاج وابن فورك
يستبشرون كرره للتاكيد بنعمة من الله وفضل اي بجنة ويقال
بمغفرة عن مجاهد قال السيوف مفاتيح الجنة وان الله لا يضيع
اجر المومنين قرئ بكسر ان على الاستيناف وبالنصب على العطف
على نعمة بمعنى ويستبشرون بان الله لا يضيع الذين استجابوا لله
والرسول الذين في موضع رفع على الابتدا وخبره من بعد
ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ويجوز
ان يكون في موضع خفض بدل من المومنين او من الذين لم يلحقوا واستجابوا
معناه اجابوا وفي الصحيحين عن عايشة كان ابو بكر من الذين استجابوا
لله والرسول وذلك انه لما انصرف المشركون من احد واصاب النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه ما اصابهم خاف ان يرجعوا فقال
من ينتدب لهولاء حتى يعلمون ان بنا قوة فانتدب ابو بكر والزبير
وسبعون فخرجوا في اثار القوم حتى بلغوا حمرا الاسد من المدينة على

ثمانية

على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى
لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين لما سمعوا بهم وانصرفوا
بنعمة من الله وفضل الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا
لكم مجاهد وعكرمة وغيرهما الناس الاول نعيم بن مسعود الاشجعي
فاللفظ عام ومعناه خاص السدي هو اعرابي جعل جعل على ذلك
وقال ابن اسحق وجماعة يريد بالناس ركب عبد القيس مروا
بابي سفيان فدسهم الى المسلمين ليثبطوهم وقيل الناس هنا المنافقون
وقيل الناس الثاني من هذيل من اهل تهامة المدينة فسالهم
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابي سفيان فقالوا
قد جمعوا لكم جموعا كثيرة وروي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه
من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله
عليه وسلم ان شا الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل
مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى الرعب في قلبه فبدا له
ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم
اني واعدت محمدا ان نلتقي موسم بدر وان هذا عام جدب وقد
بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراة فالحق بالمدينة
فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون
فقال لهم ما هذا بالراي تريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند
بدر فوالله ان خرجتم لا يفلت منكم احد فكره المسلمون الخروج فقال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي
احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل

حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثمانى ليال وكان معهم تجارات فباعوها
واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان
الى مكة ومعنى فاخشوهم اى فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة
لكم بهم ومعنى فزادهم ايمانا اى زادهم قول الناس تصديقا ويقينا
فى دينهم واقامة على نصرته وقوة واستعدادا فزيادة الايمان على هذا
هى فى الاعمال وقد اختلف فى زيادة الايمان ونقصانه فذهب جمع
من العلما الى انه يزيد وينقص من حيث الاعمال الصادرة عنه لا سيما
وان كثيرا من العلما يوقعون اسم الايمان على الطاعات قال صلى الله عليه
وسلم الايمان بضع وسبعون بابا اعلاها قول لا اله الا الله ٥
وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان وعن
ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد
حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن
عمر انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزداد ايمانا وعنه ايضا
لو وزن ايمان ابى بكر بايمان هذه الامة لرجح به وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل اى كافينا الله وحسب ماخوذ من الاحساب وهو
الكفاية وفى البخارى عن ابن عباس فى قوله وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل قالها ابرهيم حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله
عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فانقلبوا
رجعوا من بدر بنعمة من الله سلامة وفضل ربح فى التجارات لم يمسسهم
سوء لم يلقهم كيد عدو ولما فوضوا امرهم اليه واعتمدوا بقلوبهم
عليه اعطاهم من الجزا اربع معان النعمة والفضل وصرف السوء واتباع
الرضى

الرضى فرضاهم عنه ورضوا عنه واتبعوا رضوان الله بطاعته
وطاعة رسوله فى الخروج والله ذو فضل عظيم على اهل طاعته
انما ذلكم الشيطان اى ذلكم التخويف كان فعل الشيطان يخوف
اولياءه ابن عباس وغيره المعنى يخوفكم اولياءه اى باوليائه او من
اوليائه فحذف حرف الجر كما قال لينذر باسا شديدا اى لينذركم
بباس شديد وقال الحسن وغيره المعنى يخوف اولياءه المنافقين
ليقعدوا عن قتال المشركين فاما اولياء الله فانهم لا يخافونه اذا
خوفهم وقيل المراد الذى يخوف بجمع الكفار شيطان من شياطين
الانس اما نعيم بن مسعود او غيره فلا تخافوهم اى لا تخافوا الكافرين
المذكورين فى قوله ان الناس قد جمعوا لكم او يرجع الى الاوليا ان قلت
المعنى يخوف باوليائه وخافون اى خافونى فى ترك امرى ان كنتم
مومنين اى مصدقين بوعدى فان الايمان يقتضى ايثار الخوف من الله
على الخوف من الناس والخوف فى كلام العرب الذعر ولا يحزنك الذين
يسارعون فى الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة
وهولا قوم اسلموا ثم ارتدوا لخوفا من المشركين ثم فاغتم النبى صلى الله
عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا يحزنك الايه وقال الكلبى يعنى به
المنافقين ورؤسا اليهود كتموا صفة النبى صلى الله عليه وسلم
فى الكتاب فنزلت وقرى يحزنك بضم اليا وكسر الزاى وبفتح اليا
وضم الزاى وهما لغتان قال القشيرى والحزن على كفر الكافر طاعة
ولكن النبى صلى الله عليه وسلم كان افرط فى الحزن على كفر قومه
فنهى عن ذلك كما قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات انهم

لن يضروا الله شيا يعني لا ينقصون من ملكه وسلطانه شيا بكفرهم
وقيل المعنى لن يضروا اوليا الله حين تركوا نصرهم يريد الله
ان لا يجعل لهم حظا اى نصيبا في الاخرة ولهم عذاب عظيم مع
الحرمان من الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان تقدم في
البقرة لن يضروا الله شيا ولهم عذاب اليم كرر للتاكيد وانتصب
شيا في الموضعين لوقوعه موقع المصدر اى لن يضروا الله لا قليلا
ولا كثيرا ويجوز ان ينصب على حذف الجار اى لن يضروا الله بشيء
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم
ليزدادوا اثما الاملا طول العمر ورغد العيش والمعنى لا يحسبن
الذين يخوفون المسلمين فالله قادر على اهلاكهم وانما بطول اعمارهم
ليعملوا بالمعاصي لا لانه خير لهم ويقال انما نملي بما اصابوا من الظفر
يوم احد لم يكن ذلك خيرا لانفسهم وانما ذلك ليزدادوا عقوبة
وقرئ يحسبن بالياء فالذين فاعل اى ولا يحسبن الكفار وانما نملي لهم
خير لانفسهم سد مسد المفعولين وما بمعنى الذى والعايد محذوف
وخير خبران ويجوز ان يقدر ما والفعل مصدرا والتقدير ولا
يحسبن الذين كفروا ان املانا لهم خير وقرئ بالتا فالفاعل المخاطب
وهو محمد صلى الله عليه وسلم او كل من يحسب والذين نصب على
المفعول الاول وسدت الجملة مسد الثاني واللام في ليزدادوا
اثما لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة ولهم عذاب مهين
ذو اهانة في الاخرة ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه
حتى يميز الخبيث من الطيب قال ابو العاليه سال المومنون ان يعطوا

علام

علامة يفرقون بها بين المومن والمنافق فانزل الله ما كان الله ليذر
المومنين واختلف من المخاطب بالاية فقال ابن عباس وغيره الخطاب
للكفار والمنافقين اى ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه
من الكفر والنفاق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
ان قريشا من اهل مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل منا
تزعم انه في النار واذا ترك دينا واتبع دينك قلت هو من اهل
الجنة فاخبرنا عن هذا من اين هو واخبرنا من ياتيك منا ومن لم ياتك
فانزل الله ما كان الله ليذر المومنين الاية وقيل هو خطاب
للمشركين والمراد بالمومنين في قوله ليذر المومنين من في الارحام
والاصلاب ممن يومن اى ما كان الله ليذر اولادكم الذين حكم لهم
بالايمان على ما انتم عليه من الشرك حتى يفرق بينكم وبينهم وعلى
هذا وما كان الله ليطلعكم على الغيب كلام مستانف وهو قول
ابن عباس واكثر المفسرين وقيل الخطاب للمومنين اى ما كان الله
ليذركم يا معشر المومنين على ما انتم عليه من اختلاط المومنين
بالمنافقين حتى يميز بينكم بالمحنة والتكليف فتعرفوا المومن الطيب
من المنافق الخبيث ويميز معناه يفرق قال ابو معاذ مزت
الشيء اميزه اذا فرقت بين شيئين فان كانت اشيا قلت ميزتها
تمييزا ومثله اذا جعلت الواحد اثنين قلت فرقت بينهما مخففا
فان جعلته اشيا قلت فرقته تفريقا وما كان الله ليطلعكم على
الغيب يا معشر المومنين اى ما كان الله ليعين لكم المنافقين حتى
تعرفونهم ولكن يظهر ذلك بالتكليف والمحنة وقد ظهر ذلك في يوم احد

فان المنافقين تخلفوا واظهروا الشماتة فما كنتم تعرفون هذا
الغيب قبل هذا فالان قد اطلع الله محمدا صلى الله عليه وسلم
واصحابه على ذلك وقيل المعنى وما كان الله ليعلمكم ما يكون بينهم
فقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب على هذا متصل وعلى
القولين الاولين منقطع ولكن الله يجتبي اي يختار من رسله
لاطلاع غيبه من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات كما اطلع
نبيه على حال المنافقين فامنوا بالله ورسله يقال ان الكفار لما
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبين لهم ايهم يؤمن منهم
نزل فامنوا بالله ورسله يعني لا تشتغلوا بما لا يعنيكم واشتغلوا
بالايمان اي عليكم بالتصديق لا التشوف الى اطلاع الغيب وان تؤمنوا
حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم اي الجنة ولا يحسبن
الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله اي زكاته والذين في موضع
رفع والمفعول الاول محذوف قال الخليل وسيبويه المعنى البخل
خيرا لهم اي لا يحسبن الباخلون البخل خيرا لهم وانما حذف لدلالة
يبخلون على البخل وقرئ بالتاء وتقديره ولا تحسبن بخل الذين يبخلون
هو خيرا لهم بل هو شر لهم اي البخل شر لهم وهو مدلول عليه سيطوقون
السين للوعيد ما بخلوا به يوم القيمة هذه الاية نزلت في البخل
بالمال والانفاق في سبيل الله واداء الزكاة المفروضة ذهب
الى هذا جماعة منهم ابن مسعود وابن عباس قالوا ومعنى سيطوقون
ما بخلوا به هو الذي ورد في الحديث من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته
مثل له يوم القيمة شجاع اقرع الى اخره وعن ابن عباس ايضا نزلت
في

في اهل الكتاب وبخلهم ببيان ما علموه من امر محمد صلى الله عليه وسلم
قاله مجاهد وجماعة ومعنى سيطوقون على هذا التاويل سيحملون
عقاب ما بخلوا به يعني سيجعل لهم يوم القيمة طوق من نار وقيل
يلزمون اعمالهم كما يلزم الطوق العنق والبخل في اللغة ان يمنع
الانسان الحق الواجب عليه اما من منع ما لا يجب عليه فليس ببخيل
واختلف في البخل والشح فقيل بمعنى وقيل الشح هو البخل مع حرص
وقيل البخل امتناع ما حصل عندك والشح الحرص على تحصيل ما ليس
عندك ولله ميراث السموات والارض اخبر ببقائه ودوام ملكه
وانه غني عن العالمين ازلا وابدا فيرث الخلق بعد فنائهم وزوال
املاكهم فتبقى الاملاك والاموال لا يدعى فيهما فجرى هذا مجرى الوارث
في عادة الخلق وليس ميراثا في الحقيقة لان الوارث في الحقيقة هو
الذي يرث شيا لم يكن ملكه قبل والله سبحانه وتعالى مالك السموات
والارض وما بينهما وانما كانت الاموال عارية عند اربابها فاذا ماتوا
ردت العارية الى صاحبها الذي كانت له في الاصل والمعنى في الاية
انفقوا ولا تبخلوا قبل ان تموتوا وتتركوا ذلك ميراثا لله تعالى والله
بما يعملون من المنع والاعطا خبير فيجازيكم وقرئ بالياء والتاء
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا لما نزل
قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قال قوم من اليهود منهم حيي بن
اخطب في قول الحسن وقال عكرمة وغيره هو فنحاص بن عازورا
ان الله يفتقر منا وانما قالوا هذا تمويها على ضعفائهم لا انهم
يعتقدون هذا لانهم اهل كتاب ولكنهم كفروا بهذا القول لانهم

اراد والتشكيك الضعفا منهم ومن المومنين وتكذيب النبي صلى الله
عليه وسلم انه فقير على قول محمد لانه اقترض منّا وعلى الجملة فلا
يخلوا اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزا بالقران وايهما
كان عظيمة لا تصدر الا عن متمرد في كفره سنكتب ما قالوا اى سنجازيهم
عليه وقيل سنكتب في صحايف حفظتهم اى نامر الحفظة باثبات قولهم
حتى يقروه عليهم يوم القيمة وقيل المعنى لنحفظ اى سنحفظ ما قالوا
لنجازيهم وقرى سيكتب بالبنا للمفعول وقتلهم الانبياء اى ونكتب
قتلهم الانبياء اى رضاهم بالقتل والمراد قتل اسلافهم الانبيا لكن لما
رضوا بذلك صحت الاضافة اليهم بغير حق تقدم معناه ونقول
بالنون والياء وذوقوا عذاب الحريق اى يقال لهم ذوقوا في جهنم او عند
الموت او عند الحساب ثم هذا القول من الله او من الملايكة قولان
واصل الذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر
المحسوسات والحالات وذكره هنا لان العذاب مرتب على قولهم
الناشي عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه
لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر
الاكل مع المال والحريق اسم للملتهب من النار ذلك بما قدمت ايديكم
اى ذلك العقاب بما سلف من ذنوبكم وخص الايدي بالذكر لتدل
على تولى الفعل ومباشرته اذ قد يضاف الفعل الى الانسان بمعنى
انه امر به كقوله يذبح ابناءهم وان الله ليس بظلام بذى ظلم
للعبيد فيعذبهم بغير ذنب الذين قالوا ان الله عهد الينا
الذين بدل من الذين قالوا او نعت للعبيد او خبر ابتدا اى هم الذين
قالوا

قالوا قال الكلبي وغيره نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن
الضيف وجماعة اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اتزعم ان
الله ارسلك الينا وانه انزل كتابا عهد الينا فيه ان لا نومن اى
نصدق لرسول يزعم انه من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار
فان جيتنا به صدقناك فنزلت وكان هذا في التوراة ولكن تمام
الكلام حتى ياتيكم المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم فاذا اتياكم
فامنوا بهما من غير قربان وكان النبي منهم يذبح ويدعو فتنزل نار
بيضا لها دوى وحفيف لا دخان لها فتاكل القربان فكان القول
دعوى من اليهود اذ كان ثم استثنى فاخفوه او نسخ على لسان عيسى
فكانوا في تمسكهم بذلك متعنتين ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم
دليل قاطع في بطلان دعواهم وكذلك معجزات عيسى عليه السلام
ومن وجب صدقه وجب تصديقه ثم قال تعالى اقامة للحجة عليهم
قل قد جاكم يا معشر اليهود رسل من قبلي بالبينات بالمعجزات
وبالذى قلتم من القربان فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين يعني
زكريا ويحيى وشعيا وساير من قتلوا من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام ولم تومنوا بهم وارادوا بذلك اسلافهم والقربان
ما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة وصدقة وعمل صالح ثم قال
معزيا له فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاوا بالبينات
اى الدلالات والزبر اى الكتب المزبورة اى المكتوبة وقرى وبالزبر
بزيادة الباء لابن عامر لانه رسم في مصاحف الشام كذلك والكتاب
المنير اى الواضح المضي وجواب فان كذبوك محذوف وقام

مقامه ما يدل عليه وهو فقد كذب رسل من قبلك والتقدير
فلا تحزن واصبر فقد كذب والتنكير للتكثير والتعظيم اى ذو
عدد كثير وذو ايات عظام والفرق بين التكثير والتعظيم ان
التكثير باعتبار الكميات والتعظيم بحسب ارتفاع الشان وعلو
الطبقة كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة
اجر المومن ثواب واجر الكافر عقاب والتوفية تشعر بانه قد يكون
قبلها بعض الاجور وفي الحديث القبر روضة من رياض الجنة او
حفرة من حفر النار فمن زحزح عن النار اى بعد وادخل الجنة
فقد فاز بما يرجو ونجا مما يخاف وما الحياة الدنيا اى العيش
فيها الا متاع الغرور اى تغر المرء وتخدعه فيظن طول البقا وهى
فانية والمتاع ما يتمتع به وينتفع كالفاس والقدر والقصعة
ثم يزول ولا يبقى ملكه قال الحسن كخضرة النبات وقال ابن عرفة الغرور
ما رايت له ظاهرا تحبه وفيه باطن مكروه او مجهول والشيطان
غرور لانه يحمل على محاب النفس ووراء ذلك ما يسوء قال ومنه
بيع الغرور لتبلون فى اموالكم وانفسكم الخطاب للنبى صلى الله
عليه وسلم وامته اى لتختبرن ولتمتحنن فى اموالكم بالمصايب
وبالانفاق فى سبيل الله وسائر تكاليف الشرع وانفسكم بالموت
والامراض وفقد الاحبة وبدا بذكر الاموال لكثرة المصايب بها
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم نزلت بسبب ان ابا بكر
سمع يهوديا يقول ان الله فقير ونحن اغنيا رادا على القران فلطمه
فشكاه الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت وقال الزهرى نزلت

بسبب

بسبب كعب بن الاشرف وكان شاعرا وكان يهجو النبى صلى الله عليه
وسلم واصحابه ويؤلب عليه كفار قريش ويشبب بنسا المومنين
حتى بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة واصحابه
فقتله القتلة المشهورة ومن الذين اشركوا من العرب اذى كثيرا
من السب والطعن والتشبيب بنسايكم وكان صلى الله عليه وسلم
لما قدم المدينة كان بها اليهود والمشركون وكان هو واصحابه
يسمعون اذى كثيرا وكان هذا قبل نزول القتال وان تصبروا عن
المكافاة وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اى سدها واصلاحها
وقد تقدم واذ اخذ الله اى اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس هذه الاية توبيخ لليهود فانهم امروا
بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وببيان امره فكتموا امره
ومع ذلك هو عام لهم ولغيرهم وقال الحسن وقتادة هى فى كل
من اوتى علم شى من الكتاب قال العلما وكفى بذلك دليلا
على انه ماخوذ على العلما ان يبينوا الحق للناس وما علموه
وان لا يكتموا منه شيا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب
لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا مما
لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيره ان ينسب اليه
غيرهم وفى الحديث من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن
محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلما ان يسكت على علمه ولا يحل
لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال وقيل الها نرجع الى محمد
صلى الله عليه وسلم لانه فى الكتاب وقال ولا يكتمونه ولم يقل

ولا يكتمنه لانه فى معنى الحال اى غير كاتمين **فنبذوه** النبذ الطرح **وراء ظهورهم** مبالغة فى الطرح **فنبذوا اشتروا به ثمنا قليلا فبيس ما يشترون** تقدم **لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا** اى بما فعلوا من القعود والتخلف عن الغزو وجاوا به من العذر ففى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى ان رجالا من المنافقين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم النبى صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا وعن ابن عباس نزلت هذه الاية فى اهل الكتاب قال ابن عباس سالهم النبى صلى الله عليه وسلم عن شى فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا بذلك اليه وفرحوا بما اوتوا من كتمانهم اياه وما سالهم عنه وقال محمد بن كعب نزلت فى علما بنى اسرايل الذين كتموا الحق واتوا ملوكهم من العلم ما يوافقهم فى باطلهم واشتروا به ثمنا قليلا فاخبران لهم عذابا اليما بما افسدوا من الدين على عباد الله **ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا** من الوفا بالميثاق وقيل هى فى اهل الكتاب لا فى المنافقين المتخلفين لانهم كانوا يقولون نحن على دين ابرهيم ولم يكونوا على دينه وكانوا يقولون نحن اهل الصلاة والصوم والكتاب يريدون ان يحمدوا بذلك والذين فاعل تحسبن اى لا تحسبن الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب وقيل المفعول الاول محذوف وهو انفسهم

وان

والثانى بمفازة وقرئ بالتا فى تحسبن على الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى لا تحسبن يا محمد الفارحين بمفازة من العذاب **فلا يحسبنهم** اعاده تاكيدا وتطرية له وتجديدا لعهده لطول الكلام ومفعوله الاول الها والميم والمفعول الثانى محذوف اى كذلك والفا عاطفة او زايدة على بدل الفعل الثانى من الاول وقرى باليا وضم البا خبرا عن الفارحين اى فلا يحسبن انفسهم وهو المفعول الاول **بمفازة من العذاب** المفعول الثانى ووجه ضم البا ان الاصل يحسبون فانحذفت النون للنهى وانحذفت الواو لسكون نون التوكيد فبقيت ضمة البا باقية على حالها لتدل على الواو المحذوفة والمفازة المنجاة مفعلة من فاز اذا نجا اى ليسوا بفايزين ويسمى موضع المخافة مفازة على جهة التفاول وقيل انما سميت مفازة لان من قطعها فاز **ولهم عذاب اليم** مولم **ولله ملك السموات والارض** قيل المعنى لا يظنن الفرحين ينجون من العذاب فان لله كل شى فهم فى قبضة التقدير وقيل الاية احتجاج على الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا وتكذيب لهم **والله على كل شى قدير** ومنه تعذيب الكافرين وانجا المومنين **ان فى خلق السموات والارض** وما فيهما من العجايب **واختلاف الليل والنهار** بالمجى والذهاب والزيادة والنقصان **لايات** دلالات **لاولى الالباب** ذوى العقول عن عايشة رضى الله عنها قالت لما نزلت هذه الاية على النبى صلى الله عليه وسلم قام يصلى فاتاه بلال يوذنه بالصلاة فراه يبكى فقال يا رسول الله اتبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر

فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ولقد انزل علي الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها قال العلما يستحب لمن انتبه من نومه ان يمسح على وجهه ويستفتح قيامه بقراءة هذه العشر ايات اقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم يصلي ما كتب له فيجمع بين التفكر والعمل الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ذكر الله تعالى ثلاث هيات لا يخلو ابن ادم منها غالبا ومن هذا المعنى قول عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه اخرجه مسلم وهو ذكر اللسان وذهب جماعة الى ان المراد بالذكر هنا الصلاة اي لا يضيعونها على حال العذر يصلون قعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا عطف تعالى عبادة اخرى على ما قبلها وهي اما ذكر اللسان واما الصلاة وهي التفكر في قدرة الله تعالى ومخلوقاته والعبر ليكون ذلك ازيد في بصايرهم وفي كل شي له اية تدل على انه واحد وقيل يتفكرون عطف على الحال وقيل منقطعا والفكرة تردد القلب في الشي وقيل حركة النفس في المعقولات بخلاف حركتها في المحسوسات فيسمى تخيلا وكانهم ضمنوا الحركة اعتبار قصدها فيخرج الحدس وما يتوارد على النفس بلا قصد كما في النوم والنسيان وفي الخبر مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يتفكرون في الله تعالى فقال تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره وانما التفكر والاعتبار وانبساط الذهن

ن

في المخلوقات وفي الحديث تفكر ساعة خير من عبادة سنة وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب وهو المقصود من الخلق ربنا ما خلقت هذا باطلا اي يقولون ما خلقته عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على حكمتك وقدرتك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق بمعنى المخلوق والباطل الزايل الذاهب وهو منصوب على انه نعت لمصدر محذوف اي خلقا باطلا وقيل على نزع الخافض اي ما خلقته للباطل وقيل على المفعول الثاني ويكون خلق بمعنى جعل سبحانك تنزيها لك عن العبث سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى سبحان الله فقال تنزيه الله عن السوء وتقدم معناه فقنا عذاب النار اي اجرنا من عذابها ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي ذللته واهنته وقيل اهلكته وقيل افضحته وابعدته والمراد من قوله من تدخل النار من يخلد في النار قاله انس بن مالك قتادة تدخل مقلوب تخلد وقال سعيد بن المسيب الاية خاصة في قوم لا يخرجون من النار ولهذا قال وما للظالمين الكافرين من انصار يمنعونهم من عذاب الله وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها قال اهل المعاني الخزي يحتمل ان يكون بمعنى الحيا اخزى المومنين يوميذ استحيا وهم من دخول النار من ساير اهل الاديان الى ان يخرجوا منها والخزي للكافرين هو اهلاكهم فيها من غير موت والمومنون يموتون فافترقوا كذا ثبت في الصحيح من حديث ابي سعيد اخرجه مسلم ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان

اي يدعوا اليه هو محمد صلى الله عليه وسلم قاله اكثر المفسرين قتادة
ومحمد بن كعب هو القران وليس كلهم سمع النبي صلى الله عليه وسلم
واجاب الاول بان من سمع القران فكانما لقي النبي صلى الله عليه
وسلم واوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه
عليه وفيه مبالغات ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير
المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه ان امنوا ان في موضع نصب
على نزع الخافض اي بان وفي الكلام تقديم وتاخير اي سمعنا مناديا
للايمان ينادي وقيل اللام بمعنى الى اي الى الايمان وقيل هي لام
اجل اي لاجل الايمان بربكم فامنا اي فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
وكفر عنا سياتنا تاكيد ومبالغة في الدعا ومعنى اللفظين واحد
فان الغفر والكفر الستر وقيل المعنى فاغفر لنا كبايرنا وكفر عنا
صغايرنا وتوفنا مع في جملة الابرار الانبيا والصالحين اي مخصوصين
بصحبتهم معدودين في جملتهم واحده بر او بار واصله من الاتساع
فكان البر متسع في طاعة الله ومتسعة له رحمة الله ربنا واتنا
اعطنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنة رسلك مثل واسال
القرية وهو ما ذكر عن استغفار الانبيا والملايكة للمومنين والملايكة
يستغفرون للذين امنوا وما ذكر من دعا نوح للمومنين ودعاء
ابرهيم واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم لامته وقيل
المعنى على تصديق رسلك من الثواب ولا تخزنا اي لا تعذبنا ولا
تهلكنا ولا تفضحنا ولا تمقتنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد ٥
الموعود بالبعث والجزا فان قيل ما وجه سوالهم وقد علموا ان الله

لايخلف

لايخلف الميعاد قيل لان الله تعالى وعد من امن بالجنة فسالوا ان يكونوا
ممن وعد بذلك دون الخزي والعقاب او سالوا ان يجعلهم من
مستحقي الوعد لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم له او لانهم دعوا بهذا
الدعا على جهة العبادة والخضوع او لانهم سالوا ان يعطوا ٥
ما وعدوا به من النصر على عدوهم معجلا حكاية عن اصحاب النبي ٥
صلى الله عليه وسلم فسالوا ذلك اعزازا للدين وفي الحديث
من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن وعده على عمل عقابا فهو
فيه بالخيار والعرب تذم بالمخالفة في الوعد وتمدح بذلك في
الوعيد قال بعضهم • واني وان واعدته او واعدته • لمخلف ايعادي
ومنجز موعدي • فاستجاب لهم ربهم اي اجابهم قال الحسن ما زالوا
يقولون ربنا ربنا حتى استجاب لهم وقال جعفر الصادق من حزنه
امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد
قيل وكيف ذلك قال اقرا الذين يذكرون الله قياما وقعودا
الى قوله انك لا تخلف الميعاد اني اي باني لا اضيع عمل عامل منكم
من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم كاين من بعض روى الحاكم عن ام سلمة
قالت يا رسول الله لا اسمع الله ذكر النسا في الهجرة بشي فانزل الله
فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم الاية ودخلت من
للتاكيد وقال الكوفيون هي للتفسير ولا يجوز حذفها لانها
دخلت لمعنى لا يصلح الكلام الا به وانما تحذف اذا كانت تاكيدا
للجحد وبعضكم من بعض ابتدا وخبر اي الذكور من الاناث وبالعكس
وقيل دينكم واحد وقيل بعضكم من بعض في الثواب والاحكام الضحاك

رجالكم شكل نسايكم في الطاعة ونسا وكم شكل رجالكم في الطاعة
فالذين هاجروا اي هجروا اوطانهم وصاروا الى المدينة واخرجوا
من ديارهم في طاعة الله واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم
وقاتلوا اعداي وقتلوا في سبيلي وقرا حمزة وقتلوا وقاتلوا
ووجه قراته انهم قاتلوا بعدما وقع القتل فيهم وقراة الجماعة
ظاهرة لاكفرن عنهم سياتهم اي لاسترنها عليهم في الاخرة فلا
اوبخهم بها ولا اعاقبهم ثوابا مصدر موكد عند البصريين لان
معنى لادخلنهم لاثيبنهم ثوابا الكسائي النصب على القطع الفرا
على التفسير من عند الله فيه التفات عن التكلم والله عنده
حسن الثواب اي حسن الجزا وهو ما يرجع اليه العامل من جزا عمله
لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد قيل الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد امته وقيل للجميع وذلك ان المسلمين قالوا هولا
الكفار في رخا واموال واضطراب في البلاد وقد هلكنا نحن من
الجوع فنزلت اي لا يغرنك سلامتهم في تقلبهم في اسفارهم في التجارات
متاع قليل اي تقلبهم متاع قليل لقصر مدته وفي جنب ما اعد
الله تعالى للمومنين وفي الحديث ما الدنيا في الاخرة الا مثل
ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم ماواهم جهنم
وبيس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها اي مقدرين الخلود
نزلا من عند الله النزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة
القرطبي ولعل النزل ما جا في صحيح مسلم في حديث الحبر الذي سال
البني

البني صلى الله عليه وسلم اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير
الارض وفيه فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد
الحوت قال فما غذاهم عليه قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان
ياكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا
الى اخره قال اهل اللغة والتحفة ما يتحف به الانسان من الفواكه
والطرف وزيادة الكبد قطعة منه كالاصبع ومعنى نزلا ثوابا
قاله الهروي وقيل رزقا وانتصابه على الحال من جنات والعامل
فيها الظرف وقيل مصدر موكد اي انزولها وما عند الله لكثرته
ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة
زواله وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه
وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من
الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه
جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال
المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني ودخلت اللام
على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم القران
وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يومن
وجمعهم باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله
المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خصهم من
الاجر الذي وعدوه في قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين بما
صبروا ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وقد ورد ان الله
تعالى يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من ايام الدنيا وتقدم

يايها الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من
الشدايد وصابروا اى وغالبوا اعدا الله فى الصبر على شدايد
الحروب فلا يكونوا اشد صبرا منكم واعدى عدوكم على مخالفة
الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته قال الحسن صابروا
على الصلوات الخمس عطا صابروا الوعد الذى وعدتكم اى لا تياسوا
وانتظروا الفرج قال عليه الصلاة والسلام انتظار الفرج
بالصبر عبادة ورابطوا ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين
للعدو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من
رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام رمضان
وقيامه الى اخره واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبرى عما
سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبايح لعلكم تفلحون بنيل
المقامات الثلاث المرتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات
ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق
لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة

سورة النسا مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بنى ادم وقيل اهل مكة اتقوا ربكم اى
عقابه بان تطيعوه الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى ادم وخلق
منها زوجها عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد وخلق منه
امكم حوا من ضلع من اضلاعه اليسرى او محذوف تقديره من نفس
واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقكم من نفس واحدة
وبث اى فرق ونشر منهما رجالا كثيرا ونسا كثيرة وهو بيان

لكيفية

لكيفية تولدهم منهما والمعنى نشر من تلك النفس والزوج المخلوقة
منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف
النسا بها اذ الحكمة تقتضى ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع
واتقوا الله الذى تسالون به اى يسال بعضكم بعضا به فيقول
اسالك بالله واصله تتسالون فادغمت التا الثانية فى السين
وقرى بطرحها والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اى اتقوا الله والارحام ه
فصلوها ولا تقطعوها وقرى بالجر عطفا على الضمير المجرور
قيل وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة قال سيبويه لم يعطف
على المضمر المخفوض لانه بمنزلة التنوين وقال جماعة هو معطوف
على المكنى فانهم كانوا يسالون بها يقول الرجل اسيلك بالله
والرحم هكذا فسره الحسن وغيره وهو الصحيح فى المسيله وانشد
سيبويه ، فاذهب فما بك والايام من عجب ، وقال حسان
، فانظر بنا والحق كيف نوافقه ، وقيل الواو للقسم وجوابه
ان الله كان عليكم رقيبا اى حافظا مطلعا على اعمالكم فمجازيكم
اى لم يزل متصفا بذلك واتوا اليتامى اموالهم اى اذا بلغوا والمعنى الذين
كانوا يتامى اذ لا يتم بعد البلوغ فهو من مجاز تسمية الشى بما كان عليه
واليتيم الذى مات ابوه من اليتم وهو الانفراد وهذه الاية
خطاب للاوليا والاوصيا ونزلت فى قول مقاتل والكلبى فى رجل
من غطفان كان معه مال كثير لابن اخيه فلما بلغ اليتيم طلب ماله
فمنعه عمه فنزلت الاية فقال عمه نعوذ بالله من الحوب الكبير ،

ورد المال الى اخره وايتا المال لليتامى يكون بوجهين احدهما
اجرا الطعام والكسوة مادامت الولاية والثانى بالتمكين واسلام
المال وذلك عند الابتلا والرشد واذا تحقق الولى رشده
حرم عليه امساك ماله وكان عاصيا وقال ابو حنيفة اذا بلغ
خمسا وعشرين سنة اعطى ماله كله على كل حال لانه يصير جدا
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب اى ولا تتبدلوا الحرام من اموالهم
بالحلال من اموالكم وقيل المعنى ولا تتبدلوا الشاة السمينة
من مال اليتيم بالشاة الهزيلة ولا الدرهم الطيب بالزيف
وكانوا فى الجاهلية لعدم الدين لا يتحرجون عن اموال اليتامى
ويقولون اسم باسم وراس براس فنهوا عن ذلك ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم اى ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اى لا تنفقوهما معا
ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر
اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف انه اى الاكل كان حوبا كبيرا
اى ذنبا عظيما وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى اى ان خفتم ان
لا تعدلوا فى مهورهن وفى النفقة عليهن فانكحوا ما طاب لكم
اى غيرهن وفى صحيح مسلم عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله
عنها فى قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا الاية قالت
يا ابن اختى هى اليتيمة تكون فى حجر وليها تشاركه فى ماله فيعجبه
مالها فيريد ان يتزوجها بغير ان يقسط فى صداقها فيعطيها
مثل ما يعطيها غيره فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن ويبلغوا
بهن اعلى سنتهن فى الصداق وامروا ان ينكحوا ما طاب لهم من النسا.

سواهن

سواهن وقال ابن عباس وغيره المعنى وان خفتم ان لا تقسطوا
فى اليتامى فكذلك خافوا فى النسا لانهم كانوا يتحرجون فى اليتامى
ولا يتحرجون فى النسا وخفتم من الاضداد فانه يكون المخوف منه
معلوم الوقوع وقد يكون مظنونا ولذلك اختلف فى تفسيره
هنا فقال ابو عبيدة خفتم ايقنتم وقال غيره ظننتم ابن عطية
التقدير من غلب على ظنه التقصير فى القسط لليتيمة فليعدل
عنها وتقسطوا معناه تعدلوا يقال اقسط اذا عدل وقسط اذا
جار وظلم صاحبه قال الله تعالى ان الله يحب المقسطين
وقال تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فانكحوا ما طاب
لكم من النسا جاءت ما للادميين وان كان اصل وضعها لما
لا يعقل لان ما ومن يتعاقبان قال تعالى والسما وما بناها
وقال فمنهم من يمشى على بطنه الاية ولان ما تقع للمنعوت كما
تقع لما لا يعقل يقال ما عندك فتقول ظريف وكريم وقيل
غير هذا واتفق اهل العلم على ان قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا
فى اليتامى ليس له مفهوم اذ اجمع المسلمون على ان من لم يخف
القسط فى اليتامى له ان ينكح اكثر من واحدة اثنتين او ثلاثا او اربعا
كمن خاف فدل ان الاية نزلت جوابا لمن خاف ذلك وان حكمها
اعم من ذلك وقوله ما طاب لكم اى ما حل قال الاطبا ومقاصد
النكاح ثلاثة حفظ النسل واخراج الما الذى يضر احتباسه
بالبدن ونيل اللذة وهذه الثالثة هى التى فى الجنة ولا تناسل
هناك ولا احتباس مثنى وثلاث ورباع موضعها من الاعراب نصب

على البدل منما وهي نكره لا تنصرف لانها معدولة وصفة وقال
الطبري هي معارف لانه لم يدخلها الالف واللام وقيل
لم تنصرف لانه معدول عن لفظ معناه فاحاد معدول عن
واحد واحد ومثنى عن اثنين اثنين وثلاث عن ثلاثة ثلاثة
ورباع عن اربعه وقيل غير هذا وهذا العدد وهو
مثنى وثلاث ورباع لا يدل على اباحة تسع كما قاله من بعد
فهمه للكتاب والسنه واعرض عما كان عليه سلف الامة
والذي صار الى هذه الجهاله وقال هذه المقاله الرافضه
وبعض اهل الظاهر وزعم ان الواو جامعة وهذا كله جهل
باللسان والسنة ومخالفة لاجماع الامة اذ لم يسمع من احد
من الصحابة ولا التابعين انه جمع في عصمته اكثر من اربع
واخرج مالك في موطائه والنساي والدارقطني في سننهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لغيلان بن امية الثقفي
وقد اسلم وتحته عشر نسوة اختر منهن اربعا وفارق سايرهن
واما قولهم ان الواو جامعة فقد قيل ذلك لكن الله تعالى
خاطب العرب بافصح اللغات والعرب لا تدع ان تقول تسعة
وتقول اثنين وثلاثه واربعه واما الواو في هذه المواضع بدل
اي انكحوا ثلاثة بدلا من اثنين ورباع بدلا من ثلاث ولذلك عطف
بالواو ولم يعطف باو ولو جا باو لجاز ان لا يكون لصاحب المثنى
ثلاث ولا لصاحب الثلاث رباع فالواو هنا للاباحة اي الاعداد
شا واما قولهم ان مثنى يقتضي اثنين وثلاث ثلاثة ورباع اربعه
فتحكم

فتحكم بما لا يوافقهم اهل اللسان عليه وجهالة منهم فقي العدد
المعدول عن العرب زيادة معنى ليست من الاصل وذلك انها
اذا قالت جات الخيل مثنى انما تعني بذلك اثنين اثنين اي جات
مزوجة قال ابن عبد السلام في شريعة موسى يجوز للانسان
ان يتزوج من غير حصر تغليبا لمصلحة الرجال وفي شريعة عيسى
عليهما السلام لا يتزوج غير واحدة تغليبا لمصلحة النسا من عدم
الشحنا وراعت هذه الشريعة مصلحة النوعين بالعدد المخصوص
فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة قال الضحاك وغيره في الميل والمحبة
والجماع والعشرة والقسم بين الزوجات فان قيل ان هذه الاية
تفهم امكان العدل وقوله بعد ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا
تنفيه فالجواب ان هذه في توفية الحقوق والثانية في الميل
القلبي وليس في قدرة الانسان وقرى فواحدة بالرفع اي فواحدة
فيها كفاية الكساى فواحدة تقنع وقرى بالنصب اي فانكحوا
او فاختاروا واحدة او ما ملكت ايمانكم يريد الاما وهو عطف
على واحدة وفي الاية دليل على انه لا حق لملك اليمين في القسم
لان المعنى فان خفتم ان لا تعدلوا في القسم فواحدة او ما ملكت
ايمانكم فجعل ملك اليمين كله بمنزلة الواحدة واسند الملك
لليمين اذ هي صفة مدح واليمين مخصوصة بالمحاسن لتمكنها الا ترى
انها هي المنفقة وهي المعاهدة وهي المتلقية لرايات المجد
ذلك ادنى ان لا تعولوا اي ذلك المذكور اي التقليل منهن او
اختيار الواحدة او التسري اقرب الى ان لا تميلوا عن الحق وتجوروا

قال الشاعر انا اتبعنا رسول الله واطرحوا قول النبي وعالوا في
اي جاروا ويقال عال الرجل اذا افتقر ومنه وان خفتم عيلة
والعالة الفاقة وعالني الشي يعولني اذا غلبني وثقل علي وعال
الامر اشتد وتفاقم وقال الشافعي رضي الله عنه ان لا تعولوا
تكثر عيالكم **واتوا النسا صدقاتهن** جمع الواحدة صدقة
والخطاب في هذه الاية للازواج قاله ابن عباس وغيره وقيل
الخطاب للاوليا وكان الولي ياخذ مهر المراة ولا يعطيها شيا
فنهوا عن ذلك وقيل نزلت في المشاغرين الذين كانوا يتزوجون امراة
باخرى فامروا ان يضربوا المهور وقال مقاتل كان الرجل يتزوج بلا
مهر فيقول ارثك وترثيني فتقول المراة نعم فنزلت والاول اظهر
نحلة عطية يقال نحلت فلانا شيا اعطيته فالصداق عطية
من الله تعالى للمراة وقيل نحلة عن طيب نفس من غير منازعة وقيل
فريضة واجبة قاله قتادة ابن جريج وابن زيد فريضة مسماة
قيل لما تساوي الزوجان في الشهوة كان المهر نحلة وفضلا
ونحلة منصوب على التفسير وقيل مصدر والاولى ان يكون
منصوبا باضمار فعل من لفظها تقديره انحلوهن نحلة **فان
طبن لكم** يعني النسا **عن شي منه** اي الصداق وحملا على المعنى **نفسا**
مخاطبة للازواج ويدل بعمومه على ان هبة المراة صداقها
لزوجها بكرا كانت او ثيبا جايز قاله جمهور الفقها ومنع مالك
من هبة البكر الصداق لزوجها وجعل ذلك للولي مع ان الملك
لها ونفسا منصوب على البيان **فكلوه** ليس المقصود صورة الاكل

وانما

وانما المراد الاستباحة باي طريق كانت الا ان الاكل لما كان ادنى
انواع التمتع بالمال عبر عن التصرفات بالاكل **هنيا مريا**
منصوبان على الحال من الها في كلوه وقيل نعت لمصدر محذوف
اي اكلا هنيا بطيب الانفس ومريا على الاتباع قيل والهني الطيب
المساغ الذي لا ينغصه شي والمري المحمود العاقبة التام الهضم
الذي لا يضر ولا يوذي والمعنى لا تخافون في الدنيا به مطالبة
ولا في الاخرة تبعة قال الغزالي رحمه الله انما يصح ابرا المراة
عن طيب نفس اما اذا اسا اليها وضيق عليها فاضطرت الى ابرايه
طلبا للخلاص فانه لا يصح باطنا لانه ابرا لا عن طيب نفس وطيب
النفس غير طيب القلب فالقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس
كما يريد الحجامة والنفس تكرهها وطيب النفس ان تسمح بذلك
لا لدفع ضرر عنها روي عن علي رضي الله عنه انه قال اذا اشتكى
احدكم شيا فليسال امراته شيا من صداقها ثم ليشتر به عسلا
فليشربه بما السما فيجمع الله له الهني والمري والشفا والما
المبارك **ولا تؤتوا** ايها الاوليا **السفهاء اموالكم** قد تقدم
معنى السفه لغة واختلف هنا في السفها من هم فعن سعيد بن
جبير هم اليتامى وعن ابي مالك هم الاولاد الصغار يقول لا تعطوهم
اموالكم فيفسدوها فتبقوا بلا شي وعن مجاهد هم النسا قاله
النحاس وغيره وهذا القول لا يصح انما تقول العرب في النسا سفايه
او سفيهات ويقال لا تدفع مالك مضاربة ولا الى وكيل لا يحسن
التجارة وعن عمر رضي الله عنه قال من لم يتفقه فلا يتجر في سوقنا

فذلك قوله تعالى ولا تؤتوا السفهآ اموالكم يعني الجهال بالاحكام
ويقال هم الكفار وقد كره العلما ان يوكل المسلم ذميا بالشرا
او البيع او يدفع اليه مضاربة وقال ابو موسى الاشعري السفها
هنا كل من يستحق الحجر واختلف في وجه اضافة المال للمخاطبين
وهي للسفها فقيل لانها بايديهم وهم الناظرون فيها فتنسب اليهم
اتساعا كقوله فسلموا على انفسكم وقوله فاقتلوا انفسكم وقيل
لانها من جنس اموالهم فان الاموال جعلت مشتركة بين الخلق
تنتقل من يد الى يد ومن ملك الى ملك وقال ابو موسى الاشعري
وابن عباس والحسن وقتادة المراد اموال المخاطبين حقيقة
قال ابن عباس لا تدفع مالك الذي هو سبب معيشتك
الى امراتك وابنك تبقى فقيرا تنظر الى ما في ايديهم بل كن انت الذي
تنفق عليهم التي جعل الله لكم قياما اي لمعاشكم واصلاح دينكم
وقرى قيما بالقصر جمع قيمة ما تقوم به الامتعة والقيام والقوام
ما يقيمك قال الفرا الاكثر في كلام العرب للنسا اللواتي
والاموال التي وكذلك غير الاموال ذكره النحاس وارزقوهم فيها
واكسوهم قيل معناه اجعلوا لهم فيها او افرضوا لهم فيها وهذا
فيمن يلزم الرجل نفقته وكسوته من زوجته وبنيه الاصاغر وقيل
الخطاب لولي اليتيم لينفق عليه من ماله الذي له تحت نظره
على ما تقدم في اضافة المال وقيل المعنى اجعلوها مكانا لرزقكم
وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه
وقيل معنى فيها منها وقولوا لهم قولا معروفا اراد تبيين الخطاب

والوعد

والوعد الجميل والقول المعروف مثل بارك الله فيكم وانا ناظر لكم
وهذا الاحتياط ليرجع نفعه اليكم وقيل المعنى عدوهم وعدا
حسنا اي ان رشدتم دفعنا اليكم اموالكم ويقول الاب لابنه مالي
اليك مصيره وانت ان شا الله صاحبه اذا ملكت رشدك وعرفت
صرفك وابتلوا اليتامى خطاب لكل من يلي امرهم اي اختبروهم قبل
البلوغ في دينهم وتصرفهم قيل نزلت في ثابت بن رفاعة وذلك ان
رفاعة توفي وترك ابنه وهو صغير فاتى عمه الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ان ابن اخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى
ادفع اليه ماله فانزل الله هذه الاية حتى اذا بلغوا النكاح اي
الحلم قال ابن فارس كل ما في القران من النكاح فهو التزوج الا هذه
الاية فالمراد الحلم والبلوغ يكون بخمسة اشيا ثلاثة يشترك فيها
الرجال والنسا وهي الانبات والسن والاحتلام وهو انزال المني
واثنان تختص بالنسا وهما الحيض والحبل وقال الشافعي رضي الله
عنه واحمد بن حنبل وغيرهما خمسة عشر سنة بلوغ لمن لم يحتلم
وعن ابي حنيفة ان بلوغ الغلام بثمانية عشر والجارية بسبعة عشر
واما الانبات فروي عن عمر انه كتب الى امرا الاجناد لا تضربوا الجزية
الا على من جرت عليه الموسى وقال الشافعي هو بلوغ في الكفار دون
المسلمين فان انستم منهم اي ابصرتم ورايتم ومنه قوله تعالى انس
من جانب الطور نارا اي ابصر وراى وقيل احسستم ووجدتم وعلمتم
رشدا اي صلاحا في العقل والدين وقال ابن عباس وغيره صلاحا
في العقل وحفظا في المال وقال سعيد والشعبي ان الرجل لياخذ

بلحيته وما بلغ رشده مجاهد رشدا يعني في العقل خاصه وقال
ابو حنيفة لا يحجر على الحر البالغ اذا بلغ مبلغ الرجال ولو كان افسق
الناس واشدهم تبذيرا اذا كان عاقلا وقال الشافعي ان كان مفسدا
لدينه وماله يحجر عليه وكذا ان كان مفسدا لدينه مصلحا لماله او
مفسدا لماله دون دينه فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد
البلوغ فدفع المال يكون بشرطين ايناس الرشد والبلوغ ولا تاكلوها
ايها الاوليا اسرافا وبدارا ان يكبروا الاسراف في اللغة الافراط ٥
ومجاوزة الحد والسرف الخطا في الانفاق وقال النضر السرف التبذير
وبدارا معناه مبادرين كبرهم وهو حال البلوغ اي لا تستغنم مال
محجورك فتاكله وتقول ابادر كبره لئلا يرشد وياخذ ماله عن ابن عباس
وغيره ومن كان غنيا من الاوليا فليستعفف عن اكلها والاستعفاف
عن الشي تركه والعفة الامتناع عما لا يحل ولا يجب فعله وفي صحيح مسلم
عن عايشة نزلت الاية في ولي اليتيم الذي يقوم عليه ويصلحه اذا
كان محتاجا ان ياكل منه وفي رواية بقدر ماله وقيل المراد اليتيم
ان كان غنيا وسع عليه واعف عن ماله وان كان فقيرا انفق عليه
بقدره والصحيح الاول لان اليتيم لا يخاطب بالتصرف ومن كان فقيرا
فلياكل منه بالمعروف قال قوم الاكل بالمعروف هو القرض اذا احتاج
ويقضي اذا ايسر قاله ابن عباس وغيره وقال الحسن هي طعمة له من الله ٥
وذلك انه ياكل ما يسد جوعه ويكسي ما يستر عورته وروي عن ابن عباس
وغيره انه الانتفاع بالبان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب
اذا لم يضر باصل المال وقال الفقها ياخذ قدر اجرة عمله قالت

طايقة

طايقة ان هذا هو المعروف ولا قضا عليه والزيادة على ذلك محرمة
ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال
الصبي وفرق بعضهم بين وصي الاب وبين وصي الحاكم فلوصي الاب ان
ياكل بالمعروف واما وصي الحاكم فلا سبيل له الى المال بوجه وقال
اخرون ان الاية منسوخة بقوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا
ان تكون تجارة عن تراض منكم وهذا ليس بتجارة قاله مجاهد قال
وليس له ان ياخذ قرضا ولا غيره وفرق بعضهم بين الحضر والسفر وقيل
غير هذا فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها
فانه انفى للتهمة وهذا الاشهاد مستحب عند طايفة وقالت اخرى هو
فرض وظاهره ان القيم لا يصدق في دعواه الا ببينة وهو المختار
عند الشافعي ومالك خلافا لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا الباء
زايدة اي كفى الله حاسبا لاعمالكم ومجازيا بها للرجال نصيب مما
ترك الوالدان والاقربون وللنسا نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون نزلت الاية في اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراة يقال
لها ام كجة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ٥
ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امراته
وبناته شيا وكانوا في الجاهلية لا يورثون النسا ولا الصغير وان كان
ذكرا ويقولون لا نعطي الا من يقاتل على ظهور الخيل ويطعن بالرمح ويضرب
بالسيف فذكرت ام كجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهما
فقالا يا رسول الله ان ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكا عدوا
فقال عليه الصلاة والسلام انصرفا حتى انظر ما يحدث الله لي فيهن

فانزل الله هذه الاية ردا عليهم وابطالا لقولهم فان الورثة الصغار
كان ينبغي ان يكونوا احق بالمال لعدم تصرفهم والنظر في مصالحهم
فعكسوا الحكم وابطلوا الحكمة فضلوا باهوائهم واخطاوا في رايهم
وفي الاية بيان علة المواريث وهي القرابة وعموم القرابة واجمال
النصيب المفروض وذلك مبين في اية المواريث مما قل منه اي المال
او كثر اثبت الله تعالى للبنات نصيبا في الميراث ولم يبين كم هو
فارسل النبي صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان لا تفرقا
من مال اوس شيا فان الله جعل لبناته نصيبا ولم يبين كم هو حتى
انظر ما يقول ربنا فانزل الله يوصيكم الله في اولادكم الى قوله الفوز
العظيم فارسل اليهما ان اعطيا ام كجة الثمن مما ترك اوس ولبناته
الثلثين ولكما بقية المال نصيبا مفروضا قال الفرا هو كقولك قسما
واجبا وحقا لازما فهو اسم في معنى المصدر الزجاج انتصب على الحال
الاخفش اي جعل الله لهم نصيبا والمفروض المقدر الواجب وفيه
دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر
القسمة اولوا القربى اي حضر الميراث من لم يستحق شيا ارثا من الاقارب
واليتامى والمساكين فارزقوهم منه اي فاعطوهم شيا من المقسوم
قبل القسمة واكرموهم ولا تحرموهم ان كان المال كثيرا وان كان
لصغار او غفارا اعتذر اليهم فالاية على هذا محكمة قاله ابن عباس
وروي عن ابن عباس ايضا انها منسوخة باية يوصيكم الله في اولادكم
والاول اصح فانها مبينة استحقاق الوارث النصيب واستحباب
المشاركة لمن لا نصيب له ممن حضرهم قال ابن جبير ضيع الناس
هذه

هذه الاية وقال الحسن ولكن الناس شحوا والضمير في منه عايد
على معنى القسمة اذ هي بمعنى المال والميراث والامر للندب وقولوا لهم
قولا معروفا قال سعيد بن جبير يقال لهم خذوا بورك لكم وقيل
قولوا مع الرزق وددت لو كان اكثر من هذا وليخش الذين لو تركوا
من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم يخش مجزوم بلام الامر ومفعوله
محذوف لدلالة الكلام عليه وخافوا جواب لو التقدير لو تركوا
لخافوا ويجوز حذف اللام في جواب لو وهذا من باب اطلاق الفعل
والمراد مقاربته ومشارفته اي وليخش الذين لو تركوا اي قاربوا ان
يتركوا لان الخطاب للاوصيا وانما يتوجه اليهم قبل الترك لانهم
بعده اموات فهي وعظ للاوصيا اي افعلوا باليتامى ما تحبون ان
يفعل باولادكم من بعدكم قاله ابن عباس وقيل المراد جميع الناس
امرهم باتقا الله تعالى في الايتام واولاد الناس وان لم يكونوا في
حجورهم وان يسددوا لهم القول كما يريد كل واحد ان يفعل بولده
بعده وعن الشيباني قال قلت لابن الديلمي يا ابا بشر وددت
ان لا يكون لي ولد فقال لي ما عليك ما من نسمة قضى الله بخروجها
من رجل الا خرجت احب او كره ولكن ان اردت ان تامن عليهم
فاتق الله في غيرهم ثم تلا وليخش الذين الاية وعن ابن عباس قال اذا
حضر الرجل الوصية فلا ينبغي ان يقول اوص بمالك فان الله تعالى
رازق ولدك ولكن يقول قدم لنفسك واترك لولدك فذلك قوله
تعالى فليتقوا الله وقيل وليخش الحاضرون عند الموصي ان يامروه
بتفريق المال فيمن لا يرث وليقولوا قولا سديدا اي عدلا صوابا اي مروا

المريض بان يخرج من ماله ما عليه من الحقوق الواجبة ثم يوصي لقراباته
بقدر ما لا يضر بالورثة الصغار وقيل المعنى قولوا للميت قولا عدلا
وهو ان تلقنوه لا اله الا الله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
بغير حق روي انها نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد
ولي مال ابن اخيه وهو يتيم فاكله فانزل الله هذه الاية وقال
الجمهور المراد الاوصياء الذين ياكلون ما لم يبح لهم من مال اليتيم
وقال ابن زيد نزلت في الكفار الذين كانوا لا يورثون النساء
ولا الصغار وسمي اخذ المال اكلا لما كان المقصود هو الاكل انما
ياكلون في بطونهم نارا وخص البطون بالذكر للتشنيع عليهم بضد
مكارم الاخلاق وسمي الماكول نارا لما يوول اليه وقيل نار الحرام لان
الحرام يوجب النار وسيصلون سعيرا اي يحرقون بها او يباشرونها
والسعير الجمر المستعر يوصيكم الله في اولادكم اي يامركم ويعهد اليكم
والولد حقيقة في ولد الصلب فاما ولد الابن فانه يدخل فيه بطريق
المجاز قاله بعضهم وكان يجب على ظاهر الاية ان يكون الميراث
لجميع الاولاد المومن منهم والكافر فلما ثبتت السنة انه لا يرث المومن
الكافر علم ان الله اراد بعض الاولاد دون بعض ولم يدخل في عموم الاية
ميراث النبي صلى الله عليه وسلم لقوله لا نورث ما تركناه صدقة
وكذلك لم يدخل القاتل عمدا فان قتله خطا لم يرث في قول الشافعي
واحمد وسفيان شيا والاية تتناول كل ولد موجودا او جنينا في
بطن امه من الذكور والاناث ما عدا الكافر والقاتل كما تقدم للذكر
مثل حظ الانثيين لما فضل الذكر على الانثى لانه يختص بالنصرة

ولزوم

ولزوم ما لا يلزم المراة من العقل والجهاد وقال ابن عبد السلام الحكمة
فيه ان الميراث جعل على قدر الحاجات وللذكر حاجة لنفسه وحاجة
للزوجة وللانثى حاجة واحدة فان كن اي الاولاد نساء فوق اثنتين
فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم فرض تعالى للواحدة النصف ولما فوق
البنتين الثلثين واختلف في الدليل الذي يوجب للبنتين الثلثين به
فقيل الاجماع وهو مردود بخلاف ابن عباس فانه اعطى البنتين النصف
وقيل اعطيتا الثلثين بالقياس على الاختين بل هما اولى وقيل
في الاية ما يدل على ان للبنتين الثلثين وذلك انه لما كان للواحدة مع
اخيها الثلث اذا انفردت علمنا ان للاثنتين الثلثين وقيل
فوق زايدة كقوله فاضربوا فوق الاعناق واقوى الاحتجاج في ان
للبنتين الثلثين الحديث الصحيح المروي في سبب النزول وهو ابنتا
سعد بن الربيع كما رواه ابو داود وغيره وان كانت واحدة قرئ واحدة
بالرفع على معنى وقعت وحدثت فكان تامة وقرئ بالنصب اي وان
كانت المتروكة او المولودة واحدة فلها النصف وبنت الابن كالبنت
لما ياتي ولابويه اي لابوي الميت وهذا كناية عن غير مذكور وجاز
ذلك لدلالة الكلام عليه لكل واحد منهما السدس مما ترك برفع
بالابتدا وما قبله خبره والابوان تثنية الاب والام على التغليب
ان كان له اي الميت ولد ذكرا او انثى والحق بالولد ولد الابن وبالاب
الجد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه ان قيل ما فايدة زيادة الواو
في قوله وورثه ابواه وكان ظاهر الكلام ان يقول ورثه ابواه قيل
اراد بزيادتها الاخبار لتبيين انه امر مستقر ثابت فيخبر عن ثبوته

واستقراره فيكون حال الوالدين عند انفرادهما كحال المولودين
للذكر مثل حظ الانثيين ويجتمع للاب بذلك فرضان السهم
والتعصيب **فلامه الثلث** اي ثلث المال او ثلث ما يبقى بعد
فرض زوج او زوجة والباقي للاب **فان كان له اخوة فلامه السدس**
سوا كانوا اشقا او لاب او لام واجمع اهل العلم على ان المراد
اخوان فصاعدا ذكرانا كانوا او اناثا الا ما روي عن ابن عباس ان
الاثنين من الاخوة حكم الواحد فلا يحجب الام اقل من ثلاثة استدل
الجميع بان قالوا الجمع اثنان لان التثنية جمع شي الى مثله وقال
عليه الصلاة والسلام الاثنان فما فوقهما جماعة وقال
الزمخشري لفظ الاخوة هنا يتناول الاخوين لان المقصود به
الجمعية المطلقة من غير كمية والاثنان يحجبانها وان لم يرثا ان لم
يكن لهما مانع من الارث كرق **من بعد وصية يوصي بها او** قضا **دين**
قدم ذكر الوصية على ذكر الدين والدين مقدم عليها بالاجماع لان
المقصود تقديمهما على الميراث ولم يقصد ترتيبهما في نفسهما
ولان الوصية لما كانت اقل لزوما من الدين قدمها اهتماما بها
كما قال تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة وجواب ثالث قدمها
لكثرة وجودها ووقوعها فصارت كاللازم لكل ميت مع نص الشارع
عليها واخر الدين لشذوذه وقيل قدمت الوصية اذ هي حظ مساكين
وضعفا واخر الدين اذ هو حظ غيرهم يطلب بقوة وسلطان **اباوكم**
وابناوكم رفع بالابتدا والخبر مضمر تقديره هم المقسوم عليهم او وخبره
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قيل في الدنيا بالدعا والصدقة كما جا

في الاثر

في الاثر ان الرجل ليرفع بدعا ولده من بعده وقيل في الاخرة فقد
يكون الابن افضل فيشفع في ابيه عن ابن عباس والحسن وقيل في الدنيا
والاخرة قاله ابن زيد وقيل المعنى ان الله قدر من الفرايض على ما علمه
مصلحة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا اي الوارث انفع لكم فتضعون
القسم على غير الحكمة **فريضة من الله** نصب على المصدر المؤكد اذ
معنى يوصيكم يفرض عليكم **ان الله كان عليما** بقسمة المواريث **حكيما**
قسمها وبينها لاهلها الزجاج عليما بالاشيا قبل خلقها حكيما فيما
يقدره ويمضيه فيها قال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال
والخبر منه بالماضي كالخبر منه بالاستقبال **ولكم نصف ما ترك ازواجكم**
الاية الخطاب للرجال والولد هنا ولد الصلب وولد البنين وان
سفلوا ذكرانا واناثا واحدا فما زاد باجماع وقيل بل اسم الابن يقع عليه
ايضا فيكون مرادا بالنص كما قال تعالى يا بني ادم وقال عليه الصلاة
والسلام انا ابن عبد المطلب فللزوج النصف مع عدم الولد
وولد الابن وله مع وجوده الربع وترث المراة من زوجها الربع مع فقد
الولد المذكور والثمن مع وجوده وحكم الواحدة والاثنين والثلاث
والاربع في الربع او الثمن واحد وانهن شركا في ذلك **وان كان رجل يورث**
كلالة او امراة تورث كلالة والكلالة مصدر من تكلل النسب اي احاط
وبه سمي الاكليل منزلة من منازل القمر فاذا مات الرجل وليس له ولد
ولا والد فورثته كلالة فسموا القرابة كلالة لانهم طافوا بالميت
من جوانبه وليسوا منه ولا هو منهم وعن ابي عبيدة قال الكلالة كل
من لم يرثه اب او ابن او اخ فهو عند العرب كلالة قال ابو عمر وذكر ابي عبيدة

الاخ هنا مع الاب والابن في شرط الكلالة غلط لا وجه له قال
ابن زيد الكلالة الحي والميت جميعا وعن عطا الكلالة المال وله
اي الموروث الكلالة اخ او اخت قرئ في الشاذ من ام قال القاضي
حسين وهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه وقال الماوردي القراة
الشاذة كخبر الواحد في وجوب العمل فلكل واحد منهما السدس
مما ترك فان كانوا اي الاخوة او الاخوات من الام اكثر من ذلك اي
من الواحد فهم شركاء في الثلث هذا التشريك يقتضي التسوية بين
الذكر والانثى وان كثروا من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار
نصب على الحال اي غير مدخل الضرر على الورثة راجع الى الوصية
والدين اما رجوعه الى الدين فبالاقرار في حال لا يجوز فيها كما لو اقر
في مرضه لوارثه او لصديق ملاطف فان ذلك لا يجوز عند مالك
واما رجوعه الى الوصية فبان يزيد على الثلث او يوصي لوارث على
ما هو مبين في الفروع وصية نصب على المصدر او في موضع الحال
من الله والله عليم حليم بما دبره لخلقه من الفرايض حليم بتاخير
العقوبة تلك حدود الله اي هذه الاحكام الله قد بينها لكم لتعرفوها
وتعملوا بها ومن يطع الله ورسوله في قسمة المواريث فيقربها
ويعمل بها كما امره الله او فيما حكم به يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار جملة في موضع نصب على النعت لجنات خالدين فيها
وذلك الفوز العظيم تقدم وتوحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين
رعاية للفظ من ومعناها ومن يعص الله ورسوله في قسمة المواريث
فلم يقسمها ولم يعمل بها ويتعد حدوده اي يخالف امره يدخله نارا

خا

خالدا فيها والعصيان ان اريد به الكفر فالخلود على بابه وان
اريد به الكبائر فالخلود مستعار لمدة ما وله عذاب فيها مهين
ذو اهانة واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم اللاتي جمع التي والفاحشة
هنا الزنا ومن نسائكم اضافه في معنى الاسلام فاستشهدوا عليهن
اي اطلبوا ممن قذفهن اربعة منكم اي من المسلمين جعل الله الشهادة
على الزنا اربعة تغليظا على المدعي وسترا على العباد وقيل انما كانت
الشهادة اربعة لانها شهادة على شخصين فكان لكل واحد رجلان
فان شهدوا عليهن فامسكوهن في البيوت وامنعوهن من مخالطة
النسا حتى يتوفاهن الموت اي ملائكته او يجعل الله لهن سبيلا
طريقا الى الخروج وكان هذا في ابتدا الاسلام حتى نسخ بالاذى الذي
بعده ثم نسخ ذلك باية النور وبالرجم في الثيب وقالت فرقة
بل كان الايذا هو الاول ثم نسخ بالامساك ولكن التلاوة قدمت
واخرت وكان هذا في صدر الاسلام قبل ان يكثر الجناة فلما
كثروا اتخذ لهم سجن قاله ابن العربي وقيل غير هذا واللذان ياتيانها
اي الفاحشة الزنا او اللواط منكم فاذوهما قال قتادة معناه
التوبيخ والتعيير وقالت فرقة هو السب والجفا ابن عباس هو
النيل باللسان والضرب بالنعال وقرئ بتشديد النون من
اللذان وهذان وهاتين والذين وتخفيفها وهما لغتان
والتشديد عوض من الالف المحذوفة او اليا المحذوفة والتخفيف
على قياس نونات التثنية فان تابا اي من الفاحشة واصلحا يعني
العمل بعد ذلك فاعرضوا عنهما اي اتركوا اذاهما وتعزيرهما وانما

كان هذا قبل نزول الحدود ان الله كان توابا اى راجعا بعباده من
المعاصى رحيما بهم وهو منسوخ بالحد ان اريد بها الزنا وكذا ان
اريد بها اللواط عند الشافعي لكن المفعول به لا يرجم عنده وان كان
محصنا بل يجلد ويغرب وارادة اللواط اظهر بدليل تثنية الضمير
والاول قال اراد الزاني والزانية انما التوبة على الله اى التي كتب
قبولها على نفسه بفضله قيل والاية عامة لكل من عمل ذنبا وقيل
لمن جهل فقط والتوبة لكل من عمل ذنبا في موضع اخر وهي فرض وتصح
من ذنب مع الاقامة على ذنب اخر من غير نوعه واذا تاب العبد فالله تعالى
بالخيار ان شا قبلها وان شا لم يقبلها غير انه قد اخبر انه يقبل التوبة
عن عباده فاخباره سبحانه عن اشيا واوجبها على نفسه تقتضي وجوب
تلك الاشيا والعقيدة انه لا يجب عليه شي عقلا واما السمع
فظاهره قبول توبة التايب وفي الاية حذف اى على فضل الله وقيل
على بمعنى عند وشروط التوبة اربعة الندم بالقلب وترك المعصية
في الحال والعزم على ان لا يعود الى مثلها وان يكون ذلك خوفا من الله
وسياتي في التحريم الكلام على التوبة النصوح للذين يعملون السو
بجهالة السو في هذه الاية وفي سورة الانعام يعم الكفر والمعاصي
فكل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته وقال قتادة
اجمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على ان كل معصية فهي بجهالة
عمدا كانت وجهلا وعن مجاهد والضحاك انهما قالا الجهالة هنا
العمد الزجاج قوله بجهالة يعني اختيارهم اللذة الفانية على اللذة
الباقية فسموا جهالا لذلك وقيل بجهالة اى لا يعلمون كنه العقوبة

م

ثم يتوبون من قريب قال ابن عباس والسدي معناه قبل المرض والموت
الضحاك كلما كان قبل الموت فهو قريب وقيل قبل المعاينة للملايكة
والسوق قال العلما وانما صحت التوبة منه في هذا الوقت لان
الرجا باق ويصح منه الندم والعزم على ترك الفعل وفي الحديث
ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ومعنى ما لم يغرغر ما لم تبلغ روحه
حلقومه وقيل المعنى يتوبون على قرب عهد من الذنب فاوليك
يتوب الله عليهم يقبل توبتهم وكان الله عليما بخلقه حكيما في صنعه
بهم وليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار اى لن يدخل في حكم التايبين
من حضره الموت وصار في حيز الياس كما كان فرعون في غمرة الما والغرق
فلم ينفعه ما اظهر من الايمان لان التوبة في ذلك الوقت لا تنفع لانها
حال زوال التكليف وبهذا قال ابن عباس وجمهور المفسرين واما
الكفار يموتون على كفرهم فلا توبة لهم في الاخرة واليهم الاشارة بقوله
اوليك اعتدنا لهم عذابا اليما وهو الخلود وان كانت الاشارة الى الجميع
فهو في جهة العصاة عذاب لا خلود معه وهذا على ان السيات لما
دون الكفر اى وليست التوبة لمن عمل دون الكفر من السيات ثم تاب
عند الموت ولا لمن مات كافرا ثم تاب يوم القيمة وقيل السيات هنا
الكفر فيكون المعنى وليست التوبة للكفار الذين يتوبون عند الموت ولا
الذين يموتون وهم كفار وحضر احدهم الموت يعني النزع ومعاينة
الملايكة واليما وجيعا يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النسا
كرها ان في موضع رفع بيحل اى لا يحل لكم وراثة النسا وكرها مصدر

في موضع الحال روى البخاري عن ابن عباس قال كان اذا مات الرجل كان
اولياؤه احق بامراته ان شا بعضهم تزوجها وان شاوا زوجوها وان شاوا
لم يزوجوها فهم احق بها من اهلها فنزلت الاية في ذلك وقال الزهري
وغيره كان من عادتهم اذا مات الرجل يلقي ابنه من غيرها او اقرب
عصبته ثوبه على المراة فيصير احق بها من نفسها ومن اوليائها فان
شا تزوجها بغير صداق وان شا زوجها من غيره واخذ صداقها وان شا
عضلها لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت فيرثها فنزلت الاية
فيكون المعنى لا يحل لكم ان ترثوهن من ازواجهن فتكونوا ازواجا لهن وقيل
كان الوارث ان سبق فالقى عليها ثوبا فهو احق بها وان سبقته فذهبت
الى اهلها كانت احق بنفسها قاله السدي وقيل كان يكون عند الرجل
عجوز ونفسه تتوق الى شابة فيكره فراق العجوز لمالها فيمسكها ولا يقربها
حتى تفتدي منه بمالها او تموت فيرثها فامر الزوج ان يطلقها ان
كره صحبتها ولا يمسكها كرها والمقصود من الاية اذهاب ما كانوا
عليه في جاهليتهم وان لا يجعل النسا كالمال يورثن وقرى كرها بضم
الكاف وبفتحها وهما لغتان وقيل بالفتح بمعنى الاكراه وبالضم المشقة
ولا تعضلوهن اي تمنعوهن من التزويج **لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن**
من المهر والخطاب قيل للاوليا وقيل للازواج النسا اذا حبسوهن
مع سوء العشرة طماعية ارثهن او تفتدين ببعض مهورهن وهذا
اصح واختاره ابن عطية واصل العضل المنع وتقدم **الا ان ياتين**
بفاحشة قال الحسن هي الزنا واذا زنت البكر فانها تجلد مائة
وتنفى سنة وترد الى زوجها ما اخذت منه وقال ابو قلابة اذا زنت

امراه

امراة الرجل فلا باس ان يضارها ويشق عليها حتى تفتدي منه
وقال السدي اذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن وقال ابن مسعود
وابن عباس وغيرهما الفاحشة هنا النشوز فاذا نشزت حل له ان
ياخذ مالها وقيل الفاحشة البذا باللسان وسوء العشرة قولا وفعلا
وهذا في معنى النشوز ومن اهل العلم من يجوز اخذ المال من الناشز
على جهة الخلع الا انه يرى ان لا يتجاوز ما اعطاها وقال مالك وجماعة
من اهل العلم للزوج ان ياخذ من الناشز جميع ما تملك قال ابن عطية
والزنا اصعب على الزوج من النشوز والاذى وكل ذلك فاحشة تحل
اخذ المال وقال عطا كان الرجل اذا اصابت امراته فاحشة اخذ منها
ما ساق اليها واخرجها فنسخ ذلك بالحدود **مبينة** قرى بكسر اليا وبفتحها
يقال بينت الشي فتبين مثل تبين ويجوز ان يكون متعديا اي مبينة صدق
مدعيها فهو لازم ومتعدي **وعاشروهن بالمعروف** اي على ما امر الله به من
حسن المعاشرة والخطاب للجميع اذ لكل احد عشرة زوجا كان او وليا
ولكن المراد بهذا الامر في الاغلب الازواج وذلك توفية حقها من المهر والنفقة
وان لا يعبس في وجهها بغير ذنب وان يكون منطلقا في القول لا فظا ولا
غليظا ولا مظهرا الى غيرها ميلا في العشرة والمخالطة والممازجة **فان**
كرهتموهن اي لزمانة او لسو خلق من غير ارتكاب فاحشة او نشوز فهذا
يندب فيه الاحتمال **فعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**
اي فعسى ان يؤول الامر الى ان يرزق الله منها اولادا صالحين وان رفع
بعسى فان والفعل مصدر وقيل المعنى لا يبغضها بغضا كليا يحمله
على فراقها بل يغفر سيئتها لحسنتها ويتغاضى عما يكره لما يحب قال

مكحول سمعت ابن عمر يقول ان الرجل ليستخير الله تعالى فيختار له فيسخط
على ربه عز وجل فلا يلبث ان ينظر في العاقبة فاذا هو قد خير له
وعسى في الاصل علة الجزا فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا
فعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج اي اذا اراد الزوج الطلاق من غير نشوز فليس له ان يطلب منها
مالا واما اذا اراد الفراق وكان بينهما نشوز وسوء عشرة فقال مالك
للزوج ان ياخذ منها اذا تسببت في الفراق ولا يراعى تسببه هو وقال
غيره لا يجوز له اخذ المال الا ان تنفرد هي بالنشوز وتطلبه في ذلك واتيتم
احداهن اي الزوجات قنطارا اي مالا كثيرا صداقا وفي الاية دليل على
جواز المغالاة في المهور لان الله تعالى لا يمثل الا بمباح فلا تاخذوا منه
شيا قال بكر بن عبد الله المزني لا ياخذ الزوج من المختلعة شيا لهذه الاية
وجعلها ناسخة لاية البقرة وقال ابن زيد هي منسوخة باية البقرة
والصحيح ان الاية محكمة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ قال الطبري ولا معنى
لقول بكر ان اردت هي العطا فقد جوز النبي صلى الله عليه وسلم لثابت ان
ياخذ من زوجته ما ساق اليها اتاخذونه بهتانا ظلما وهو مصدر في
موضع الحال واثما معطوف عليه ومبينا نعته والاستفهام للانكار
والتوبيخ اي اتاخذونه باهتين اثمين قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة
بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجيها الى الافتدا منه بما اعطاها فنهوا
عن ذلك وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض فيه تعليل المنع
الاخذ مع الخلوة وقال بعضهم الافضا اذا كان معها في لحاف واحد جامع
او لم يجامع وقال ابن عباس وغيره الافضا في هذه الاية الجماع قال

ابن عباس

ابن عباس ولكن الله يكني واصله في اللغة المخالطة واخذن منكم ميثاقا غليظا
قيل هو قوله عليه الصلاة والسلام فاتقوا الله في النسا فانكم اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله قاله عكرمة والربيع وقيل
هو قوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان قاله الحسن وقتادة
وغيرهما وقيل عقد النكاح قول الرجل نكحت وملكت عقدة النكاح ۝
قاله مجاهد وابن زيد وقيل هو الولد ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا
النكاح يقع على التزوج وعلى الجماع واصله في اللغة الضم والاجتماع
والعرب تستعمله بمعنى الوطي والعقد جميعا لكنهم قالوا نكح فلان فلانة
او بنت فلان ارادوا انه تزوجها وعقد عليها واذا قالوا نكح زوجته او
امته لم يريدوا الا المجامعة وللعلما في موضوعه الشرعي اختلاف
قيل انه حقيقة في العقد مجاز في الوطي وهو الصحيح من مذهب الشافعي
وبه قال احمد وهو اقرب الى الشرع لانه اكثر ما ورد في القران بمعنى العقد
وفي الحديث علنوا النكاح واجعلوه في المساجد فان كان الاب تزوج
امراة حرمت على ابنه وقيل المراد بها الفساد اي نكاح ابايكم الفاسد
المخالف لدين الله فمن متعلقة بدين الله تنكحوا وما نكح مصدر قال الطبري
ولو كان معناه ولا تنكحوا اللاتي نكح اباوكم لوجب ان يكون موضع ما من
فالنهي على هذا انما وقع على ان لا ينكحوا مثل نكاح ابايهم الفاسد والاول
اصح ويكون ما بمعنى الذي ومن والدليل على هذا ان الصحابة تلقت هذه
الاية على ذلك المعنى وقد كان في العرب قبايل قد اعتادت ان يخلف
الرجل على امراة ابيه وكانت هذه السيرة في الانصار لازمة وكانت
في قريش مباحة مع التراضي فنهى الله المومنين عما كان عليه اباوهم من

هذه السيرة **الا ما قد سلف** اى تقدم ومضى والسلف من تقدم من ابائك
وذوى قرابتك وهذا استثنا منقطع اى لكن ما قد سلف فاجتنبوه وقيل
الا بمعنى بعد اى بعد ما سلف كما قال الا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى اى بعد الموتة الاولى وقيل المعنى ان نكحتم عذبتم الا ما قد سلف
فانكم لا تعذبون به **انه** اى النكاح **كان فاحشة** قبيحا **ومقتا** سببا للمقت
من الله وهو اشد البغض **وسا سبيلا** طريقا عقب بالذم البالغ المتتابع
وذلك انه فعل انتهى من القبح الى الغاية واصل المقت البغض وكانت العرب
تقول للرجل اذا تزوج امراة ابيه مقتت فسمى الله هذا النكاح مقتا
اذ هو ذا مقت يلحق فاعله قال ابو العباس سالت ابن الاعرابى عن نكاح المقت
فقال هو ان يتزوج الرجل امراة ابيه فاولدها قيل للولد المقتى **حرمت
عليكم امهاتكم** الاية اى نكاح امهاتكم لان الاعيان لا توصف بتحريم
قال الواحدى اكثر استعمال العرب فى الادميات امهات وفى غيرهن من
الحيوانات امات شملت الاية الجدات للام او للاب ونكاح بناتكم حرم
الله سبعا من النسب الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات
وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعا بالرضاع والصهر الامهات من الرضاع
والاخوات من الرضاعة وامهات النسا والربايب وحلايل الابناء والجمع
بين الاختين والسابعه ولا تنكحوا ما نكح اباوكم **وامهاتكم اللاتى ارضعنكم**
قال صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فاذا ارضعت
المراة طفلا بشرطه المبين فى الفروع حرمت عليه لانها امه وبنتها لانها
اخته واختها لانها اخته وامها لانها جدته وبنت زوجها صاحب
اللبن لانها اخته واخته اى اخت صاحب اللبن لانها عمته وامه لانها جدته

وبنات

وبنات بنته لانهن بنات اخته وبنات ابنه لانهن بنات اخيه **واخواتكم
من الرضاعة** وهى الاخت لاب وام وهى التى ارضعتها امك بلبان ابيك
سوا ارضعتها معك او ولدت قبلك او بعدك والاخت من الاب
دون الام وهى التى ارضعتها زوجة ابيك والاخت من الام وهى
التى ارضعتها امك بلبان رجل اخر **وامهات نسايكم** ثم ذكر اربعا
يحرمن بالصهر ام المراة وابنتها وزوجة الاب وزوجة الابن
فاما ام المراة فتحرم بمجرد العقد الصحيح على ابنتها وقوله **وربايبكم
اللاتى فى حجوركم من نسايكم اللاتى دخلتم بهن** مستقل بنفسه
لا يرجع قوله من نسايكم اللاتى دخلتم بهن الى الفريق الاول بل هو
راجع الى الربايب اذ هو اقرب مذكور ولانه مجرور بالحرف والاول
بالاضافة واذا اختلف العامل لم يجز الاتباع وتعين القطع والربيبة
بنت امراة الرجل من غيره سميت بذلك لانه يربيها فى حجره فهى مربوبة
فعيلة بمعنى مفعولة واتفق الفقها على ان الربيبة تحرم على زوج
امها اذا دخل بالام وان لم تكن الربيبة فى حجره واضافتها الى الحجر
انما ذلك على الاغلب **فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم**
يعنى فى بناتهن اذا فارقتموهن قال العلما والفرق من جهة المعنى بين
الام والبنت ان الرجل يبتلى عادة بمكالمة ام الزوجة عقيب العقد
لانها التى ترتب اموره فحرمها الشارع بنفس العقد حتى تتمكن من
الخلوة بها ويسهل عليه ترتيب مصالحها بخلاف البنت فانها
لا تسعى فى مصالح الام فانتفى هذا الغرض والدخول الذى يقع به
التحريم هو الجماع قاله ابن عباس وغيره وقال مالك وابو حنيفة والليث

اذا مسها بشهوة حرمت عليه امها وابنتها وحرمت على الاب والابن
وهو احد قولي الشافعي والاظهر من قوليه خلافه وحلايل ابنايكم
الحلايل جمع حليلة وهي الزوجة وسميت بذلك لانها تحل مع الرجل
حيث حل فهي حليلة وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه
واجمعوا على تحريم ما عقد عليه الابنا على الابا وما عقد عليه الابا
على الابنا سوا كان مع العقد وطي ام لم يكن واختلف في النكاح الفاسد
والزنا على ما هو مبين في الفروع الذين من اصلابكم تخصيص يخرج به
كل من كانت العرب تتبناه بمن ليس للصلب وحرمت حليلة الابن
من الرضاع وان لم يكن للصلب بالاجماع المستند الى قوله عليه الصلاة
والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وان تجمعوا بين الاختين
من نسب او رضاع وموضع ان رفع على العطف على حرمت عليكم امهاتكم
وهو لفظ يعم الجمع بنكاح وبملك يمين فيجوز نكاح كل واحدة على الانفراد
وملكهما معا ووطء واحدة الا ما قد سلف يحتمل ان يكون معناه
معنى قوله الا ما قد سلف في قوله ولا تنكحوا ما نكح اباوكم وتحتمل معنى
زايدا وهو جواز ما سلف وهو انه ان جرى الجمع في الجاهلية كان
النكاح صحيحا واذا وجد في الاسلام خير بين الاختين على ما قاله مالك
والشافعي من غير اجرا عقود الكفار على موجب الاسلام ومقتضى الشرع
وسوا عقد عليهما عقدا واحدا جمع به بينهما او جمع بينهما في عقدين
وابو حنيفة يبطل نكاحهما ان جمع في عقد واحد ان الله كان غفورا لما
سلف منكم قبل النهي رحيما بكم في ذلك والمحصنات من النسا عطف
على المحرمات والتحصن التمنع ومنه الحصن والحصان بالكسر اسم للفرس
لانه

لانه يمنع صاحبه من الهلاك وبالفتح المراة العفيفة لمنعها نفسها من الهلاك
والمراد بالمحصنات هنا ذوات الازواج حرايرا مسلمات كن او لا الا ما ملكت
ايمانكم من الاما بالسبي والمحصنات ايضا الحراير والمحصنات العفايف
قال ابن عباس وغيره المراد بالمحصنات المسبيات ذوات الازواج خاصة
اي هن محرمات الا ما ملكت اليمين بالسبي من ارض الحرب فان تلك حلال
لمن تقع في سهمه وان كان لها زوج وهو قول الشافعي في ان السبي يقطع
العصمة وروى مسلم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم حنين بعث جيشا الى اوطاس فلقوا العدو فقاتلوهم وظهروا
عليهم واصابوا لهم سبايا فكان ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يتحرجون من غشيانهن من اجل ازواجهن من المشركين فانزل الله عز وجل والمحصنات
من النسا الا ما ملكت ايمانكم اي فهن لكم حلال بعد الاستبرا والمشهور من
مذهب مالك انه لا فرق بين ان يسبى الزوجان مجتمعين او متفرقين وقال
ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الاية
والحديث حجة عليه وقيل المراد ذوات الازواج اي فهن حرام الا ان يشتري
الرجل الامة ذات الزوج فان بيعها طلاقها وتطليق الزوج طلاقها
والصدقة بها طلاقها وان تورث طلاقها قال ابن مسعود اذا بيعت
الامة ولها زوج فالمشتري احق ببضعها والاكثرون قالوا لا يكون بيع الامة
المزوجة طلاقا ولا فسخا وممن قال ذلك عمر بن الخطاب وابنه عبد الله
وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن ابي وقاص وعامة اهل العلم مستدلين
بحديث بريرة واستمرار نكاحها حتى اختارت نفسها وحملوا الاية على
المسبيات كما تقدم وفرق بين هذه وبين المسبية بان السبي يزيل ملك الكافر

فان نكاحه كتاب الله عليكم نصب على المصدر المؤكد اي حرمت هذه
النسا كتابا من الله عليكم ومعنى حرمت عليكم كتاب الله عليكم واحل لكم
بالبنا للفاعل والمفعول ما وراء ذلكم ظاهر الاية يقتضي ان لا تحرم من
النسا الا من ذكرن وليس على ظاهره فان الله قد حرم على لسان نبيه
من لم يذكر في الاية فيضم اليها ففي الحديث الصحيح لا يجمع بين المراة وعمتها
ولا بين المراة وخالتها لان الكتاب والسنة كالشي الواحد فكانه قال
احللنا لكم ما وراء ما ذكرنا في الكتاب وما وراء ما اكملت به البيان على
لسان محمد صلى الله عليه وسلم ان تبتغوا باموالكم لفظ يجمع التزوج
والشرا وان في موضع رفع ويحتمل ان يكون المعنى لان او بان فيكون في
موضع نصب محصنين نصب على الحال ومعناه متعففين عن الزنا
غير مسافحين اي غير زانيين والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه
الغرض منه فما استمتعتم تمتعتم به منهن ممن تزوجتم فاتوهن
اجورهن فريضة والاستمتاع التلذذ والاجور المهور وسمي المهر اجرا
لانه اجر الاستمتاع قال الحسن ومجاهد وغيرهما المعنى فما استمتعتم
وتلذذتم بالجماع من النسا بالنكاح الصحيح فاتوهن اجورهن اي مهورهن
فاذا جامعها مرة واحدة فقد وجب المهر كاملا ان كان مسمى او مهر
مثلها ان لم يسم واختلف قول مالك في النكاح الفاسد هل تستحق به
مهر المثل او المسمى وقال الجمهور المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر
الاسلام وقال سعيد بن المسيب نسختها اية الميراث اذ كانت المتعة
لا ميراث فيها وقالت عايشة والقاسم بن محمد تحريمها ونسخها في القران
وذلك قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم

او

او ما ملكت ايمانهم وليست المتعة نكاحا ولا ملك يمين وعن
ابن مسعود قال المتعة منسوخة نسخها الطلاق والعدة والميراث
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به انتم وهن من بعد الفريضة اي من
زيادة ونقصان في المهر فان ذلك سايغ عند التراضي بعد استقرار
الفريضة والمراد ابرا المراة عن المهر وتوفية الرجل كل المهر ان طلق
قبل الدخول ان الله كان عليما بخلقه حكيما فيما دبره لهم ومن لم يستطع
منكم طولا اي سعة وغنا قاله ابن عباس وغيره والمراد هاهنا القدرة
على المهر في قول اكثر اهل العلم وبه قال الشافعي والاية خطاب للاحرار
واما العبد فله نكاح الامة لكونه غير واجد للطول ولكون ارقاق
ولده ليس عيبا عليه وقيل الطول الحرة وقيل الطول الجلد والصبر
لمن احب امة فان له ان يتزوجها اذا لم يملك هواها وخاف ان يبغي بها
وان كان يجد سعة النكاح وهو قول قتادة وعطا فيكون قوله لمن خشي
العنت على هذا التاويل عدم الجلد وعلى التاويل الاول يكون تزوج الامة
بشرطين عدم السعة وخوف العنت وبه قال الشافعي وفي الاية قول رابع
قال مجاهد مما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة والنصرانية وان
كان موسرا وقال بذلك ابو حنيفة ولم يشترط خوف العنت اذا لم
يكن تحته حرة قالوا لان كل ما يمكن ان يتزوج به الامة يمكن ان يتزوج
به الحرة فالاية على هذا اصل في جواز نكاح الامة مطلقا وحجة هذا القول
عموم قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم وقوله فمن لم يستطع منكم طولا
الى قوله لمن خشي العنت منكم كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا
الى قوله فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة وقد اتفق الجميع على ان للحر

ان يتزوج اربعا وان خاف ان لا يعدل قالوا وكذلك له تزويج الامة
وان كان واجدا للطول غير خايف للعنت ان ينكح المحصنات اي الحراير
يدل عليه التقسيم بينهن وبين الاما في قوله من فتياتكم المومنات وقرى
بكسر الصاد على انهن احصن فروجهن وبفتحها على ان الله تعالى احصنهن
وقوله تعالى المومنات جرى على الغالب فلا يجوز نكاح الامة لمن يحته
كتابية واختلف فيما يجوز للحر الذي لا يجد الطول وخشي العنت من نكاح
الاماء فقال مالك وابو حنيفة له ان يتزوج اربعا وقال الشافعي واحمد
وابو ثور واسحق ليس له ان ينكح من الاما الا واحدة وهو قول ابن عباس
وغيره واحتجوا بقوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم وهذا المعنى يزول
بنكاح واحدة فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم اي المملوكات وهي جمع
فتاة المومنات فلا يجوز نكاح الامة الكتابية فهذه الصفة شرط عند
مالك والشافعي وغيرهما خلافا لابي حنيفة وهل يجوز ان ينكح امة
مسلمة لكافر فيه خلاف الاصح الجواز لحصول صفة الاسلام للمنكوحة
والثاني المنع لما فيه من ارقاق الولد المسلم للكافر والله اعلم بايمانكم اي
عليم ببواطن الامور ولكم ظاهرها وكلكم بنوا ادم واكرمكم عند الله اتقاكم
فلا تستنكفوا من التزويج بالاما عند الضرورة وان كانت حديثة عهد
بايمان فاكتفوا بظاهر الايمان وفي اللفظ تنبيه على انه ربما كان ايمان
امة افضل من ايمان بعض من الحراير بعضكم من بعض المعنى انتم بنوا ادم
وقيل انتم مومنون فانكحوهن باذن اهلهن اي بولاية اربابهن المالكين
واذنهم واتوهن اجورهن فيه دليل على وجوب المهر في النكاح وهذا
يقتضي انهن احق بالمهور من السادة وهو مذهب مالك وقال الشافعي

الصداق

الصداق للسيد لانه عوض فلا يكون للامة وانما ذكرت لان المهر وجب بسببها
كاجارة المنفعة في الرقبة بالمعروف اي بغير مطل واضرار ونقصان محصنات
اي عفايف غير مسافحات اي غير زوان معلنات بالزنا لان الجاهلية كان
فيهم الزواني في العلانية ولهن رايات منصوبة ولا متخذات اخدان اي
اصدقا على الفاحشة واحدهم خدن وخدين وهو الذي يخادنك وقيل
المسافحات المجاهرات بالزنا وذوات الخدن التي تزني سرا فاذا احصن
قرئ بفتح الهمزة ومعناه اسلمن وبضمها ومعناه زوجن فان اتين بفاحشة
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب اي اذا زنت الامة المسلمة
جلدت نصف جلد الحرة فتجلد خمسين وتغرب نصف سنة واسلامها
هو احصانها في قول الجمهور وقال اخرون احصانها التزويج فاذا زنت الامة
المسلمة التي لم تتزوج فلا حد عليها وقوله من العذاب اي الجلد ويعني
بالمحصنات هنا الابكار الحراير لان الثيب عليها الرجم والرجم لا يتبعض
والفايدة في نقصان حدهن انهن اضعف من الحراير ويقال انهن لا يصلن
الى مرادهن كما تصل الحراير ويقال ان العقوبة تجب على قدر النعمة ودخل
الذكور من العبيد في حكم الاما لانه انما نقص الحد بنقصان الرق ذلك
اي نكاح الامة عند عدم الطول لمن خشي العنت اي خاف الزنا واصله
المشقة سمي به الزنا لانه سببها بالحد في الدنيا والعقوبة في الاخرة منكم
بخلاف من لا يخاف من الاحرار فلا يحل له نكاح الامة ولو عدم وخاف حل
وان تصبروا خير لكم اي الصبر على الغربة خير من نكاح الامة لانه يفضي
الى ارقاق الولد والغض من النفس والصبر على مكارم الاخلاق اولى من
البذالة والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم

قيل اللام زايده للتاكيد اي يبين لكم امر دينكم ومصالح اموركم وما
يحل لكم وما يحرم عليكم وذلك يدل على امتناع خلو واقعة عن حكم الله
تعالى وقيل ان المعنى يريد الله ان يبين لكم كيفية طاعته ويهديكم
يعرفكم سنن الذين من قبلكم انهم لما تركوا الامر كيف عاقبتهم وانتم
اذا فعلتم ذلك عاقبتكم ولكني اتوب عليكم وقيل المعنى يبين لكم مناهج
من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم اي يغفر ذنوبكم
ويرشدكم اي يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة
لسيئاتكم والله عليم بمن تاب حكيم بقبول التوبة والله يريد ان يتوب
عليكم ابتدا وخبر وان في موضع نصب بيريد والمعنى يريد توبتكم اي يقبلها
ويتجاوز عن ذنوبكم وكرره ليبني عليه ويريد الذين يتبعون الشهوات
ان تميلوا ميلا عظيما قال مجاهد هم الزناة السدي هم اليهود والنصارى
وقالت فرقة هم اليهود خاصة ارادوا ان يتبعهم المسلمون في نكاح الاخوات
من الاب ابن زيد ذلك على العموم وهو اصح والميل العدول عن طريق الاستوا
ومن كان عليها الحب ان يكون امثاله عليها حتى لا يلحقه معرة يريد الله ان
يخفف عنكم فلذلك شرع الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم
في المضايق كاحلال نكاح هو عام في جميع احكام الشرع وقيل المراد
بالتخفيف في اباحة نكاح الاما لما علم من ضعفكم عن الصبر قاله مجاهد
وغيره وخلق الانسان ضعيفا نصب على الحال اي هواه يستميله وشهوته
وغضبه يستخفانه وهو اشد الضعف فاحتاج الى التخفيف وقال طاووس
ذلك في امر النسا خاصة فليس يكون الانسان في شي اضعف منه في امر النسا
وعن ابن عباس ضعيفا لا يصبر عن النسا قال ابن المسيب لقد اتى علي ثمانون

سنه

سنه وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وصاحبي اعمى اصم يعني
ذكره وانما اخاف من فتنة النسا ونحوه من عبادة بن الصامت ومن كلامه
وقد مات صاحبي منذ زمان قال يحيى يعني ذكره وما يسرني اني خلوت
بامراة لا تحل لي وان لي ما تطلع عليه الشمس مخافة ان ياتيني الشيطان
فيحركني على انه لا سمع لي ولا بصر يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل اي بغير حق ووجوه ذلك تكثر والمراد ما لم تبحه الشرع كالغصب
والربا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثنا منقطع اي لكن
تجارة عن تراض والتجارة تقليب المال بالبيع والشرا لقصد الربح وقرى
تجارة بالرفع اي الا ان تقع تجارة وتسمى كان هذه التامة وقرى بالنصب
خبر الكان واسمها مضمر فيها وان شيت قدرته الا ان تكون الاموال
اموال التجارة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقوله عن تراض
اي رضى غير منهي عنه الا انها جات من المفاعلة اذ التجارة من اثنين
واختلف في التراضي فقالت فرقة تمامه وجزمه بافتراق الابدان
بعد عقدة البيع او بان يقول احدهما لصاحبه اختر فيقول اخترت
وذلك بعد العقد فيجزم وان لم يتفرقا وبه قال جماعة من الصحابة
والتابعين وهو قول الشافعي وغيره وقال مالك وابو حنيفة تمام
البيع ان يعقد البيع بالالسنة فيجزم العقد بذلك ويرتفع الخيار ولا
تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا ويحتمل ان يقال ولا تقتلوا انفسكم
في حال الضجر والغضب وبارتكاب ما يودي الى هلاكها ثم لفظ الاية
يتناول ان يقتل الرجل نفسه في الحرص على الدنيا وطلب المال بان يحمل نفسه
على الغرر المودي الى التلف فهذا كله يتناوله النهي ان الله كان بكم رحيما

اى امرنا امرونهى عما نهى رحمة عليكم ومن يفعل ذلك اى القتل وقيل اكل
المال بالباطل وقيل كلما نهى عنه فى هذه السورة عدوانا وظلما العدوان
مجاوزة الحد والظلم وضع الشى فى غير موضعه فسوف نصليه نارا
ندخله فيها وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ان تجتنبوا كباير
ما تنهون عنه الايه فى هذا دليل على ان فى الذنوب كباير وصغايرو به
قال اكثر اهل العلم وان اللسة والنظرة تكفر باجتناب الكباير قطعا بوعده
الصادق وقوله الحق لا انه يجب عليه ذلك واما الاصوليون فقالوا
لا يجب على القطع تكفير الصغاير باجتناب الكباير وانما يحمل ذلك على
غلبة الظن وقوة الرجا والمشية ثابتة ولو قطعنا لمجتنب الكباير بتكفير
صغايره لكانت له فى حكم المباح وذلك نقض لعرى الشريعة ولا صغيرة
عندنا قال القشيرى والصحيح انها كباير ولكن بعضها اكثر وقعا من بعض
والحكمة فى عدم التمييز ان يجتنب العبد جميع المعاصى وايضا فان من نظر
الى نفس المخالفة كما قال بعضهم لا تنظر الى صغير الذنب ولكن انظر الى من
عصيت وانما يقال صغيرة لاضافتها الى ما هو اكبر منها كما يقال الزنا
صغيرة بالنسبة الى الكفر وكبيرة بالنسبة الى القبلة واختلف فى عدد
الكباير قيل لابن عباس الكباير سبع قال هى الى السبعين اقرب غير انه
لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار نكفر عنكم سياتكم اى نغفر
لكم صغايركم ونمحها عنكم بالطاعات واختلف فى الكباير والاقرب ان
الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل
ما علم حرمته بقاطع وقيل غير ذلك وندخلكم مدخلا كريما قرى
مدخلا بضم الميم فيحتمل ان يكون مصدرا اى ادخالا والمفعول محذوف

اي

اى الجنة ادخالا ويحتمل ان يكون بمعنى المكان فيكون مفعولا وقرى بفتح الميم
مصدر دخل منصوب باضمار فعل التقدير ندخلكم فتدخلون مدخلا
ويجوز ان يكون اسم مكان فينتصب على انه مفعول اى ندخلكم مكانا
كريما وهو الجنة عن احمد بن حنبل قال المسلمون كلهم فى الجنة قيل له وكيف قال
يقول الله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم الاية
وفى الحديث ادخرت شفاعتى لاهل الكباير من امتى فاذا كان الله تعالى يغفر
ما دون الكباير والرسول يشفع فى الكباير فاى ذنب يبقى على المسلمين وعن
ابن عباس قال ثمان ايات فى سورة النسا هى خير لهذه الامة مما طلعت عليه
الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان
يخفف عنكم ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك
به الاية ان الله لا يظلم مثقال ذرة الاية ومن يعمل سوا او يظلم نفسه الاية
ما يفعل الله بعذابكم الايه ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
من الامور الدنيويه كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه
ذريعة الى التحاسد وعدم الرضى بما قسم الله وروى الترمذى عن
ام سلمة انها قالت يغزو الرجال ولا تغزو النسا ولنا ربع الميراث
فنزلت الاية والتمنى نوع من الارادة يتعلق بالمستقبل كالتلهف نوع منها
يتعلق بالماضى ولا يدخل فى ذلك الغبطة وهى ان يتمنى الرجل ان يكون له
مثل حال صاحبه والجمهور على اجازة ذلك قال ابن عطية واما التمنى
فى الاعمال الصالحة فذلك هو الحسد المحمود والتمنى المنهى عنه ان يتمنى
الرجل حال الاخر من دين او دنيا على ان يذهب ما عند الاخر وسوا تمنيت
مع ذلك ان يعود اليك اولا وهذا هو الحسد بعينه للرجال نصيب

مما اكتسبوا يعني ما عملوا من الجهاد وغيره وللنسا نصيب مما اكتسبن
من طاعة ازواجهن وحفظ فروجهن وقيل من الثواب والعقاب كذا قاله
قتادة فللمراة الجزا على الحسنة بعشر امثالها كالرجل فالمطلوب الفضل
بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه الصلاة والسلام ليس الايمان
بالتمني وقال ابن عباس المراد بذلك الميراث فالاكتساب على هذا الاصابة
للذكر مثل حظ الانثيين فنهى الله تعالى عن التمني على هذا الوجه لما فيه
من دواعي الحسد ولان الله تعالى اعلم بمصالحهم منهم واسالوا الله من
فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسالوا الله مثله من خزاينه التي لا تنفد
وقري بالهمزة وبدونها وفي الحديث سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسال
وافضل العبادة انتظار الفرج وفي الحديث ايضا من لم يسال الله يغضب عليه
وهذا يدل على ان السوال لله تعالى واجب سعيد بن جبير واسالوا الله
من فضله العبادة وقيل سلوه التوفيق للعمل بما يرضيه قال سفيان بن
عيينة لم يامر بالسوال الا ليعطي ان الله كان بكل شي عليما فهو يعلم
ما يستحقه كل انسان فيتفضل عن علم ولكل جعلنا موالي عصبة اي لكل
انسان ورثة وموالي فليقتنع كل احد بما قسم له من الميراث ولا يتمنى مال غيره
مما ترك الوالدان والاقربون لهم من المال والذين عاقدت ايمانكم اي
الحلفا الذين عاهدتموهم والايمان جمع يمين بمعنى القسم اي اليد فاتوهم
نصيبهم حظهم من الميراث وهي منسوخة بقوله في الانفال واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض وقيل قوله والذين عاقدت وقري عقدت محكم وانما
امر الله المومنين ان يعطوا الحلفا انصباهم من النصرة والنصيحة ٥
وما اشبه ذلك ابن عباس والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم من النصيحة

والنصره

والنصرة والوفادة ويوصي لهم وذلك ان الرجل كان يعاقد الرجل
دمي دمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك
وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس
من ميراث الحليف ثم نسخ والمولى لفظ مشترك فيطلق على المعتق ٥
والمعتق الاسفل والاعلى ويسمى الناصر مولى ومنه قوله تعالى وان الكافرين
لا مولى لهم ويسمى ابن العم مولى والجار مولى واما قوله تعالى ولكل جعلنا
موالي يريد عصبته ان الله كان على كل شي شهيدا اي قد شهد معاقدتكم
اياهم وهو سبحانه يحب الوفا الرجال قوامون على النسا بما فضل الله
بعضهم على بعض اي بسبب تفضيله الرجال على النسا لكمال القوة في الاعمال
والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة واقامة الشعاير وفيهم
الحكام والامرا ومن يغزو وليس ذلك في النسا وبما انفقوا من اموالهم في
نكاحهن كالمهر قال الحسن ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
ان زوجي لطم وجهي فقال ان بينكما القصاص فانزل الله ولا تعجل بالقران
الاية وامسك النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل الرجال قوامون على النسا
وينال الرجال لهم فايدة في زيادة العقل والتدبير فجعل لهم حق القيام عليهن
لذلك فقيام الرجل على المراة هو ان يقوم بتدبيرها وتاديبها وامساكها
في بيتها ومنعها من البروز وان عليها طاعته وقبول امره ما لم يكن معصية
وتعليل ذلك بالفضيلة والنفقة والعقل والقوة في امر الجهاد والميراث
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فالصالحات منهن قانتات اي مطيعات
حافظات للغيب اي لفروجهن وغيرها في غيبة ازواجهن وهو خبر مقصود
منه الامر بطاعة الزوج والقيام بحقه في ماله ونفسها في حال غيبة الزوج

وفي الحديث خير النساء التي اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك
واذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك **بما حفظ الله** ما مصدرية
اي بحفظ الله لهن ويصح ان تكون بمعنى الذي ويكون العايد في حفظ ضمير
نصب **واللاتي تخافون نشوزهن** تخافون تعلمون وتتيقنون وقيل
هو على بابه والنشوز العصيان ماخوذ من النشز وهو ما ارتفع من الارض
والمعنى تخافون عصيانهن وتعاليهن عما اوجب الله عليهن من طاعة
الازواج امتناعا خارجا عن حد الدلال وتعصيهن بحيث يحتاج في ردهن
الى الطاعة الى تعب واذا ظهرت امارات النشوز **فعظوهن** خوفوهن
بكتاب الله وذكروهن ما اوجب الله عليهن من حسن الصحبة وجميل العشرة
للزوج والاعتراف بالدرجة التي له عليها وبقول النبي صلى الله عليه وسلم
لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها وبقوله لا تمنعه
نفسها وان كانت على قتب وغير ذلك ويبين لها ان النشوز يسقط النفقة
والقسم **واهجروهن في المضاجع** هو ان يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها
عن ابن عباس وغيره والهجر ضد الوصل وله اثر ظاهر في تاديب النساء وقال
مجاهد جنبوا مضاجعهن وذلك ان الرجل اذا اعرض عن فراشها فان كانت
محبة للزوج فذلك يشق عليها فترجع للصلاح وان كانت مبغضة له
فيظهر النشوز فيها وقيل الهجر وهو من الهجر وهو القبيح من الكلام اي اغلظوا
عليهن في القول وضاجعوهن للجماع وغيره وقيل شدوهن وثاقا من قولهم
هجر البعير اي ربطه بالهجار وهو حبل يشد به البعير **واضربوهن** هو ضرب
الادب غير المبرح وهو الذي لا يكسر عظما ولا يشين جارحة فان المقصود
منه الصلاح لا غير وانما يجوز الضرب اذا علم انه يصلحها او يظنه
فان

فان علم عدم افادته لم يجز والاولى للزوج ترك الضرب لما في الحديث
لا تضربوا اماء الله **فان اطعنكم** اي تركن النشوز **فلا تبغوا عليهن سبيلا**
اي تجنوا عليهن بقول او فعل والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان
منهن كان لم يكن وهذا نهي عن ظلمهن بعد تقرير الفضل عليهن وقيل المعنى
لا تكلفوهن الحب لكم فانه ليس اليهن بعد ان اطعنكم في المضجع **ان الله كان عليا**
كبيرا فاحذروه وفيه اشارة الى الازواج بخفض الجناح ولين الجانب اي ان
كنتم تقدرون عليهن فتذكروا قدرة الله فيده بالقدرة فوق كل يد ولهذا
حسن الاتصاف بالعلي الكبير **وان خفتم** علمتم **شقاق بينهما فابعثوا حكما**
من اهله وحكما من اهلها اي بين الزوجين واضمروان لم يجر ذكرهما لجري
ما يدل عليهما وتقدم معنى الشقاق فكان كل واحد من الزوجين ياخذ شقا
غير شق صاحبه اي ناحية غير ناحية صاحبه والمراد ان خفتم شقاقا بينهما
فاضيف المصدر الى الظرف اتساعا قال سعيد بن جبير الحكم ان يعظها اولا
فان قبلت والا هجرها فان هي قبلت والا ضربها فان هي قبلت والا بعث الحاكم
حكما من اهله وحكما من اهلها فينظر مم الضرر والجمهور على ان المخاطب
بقوله وان خفتم الحكام والامراء وان قوله **ان يريدا اصلاحا** يعني الحكمين
في قول ابن عباس وغيره اي ان يرد الحكمان اصلاحا يوفق الله بين الزوجين
وقيل المراد الزوجان ان يريدا اصلاحا اي ان يرد الزوجان اصلاحا
وصدقا فيما اخبرا به الحكمين **يوفق الله بينهما** وقيل الخطاب بقوله
وان خفتم للاولياء والحكمان لا يكونان الا من اهل الرجل والمراة اذ هما
اقعد باحوال الزوجين ويكونان من اهل العدالة وحسن النظر والبصر
بالفقه فان لم يوجد من اهلهما من يصلح لذلك فيرسل من غيرهما عدلين

عالمين وذلك اذا اشكل امرهما ولم يدر ممن الاساة منهما فان عرف
المظلوم فيوخذ له الحق من صاحبه وتفصيل الحكمين وهل هما واليان
او وكيلان مذكور في الفروع ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر
والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله وحده
ولا تشركوا به شيا من الاشراك جليا او خفيا والعبودية التذلل
والاقتصار لمن له الحكم والاختيار فامر الله بالعبادة والاخلاص فيهما
قال العلما والشرك على ثلاث مراتب وكل محرم واصله اعتقاد
شريك لله في الوهيته وهو الشرك الاعظم وهو شرك الجاهلية وهو
المراد بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويليه في الرتبة اعتقاد شريك
لله في الفعل وان لم يعتقد كونه الها كالقدريه ويليه الاشراك في
العبادة وهو الريا وهو ان يفعل شيا من العبادات التي امر الله بفعلها
له لغيره وهو مبطل للاعمال واحسنوا بالوالدين احسانا تقدم بيانه
في سبحان وبذي القربى القرابه واليتامى والمساكين قد مضى الكلام فيه
في البقره والجار ذي القربى اي الجار القريب منك في الجوار او النسب والجار
الجنب اي البعيد وقال نوف الشامي الجار ذي القربى المسلم والجار الجنب
اليهودي والنصراني والاحسان يكون بمعنى المواساة وقد يكون بمعنى
حسن العشرة وكف الاذى والمحاماة دونه وفي البخاري عن النبي صلى الله
عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه
والصاحب بالجنب اي الرفيق في امر حسن كتصرف وتعلم صنعة
وقيل الرفيق في سفر وقيل الزوجة وابن السبيل مجاهد هو الذي
يجتاز بك مارا والسبيل الطريق اضيف المسافر اليه لمروره عليه

واللزوم

واللزومه اياه ومن الاحسان اليه اعطاوه وارفاقه وهدايته ورشده
وما ملكت ايمانكم امر بالاحسان الى المماليك وفي الحديث هم اخوانكم
جعلهم الله تحت ايديكم فاطعموهم مما تاكلون والبسوهم مما تلبسون
ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم ان الله لا يحب اي
لا يرضى من كان مختالا اي متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه
ولا يلتفت اليهم فخورا اتى محبته سبحانه ورضاه عن هذه صفته اي لا يظهر
عليه اثار نعمه في الاخرة والمختال ذو الخيلا اي الكبر والفخور الذي يعدد
مناقبه كبرا والفخر التمدح والتطاول الذين يبخلون الذين في موضع نصب
على البدل من من في قوله من كان ولا يكون صفة لان من وما لا يوصفان
ولا يوصف بهما ويجوز ان يكون في موضع رفع فيعطف عليه وان يكون
ابتدا والخبر محذوف اي الذين يبخلون لهم كذا وان يكون منصوبا باضمار
اعني ويامرون الناس بالبخل البخل المذموم في الشرع هو الامتناع من
ادا ما اوجب الله تعالى عليه ويكتمون ما اتاهم الله من فضله المراد
بهذه الاية في قول ابن عباس اليهود فانهم جمعوا الاختيال والفخر والبخل
بالمال وكتمان ما انزل الله في التوراة من نعت النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل المراد المنافقون الذين كان انفاقهم وايمانهم تقية واعتدنا
للكافرين بذلك وبغيره عذابا مهينا ذا اهانة فصل سبحانه توعد المومنين
الباخلين من توعد الكافرين فانه جعل الاول عدم المحبة والثاني عذابا
مهينا والذين ينفقون اموالهم رياء الناس عطف على الذين يبخلون وقيل
عطف على الكافرين قال الجمهور نزلت في المنافقين وقيل في اليهود قاله
مجاهد وقيل نزلت في مطعمي بدر وهم روسا مكة انفقوا على الناس ليخرجوا

الى بدر ولا يومنون بالله ولا باليوم الاخر تقدم معنى الايمان واليوم
الاخر يوم القيمة لانه اخر الايام ومن يكن الشيطان له قرينا فسا قرينا
فى الكلام اضمار تقديره ولا يومنون بالله ولا باليوم الاخر فقرينهم الشيطان
ومن يكن الشيطان له قرينا فسا قرينا والقرين المقارن اى الصاحب والخليل
والمعنى من قبل من الشيطان فى الدنيا فقد قارنه ويجوز ان يكون المعنى من
قرن به الشيطان فى النار فسا قرينا اى فبيس الشيطان قرينا وهو نصب
على التمييز وما ذا عليهم ما فى موضع رفع على الابتدا وذا خبره والمعنى
ما الذى ويجوز ان يكون ماذا اسما واحدا فعلى الاول تقديره وما الذى
عليهم وعلى الثانى اى ضرر عليهم فى ذلك والاستفهام هنا للتسهيل
والتخفيف وقيل للانكار ولوم مصدريه اى لا ضرر فيه وانما الضرر ما هم
عليه لو امنوا بالله واليوم الاخر اى صدقوا بواجب الوجود وباجابة
الرسول من تفاصيل الاخرة وانفقوا مما رزقهم الله فى سبيل الله وهو
توبيخ لهم على الجهل بمكان النفقة والاعتقاد فى الشى على خلاف ما هو
عليه وفيه تنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه
احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وكان الله بهم عليما وعيد لهم فيجازيهم
بما عملوا ان الله لا يظلم احدا مثقال ذرة اى لا يبخسهم ولا ينقصهم من
ثواب عملهم وزن ذرة بل يجازيهم بها ويثيبهم عليها والذرة النملة
الحمرا وهى اصغر النمل قاله ابن عباس وعنه ايضا راس النملة وقيل الخردلة
ويقال لكل جزء من اجزاء الهبا وهى فى الجملة عبارة عن اقل الاشيا واصغر
وفى صحيح مسلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم
مومنا حسنة يعطى بها فى الدنيا ويجزى بها فى الاخرة واما الكافر
فيطعم

فيطعم بحسنات ما عمل لله بها فى الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن
له حسنة يجزى بها وان تك حسنة اى وان تك مثقال الذرة حسنة
وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مونث وحذف النون
من غير قياس تشبيها بحروف العلة يضاعفها اى يكثر ثوابها وقرى برفع
حسنة على ان كان تامة بمعنى تحدث وبالنصب خبر كان الناقصة وقرى
يضعفها بالرفع والتشديد ويوت من لدنه اى من عنده اجرا عظيما
لا يقدره احد وقيل الجنة فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد روى
البخارى عن عبد الله بن مسعود قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقرا على قلت اقرا عليك وعليك انزل قال انى احب ان اسمعه من غيرى فقرا
عليه سورة النسا حتى بلغت فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا
بك على هولا شهيدا قال امسك فاذا عيناه تذرفان قال العلماء بكاء
النبى صلى الله عليه وسلم انما كان لعظيم ما تضمنته هذه الاية من هول
المطلع وشدة الامر اذ يوتى بالانبيا شهدا على اممهم بالتصديق والتكذيب
وبه صلى الله عليه وسلم شهيدا والمعنى فكيف حال هولا الكفرة من اليهود
وغيرهم اذا جينا من كل امة بنبيهم يشهد على فساد عقايدهم وقبح اعمالهم
وجينا بك يا محمد على هولاء اى كفار قريش وغيرهم من الكفار وانما خص
كفار قريش بالذكر لان وظيفة العذاب اشد عليهم منها على غيرهم لعنادهم
عند روية المعجزات وما ظهر على يديه من خوارق العادات شهيدا
نصب على الحال وقيل المعنى فكيف يكون حال هولا الكفار يوم القيمة
اذا جينا من كل امة بشهيد أمعذبين ام معافين وهذا استفهام معناه
التوبيخ وقيل الاشارة الى جميع امته من المومنين لقوله لتكونوا شهداء

على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا
وعصوا الرسول اى الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول لو تسوى الامر
بهم الارض قرى تسوى بفتح التا وتشديد السين وبفتحها وتخفيف السين
وبضم التا مبنيا للمجهول والفاعل غير مسمى والمعنى لو يسوى الله بهم الارض
اى يجعلهم والارض سوا ومعنى اخر تمنوا لو لم يبعثهم الله وكانت الارض
مسوية عليهم لانهم من التراب خلقوا وعلى القراة الاولى والثانية ٥
فالارض فاعل والمعنى تمنوا لو انفتحت لهم الارض فساخوا فيها قاله قتادة
وقيل البا بمعنى على اى لو تسوى عليهم اى تنشق فتسوى عليهم قاله الحسن
وقيل انما تمنوا هذا حين راوا البهايم تصير ترابا وعلموا انهم مخلدون
فى النار وقيل غير هذا ولا يكتمون الله حديثا قال الزجاج قال بعضهم
لا يكتمون الله حديثا مستانف لان ما عملوا ظاهر عند الله لا يقدرون
على كتمانه وقال بعضهم معطوف والمعنى يودون ان الارض مستوية
بهم وانهم لا يكتمون الله حديثا لانه ظهر كذبهم وسئل ابن عباس عن هذه
الاية وعن قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقال لما راوا انهم لا يدخل
الجنة الا اهل الاسلام قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على افواههم
وتكلمت ايديهم وارجلهم فلا يكتمون الله حديثا وقال الحسن وقتادة ٥
الاخرة مواطن يكون هذا فى بعضها وهذا فى بعضها يا ايها الذين امنوا
لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى اى لا تقوموا اليها وانتم سكارى من
نحو خمر او نوم وعن سعيد بن جبير قال كان الناس على امر جاهليتهم
حتى يومروا او ينهوا فكانوا يشربونها اول الاسلام حتى نزلت يسالونك
عن الخمر والميسر الاية فقالوا نشربها للمنفعة لا للاثم فشربها رجل

فتقدم

فتقدم يصلى بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت يا ايها
الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقالوا فى غير الصلاة فقال
عمر اللهم انزل علينا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضا الاية فقال عمر انتهينا والجمهور على ان المراد
بالسكر سكر الخمر الا الضحاك فانه قال المراد سكر النوم وقال عبيدة السلمانى
وانتم سكارى يعنى اذا كنت حاقنا وعن ابن عباس ان هذه الاية منسوخة
باية المايدة يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة الاية وقال مجاهد
نسخت بتحريم الخمر وعلى قول الضحاك وعبيدة الاية محكمة ولا نسخ فيها
والاية خطاب لجماعة الامة الصالحين واما السكران اذا عدم المميز
لسكره فليس بمخاطب فى ذلك الوقت وانما هو مخاطب بامتثال ما يجب
عليه وبتكفير ما ضيع فى وقت سكره من الاحكام التى تقرر تكليفه
اياها قبل السكر والصلاة هنا قيل هى العبادة المعروفة وهو قول
ابى حنيفة ولذلك قال حتى تعلموا ما تقولون وقالت طايفة المراد
مواضع الصلاة وهو قول الشافعى فحذف المضاف لانه ليس فى الصلاة
عبور سبيل بل فى موضعها وهو المسجد ونظيره قوله تعالى لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ويدل على هذا التاويل قوله ولا جنبا الا عابرى
سبيل وهذا يقتضى جواز العبور للجنب فى المسجد لا للصلاة فيه وقال
ابو حنيفة المراد بقوله ولا جنبا الا عابرى سبيل المسافر اذا لم يجد الما
فانه يتيمم ويصلى وقيل المراد الموضع والصلاة معا وفى هذه الاية
استخدام وهو كما قال ابن مالك ان يوتى بلفظ مشترك ثم بلفظين يفهم
من احدهما احد المعنيين ومن الاخر الاخر فان الصلاة يراد بها فعلها

وموضعهما فقوله حتى تعلموا ما تقولون يخدم الاول والا عابري سبيل
يخدم الثاني وقوله وانتم سكارى جملة في موضع الحال وسكارى جمع
سكران مثل كسالى جمع كسلان والسكر نقيض الصحو وهو زوال العقل
مع طرب واختلاط نطق حتى تعلموا ما تقولون اى حتى تعلموه مستيقنين
فيه من غير غلط والسكران لا يعلم ما يقول ولا جنبا عطف على موضع
الجملة المنصوبة في قوله وانتم سكارى اى لا تصلوا وقد اجنبتم ولفظ
الجنب لا يونث ولا يثنى ولا يجمع لانه على وزن المصدر كالبعد والقرب
واصله البعد فان الجنب يبعد بسبب الجنابة عن حال الصلاة الا عابري
سبيل يقال عبرت الطريق اى قطعته من جانب الى جانب قال علي وابن عباس
وابن جبير ومجاهد عابر السبيل المسافر ولا يصح لاحد ان يقرب الصلاة
وهو جنب الا بعد الاغتسال الا المسافر فانه يتيمم وقال ابن عباس ايضا
وابن مسعود وعكرمة والنخعي عابر السبيل الحاضر المجتاز وهو قول
مالك والشافعي فمن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين
فيها وجوز عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال احمد واسحق في الجنب
اذا توضا لا باس ان يجلس في المسجد وروى بعضهم في سبب نزول
الاية ان قوما من الانصار كانت ابواب دورهم شارعة في المسجد
فاذا اصاب احدهم الجنابة اضطر الى المرور في المسجد القرطبي وهذا
صحيح حتى تغتسلوا الاغتسال معقول المعنى ولفظه عند العرب معلوم
يعبر عنه عن امرار اليد مع الما على المغسول وجماعة الفقها يجزي الجنب
صب الما والانغماس فيه اذا اسبغ وعم وان لم يتدلك على مقتضى حديث
ميمونة وعايشة في غسل النبي صلى الله عليه وسلم رواهما الايمة

وان

وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفيض الما على جسده وحجة الجماعة
ان كل من صب عليه الما فقد اغتسل والعرب تقول غسلتني السما وان كنتم
مرضى مرضا يضره الما هذه الاية نزلت في عبد الرحمن بن عوف اصابته
جنابة وهو جريح فرخص له ان يتيمم ثم صارت الاية عامة في جميع الناس
وقيل نزلت بسبب عدم الصحابة الما في غزوة المريسيع حين انقطع العقد
لعايشة والمرض عبارة عن خروج البدن عن حد الاعتدال والاعتياد
الى الاعوجاج والشذوذ او على سفر اى مسافرين وانتم جنب ومحدثون
يجوز لكم التيمم بسبب السفر طال او قصر عند عدم الما او جا احد منكم
من الغايط اصل الغايط لما انخفض من الارض وكانت العرب تقصد
هذا الموضع لقضا الحاجة تسترا عن اعين الناس ثم سمي الحدث الخارج
من الانسان غايطا للمقارنة واو بمعنى الواو اى كنتم مرضى او على سفر
وجا احد منكم من الغايط فتيمموا فالسبب الموجب للتيمم على هذا
هو الحدث لا المرض ولا السفر فدل على جواز التيمم في الحضر والصحيح
او انهما على بابهما عند اهل النظر وهو عندهم على الحذف والمعنى وان
كنتم مرضى مرضا لا تقدرون فيه على مس الما او على سفر ولم تجدوا ما
واحتجتم الى الما او لمستم النسا وقرى لامستم وفي معناه اقوال الاول ان
يكون لمستم جامعتم الثاني لمستم باشرتم الثالث يجمع الامرين جميعا ولامستم
بمعناه عند اكثر الناس واللمس الجس باليد وبغيرها او اليد فقط كما
فسره به ابن عمر وغيره والحق باليد غيرها والمعنى في النقض به انه
مظنة التلذذ المثير للشهوة فلم تجدوا ما اى لم تتمكنوا من استعماله اذ
الممنوع منه كالمفقود فتيمموا اى اقصدوا بعد دخول الوقت صعيدا

طيبا ترابا طاهرا فاضربوا به ضربتين قيل والصعيد وجه الارض كان
عليه تراب ولم يكن قاله الخليل واختلف الفقها فيه من اجل تقييده
بالطيب فقالت طايفة يتيمم بوجه الارض كله ترابا كان او رملا او حجرا
هذا مذهب مالك وابي حنيفة وطيبا معناه طاهرا وقال الشافعي
وابو يوسف الصعيد التراب قال الشافعي لا يقع الصعيد الا على تراب
ذي غبار وقال علي رضي الله عنه هو التراب خاصة وفي كتاب الخليل
تيمم بالصعيد اي خذ من غباره وهو يقتضي التيمم بالتراب فان الحجر الصلد
لا غبار عليه قال الطبري ولا شك ان لفظ الصعيد ليس نصا فيما قاله
الشافعي الا ان قول الرسول صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا
وترابها طهورا يبين ذلك فامسحوا بوجوهكم وايديكم مسح يتعدى بنفسه
وبالحرف والمراد بالمسح هنا عبارة عن جر اليد على الممسوح وقد انعقد
الاجماع على مشروعية التيمم والاكثرون على انه شرع في سنة ست من
الهجرة والمعروف انه رخصة ان الله كان عفوا غفورا اي لم يزل كاينا
يعفو اي يسهل ويغفر الذنب اي يستر عقوبته فلم يعاقب عليه الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب تر من روية البصر اي الم تنظر اليهم
ونصيبا حظا يسيرا نزلت في يهود المدينة وما والاها يشترون
الضلالة اي يستبدلون وفي الكلام حذف تقديره يشترون الضلالة
بالهدى ويريدون ان تضلوا ايها المومنون السبيل عطف عليه
والمعنى تضلوا طريق الحق والله اعلم باعدايكم بمعنى عليم كقوله وهو اهون
عليه اي هين اي اعلم باعدايكم منكم فلا تستنصحوهم فانهم اعداوكم
وكفى بالله الباء زايدة زيدت لان المعنى اكتفوا بالله وليا يلي امركم

وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا به واكتفوا وهما نصب على البيان وان شيت
على الحال من الذين هادوا قال الزجاج ان جعلت من متعلقة بما قبل فلا يوقف
على قوله نصيرا وان جعلت من منقطعة فيجوز الوقف على نصيرا والتقدير
من الذين هادوا قوم يحرفون ثم حذف وهو مذهب سيبويه وقيل
المحذوف من والمعنى من الذين هادوا من يحرفون وانكره المبرد والزجاج
لان حذف الموصول كحذف بعض الكلمة يحرفون الكلم عن مواضعه اي يتاولونه
على غير تاويله وذمهم الله تعالى لانهم يفعلونه متعمدين وقيل يغيرون
صفة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اذا
امرهم بشي سمعنا وعصينا اي سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير
مسمع قال ابن عباس كانوا يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم اي اسمع
لا سمعت هذا مرادهم لعنهم الله وهم يظهرون انهم يريدون اسمع غير
مسمع مكروها ولا اذى وقال الحسن ومجاهد معناه غير مسموع منك اي
مقبول ولا مجاب الى ما تقول ويقولون راعنا وقد نهي عن خطابه بها وهي
كلمة سب بلغتهم وتقدم في البقرة ليا بالسنتهم اي يلوون السنتهم
عن الحق اي يميلونها الى ما في قلوبهم واصل الليّ القتل وهو نصب على المصدر
وان شيت كان مفعولا لاجله وطعنا في الدين اي يطعنون في الدين اي
يقولون لاصحابهم لو كان نبيا لدرى اننا نسبه فاظهر الله عز وجل نبيه
على ذلك وكان من علامات نبوته ونهاهم عن هذا القول ولو انهم قالوا
سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا اي لو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه
لكان خيرا لهم واقوم اي اعدل واصوب لهم في الراي ولكن لعنهم الله بكفرهم
اي ابعدهم من رحمته وطردهم فلا يومنون الا قليلا اي الا ايمانا قليلا

لا يستحقون به اسم الايمان وقيل معناه لا يومنون الا قليلا منهم امنوا
كابن سلام واصحابه يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا من القران
قال ابن اسحق كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم روسا من احبار يهود
منهم عبد الله بن صوريا وكعب بن اسد فقال لهم يا معشر يهود اتقوا الله
واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جيتكم به لحق فقالوا ما نعرف ذلك
يا محمد وجحدوا ما عرفوا واصروا على الكفر فانزل الله تعالى يا ايها الذين
اوتوا الكتاب امنوا الاية مصدقا لما معكم من التوراة وهو نصب على الحال
من قبل ان نطمس وجوها الطمس استيصال اثر الشي فنردها على ادبارها
اختلف هل هو حقيقة فيجعل الوجه كالقفا فيذهب بالانف والفم
والحاجب والعين او ذلك عبارة عن الضلالة في قلوبهم وسلبهم التوفيق
وروي عن ابي بن كعب من قبل ان نطمس من قبل ان نضلكم اضلالا لا تهتدون
بعده قتاده من قبل ان نجعل الوجوه اقفا وروي عن ابن عباس ان الطمس
ان تزال العينان خاصة وترد في القفا فيكون ذلك ردا على الدبر
ويمشي القهقرى وقال مالك كان اول الاسلام كعب الاحبار انه مر
برجل من الليل وهو يقرا هذه الاية يا ايها الذين اوتوا الكتاب فوضع
كفيه على وجهه ورجع القهقرى الى بيته فاسلم مكانه وقال والله لقد
خفت ان لا ابلغ بيتي حتى يطمس وجهي وكذلك فعل عبد الله بن سلام
فان قيل كيف جاز ان يهددهم بطمس الوجوه ان لم يومنوا ثم لم
يومنوا ولم يفعل ذلك بهم فقيل انه لما امن منهم مثل عبد الله بن سلام
ومن اتبعهم رفع الوعيد عن الباقين وقال المبرد الوعيد باق منتظر ولا
بد من طمس في اليهود ومسخ قبل يوم القيمة او نلعنهم اي اصحاب الوجوه

كما

كما لعنا اصحاب السبت منهم اي نخزيهم بالمسخ قردة وخنازير وكان
امر الله قضاوه مفعولا اي كاينا موجودا او يراد بالامر المامور فهو مصدر
وقع موقع المفعول فالمعنى انه متى اراده اوجده وقيل معناه ان كل امر
اخبر بكونه فهو كاين على ما اخبر به ان الله لا يغفر ان يشرك به روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم تلى ان الله يغفر الذنوب جميعا فقال له رجل
يا رسول الله والشرك فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به والمراد الشرك
المتصل بالموت بدليل قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف ويغفر ما دون سوى ذلك من الذنوب لمن يشا قال محمد بن جرير
الطبري فقد ابانت هذه الاية ان كل صاحب كبيرة ففي مشية الله تعالى
ان شا عفى عنه وان شا عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركا بالله ومن
يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اختلق وارتكب ما يستحقر دونه الاثام
وهو المعنى الفارق بينه وبين ساير الذنوب والافترا كما يطلق على القول
يطلق على الفعل الم تر الى الذين يزكون انفسهم هذا اللفظ عام في ظاهره
ولم يختلف احد في ان المراد اليهود فقال الحسن وقتادة تزكيتهم انفسهم
قولهم نحن ابنا الله واحباوه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وقال الضحاك والسدي قولهم لا ذنوب لنا وما فعلناه نهارا غفر لنا
ليلا وما فعلناه ليلا غفر لنا نهارا وقال ابن عباس ذلك قولهم اباونا
الذين ماتوا يشفعون لنا ويزكوننا وقال ابن مسعود ذلك ثنا بعضهم
على بعض والتزكية التطهير والتبرية من الذنوب وليس الامر بتزكيتهم
انفسهم بل الله يزكي من يشا بالايمان وفيه تنبيه على ان تزكيته هي المعتد
بها دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان ولا يظلمون

فتيلا الضمير في يظلمون عايد على المذكورين من زكى نفسه ومن يزكيه الله.
وغير هذين الصنفين علم ان الله لا يظلمهم من غير هذه الاية والفتيل الخط
الذي في شق نواة التمرة قاله ابن عباس وغيره وقيل القشرة التي حول النواة
بينها وبين البسرة وقال ابو مالك والسدي هو ما يخرج بين اصبعيك او
كفيك من الوسخ اذا فتلتهما فهو فعيل بمعنى مفعول وهذا كله يرجع الى
الكناية على تحقير الشي وتصغيره ثم عجب النبي صلى الله عليه وسلم
فقال انظر كيف يفترون على الله الكذب في قولهم نحن ابناء الله واحباؤه
وقيل تزكيتهم انفسهم والافترا الاختلاق وكفى به اثما مبينا نصب على
البيان والمعنى تعظيم الذنب وذمه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من
الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت ابن عباس الجبت الساحر بلسان
الحبشة والطاغوت الكاهن وقال الفاروق عمر الجبت السحر والطاغوت
الشيطان وقال ابن مسعود الجبت والطاغوت هاهنا كعب بن الاشرف
وحيي بن اخطب وعن مالك الطاغوت ما عبد من دون الله قال
وسمعت من يقول الجبت الشيطان وقيل صنمان لقريش واصل الجبت
الجبس وهو الذي لا خير فيه فابدلت التا من السين ويقولون للذين
كفروا هولا اهدى من الذين امنوا سبيلا اي يقول اليهود لكفار قريش
انتم اهدى سبيلا من الذين امنوا بمحمد وذلك ان كعب بن الاشرف
خرج في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا
قريشا على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على ابي سفيان
فاحسن مثواه ونزلت يهود في دور قريش فتعاقدوا وتعاهدوا ليجتمعن
على قتال محمد فقال ابو سفيان انك امرؤ تقرا الكتاب وتعلم ونحن

اميون

اميون لا نعلم فاينا اهدى سبيلا واقرب الى الحق نحن ولاة البيت
نسقي الحاج ونقري الضيف ونفعل ونفعل ام محمد فقال كعب انتم
والله اهدى سبيلا مما عليه محمد اولئك الذين لعنهم الله تقدم معنى
اللعنة ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع عنه العذاب بشفاعة او غيرها
ام لهم اي الهم والميم صلة نصيب اي حظ من الملك هذا على وجه الانكار
يعني ليس لهم من الملك ولو كان لهم منه شي لم يعطوا لاحد منه شيا لبخلهم
وحسدهم وقيل المعنى بل لهم نصيب فتكون ام المنقطعة ومعناها الاضراب
عن الاول والاستيناف للثاني وقيل هي عاطفة على محذوف والتقدير اهم
اولى بالنبوة ممن ارسلته ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يوتون الناس
نقيرا اي يمنعون الحقوق والنقير النكتة في ظهر النواة عن ابن عباس وغيره
وعنه ايضا النقير ما نقر الرجل باصبعه كما ينقر الارض واذن ملغاة هنا
غير عاملة لدخول فا العطف عليها ولو نصب لجاز ام يحسدون الناس
على ما اتاهم الله من فضله يعني اليهود يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة عن ابن عباس وغيره حسدوه على النبوة واصحابه على الايمان به
وقال قتادة الناس العرب حسدتهم اليهود لان النبوة فيهم والحسد
مذموم وصاحبه مغموم وهو ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وحده
كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب
والحكمة اي النبوة واتيناهم ملكا عظيما قال همام بن الحرث ايدوا بالملايكة
وقيل يعني ملك سليمان عن ابن عباس وعنه ايضا المعنى ام يحسدون محمدا
صلى الله عليه وسلم على ما احل له من النسا فيكون الملك العظيم على هذا
انه احل لداود تسعا وتسعين امراة ولسليمان اكثر من ذلك والمراد تكذيب

اليهود والرد عليهم في قولهم لو كان نبيا ما رغب في كثرة النسا فاخبر
الله تعالى بما كان لداود وسليمان يوبخهم فاقرت اليهود انه اجتمع عند
سليمان الف امراة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الف امراة قالوا
نعم ثلاث مايه مهريه وسبعمايه سرية وعند داود مايه امراة فقال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم الف عند رجل ومايه عند رجل اكثر او تسع
نسوة فسكتوا فمنهم من امن به يعني بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه تقدم
ذكره وهو المحسود ومنهم من صد عنه اي اعرض فلم يومن به وقيل الضمير
في به راجع الى ابرهيم والمعنى فمن آل ابرهيم من امن به ومنهم من صد عنه ولم
يكن في ذلك توهين امره فكذلك لا يوهن كفر هولا امرك وكفى بجهنم
سعيرا عذابا لمن لا يومن وقيل يرجع للكتاب ان الذين كفروا بآياتنا سوف
نصليهم ندخلهم نارا يحترقون فيها كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها بان تعاد الى حالها الاول غير محترقه ليذوقوا العذاب ليقاسوا
شدته ان قيل كيف جاز ان يعذب الله جلدا لم يعصه قيل ليس الجلد
بمعذب ولا معاقب وانما الالم واقع على النفوس لانها التي تحس فتبديل
الجلود زيادة في عذاب النفوس يدل عليه قوله ليذوقوا العذاب وقوله
كلما خبت زدناهم سعيرا والمقصود تعذيب الابدان وايلام الارواح
ولو اراد الجلود لقال ليذوقن العذاب وقيل معنى ليذوقوا العذاب ليدوم
بهم ذوقه قال مقاتل تاكلهم النار كل يوم سبع مرات الحسن كل يوم سبعين
الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فعادوا كما كانوا ابن عمر اذا احترقوا
بدلهم جلودا كالقراطيس وقيل عنى بالجلود السرابيل كما قال سرابيلهم
من قطران سميت جلودا على المجاورة فكلما احترقت السرابيل اعيدت

وبتر

وقيل المعنى اعدنا الجلد الاول جديدا كما تقول للصايغ صغ لي من هذا
الخاتم خاتما اخر وهذا كالنفس اذا صارت ترابا وصارت لا شي ثم
احياها الله تعالى وقوله غيرها مجاز ونظيره قوله تعالى يوم تبدل
الارض غير الارض وهي تلك الارض بعينها الا انها بغير اكامها وجبالها
وانهارها واشجارها ويزاد في سعتها ان الله كان عزيزا اي لا يعجزه شي
ولا يفوته حكيما بما فعل وقو حكمته والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها
ازواج مطهرة من الحيض وكل قذر وندخلهم ظلا ظليلا يعني كنفا لا شمس
فيه قال الحسن وصفه بانه ظليل لانه لا يدخله ما يدخل ظل الدنيا من
الحر والسموم ونحو ذلك وقال الضحاك يعني ظلال الاشجار وظلال قصورها
الكلبي ظليلا دايما لا تنسخه الشمس ان الله يامركم ان تودوا الامانات
ما ايتمنتم عليه من الحقوق الى اهلها قال علي بن ابي طالب وغيره هذه
الاية خطاب لولاة المسلمين خاصة فهي للنبي صلى الله عليه وسلم ولامرايه
ثم تتناول من بعدهم وقال ابن جريج وغيره هي خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم خاصة في مفتاح الكعبه حين اخذه من عثمان وشيبة بن ابي طلحة
وكانا كافرين وقت فتح مكة فطلبه العباس بن عبد المطلب لتنضاف
اليه السدانة الى السقاية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكعبة فكسر ما كان فيها من الاوثان واخرج مقام ابرهيم ونزل عليه
جبريل بهذه الاية قال عمر وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
كنت سمعتها قبل منه فدعا عثمان وشيبة خذاها خالدة لا ينزعها
منكم الا ظالم وقيل نزلت في الولاة في ان يعظوا النسا في النشوز ونحوه

ويردوهن الى الازواج والاظهر انها عامة في جميع الناس فهي تتناول
الولاة فيما اليهم من الامانات في قسمة الاموال ورد الظلامات والعدل
في الحكومات وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودايع والشهادات
وغير ذلك وعن ابن مسعود وغيره الامانة في كل شي في الوضوء والصلاة
والزكاة والجنابة والصوم والكيل والوزن قال ابن عباس لم يرخص الله
تعالى لمعسر ولا موسر ان يمسك الامانة ووجه نظم الاية ما تقدم
انه تعالى اخبر عن كتمان اهل الكتاب صفة محمد صلى الله عليه وسلم
وقولهم ان المشركين اهدى سبيلا فكان ذلك خيانة منهم فانجر
الكلام الى ذكر جميع الامانات فالاية شاملة بنظمها لكل امانة بقرينة
الجمع واذا حكمتم بين الناس يامركم ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا
بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم
وقال الضحاك بالبينة على المدعي واليمين على من انكر وهذا خطاب
للولاة والحكام ويدخل في ذلك المعنى جميع الخلق وفي الحديث كلكم
راع وكلكم مسيول عن رعيته الى اخره ان الله نعما يعظكم به اي نعم
شيئا يعظكم او نعم الشي الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم
به او مرفوعة موصلة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به
من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا
وصف نفسه تعالى بانه سميع بصير يسمع ويرى فهذا طريق السمع
والعقل يدل على ذلك فان انتفى السمع والبصر يدل على نقيضهما من
العمى والصمم اذ المحل القابل للضدين لا يخلو من احدهما فهو تعالى مقدس
عن النقايص ويستحيل صدور الافعال الكاملة من المتصف بالنقايص
تخلو

تخلو السمع والبصر ممن ليس له سمع ولا بصر يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول طاعة الله امتثال اوامره واجتناب نواهيه
وطاعة رسوله فيما امر به ونهى عنه واولي الامر منكم الولاة والحكام
وامرا السرايا امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على
ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق قال سهل بن عبد الله اطيعوا السلطان
في سبعة ضرب الدراهم والدنانير والمكاييل والاوزان والاحكام والحج
والجمعة والعيدين والجهاد وقال مجاهد وغيره اولوا الامر اهل القران
والعلم وهو اختيار مالك الضحاك الفقهاء والعلماء في الدين وقال
ابن كيسان هم اولوا العقل والراي الذين يدبرون امور الناس قال
سهل بن عبد الله لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فاذا
عظموا هذين اصلح الله دنياهم واخراهم واذا استخفوا بهذين فسدت
دنياهم واخراهم فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم اي تجادلتم او
اختلفتم فكان كل واحد ينتزع حجة الاخر ويذهبها والمنازعة مجاذبة
الحجج في شي من امر دينكم فردوه الى الله والرسول اي ردوا ذلك الحكم
الى كتاب الله والى الرسول بالسوال في حياته او بالنظر في سنته بعد
وفاته صلى الله عليه وسلم هذا قول مجاهد وغيره ومن لم يرد هذا
اختل ايمانه لقوله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر وقيل المعنى قولوا
الله ورسوله اعلم ذلك خير اي ردكم ما اختلفتم فيه الى كتاب الله تعالى
وسنة رسوله خير من التنازع واحسن تاويلا اي مرجعا من آل يوول الى
كذا اذا صار اليه الم تر الى الذين يزعمون عن الشعبي قال كان بين رجل
من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فدعى اليهودي المنافق الى النبي

صلى الله عليه وسلم لانه يعلم انه لا يقبل الرشوة ودعى المنافق اليهودي
الى حكامهم لانه يعلم انهم يأخذون الرشوة في احكامهم فلما اختلفا
اجتمعا على ان يحكما كاهنا في جهينة فانزل الله في ذلك الم تر الى الذين
يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك يعني المنافق وما انزل من قبلك
يعني اليهودي يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت قال الضحاك دعى
اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعى المنافق الى كعب بن الاشرف
وهو الطاغوت اي ذو الطغيان وقد امروا ان يكفروا به اي بالطاغوت
ولا يوالونه ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عن الحق وانتصب
ضلالا على المعنى فيضلون ضلالا لان مصدر اضل اضلالا واذا قيل
لهم تعالوا الى ما انزل الله من الحكم في القران والى الرسول ليحكم بينكم رايت
المنافقين يصدون يعرضون عنك صدودا الى غيرك صدود اسم
المصدر عند الخليل والمصدر الصد فكيف اذا اصابتهم مصيبة اي فكيف
يكون حالهم وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة اي من ترك الاستعانة بهم
وما يلحقهم من الذل في قوله قل لن تخرجوا معي ابدا الاية وقيل يريد قتل
صاحبهم وذلك ان المنافق واليهودي لما اختصما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقضى صلى الله عليه وسلم لليهودي وخرجا من عنده قال
المنافق لا ارضى انطلق بنا الى ابي بكر فانطلقا اليه فحكم لليهودي فلم يرض
وقال انطلق بنا الى عمر فانطلقا اليه فقال اليهودي لعمر انا صرنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الى ابي بكر فلم يرض فقال عمر للمنافق
اكذلك هو قال نعم فقال عمر رويدكما ثم دخل واخرج السيف وجعل
يضرب به المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي على من لم يرض بقضا الله
وقض

وقضا رسوله وهرب اليهودي ونزلت الاية وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعمر انت الفاروق وروي ان جبريل قال ان عمر فرق بين
الحق والباطل بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى
بحكمك ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اي
ثم جاءوك للاعتذار يحلفون بالله تعالى ما اردنا بالمحاكمة الى غيرك
الا اصلاحا وتاليفا وقيل ان عمر لما قتل صاحبهم جا قومه يطلبون ديته
ويحلفون بالله ما نريد بطلب ديته الا الاحسان وموافقة الحق وقيل
المعنى ما اردنا بالعدول عنك الا التوفيق بين الخصوم والاحسان
بالتقريب في الحكم دون الحمل على مر الحق فقال الله تعالى مكذبا لهم اولئك
الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحالف
الكاذب من العقاب الزجاج معناه قد علم الله انهم منافقون والفايدة
لنا اعلموا انهم منافقون فاعرض عنهم قيل عن عقابهم وقيل عن قبول
اعتذارهم وعظهم اي خوفهم في الملا وقل لهم في انفسهم قولا بليغا
اي ازجرهم بابلغ الزجر في السر قال الحسن قل لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم
قتلتكم يقال رجل بليغ يبلغ بلسانه كنه ما في قلبه وقيل معناه يبلغ
ما يريد والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع فيما امر به ونهى عنه باذن الله بامره
لا يعصى ولا يخالف وقيل بتوفيق الله وتقدير الكلام ان ارسال الرسول
لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته
ومن كان كذلك كان كافرا مستوجبا للقتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
بالنفاق والتحاكم الى غيرك جاءوك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ

متعلقة به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول
اى اعتذروا اليه حتى انتصب لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما
لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التايب ويشفع له
ومن منصبه ان يشفع فى كباير الذنوب وروى عن على رضى الله عنه قال
قدم علينا اعرابى بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة
ايام فرمى بنفسه على القبر وحثا من ترابه على راسه ثم قال قلت يا رسول الله
فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما انزل الله عليك
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك الاية وقد ظلمت نفسى وجيتك مستغفرا
من ذنبى مستشفعا بك الى ربى فنودى من القبر انه قد غفر لك ومعنى لوجدوا
الله توابا رحيما اى لعلموه قابلا لتوبتهم فلا وربك اى فوربك ولا
مزيدة لتوكيد القسم لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم قال
مجاهد وغيره المراد بهذه الاية من تقدم ذكره ممن اراد التحاكم الى
الطاغوت وفيهم نزلت وقال الطبرى فلا رد على ما تقدم تقديره فليس
الامر كما يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك ثم استانف القسم بقوله
وربك لا يومنون وشجر معناه اختلف واختلط ومنه الشجر لاختلاف
اغصانه وقالت طايفة نزلت فى الزبير مع الانصارى وكانت الخصومة
فى سقى بستان فقال عليه الصلاة والسلام للزبير اسق ارضك ثم
ارسل الما الى ارض جارك فقال الخصم اراك تحابى ابن عمتك فتلون
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للزبير اسق ثم احبس الما
حتى يبلغ الجدر ونزل فلا وربك لا يومنون الاية ثم لا يجدوا فى انفسهم
حرجا اى ضيقا وشكا اى ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من
اجله

اجله فان الشاك فى ضيق من امره اى اثما بانكارهم ما قضيت ويسلموا
تسليما اى ينقادوا والامرك فى القضا بظاهرهم وباطنهم وتسليما مصدر
موكد اى ويسلموا لحكمك تسليما لا يجدون فى انفسهم شكا ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم اى تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما
فعل بنوا اسرايل او اخرجوا من دياركم وسبب نزولها ما روى ان ثابت
ابن قيس بن شماس تفاخر هو ويهودى فقال اليهودى والله لقد كتب علينا
ان نقتل انفسنا فقتلنا وبلغت القتلى سبعين الفا فقال ثابت والله لين
كتب علينا ان اقتلوا انفسكم لفعلنا وقال ابو اسحق السبيعى لما
نزلت ولو انا كتبنا عليهم الاية قال رجل لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذى
عافانا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتى رجالا
الايمان اثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى قال مالك القايل ذلك هو
ابو بكر الصديق رضى الله عنه وذكر النقاش انه عمر بن الخطاب وذكر
عن ابى بكر انه قال لو كتب علينا ذلك لبدات بنفسى واهل بيتى وقيل
القايل غيرهما ما فعلوه اى القتل او الخروج او المكتوب ودل عليه
كتبنا الا قليل منهم قليل بدل من الواو والتقدير ما فعله احد الا قليل
واهل الكوفة يقولون هو على التكرير اى ما فعلوه ما فعلوه الا قليل
منهم وقرى بالنصب على الاستثنا وقيل المعنى الا فعلا قليلا ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول لكان خيرا لهم فى الدنيا والاخرة
واشد تثبيتا على الحق واذا لاتيناهم من لدنا من عندنا اجرا عظيما اى ثوابا
فى الاخرة وهو الجنة وقيل اللام لام الجواب واذا دالة على الجزا والمعنى
لو فعلوا ما يوعظون به لاتيناهم ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون

بسلوكه الى جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الخير قال عليه الصلاة
والسلام من عمل بما علم علمه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول
فيما امر به قيل نزلت لما قال عبد الله بن زيد الذي اري الاذان للنبي
صلى الله عليه وسلم اذا مت ومتنا كنت في عليين فلا نراك ولا نجتمع
بك وذكر حزنه على ذلك فنزلت وذكر عن عبد الله هذا انه لما مات
النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعمني حتى لا ارى شيئا بعده فعمي
وحكى القشيري فعمي مكانه وحكى الثعلبي انها نزلت في ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه ذات
يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه فعرف في وجهه الحزن فقال يا ثوبان
ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي ضر غير اني اذا لم اراك اشتقت
اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة
واخاف ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين فانزل الله
تعالى هذه الاية وعن مسروق قال قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ما ينبغي لنا ان نفارقك في الدنيا فانك اذا فارقتنا رفعت فوقنا
فانزل الله ومن يطع الله والرسول الاية وفي طاعة الله طاعة الرسول
ولكنه ذكره تعريفا لقدره وتنويها باسمه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين في دار واحدة ونعيم واحد يستمتعون برؤيتهم والحضور
معهم لا انهم يساوونهم في الدرجة لكنهم يتزاورون للاتباع في
الدنيا والاقتدا وكل من فيها قد رزق الرضى بحاله والصديقين جمع
صديق وهو المبالغ في الصدق او في التصديق والصديق هو الذي يحقق
بفعله ما يقوله بلسانه كابي بكر الصديق والمراد افاضل اصحاب الانبيا

و

والشهدا المراد بهم هنا عمر وعثمان وعلي والصالحين هم ساير الصحابة
وقيل الشهدا القتلى في سبيل الله والصالحين صالحي الامة القرطبي واللفظ
يعم كل شهيد وصالح وحسن اولئك رفيقا الرفق لين الجانب وسمي
الصاحب رفيقا لارتفاقك بصحبته ورفيقا منصوب على الحال وهو
بمعنى رفقا وقيل على التمييز فوحد لذلك وكان المعنى وحسن كل
واحد منهم رفيقا كما قال ويخرجكم طفلا اي كل واحد منكم وانظر الى
قوله عليه الصلاة والسلام خير الرفقا اربعة ولم يذكر الله تعالى
هنا الا اربعة فتامله ذلك الاشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد
الهداية وموافقة المنعم عليهم او الى فضل هولا المنعم عليهم ومزيتهم
وهو مبتدا الفضل صفته من الله خبره اي انهم نالوا الدرجة بطاعتهم
بل نالوها بفضل الله وكرمه خلافا للمعتزلة في قولهم العبد ينال ذلك
بفعله وكفى بالله عليما بجزا من اطاعه وبمقادير الفضل فثقوا بما اخبركم
ولا ينبيك مثل خبير يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم اي تيقظوا
واستعدوا للاعدا والحذر والحذر كالاثر والاثر وهذا خطاب
للمومنين المخلصين من هذه الامة وامر لهم بجهاد الكفار والخروج في
سبيل الله وحماية الشرع وقيل المعنى خذوا السلاح حذرا والحذر
لا يدفع القدر خلافا للقدرية وليس في الاية ما يدل لهم ولكنا تعبدنا
بان لا نلقي بايدينا الى التهلكة وفي الحديث اعقلها وتوكل ولا ينافي هذا
التوكل بل هو مقام عين التوكل فانفروا ثبات يقال نفر ينفر بكسر الفاء
نفيرا ونفرت الدابة تنفر بالضم نفورا والمعنى انهضوا لقتال العدو
والنفير اسم للقوم الذين ينفرون واصله من النفار والنفور هو الفزع

ومنه قوله تعالى ولوا على ادبارهم نفورا اي نافرين وثبات معناه جماعات
متفرقة جمع ثبة او انفروا جميعا مجتمعين ومعناه الجيش الكثيف مع
الرسول صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وان منكم لمن ليبطئن
يعني المنافقين كابي بن كعب واصحابه والتبطئة والابطا التاخر يقال
ما ابطاك عنا فهو لازم وبطات فلانا عن كذا فهو متعد والمعنيان
مراد في الاية فكانوا يتقعدون عن الخروج ويقعدون غيرهم ومعنى منكم
اي من دخلائكم وجنسكم ومن اظهر ايمانه لكم فالمنافقون ظاهرو الحال
من عداد المسلمين باجرا الاحكام عليهم وقيل المراد بعض المومنين واللام في
قوله لمن لام تاكيد والثانية لام قسم محذوف ومن في موضع نصب
وصلتها ليبطئن لان فيه معنى اليمين والخبر منكم والتقدير وان منكم لمن
اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال المبطئ قد
انعم الله علي بالقعود اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم
ولئن لام قسم اصابكم فضل من الله كغنيمة وفتح ليقولن هذا المنافق كان لم
يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين القول ومقوله قولا نادم حاسد
يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما اخذ حظا وافرا من الغنيمة وفيه
تنبيه على ضعف عقيدتهم ومعنى كان لم يكن بينكم وبينه مودة كان لم
يعاقدكم على الجهاد وقرئ تكن بالتا على لفظ المودة وباليا على ان المودة
بمعنى الود ونصب فافوز جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز
او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله لاعلا دينه الذين يشرون
الحياة الدنيا بالاخرة اي يبيعون ومعناه يبذلون انفسهم واموالهم
لله عز وجل في طلب ثواب الاخرة ومن يقاتل في سبيل الله الكفار شرطا

فيقتل

فيقتل او يغلب عطف عليه فسوف نوتيه اجرا عظيما المجازاة ومعنى فيقتل
فيستشهد ويغلب يظفر بعدوه فيغنم وظاهر القران يقتضي التسوية
بين من قتل شهيدا وانقلب غانما وما لكم مبتدا وخبره ولا تقاتلون
في سبيل الله حال العامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل وهو حض على الجهاد
وهو يتضمن تخليص المستضعفين من ايدي الكفرة الذين يسومونهم سوء
العذاب فاوجب الله الجهاد لاعلا كلمته واظهار دينه واستنقاذ المو
الضعفا من عباده وهو استفهام توبيخ اي لا مانع لكم من القتال والمستضعفين
هو عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين في خلاص المستضعفين
من سبيل الله وقيل عطف على السبيل ويكون المعنى وفي المستضعفين
لاستنقاذهم فالسبيلان مختلفان ويعني بالمستضعفين من كان بمكة
من المومنين تحت اذلال الكفرة قريش قال ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين
من الرجال والنسا والولدان بيان للمستضعفين وانما ذكر الولدان
مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين حيث بلغ اذاهم
الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعا حتى تشاركوا
في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد العبيد والاما فهو
جمع وليد الذين يقولون داعين ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم
اهلها بالكفر وهي مكة بالاجماع وصفها بالظلم وان الفعل للاهل لعلقة
الضمير وهو كما تقول مررت بالرجل الواسعة داره والكريم ابوه لعلقة
الضمير فلو قلت مررت بالرجل الكريم عمرو لم تجز لعدم العلقة لان
الكرم لعمرو واجعل لنا من لدنك من عندك وليا يتولى واجعل لنا من
لدنك نصيرا يمنعنا منهم وقد استجاب الله تعالى دعاهم وفتحت مكة الذين

امنوا يقاتلون في سبيل الله اي في طاعته والذين كفروا يقاتلون في
سبيل الطاغوت اي الشيطان والدليل عليه قوله فقاتلوا اوليا الشيطا
ان كيد الشيطان اي مكره ومكر من اتبعه كان ضعيفا لانه يخذل وقت
الحاجة اليه ويقال اراد به يوم بدر حين قال للمشركين لا غالب لكم اليوم
من الناس واني جار لكم الاية الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن
القتال واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب
عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية
ابن عباس ان عبد الرحمن بن عوف واصحابا له اتوا النبي صلى الله عليه
وسلم بمكة فقالوا يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون فلما امنا صرنا اذلة
فقال اني امرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم وقال مجاهد وغيره هم يهود
وقال الحسن هي في المومنين لقوله يخشون الناس اي مشركي مكة كخشية الله
فهي على ما طبع عليه البشر من المخافة لا على المخالفة وقال السدي هم قوم
اسلموا قبل فرض القتال فلما فرض كرهوه وقيل هو وصف للمنافقين
والمعنى يخشون القتل من المشركين كما يخشون الموت من الله او اشد
خشية اي عندهم وفي اعتقادهم القرطبي وهذا اشبه بسياق الاية
اي اخرنا الى ان نموت باجالنا ونصب اشد على الحال وجواب لما دل عليه
اذا وما بعدها اي فجاتهم الخشية وقالوا لجزعا من الموت ربنا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب اي هلا ولا يليها الا الفعل
ومعاذ الله ان يصدر هذا القول من صحابي كريم يعلم ان الاجال محدودة
والارزاق مقسومة قل لهم متاع الدنيا قليل والاخرة الجنة خير لمن اتقى
عقاب الله بترك المعاصي ومتاع الدنيا منفعتها والاستمتاع بلذاتها
وسماه

وسماه قليلا لانه لا بقا له ولا يظلمون بيا الغيب ردا على ما قبله
الم تر الى الذين قيل لهم وبتا الخطاب على الالتفات اي تنقصون من
اعمالكم فتيلا قدر قشر النواة فجاهدوا اينما تكونوا يدرككم الموت
شرط ومجازاة وما زايدة وهذا الخطاب عام وان كان المراد المنافقين
او ضعفة المومنين ولو كنتم في بروج مشيدة فلا تخشوا القتال خوف
الموت قال اكثر اهل العلم اراد الحصون التي في الارض المبنية قال قتادة
في قصور محصنة ابن عباس هي الحصون والاطام والقلاع ومعنى مشيدة
مطولة قاله الزجاج قال عكرمة المبنية بالشيد وهو الجص والتشديد
للتكثير وقيل المشيد المطول والمشيد المطلي بالشيد وقال السدي المراد
بالبروج بروج في السما الدنيا وحكي عن مالك وقال الا ترى الى قوله
والسما ذات البروج وقوله ولقد جعلنا في السما بروجا وعن ابن عباس
في بروج مشيدة في قصور من حديد وقال ابن فارس كل ما في القران من ذكر
البروج فهي الكواكب الا ولو كنتم في بروج مشيدة فهي القصور الطوال وان
تصبهم حسنة اي ان يصب المنافقين خصب ورخا يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة اي جدب ومحل يقولوا هذه من عندك اي اصابنا
ذلك بشومك وشوم اصحابك وقيل الحسنة السلامة والامن والسيئة
الامراض والخوف وقيل الغنا والفقر وقيل الغنيمة يوم بدر والقتل والشدة
يوم احد ابن عباس وغيره انها نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم لما
قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة عليهم قالوا ما زلنا نعرف النقص
في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه ومعنى من عندك
اي بسو تدبيرك وقيل بشومك قل لهم كل من عند الله اي الشدة والرخا

والظفر والهزيمة بقضا به وقدره فما لهولآ القوم يعني المنافقين او
اليهود لا يكادون يفقهون اي لا يقاربون ان يفهموا حديثا يوعظون به
وهو القران فانهم لو فهموا وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله او حديثا
ما كيهما بولا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيه فيعلموا
ان القابض الباسط هو الله وما استفهام تعجب من فرط جهلهم ونفي مقاربة
الفعل اشد من نفيه ما اصابك من حسنة فمن الله قيل ما اصابك يا محمد
من خصب ورخا وصحة وسلامة فبفضل الله عليك واحسانه اليك وما
اصابك من سيئة من جدب وشدة فمن نفسك اي فبذنب اتيته عوقبت
عليه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته كما قال يا ايها النبي
اذا طلقتم النسا وقيل الخطاب للانسان والمراد الجنس وقيل في الكلام
حذف تقديره يقولون والمعنى فما لهولآ القوم لا يكادون يفقهون حديثا
يقولون ما اصابك من حسنة وقيل ان الف الاستفهام مضمرة والمعنى
افمن نفسك كما قال وتلك نعمة تمنها علي وقوله فلما راى القمر بازغا قال
هذا ربي اي اهذا وروي عن ابن عباس وابن مسعود ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وانا كتبتها عليك فهذه قراة
على التفسير ولا يجوز ان تكون الحسنة هاهنا الطاعة والسيئة
المعصية كما قالت القدرية اذ لو كان كذلك لقال ما اصبنا اذ هو
بمعنى الفعل عندهم والكسب عندنا وانما يكون الحسنة الطاعة والسيئة
المعصية في نحو قوله من جا بالحسنة فله عشر امثالها الاية والقدرية
ان قالوا ما اصابك من حسنة فمن الله اي طاعة فليس هذا اعتقادهم
لان اعتقادهم الذي بنوا عليه مذهبهم ان الحسنة فعل المحسن والسيئة
فعل

فعل المسي وايضا لو كان لهم فيها حجة لكان يقول ما اصبت من حسنة
وما اصبت من سيئة لانه الفاعل للحسنة والسيئة جميعا فلا يضاف اليه
الا بفعله لهما وارسلناك يا محمد للناس رسولا مصدر موكد ويجوز ان يكون
المعنى ذا رسالة وكفى بالله شهيدا نصب على البيان والبا زايدة اي وكفى
الله شهيدا على صدق رسالة نبيه وانه صادق من يطع الرسول فقد اطاع
الله لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن يعصني فقد
عصى الله الى اخره ومن تولى اي اعرض عن الطاعة فلا يهمنك فما ارسلناك
عليهم حفيظا اي حافظا ورقيبا لاعمالهم انما عليك البلاغ قال له
العتبي محاسبا فنسخ هذا باية السيف وامر بقتال من خالف الله ورسو
ويقولون طاعة اي امرنا طاعة وهذا في المنافقين في قول الاكثر اي يقولون
اذا كانوا عندك امرنا طاعة لك وليس قولهم هذا بنافع لان من لم يعتقد
الطاعة ليس بمطيع حقيقة وقيل المعنى امرك طاعة واصلها النصب
على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا اي خرجوا من
عندك بيت طايفة منهم ذكر طايفة لانها في معنى رجال ومعنى بيت
زور وموه وقيل غير وبدل وحرف اي بدلوا قول النبي صلى الله عليه
وسلم فيما عهده اليهم وامرهم به وقيل اضمر يقال بيت الرجل
الامر اذا دبره ليلا قال تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول واما
خص الليل بذلك لانه وقت يتفرغ فيه غير الذي تقول اي غير الذي
تقوله الطايفة لك نهارا او الذي قلت لها والله يكتب ما يبيتون
اي يثبته في صحايف اعمالهم او يامر بكتبه ليجازيهم عليه وقال الزجاج

المعنى ينزله عليك في الكتاب فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا
اى لا تخبر باسمايهم عن الضحاك وقيل لا تعاقبهم ثم امره بالتوكل عليه والثقة
به في النصر على عدوه ويقال ان هذا منسوخ افلا يتدبرون يتاملون
القران عاب المنافقين بالاعراض عن التدبر في القران والتفكر فيه وفي
معانيه يقال تدبرت الشي تفكرت في عاقبته والتدبير ان يدبر الانسان
امره كانه ينظر الى ما تصير اليه عاقبته ولو كان من عند غير الله اى من كلام
البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اى تفاوتا وتناقضا عن
ابن عباس وغيره ولا يدخل في هذا اختلاف الفاظ القران والفاظ الامثال
والدلالات ومقادير السور والايات وانما اراد اختلاف التناقض في
معانيه والتفاوت في نظمه وقيل المعنى لو كان ما تخبرون به من عند
غير الله لاختلف واذا جاهم امر عن سرايا النبي مما حصل لهم من الامن
او الخوف اى انهم اذا سمعوا شيا من الامور فيه امن نحو ظفر المسلمين وقتل
عدوهم او خوف وهو ضد هذا اذاعوا به اى افشوه واظهروه وتحدثوا
به قبل ان يقفوا على حقيقته قيل هذا كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين
عن الحسن لانهم كانوا يفشون امر النبي صلى الله عليه وسلم ويظنون انهم
لا شي عليهم في ذلك لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والبا مزيدة
اولتضمن الاذاعة معنى التحدث وقال الضحاك وابن زيد هو في المنافقين
فنهوا عن ذلك لما يلحقهم من الكذب في الارجاف ولو ردوه اى الخبر
الى الرسول والى اولى الامر منهم اى لم يحدثوا به ولم يفشوه حتى يكون النبي
صلى الله عليه وسلم هو الذي يحدث به ويفشيه واولوا الامر هم اهل
العلم والفقه عن الحسن وغيره وقيل الولاة عن السدي وابن زيد
وقيل

وقيل امرا السرايا لعلمه الذين يستنبطونه منهم اى يستخرجونه اى يعلموا
ما ينبغي ان يفشى منه وما ينبغي ان يكتم والاستنباط في اللغة الاستخراج ج
ماخوذ من استنبطت الما اذا استخرجته وفي الاية دليل على الاجتهاد
اذا عدم النص والاجماع وقد رد الله تعالى حكمه في الوقايع الى استنباط
العلما والحق رتبتهم برتبة الانبيا في كشف حكم الله ولولا فضل الله عليكم
بالاسلام ورحمته لكم بالقران وفضل رفع بالابتدا عند سيبويه ولا
يظهر الخبر عنده لاتبعتم الشيطان فيما يامركم به من الفواحش الا قليلا
قال ابن عباس المعنى اذاعوا به الا قليلا منهم لم يذع ولم يفش وقيل
المعنى لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا منهم عن الحسن وغيره
قال النحاس وهذان القولان على المجاز اى على التقديم والتاخير وقيل
المعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته بان بعث فيكم رسولا اقام فيكم
الحجة لكفرتم واشركتم الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى
به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل
وورقة بن نوفل فقاتل في سبيل الله هذه الفا متعلقة بقوله ومن يقاتل
في سبيل الله فيقتل او يغلب اى من اجل هذا فقاتل وقيل متعلقة بقوله
وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله فكان المعنى لا تدع جهاد العدو والاستنصار
للمستضعفين من المومنين ولو وحدك لانه وعده بالنصر وقيل الاية
نزلت في موسم بدر الصغرى فان ابا سفيان لما انصرف من احد واعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم موسم بدر الصغرى فلما جا الميعاد
خرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا لم يلووا على احد
فلم يحضر ابو سفيان ولم يتفق قتال لا تكلف الا نفسك اى الا فعل نفسك

لايضرك مخالفتهم وتقاعدهم ولاتلزم فعل غيرك ولاتواخذ به وحرض
المومنين على القتال اى حضهم على الجهاد ورغبهم فيه عسى الله ان يكف
باس الذين كفروا يعنى قريشا وقد فعل وعسى اطماع وهو من الله واجب
والله اشد باسا اى صولة واعظم سلطانا واقدر باسا على ما يريده ٥
واشد تنكيلا اى عقوبة عن الحسن وغيره ان قيل ان عسى من الله بمعنى اليقين
فاين ذلك الوعد ونحن نرى الكفار فى باس وشدة قيل قد وجد هذا الوعد
ولا يلزم من وجوده الاستمرار فمتى وجد ولو لحظة فقد صدق الوعد وقد
كف الله باس المشركين ببدر الصغرى واخلفوا ما كان عاهدوه من الحرب
والقتال وكفى الله المومنين القتال وبالحديبية ايضا وقد القى الله فى
قلوب الاحزاب الرعب وانصرفوا من غير قتال فهذا كله باس قد كفه الله
مع ان من اليهود والنصارى العدد الكثير والجم الغفير تحت الجزية
صاغرين قد تركوا الحرب داخرين من يشفع شفاعة حسنة موافقة
للشرع يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها
واصل الشفاعة من الزوج فى العدد لان الشفيع يصير مع صاحب الجناية
شفعا والشفعة ضم ملك الشريك الى ملكه قال مجاهد والحسن وغيرهما
هى فى شفاعات الناس بينهم فى حوايجهم فمن يشفع لينفع فله نصيب ومن
يشفع ليضر فله كفل اى فمن يشفع شفاعة ليصلح بين اثنين استوجب الاجر
ومن سعى بالنميمة والغيبة فله كفل وقيل يعنى بالشفاعة الحسنة الدعاء
للمومنين والسيئة الدعا عليهم وفى صحيح الخبر من دعا لاخيه المسلم بظهر
الغيب استجيب له وقال الملك امين ولك مثل هذا وقيل المعنى من يكن
شفعا لصاحبه فى الجهاد يكن له نصيبه من الاجر ومن يكن شفيعا لاخر

فى

فى باطل يكن له نصيب من الوزر والكفل الوزر والاثم عن الحسن وغيره
ويستعمل فى النصيب من الخير والشر وفى التنزيل يوتكم كفلين من رحمته
والشافع يوجر وان لم يشفع والحاصل ان من شفع شفاعة حسنة راعى
بها حق مسلم ودفع بها عنه ضررا وجلب اليه نفعا ابتغا وجه الله
تعالى يكن له ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع
شفاعة يريد بها محرما يكن له نصيب من وزرها وكان الله على كل شي
مقيتا اى مقتدرا قاله ابن عباس قال احيحة الانصارى

• وذى ضغن كففت النفس عنه • وكنت على مساته مقيتا •

وقيل المعنى ان الله تعالى يعطى كل احد قوته ومنه الحديث كفى بالمرء اثما
ان يضيع من يقيت وقيل المقيت الحافظ واذا حييتم بتحية فحيوا
باحسن منها او ردوها التحية تفعلة من حييت والاصل تحيية مثل
تسمية وترمية فادغمت اليا فى اليا والتحية السلام واصل التحية الدعا
بالحياة والتحيات لله السلامة من الافات وقيل الملك روى عن مالك
ان الاية فى تشميت العاطس والرد على المشمت وقال اصحاب ابى حنيفة
التحية هنا الهدية لقوله او ردوها ولا يمكن رد السلام بعينه ٥
والصحيح ان التحية هنا السلام لقوله تعالى واذا جاوك حيوك بما
لم يحيك به الله فاذا قيل لكم سلام عليكم فقولوا عليكم السلام ورحمة
الله وبركاته او قولوا كما قال فالواجب احدهما والاول افضل وفى الاية
من الفقه ان يقال اجمع العلما على ان الابتدا بالسلام سنة ورده فريضة
اى على الكفاية وحينئذ السلام مشروع فلا يرد فى الخطبة والحمام وعند
الاكل والجماع وقضا الحاجة ونحوها قال ابن عباس واذا حييتم بتحية

فان كانت من مومن فحيوا باحسن منها وان كانت من كافر فردوا وعليكم
وقال عطا الاية في المومنين خاصة ان الله كان على كل شي حسيبا اى
حفيظا وقيل كافيا ومنه حسبى الله وقيل محاسبا وحسنت هذه الصفة
هنا لان معنى الاية في ان يزيد الانسان او ينقص او يوفي قدر ما يجي به
وفي الحديث من قال لاخيه المسلم سلام عليكم كتب له عشر حسنات فان
قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له عشرون حسنة فان قال
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة وكذلك المن
رد من الاجر الله لا اله الا هو ابتدا وخبر ليجمعنكم اللام لام القسم
نزلت في الذين شكوا في البعث فاقسم الله بنفسه وكل لام بعدها نون
مشددة فهي لام القسم ومعناه في الموت وتحت الارض الى يوم القيمة
وقال بعضهم الى صلة ومعناه ليجمعنكم يوم القيمة وسميت قيامه لان
الناس يقومون فيه لرب العالمين وقيل لان الناس يقومون من قبورهم
لا ريب فيه لا شك ومن اصدق من الله حديثا قولا وهو نصب على البيان
والمعنى لا احد اصدق منه فلا يتطرق الكذب الى خبره لانه نقص وهو
على الله محال فما لكم اى شانكم في المنافقين فئتين اى فما لكم في امر المنافقين
فرقتين مختلفتين روى مسلم عن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه
وسلم خرج الى احد فرجع من كان معه وكان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم فيهم فرقتين فقال بعضهم نقتلهم وقال بعضهم لا فنزلت والمراد
بالمنافقين هنا عبد الله بن ابي واصحابه الذين خذلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد ورجعوا بعسكرهم بعد ان خرجوا كما
تقدم وقال ابن عباس هم قوم بمكة امنوا وتركوا الهجرة قال الضحاك وقالوا
ان

ان ظهر محمد فقد عرفناه وان ظهر قومنا فهو احب الينا فصار المسلمون
فيهم فئتين قوم يتولونهم وقوم يتبرؤن منهم فقال الله تعالى فما لكم في
المنافقين فئتين وقيل غير هذا وفئتين نصب على الحال كما يقال
مالك قايما وقال الكوفيون هو خبر ما لكم كخبر كان والله اركسهم
اى ردهم الى الكفر ونكسهم او نكصهم بان صيرهم الى النار والركس والنكس
قلب الشي على راسه او رد اوله على اخره بما كسبوا من الكفر اتريدون ان
تهدوا من اضل الله اى تجعلوه من المهتدين بان يحكم لهم بحكم المومنين والاستفهام
في الموضعين للانكار ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى طريقا الى الهدى
والرشد وطلب الحجة ثم اخبر بما في ضمايرهم لئلا يحسنوا الظن بهم فقال
ودوا لو تكفرون كما كفروا اى تمنوا ان تكونوا انتم في الكفر والنفاق فتكونون
سوا اى فتكونون معهم سوا في الضلال وهو عطف على تكفرون فامر الله
تعالى بالبراة منهم بقوله فلا تتخذوا منهم اوليا تتولونهم وان اظهروا
الايمان حتى يهاجروا في سبيل الله اى حتى يومنوا ويحققوا ايمانهم
بهجرة هي لله ورسوله والهجرة انواع منها الهجرة الى المدينة لنصرة النبي
صلى الله عليه وسلم وكانت واجبة اول الاسلام حتى قال لا هجرة بعد الفتح
وهجرة المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوات وهجرة من اسلم
في دار الحرب فانها واجبة وهجرة المسلم ما حرم الله عليه وهجرة اهل المعاصي
حتى يتوبوا تاديبا لهم فان تولوا فخذوهم واقتلوهم يعني ان اعرضوا عن
التوحيد والهجرة فاسروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم عام في الاماكن
من حل وحرم ثم استثنى فقال الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
اى يتصلون بهم ويدخلون فيما بينهم بالجوار والحلف المعنى فلا تقتلوا

قوما بينهم وبين من بينكم وبينهم عهد فانهم على عهدهم ثم انتسخت
العهود فانتسخ هذا هذا قول مجاهد وابن زيد وغيرهما وقيل يصلون
ينتسبون القرطبي حمل بعض العلما معنى ينتسبون على الامان اى ان
المنتسب الى اهل الامان امن لا على معنى النسب الذي هو القرابة واختلف
في هولا الذين كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ميثاق فقيل
بنو مدلج عن الحسن كان بينهم وبين قريش عهد وكان بين قريش وبين النبي
صلى الله عليه وسلم عهد وقال عكرمة نزلت في هلال بن عويمر وسراقة
ابن جشعم وقال ابن عباس بنو بكر بن زيد بن مناه كانوا في الصلح والهدنة
او جاوكم حصرت صدورهم اى ضاقت ومعنى حصرت قد حصرت
فاضمرت قد وهو حال من المضمر المرفوع في جاوكم كما تقول جا فلان ذهب
عقله اى قد ذهب وقيل خبر بعد خبر قاله الزجاج اى جاوكم ثم اخبر فقال
حصرت صدورهم فعلى هذا يكون حصرت بدلا من جاوكم وقيل حصرت في
موضع خفض على النعت لقوم وقال محمد بن يزيد حصرت صدورهم
دعا عليهم ان يقاتلوكم في موضع نصب اى من ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم يعني قريشا قال مجاهد هلال بن عويمر هو الذي حصر صدره ان
يقاتلكم او يقاتل قومه ولو شا الله تسليطهم عليكم لسلطهم عليكم
بان يقوي قلوبهم فلقاتلوكم تسليط الله تعالى المشركين على المومنين هو
بان يقويهم اما عقوبة ونقمة عند اذاعة المنكر وظهور المعاصي واما
ابتلا واختبارا واما تمحيصا للذنوب والله يفعل ما يشا ويسلط من
يشا اذا شا والمعنى اقتلوا المنافقين الذين اختلفتم فيهم ان لم يهاجروا الا
ان يتصلوا بمن بينكم وبينه ميثاق فيدخلون فيما دخلوا فيه فلهم حكمهم

والا

والا الذين جاوكم قد حصرت صدورهم عن ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم قد دخلوا فيكم فلا تقتلوهم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم اى لم يتعرضوا
لكم والقوا اليكم السلم اى الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا اى فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين اى ستجدون قوما
اخرين يريدون ان يامنوكم باظهار الايمان عندكم ويامنوا قومهم بالكفر
اذا رجعوا اليهم قال قتادة نزلت في قوم من تهامة طلبوا الامان من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامنوا عنده وعند قومهم وقال السدي
نزلت في نعيم بن مسعود كان يامن المسلمين والمشركين الحسن في قوم من المنافقين
وقيل نزلت في اسد وغطفان قدموا المدينة ثم اسلموا ثم رجعوا الى
ديارهم فاظهروا الكفر كلما ردوا الى الفتنة اى الكفر اركسوا فيها اى
انتكسوا عن عهدهم الذي عاهدوه وقيل دعوا الى الشرك رجعوا اليه
فان لم يعتزلوكم في القتال ويلقوا اليكم السلم اى الصلح فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم اى وجدتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا اى حجة
مبينا ظاهرة وقيل برهانا ظاهرا على قتلهم وسبيهم لغدرهم وما كان
لمومن اى ما ينبغي لمومن وليس من شانه ان يقتل مومنا بغير حق الا خطا
وليس المعنى على النفي وانما هو على النهي والتحريم مثل وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولو كانت على النفي لما وجد مومن قتل مومنا قط لان ما نفاه الله
لا يجوز وجوده وقال قتادة المعنى ما كان ذلك في عهد الله وقيل ما كان
له فيما سلف كما ليس له الان ثم استثنى استثنا منقطعا وهو الذي فيه
الا بمعنى لكن والتقدير ما كان له ان يقتله البتة لكن ان قتله خطا فعليه
كذا ونزلت الاية في قتل عياش بن ابي ربيعة الحارث العامري لشحنة

كانت بينهما فلما هاجر الحارث مسلما لقيه عياش فقتله ولم يشعر باسلامه
فلما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه قد كان من امري
وامر الحارث ما قد علمت ولم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت الاية وقيل
هو استثنا متصل اي وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا ان يكون خطا فلا
يقتص منه ولكن فيه كذا وكذا او قيل غير هذا ووجوه الخطا مقررة في الفروع
والخطا اسم لمن خطي خطا ويقال لمن اراد شيا ففعل غيره اخطا ولمن فعل غير
الصواب خطا **ومن قتل مومنا خطا فتحرير رقبة مومنة** اي فعليه
عتق رقبة مومنة قال ابن عباس وغيره الرقبة المومنة هي التي صلت
وعقلت الايمان لا يجزي في ذلك الصغيرة وقال عطا يجزي الصغير المولود
بين المسلمين وقال الشافعي ومالك وغيرهما يجزي كل من حكم له بحكم الاسلام
في الصلاة عليه ان مات **ودية مسلمة الى اهله** الدية ما تعطى عوضا
من دم القتيل الى وليه ومعنى مسلمة مدفوعة موداة وثبتت الاخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الدية ماية من الابل عشرون
بنت مخاض وكذا بنات لبون وبنو لبون وحقاق وجذاع وهي على عاقلة
القاتل فان لم يكن فمن بيت المال فان تعذر فعلى الجاني **الا ان يصدقوا**
اصله ان يتصدقوا فادغمت التا في الصاد والتصدق الاعطا والمعنى
هنا الا ان يبري الاوليا ورثة المقتول مما اوجب الله لهم من الدية
فهو استثنا ليس من الاول واما الكفارة التي هي لله تعالى فلا تسقط
بابرائهم لانه اتلف شخصا في عبادة الله تعالى فعليه ان يخلص اخر لعبادة
ربه وانما تسقط الدية التي هي حق لهم وتجب الكفارة في مال الجاني ولا
تتحملها العاقلة **فان كان من قوم عدو** اي حرب **لكم وهو مومن فتحرير**

رقبة مومنة على قاتله كفارة ولا دية تسلم الى اهله لحرابتهم قال ابن عباس
وقتادة وغيرهما ان كان هذا المقتول رجلا مومنا قد امن وبقي في قومه
وهم كفرة عدو لكم فلا دية فيه وانما كفارته تحرير الرقبة وسقطت
الدية لوجهين احدهما ان اوليا القتيل كفار فلا تدفع اليهم يتقوون
بها والثاني ان حرمة هذا الذي امن ولم يهاجر قليلة وقالت طايفة
بل الوجه في سقوط الدية ان الاوليا كفار فقط فسوا كان القتل بين
اظهر المسلمين او بين قومه ولم يهاجر او هاجر ورجع الى قومه كفارته
التحرير ولا دية فيه وهو قول الشافعي وغيره **وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق** اي عهد **فدية** له **مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مومنة**
على قاتله وهذا في الذمي والمعاهد يقتل خطا فتجب الدية والكفارة قاله
ابن عباس وغيره وهو قول الشافعي وقيل المعنى وان كان المقتول خطا مومنا
من قوم معاهدين لكم فعهدهم يوجب انهم احق بدية صاحبهم فكفارته
التحرير واد الدية وقال الحسن اذا قتل المسلم الذمي لا كفارة عليه وقيل
غير هذا **فمن لم يجد** اي الرقبة **فصيام شهرين متتابعين** اي فعليه صيام
شهرين متتابعين حتى لو افطر يوما استانف ولم يذكر تعالى الانتقال
الى الاطعام كالظهار وبه اخذ الشافعي في اصح قوليه **توبة من الله** نصب
على المصدر ومعناه رجوعا وانما مست حاجة المخطي الى التوبة لانه لم
يتحرز وكان من حقه ان يتحفظ وقيل المعنى فليات بالصيام تخفيفا من الله
تعالى بقوله الصوم بدلا عن الرقبة كما قال تعالى علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم فتاب عليكم اي خفف وقوله تعالى علم ان لن تحصوه فتاب عليكم
وكان الله في ازله وابده **عليما** بجميع المعلومات **حكيما** فيما حكم به وابرم

ومن يقتل مومنا متعمدا بان يقصد قتله بما يقتل غالبا عالما بايمانه
فجزاوه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ابعده من رحمته
واعد له عذابا عظيما في النار روى النساى عن عبد الله بن بريدة عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل المومن عند الله اعظم من
زوال الدنيا والختلف في توبة قاتل العمد فروى البخارى عن سعيد بن جبير
قال اختلف فيها اهل كوفة فرحلت فيها الى ابن عباس فسالته عنها فقال
نزلت هذه الاية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم هي اخر ما نزل وما نسخها
شي وروى النساى عنه قال سالت ابن عباس هل لمن قتل مومنا متعمدا من توبة
قال لا وقرات عليه اية الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية
قال هذه اية مكية نسختها اية مدنية ومن يقتل مومنا متعمدا الايه وذهب
جماعة منهم ابن عمر وزيد وغيرهما الى ان له توبة وهو مذهب اهل السنة
وهو الصحيح والخلود لا يقتضي الدوام وتوبته مقبولة كتوبة الكافر بل
هو اولى فان قيل فجزاوه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه
دليل على كفره لان الله تعالى لا يغضب الا على كافر خارج عن الايمان فالجواب
ان هذا وعيد والخلف في الوعيد كرم وجواب ثان اى ان جازاه بذلك
فهو اهل لذلك ومستحقه يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله
الضرب السير في الارض تقول العرب ضربت في الارض اذا سارت لتجارة
او غزو مقترنة بفي وتقول ضربت الارض دون في اذا قصدت قضا الحاجة
ومنه الحديث لا يخرج الرجلان يضربان الغايط يتحدثان كاشفين
عن فرجيهما فان الله يمقت على ذلك وهذه الاية نزلت في قوم من المسلمين
مروا في سفرهم برجل معه جمل وغنيمات يتبعها فسلم على القوم وقال

لا اله الا الله محمد رسول الله فحمل عليه احدهم فقتله فلما ذكر للنبي صلى الله
عليه وسلم شق عليه ونزلت الاية والذى عليه الاكثر ان القاتل هو محكم
بن جثامة والمقتول عامر بن الاضبط فدعا عليه الصلاة والسلام
على محكم فما عاش بعد ذلك الا سبعا ثم دفن فلم تقبله الارض ثم دفن
فلم تقبله الارض ثم دفن ثالثة فلم تقبله فلما راوا ذلك القوه في بعض
تلك الشعاب وقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه
قال الحسن اما انها تحبس من هو شر منه ولكن وعظ القوم ان لا يعودوا
وقيل القاتل اسامة بن زيد والمقتول مرداس بن نهيك وقيل غير هذا
ولا خلاف ان الذى لفظته الارض حين مات هو محكم وروى ان النبى
صلى الله عليه وسلم رد على اهل المسلم الجمل والغنم وحمل ديته على
طريق الايتلاف فتبينوا اى تاملوا من التبيين والبيان وهو الظهور
وهو ثمرة التثبت وقرى فتثبتوا وهو ضد العجلة وفي اذا معنى الشرط
فلذلك دخلت الفا في قوله فتبينوا او التبين واجب حضرا وسفرا وانما
خص السفر بالذكر لان الحادثة التى نزلت فيها الاية وقعت في السفر
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مومنا السلام والسلم
والسلم واحد قاله البخارى وقرى بها كلها اى لا تقولوا لمن القى بيده
واستسلم لكم واظهر دعوتكم لست مومنا وقيل السلام قوله السلام
عليكم وهو راجع الى الاول لان تحيته بتحية الاسلام موذن بطاعته
وانقياده تبتغون تطلبون عرض الحياة الدنيا اى تبتغون اخذ ماله
وسمى متاع الدنيا عرضا لانه عارض زايل غير ثابت ابو عبيدة جميع
متاع الدنيا عرض بفتح الرا والعرض بسكون الرا ما سوى الدنانير والدرا

فكل عرض وعرض وليس كل عرض عرض وفي كتاب العين العرض ما نيل من الدنيا
وقيل غير هذا فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم وهي عدة من الله تعالى
بما يأتي به على وجهه ومن حله دون ارتكاب محظور اي فلا تتهافتوا كذلك
كنتم من قبل اي كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم خوفا على انفسكم حتى منّ الله
عليكم باعزاز دينكم وغلبة المشركين فهم الآن كذلك كل واحد منهم في قومه
متربص ان يصل اليكم فلم يصلح اذ وصل اليكم ان تقتلوه حتى تتبينوا امره
وقال ابن زيد المعنى كذلك كنتم كفرة فمنّ الله عليكم بان اسلمتم فلا تنكروا
ان يكون هو كذلك فتبينوا اعادة تاكيدا ان الله كان بما تعملون خبيرا
تحذير على مخالفة امر الله لا يستوي القاعدون من المومنين عن الجهاد
ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها غير اولي الضرر
اي الزمانة روي الائمة عن زيد بن ثابت قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
على فخذي فما وجدت ثقل شي اثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المومنين
الاية الى اخرها فقام ابن ام مكتوم وكان رجلا اعمى فقال يا رسول الله
فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المومنين فلما قضى كلامه غشيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم السكينة ثم سري عنه فقال اقرا يا زيد لا يستوي
القاعدون من المومنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اولي
الضرر قال العلما اهل الضرر هم اهل الاعذار قرئ غير بالرفع قال
الاخفش هو نعت للقاعدين لانهم لا يقصد بهم قوم باعيانهم فصاروا
كالنكرة فجاز وصفهم بغير المعرفة وقرئ بالنصب على الاستثنا من القاعدين

او

او من المومنين اي الا اولي الضرر فانهم يستوون مع المجاهدين وان ثبت
على الحال من القاعدين والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين لغير ضرر درجة
وقال بعدها درجات فقال قوم التفضيل بالدرجة ثم بالدرجات انما
هو مبالغة وتاكيد وقيل فضل الله المجاهدين على القاعدين من اولي الضرر
بدرجة واحدة وفضل الله المجاهدين على القاعدين من غير عذر درجات
وقيل معنى درجة علوا اي اعلاء ذكرهم ورفعهم بالثنا والمدح فهذا
بمعنى درجة ودرجات يعني في الجنة قيل سبعين درجة بين كل درجتين
حضر الفرس الجواد سبعين سنة ودرجات بدل من اجرا وتفسير له ويجوز
نصبه على تقدير الظرف اي فضلهم بدرجات وكلا من الفريقين وعد الله
الحسنى الاية كلا منصوب بوعد ثم قيل المراد بكل المجاهدون خاصة
وقيل المجاهدون واولوا الضرر والحسنى الجنة وقيل القاعدون الاول هم
الاضرا والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفا بغيرهم وقيل
المجاهدون الاول من جاهد الكفار والمجاهدون الثاني من جاهد نفسه وعليه
قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
وكان الله غفورا رحيما لما عسى ان يفرط منهم رحيما بهم بما وعدهم ان الذين
توفاهم الملائكة المراد به جماعة من اهل مكة كانوا قد اسلموا واظهروا للنبي
صلى الله عليه وسلم الايمان فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اقاموا مع
قومهم وافتتن منهم جماعة فلما كان امر بدر خرج منهم قوم مع الكفار وقتلوا
فنزلت وقيل انهم لما استحقروا عدد المسلمين دخلهم شك في دينهم فارتدوا
فقتلوا على الردة وتوفاهم يحتمل ان يكون فعلا ماضيا اذ تانيث لفظ الملائكة

غير حقيقي وان يكون فعلا مستقبلا وحذفت منه احدى التاين وعن
الحسن ان المعنى تحشرهم الى النار وقيل تقبض ارواحهم وهو اظهر وقيل
الملايكة ملك الموت ظالمي انفسهم بالمقام مع الكفار وهو نصب على الحال
قالوا اي الملايكة فيم كنتم سوال تقريع وتوبيخ اي اكنتم في اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم ام كنتم مشركين قالوا اعتذارا كنا مستضعفين عاجزين
عن اقامة الدين في الارض يعني مكة وهو اعتذار غير صحيح اذ كانوا يستطيعون
الحيل ويهتدون السبيل ثم وقفتهم الملايكة على ذنبهم بقولهم الم تكن ارض
الله واسعة فتهاجروا فيها اي قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة
والحبشة وقيل المراد بقوله الم تكن ارض الله واسعة المدينة وقد يفيد
هذا السوال والجواب انهم ماتوا مسلمين ظالمين لانفسهم في تركهم الهجرة والا فلو
ماتوا كافرين لم يقل لهم شي من هذا وانما اضرب عن ذكرهم في الصحابة لشدة
ما واقعوه لعدم تعين احدهم بالايمان ولاحتمال ردته والله اعلم فاوليك
ماواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر اوليك والفا فيه
لتضمن الاسم معنى الشرط وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفيه دليل على
وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعنه صلى الله عليه
وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له
الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى
منهم من الضمير الذي هو الها والميم في ماواهم من كان مستضعفا حقيقة
من زمنا الرجال وضعفة النسا والولدان فقال الا المستضعفين من
الرجال والنسا والولدان كعياش بن ابي ربيعة وسلمة بن هاشم قال
ابن عباس كنت انا وامي ممن عنا الله بهذه الاية وذلك انه كان من الولدان اذ
ذلك

ذلك وامه ام الفضل بنت الحارث واسمها لبابة وهي اخت ميمونة
واختها الاخرى لبابة الصغرى وهن تسع اخوات وغيرهم رضي الله عنهم
اجمعين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين
واستطاع الحيلة وجدان اسباب الهجرة واهتدا السبيل معرفة الطريق
بنفسه او بدليل فاوليك عسى الله ان يعفو عنهم الذي لا حيلة له في الهجرة
لا ذنب له حتى يعفى عنه ولكن المعنى انه قد يتوهم انه يجب تحمل غاية المشقة
في الهجرة حتى ان لم يتحمل تلك المشقة يعاقب فازال ذلك الوهم اذ لا يجب
تحمل غاية المشقة بل كان يجوز ترك الهجرة عند فقد الزاد والراحلة
فمعنى الاية فاوليك لا يستقصى عليهم في المحاسبة ولهذا قال وكان الله
عفوا غفورا والماضي والمستقبل في حقه تعالى واحد ومن يهاجر في
سبيل الله يجد شرط وجوابه في الارض مراغما كثيرا قال مجاهد متزحزحا
ابن عباس وغيره المراغم المتحول والمذهب ابن زيد المهاجر والمراغم اسم الموضع
الذي يراغم فيه وهو مشتق من الرغام يقال رغم انف فلان اي لصق
بالتراب وراغمت فلانا هاجرته وعاديته السدي السعي للمعيشة
وعن مالك المراغم الذهاب في الارض وكله قريب بعضه من بعض
واما الخاص باللفظة فان المراغم موضع المراغمة وهو ان يرغم
كل واحد من المتنازعين انف صاحبه بان يغلبه على مراده فكان
كفار قريش ارغموا انوف المحبوسين بمكة فلو هاجر منهم مهاجر
لارغم انوف قريش لحصوله في منعة فتلك المنعة هي موضع المراغمة
وسعة اي في الرزق قاله ابن عباس وغيره قتادة المعنى سعة من الضلالة
الى الهدى ومن العيلة الى الغنى وقال مالك سعة البلاد ومن يخرج

من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله
قال عكرمة طلبت اسم هذا الرجل اربعة عشر سنة حتى وجدته والذى
ذكره عكرمة ضمرة بن العيص او العيص بن ضمرة وكان من المستضعفين
بمكة وكان مريضا فلما سمع ما انزل الله فى الهجرة فقال اخرجونى فهيئ
له فراش ثم وضع عليه وخرج به فمات فى الطريق بالتنعيم فنزلت الاية
فيه وذكر ابو عمر انه قد قيل فيه خالد بن حزام بن خويلد ابن اخى خديجة
وانه هاجر الى ارض الحبشة فنهشته حية فى الطريق فمات قبل ان يبلغ
ارض الحبشة فنزلت الاية فيه وقيل اسمه جندب بن ضمرة وانه لما
اشرف على الموت بالتنعيم ضرب بيمينه على شماله وقال اللهم لك
ولرسولك وانما لم يسمه ليدل على العموم وانه غير خاص به وقوله
فقد وقع اجره على الله الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره
عند الله ثبوت الامر الواجب وكان الله غفورا لما كان منه فى الشرك
رحيما حين قبل توبته واذا ضربتم فى الارض معنى ضربتم سافرتم فليس
عليكم جناح اى حرج ان تقصروا من الصلاة ان فى موضع نصب اى فى ان
ان خفتم خرج هذا على ان الغالب على المسلمين الخوف فى الاسفار ولهذا
قال يعلى بن امية ما لنا نقصر وقد امنا فقال عمر عجبت مما عجبت منه
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق
الله تعالى بها عليكم فاقبلوا صدقته وذهب جماعة الى ان هذه الاية
انما هى مبيحة للقصر فى السفر للخائف فمن كان امنا فلا قصر قال عطا
كان يتم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشه وسعد بن
ابى وقاص وعثمان وذلك معلل بعلل وذهب جماعة الى ان الله تعالى

لم يبح القصر فى كتابه العزيز الا بشرطين السفر والخوف وفى غير الخوف
بالسنة منهم الشافعى وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقصر فى اسفاره
غازيا او حاجا او معتمرا وقال ابن عمر سافرت مع النبى صلى الله عليه وسلم
وابى بكر وعمر فكانوا يصلون الظهر والعصر ركعتين ركعتين ولا خلاف
بين المسلمين فى جوازه وانما تقصر الرباعية المؤداة فى السفر الطويل
المباح على ما هو مبين فى الفروع وذهب اخرون الى ان قوله ان خفتم ليس
متصلا بما قبله وان الكلام تم عند قوله من الصلاة ثم افتتح فقال ان
خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فاقم لهم يا محمد صلاة الخوف وقوله ان
الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا كلام معترض قاله الجرجانى وروى عن
ابن عباس ان قوله تعالى واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلاة نزلت فى الصلاة فى السفر ثم نزل ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا فى الخوف بعدها بعام فالاية على هذا انتظمت قضيتين وحكمين
فقوله واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
يعنى فى السفر وتم الكلام ثم ابتدا فريضة اخرى فقدم الشرط والتقدير
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا اذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة والواو
زايدة والجواب فلتقم طايفة قال الجلال السيوطى واحسن منه ان
تجعل اذا زايدة بناء على قول من يجيز زيادتها ونفى الحرج فى القصر يدل على
جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه الصلاة والسلام اتم فى السفر
واقل سفر تقصر فيه الصلاة الرباعية المؤداة وكذا فائتة السفر فيه
اربعة برد وعند ابى حنيفة ستة برد واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة
هذه صلاة الخوف نسال الله تعالى الامن من عذابه وليس المراد ان

للخوف صلاة كالعيد ونحوه وانما المراد ان الخوف يقتضي احتمال امور
في الصلاة لا تحتمل عند انتفائه روى الدارقطني عن ابن عباس قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركين عليهم
خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا النبي صلى الله عليه
وسلم الظهر فقالوا قد كانوا على حال لو اصبنا غرتهم ثم قالوا تاتي الان
عليهم صلاة هي احب اليهم من ابنائهم وانفسهم قال فنزل جبريل بهذه الاية
بين الظهر والعصر وهذا كان سبب اسلام خالد والخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم وهو يتناول الامراء بعده الى يوم القيمة ومثله قوله تعالى
خذ من اموالهم صدقة فهو جرى على عادة القران في الخطاب فلا
مفهوم له وشذ ابو يوسف واسمعيل بن علية فقالا لا نصلي صلاة الخوف
بعد النبي صلى الله عليه وسلم لانها مختصة به والجواب انها اذا ثبتت
في حقه ثبتت في حقنا لقوله تعالى فاتبعوه وروى البيهقي ان سعيد
ابن العاص صلاها بطبرستان وابا موسى ببلاد فارس وعليا بصفين
ولم ينكره احد **فلتقم طائفة** اي جماعة **منهم معك** في الصلاة **وليأخذوا**
اسلحتهم يعني الذين يصلون معك ويقال وليأخذوا اسلحتهم الذين
بازاء العدو والمراد من هذا الامر الانقسام اي وسائرهم وجاه العدو
حذرا من توقع حملته والسلاح ما يدفع به المرء عن نفسه في الحرب قال
ابن عباس وليأخذوا اسلحتهم يعني الطائفة التي وجاه العدو لان المصلية
لا تحارب وقال غيره في المصلية النحاس يجوز ان يكون للمجموع لانه
اهيب للعدو وقال ابو عمر واكثر اهل العلم يستحبون للمصلي اخذ
سلاحه اذا صلى في الخوف ويحملون قوله خذوا اسلحتكم على الندب

فاذا

فاذا سجدوا الضمير في سجدوا للطائفة المصلية والضمير في قوله **فليكونوا**
من ورائكم يحتمل ان يكون للذين سجدوا ويحتمل ان يكون للطائفة القائمة
اولا بازاء العدو **ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا** لاشتغالهم بالحراسة
فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة
كما فعل صلى الله عليه وسلم ببطن نخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة
ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر
قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي الاخرى
فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم
كما فعله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع **وليأخذوا حذرهم واسلحتهم**
معهم الى ان يقضوا الصلاة **ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم**
وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة اي تمنى واحب الكافرون غفلتكم
عن اخذ السلاح فيصلوا الى مقصودهم وذكر الحذر في الطائفة الثانية
دون الاولى لانها اولى باخذ الحذر لان العدو لا يؤخر قصده عن هذا الوقت
لانه اخر الصلاة وايضا يقول العدو قد اثقلهم السلاح وكلوا ومعنى
ميلة واحدة مبالغة اي مستاصلة لا يحتاج معها الى ثانية **ولا جناح**
عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا
حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا رخص في المطر لانه يثقل المبطنات
ويبلها ويصدي الحديد وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم يوم بطن
نخل لما انهزم المشركون وكان يوما مطيرا وخرج النبي صلى الله عليه
وسلم لقضاء حاجته واضعا سلاحه فراه الكفار منفردا عن الصحابة
فقصده غورث بن الحارث فانحدر عليه من الجبل بسيفه وقال من يمنعك

منى فقال الله فاهوى بالسيف الى النبي صلى الله عليه وسلم ليضربه فانكب
لوجهه وسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال
من يمنعك منى يا غورث فقال لا احد فقال تشهد لى بالحق واعطيك سيفك
فقال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك بعد هذا ولا اعين عليك عدوا فدفع
اليه السيف ونزلت الاية رخصة فى وضع السلاح فى المطر ومرض
عبد الرحمن بن عوف من جرح كما فى صحيح البخارى فرخص الله لهم فى ترك
السلاح لعذر المطر ثم امرهم فقال وخذوا حذركم اى كونوا متيقظين
وضعتم السلاح او لم تضعوه واما احكام صلاة الخوف فتبين فى الفروع
فاذا قضيتم الصلاة اى فرغتم من صلاة الخوف وهذا يدل على ان القضا
يستعمل فيما قد فعل فى وقته ومنه قوله فاذا قضيتم مناسككم **فاذكروا
الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم** ذهب الجمهور الى ان هذا الذكر المامور
به انما هو اثر صلاة الخوف اى اذكروه بالقلب واللسان على اى حال
كنتم قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقيل المعنى فاذا صليتم فى دار الحرب
فصلوا على الدواب وقياما او قعودا او على جنوبكم ان لم تستطيعوا
القيام اذا كان خوفا او مرضا **فاذا اطمانتم** اى امنتم والطمانينة
سكون النفس من الخوف **فاقيموا الصلاة** اى فاتوا بها باركانها
وكمال هياتها فى السفر وبكمال عددها فى الحضر **ان الصلاة كانت على
المومنين كتابا موقوتا** اى موقتة مفروضة وتجب باول الوقت وجوبا
موسعا الى ان لا يبقى ما يسعها فاذا اراد تاخيرها الى اثنا الوقت
لزمه العزم على فعلها عند الاكثر وكتابا مصدر وهو مذكر فلهذا
قال موقوتا **ولا تهنوا فى ابتغا القوم** اى لا تضعفوا فى طلبهم قيل نزلت
فى

فى حرب احد حيث امر النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج فى اثار المشركين
وكان بالمسلمين جراحات وقيل هذا فى كل جهاد **ان تكونوا تالمون** بما
اصابكم من الجراح **فانهم يالمون** ايضا مما يصيبهم **كما تالمون** ولكم مزية
وهى انكم **ترجون من الله ما لا يرجون** اى ترجون ثواب الله وهم لا يرجونه
فهو الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين
غير مختص بهم وهم يرجون الرجا من الله بسببه من اظهار الدين ونيل
الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغى ان يكونوا ارغب منهم فى الحرب واصبر
وقيل الرجا هنا بمعنى الخوف لان من رجا شيا فهو غير قاطع بحصوله
فلا يخلو من خوف فوت ما يرجو وقال الفرا والزجاج لا يطلق الرجا بمعنى
الخوف الا مع النفى كقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا وقوله للذين لا يرجون
ايام الله اى لا يخافون قال القشيرى ولا يبعد ذكر الخوف من غير ان يكون فى
الكلام نفى لكنهما ادعيا انه لم يكن ذلك الا مع النفى **وكان الله عليما** بكل
شى **حكيما** فى صنعه **انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس** فى هذه
الاية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم وتفويض اليه وتقويم
ايضا على الجادة فى الحكم على ما وقع اليه فى امر بنى ابيرق وكانوا ثلاثة اخوة
بشر ومبشر وطعمة وابن عم لهم نقبوا مشربة لرفاعة بن زيد بالليل وسرقوا
درعا له وطعاما وخباها طعمة عند يهودى فرماه طعمة بها وحلف انه
ما سرقها فعثر على ذلك قيل كان الدرع فى جراب فيه دقيق فكان الدقيق
ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى الى داره فجا ابن اخى رفاعة واسمه قتادة
ابن النعمان يشكوهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قوم طعمة
يا رسول الله ان هولا عمدوا الى اهل بيت هم اهل صلاح ودين فاتهموهم

بالسرقة ورموهم بها من غير بينة وجعلوا يجادلون عنهم حتى غضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتادة ورفاعة فانزل الله ولا
تجادل عن الذين يختانون انفسهم وانزل الله تعالى ومن يكسب خطيئة
او اثما ثم يرم به بريا وكان اسم البري الذي رموه بالسرقة لبيد بن
سهيل وقيل زيد بن السمين فلما انزل الله ما انزل هرب ابن ابيرق السارق
الى مكة ونزل على سلافة بنت سعد فقال فيها حسان بيتا يعرض
فيه بها فلما بلغها قالت انما اهديت لي شعر حسان واخذت رحله
فطرحته خارج المنزل فهرب الى خيبر وارتد ثم انه نقب بيتا ذات ليلة
ليسرق فسقط الحائط عليه فمات مرتدا بما اراك الله معناه اما
بوحي ونص او بنظر جار على سنن الوحي وفي الكلام اضمار اي بما اراكه الله ولا
تكن للخائنين كطعمة خصيما اسم فاعل اي لا تكن مخاصما عن خائن او لا تكن
خصيما للبراء وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه
الذين كانوا يفعلونه من المسلمين دونه لوجهين احدهما انه تعالى ابان ذلك
بما ذكره بعد بقوله هولاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا والاخر ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان حكما فيما بينهم فدل على انه لا يقصد غيره
واستغفر الله امره بالاستغفار لما هم بالدفع عنهم وقطع يد اليهودي
وهذا مذهب مجوز الصغاير على الانبيا قال ابن عطية وهذا ليس بذنب
لان النبي صلى الله عليه وسلم انما دافع على الظاهر وهو يعتقد براءتهم
والمعنى واستغفر الله للمذنبين او لامتك وقيل الخطاب له والمراد بنو
ابيرق وقيل غير هذا ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي لا تحاجج
عن الذين يخونون انفسهم اي يجعلونها خائنة بارتكاب الخيانة لان وبال

خيانتهم

خيانتهم عليهم والمجادلة المخاصمة من الجدل وهو الفتل وقيل من
الجدالة وهو وجه الارض فكل واحد من الخصمين يريد ان يلقي صاحبه
عليها ومن ذلك قولهم تركته مجدلا اي مطروحا على الجدالة ان الله
لا يحب من كان خوانا كثير الخيانة لانه من ابنية المبالغة اثيما اي
منهمكا فيه اي يعاقبه يستخفون اي طعمة وقومه حيا من الناس قال
الضحاك لما سرق الدرع اتخذ حفرة في بيته وجعل الدرع تحت التراب
فنزلت يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله يقول لا يخفى مكان الدرع
على الله وهو معهم اي رقيب حفيظ عليهم وقيل المعنى يستترون من الناس
وهو معهم بالعلم والرؤية والسمع اذ يبيتون اي يدبرون ويزورون
ما لا يرضى اي ما لا يرضاه الله لاهل طاعته من القول اي من الراي
والاعتقاد وقيل من رمي البري والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان
الله بما يعملون محيطا لا يفوته منه شي ها انتم هولاء يريد قوم طعمة
السارق لما هربوا به وجادلوا عنه واولا بمعنى الذين جادلتم اي
حاججتم عنهم طعمة وذويه في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم
القيمة اذا عذبهم وهو استفهام معناه الانكار والتوبيخ ام من يكون عليهم
اي لهم وكيلا يتولى امرهم والوكيل القايم بتدبير الامر والمعنى لا احد
يقوم بامرهم اذا اخذهم الله بعذابه وادخلهم النار ومن يعمل سوءا
اي قبيحا يسوء به غيره قال ابن عباس عرض الله التوبة على بني ابيرق
بهذه الاية اي ومن يعمل سوءا بان يسرق او يظلم نفسه بان يشرك وهو
من عطف الخاص على العام بناء على انه لا يختص بالواو كما هو راي ابن مالك
ثم يستغفر الله يعني بالتوبة فان الاستغفار باللسان من غير توبة

لا ينفع يجد الله غفورا له رحيما به وقيل نزلت الاية في وحشي قاتل
حمزة وقيل المعنى ومن يعمل سوءا مما يختص به ولا يتعداه وقيل
الصغيرة والكبيرة ومن يكسب اثما اي ذنبا فانما يكسبه على نفسه
اي عاقبته عائدة عليه والكسب ما يجر به الانسان الى نفسه نفعا
وكان الله عليما حكيما في صنعه ومن يكسب خطيئة او اثما قال الطبري
انما فرق بين الخطيئة والاثم لان الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد
والاثم لا يكون الا عن عمد وقيل الخطيئة الصغيرة والاثم الكبيرة ثم
يرم به بريا الهاء في به للاثم اي بريا منه او للخطيئة لان معناها الاثم
او لهما جميعا وقيل يرجع للكسب فقد احتمل اي تحمل بهتانا برميه
واثما مبينا بينا والبهتان ان تقذف اخاك بذنب هو منه بريء
وقوله احتمل تشبيه اذ الذنوب ثقل ووزر فهي كالمحمولات ولولا
فضل الله عليك يا محمد ورحمته ما بعد لولا رفع بالابتدا عند
سيبويه والخبر محذوف لا يظهر والمعنى ولولا فضل الله عليك ورحمته
بان نبهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم اي
من قوم طعمة ان يضلوك عن الحق لانهم سالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يبرئ ابن ابيرق السارق من التهمة ويلحقها باليهودي فتفضل
الله تعالى على رسوله بان نبهه على ذلك واعلمه اياه وليس المراد فيه
نفي همهم بل نفي تاثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانهم يعملون
عمل الضالين فوباله راجع عليهم وما يضرونك من شيء لانك معصوم
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة ابتدا كلام وقيل الواو للحال فالكلام
متصل اي ما يضرونك من شيء مع انزال الله عليك القران والحكمة

الفضل

الفضل بالوحي وعلمك ما لم تكن تعلم يعني من الشرايع والاحكام وكان
فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم
اي الناس او ما تفاوض فيه قوم بني ابيرق من التدبير والنجوى السر
بين الاثنين والنجوى المسارة مصدر وقد تسمى به الجماعة قال تعالى واذ هم
نجوى الا من امر بصدقة يجوز ان يكون استثنا من غير الجنس ويكون من
في موضع رفع اي لكن من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس
ودعا اليه ففي نجواه خير ويجوز ان يكون من في موضع خفض ويكون التقدير
لا خير في كثير من نجوى الا نجوى من امر بصدقة وقيل غير هذا والمعروف لفظ
يعم اعمال البر كلها وهو ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفي الحديث
كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وفي الحديث
ايضا المعروف كاسمه واول من يدخل الجنة يوم القيمة المعروف واهله
والاصلاح بين الناس عام في الدما والاموال والاعراض وفي كل شي يقع
التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين وفي كل كلام يراد به وجه الله تعالى
ومن يفعل ذلك المذكور ابتغا مرضات الله فسوف يوتيه اجرا عظيما
بني الكلام على الامر ورتب الجزا على الفعل ليدل على انه لما دخل الامر في
زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض الفعل واعتبار
الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله
لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا ريا وسمعة لم يستحق به من الله
اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اغراض
الدنيا ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى اي يخالفه فان كلا
من المتخالفين في شق غير شق الاخر ويتبع غير سبيل المومنين اي غير

ماهم عليه من اعتقاد او عمل والاية نزلت في سبب ابن ابيرق السارق
لما حكم عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالقطع وهرب الى مكة وارتد
وقال الضحاك قدم نفر من قريش المدينة واسلموا ثم انقلبوا الى مكة
مرتدين فنزلت فالاية وان نزلت في سارق الدرع او غيره فهي عامة
والمشاقة المعاداة وقوله نوله ما تولى يقال انها نزلت فيمن ارتد
والمعنى نتركه وما يعبد عن مجاهد اي نكله الى الاصنام التي لا تنفع ولا تضر
ونصله جهنم اي ندخله فيها وساءت مصيرا هي والاية تدل على حرمة
مخالفة الاجماع وفي الاية ايضا دليل على صحة القول بالاجماع ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد
او لقصة طعمة ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان
الشرك اعظم انواع الضلالة وفيه رد على الخوارج الزاعمين ان مرتكب
الكبيرة كافر قال ابن فورك واجمع اصحابنا انه لا تخليد الا للكافر وان
الفاسق من اهل القبلة اذا مات غير تايب فانه ان عذب بالنار لا محالة
انه يخرج منها بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم او بابتداء رحمة
من الله تعالى ان يدعون يعبدون من دونه من غير الله الا اناثا نزلت
في اهل مكة اذ عبدوا الاصنام وان نافية بمعنى ما واناثا اصناما
يعني اللات والعزى ومناة وكان لكل حي صنم يعبدونه ويقولون
انثى بني فلان قاله الحسن ابن عباس مع كل صنم شيطانة تتراى للسدنة
والكهنة وتكلمهم فخرج الكلام مخرج التعجيب لان الانثى من كل جنس
اخسه فهذا اجهل ممن يشرك بالله جمادا يسميه انثى او يعتقده انثى
وقيل الا اناثا اي امواتا لان الموات لا روح لها كالخشبة والحجر ۝

والموات

والموات يخبر عنه كما يخبر عن المونث يقال الاحجار تعجبني كما يقال المراة
تعجبني وقيل الا اناثا ملائكة لقولهم للملائكة بنات الله ولعله
تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه
ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون
دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وان يدعون الا شيطانا
مريدا يريد ابليس لانهم اذا اطاعوه فيما سول لهم فقد عبدوه والمريد
العاتي المتمرد وقيل معناه الخارج عن الطاعة ابن عرفه هو الذي ظهر
شره ومن هذا يقال شجرة مرداء اذا سقط ورقها وظهرت عيدانها ۝
لعنه الله صفة ثانية للشيطان واصل اللعنة الابعاد وهو في العرف
ابعاد مقترن بسخط وغضب وقال لاتخذن اجعلن لي من عبادك نصيبا
مفروضا اي وقال الشيطان لاستخلصنهم بغوايتي واضلنهم باضلالي
وهم العصاة والكفرة وفي الخبر من كل الف واحد لله والباقي للشيطان
وقيل من النصيب طاعتهم اياه في اشياء منها انهم كانوا يضربون للمولود
مسمارا عند ولادته ودورانهم به يوم اسبوعه يقولون ليعرفه العمار
ولاضلنهم اي لاصرفنهم بالوسوسة عن طريق الهدى ولامنينهم اي
لاسولن لهم من التمني وهذا لا ينحصر الى واحد من الامنية لان كل واحد في
نفسه انما يمنيه بقدر رغبته وقرائن حاله وقيل لامنينهم الخير والتوبة
مع الاصرار وقيل لامنينهم الاماني الباطلة لطول الحياة وان لا بعث
ولا عقاب ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام البتك القطع اي احملنهم
على قطع اذان البحيرة والسايبة ولامرنهم فليغيرن خلق الله الذوات
كلها للقسم والتغيير قيل بالخصى وفقء الاعين وقطع الاذان قال مضاه

ابن عباس وغيره وذلك كله تعذيب للحيوان وتحريم وتحليل بالطغيان
والاذان في الانعام جمال ومنفعة وكذلك غيرها من الاعضاء فراى
الشيطان ان تغيير ما خلق الله واما خصا البهايم فرخص فيه جماعة من
اهل العلم اذا قصدت فيه المنفعة اما لسمن او غيره واما خصا الادمي
فمصيبة وفيه اثم عظيم واما الوسم والاشعار فستثنى من نهيه
صلى الله عليه وسلم عن شريطة الشيطان ومن نهيه عن تعذيب الحيوان
بالنار ثبت في صحيح مسلم عن انس قال رايت في يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم الميسم وهو يسم ابل الصدقة وهو جايز في الاعضا غير
الوجه وقيل المراد بالتغيير الوشم ومن ذلك الحديث الصحيح لعن الله
الواشمات والمستوشمات والمتنمصات للحسن المغيرات خلق الله اخرجه
مسلم وقيل المراد بالتغيير هو ان الله خلق الشمس والقمر والاحجار
والنار وغيرها من المخلوقات ليعتبر بها وينتفع بها فغيرها الكفار
بان جعلوها معبودة وقيل فليغيرن خلق الله يعني دين الله قاله مجاهد
وسعيد بن جبير وغيرهما قال الطبري واذا كان ذلك معناه دخل فيه
فعل كل ما نهى الله عنه من خصا ووشم وغير ذلك من المعاصي وقيل المعنى
فليغيرن فطرة الله التي فطر الناس عليها يعني انهم ولدوا على الاسلام
فامرهم الشيطان بتغييره وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام كل
مولود يولد على الفطرة الاسلام وابواه يهودانه الى اخره والجمل الاربع
حكاية عما ذكره الشيطان او اتاه فعلا **ومن يتخذ الشيطان وليا من
دون الله** بايثاره ما يدعوا اليه على ما امر الله به ومجاوزته عن طاعة
الله الى طاعته **فقد خسر خسرانا مبينا** اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه
من

من الجنة بمكانه من النار **يعدهم ويمنيهم** المعنى يعدهم اباطيله وترهاته
من المال والجاه والرياسة وطول العمر وان لا بعث ولا حساب ويمنيهم
كذلك **وما يعدهم الشيطان الا غرورا** اي خديعة وباطلا قال ابن عرفة
الغرور ما رايت له ظاهر تحبه وفيه باطن مكروه او مجهول وقيل هو
اظهار النفع فيما فيه الضرر والشيطان غرور لانه يحمل على محاب النفس
ووراء ذلك ما يسوء وهذا اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه
اولئك ابتدا **ماواهم** ابتدا ثان **جهنم** خبر الثاني والجملة خبر الاول **ولا
يجدون عنها محيصا** ملجا او معدلا وعنها حال منه لانه اسم مكان وان
جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله **والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا**
اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول موكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية
التي قبله وعد والثاني موكد لغيره وقيل غير ذلك **ومن اصدق من الله قيلا**
ابتدا وخبر وقيلا نصب على البيان اي لا احد اصدق من الله **ليس
بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب** اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال
بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان
والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه
العمل عن ابن عباس قال قالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من
كان منا وقالت قريش لن نبعث فانزل الله تعالى ليس باماينكم ولا اماني
اهل الكتاب فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم
ونحن احق بالله منكم وقال المومنون نبينا خاتم النبيين وكتابنا
يقضي على ساير الكتب فنزلت **من يعمل سوءا** اي شركا قال الحسن نزلت

فى الكافر يجز به وقرا وهل يجازى الا الكفور وقال الضحاك يعنى اليهود
والنصارى والمجوس وكفار العرب وقال الجمهور لفظ الاية عام
والكافر والمومن مجازى بعمله السوء فاما مجازاة الكافر فالنار لان
كفره اوبقه واما المومن فنكبات الدنيا وعن ابن عباس من يعمل سوءا يجز
به قال ذلك لمن اراد الله هوانه فامامن اراد كرامته فلا وروى انه
لما نزلت من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر كيف الخلاص يا رسول الله
مع هذا كل شى عملناه جزينا به فقال غفر الله لك يا ابا بكر الست
تنصب الست تحزن الست يصيبك اللاوا قال بلى قال فذلك ما تجزون
ففسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجمله التنزيل واسم ليس
مضمر فيها والتقدير ليس الكاين من امركم ما تتمنونه بل من يعمل سوءا
يجز به ولا يجد له من دون الله اى غيره وليا ولا نصيرا يعنى المشركين
لقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم
الاشهاد فان حملت الاية على الكافر فليس له ولى ولا نصير دون الله
تعالى ومن يعمل شيا من الصالحات من ذكر او انثى وهو مومن شرط الايمان
لان المشركين ادلوا بخدمة الكعبة واطعام الحجيج وقرى الاضياف
واهل الكتاب بسبقهم وقولهم نحن ابنا الله واحباوه فبين تعالى ان
الاعمال الحسنة لا تقبل من غير ايمان فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون
نقيرا بنقص شى من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد
عقاب العاصى لان المجازى ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب
الثواب وقرى يدخلون بالبنا للفاعل والمفعول والنقير قدر نقرة النواة
ومن اى لا احد احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اى اخلص دينه لله وخضع

له

له وتوجه اليه بالعبادة قال ابن عباس اراد ابا بكر الصديق رضى الله عنه
وهو محسن ابتدا وخبر فى موضع الحال اى آت بالحسنات فلا يدخل فيه
اهل الكتاب لانهم تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبع
ملة ابرهيم الموافقة لملة الاسلام حنيفا حال اى مايلا عن الاديان كلها
الى الدين القيم وقيل الملة الدين والحنيف المسلم واتخذ الله ابرهيم خليلا
اى اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد
ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح وقال ثعلب انما سمى
الخليل خليلا لان محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللا الا ملاته
وخليل فعيل بمعنى فاعل كالعليم وقيل بمعنى مفعول كالحبيب وابرهيم
كان محبا لله ومحبوبا لله وقيل الخليل من الاختصاص فالله عز وجل
اختص ابرهيم فى وقته للرسالة قال الزجاج الخليل الذى ليس فى محبته
خلل وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتخذ الله ابرهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشايه السلام وصلاته بالليل
والناس نيام وقيل معنى الخليل الذى يوالى فى الله ويعادى فى الله
وقيل المصافى وقيل خليلا محتاجا فقيرا الى الله تعالى قال الشاعر
وان اتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غايب مالى ولا حرم *
والخلة بين الادميين الصداقة وقيل فى معنى الخلة غير هذا ولله
ما فى السموات وما فى الارض اى ملكا واختراعا والمعنى اتخذ ابرهيم خليلا
لحسن طاعته لا لحاجته الى مخالته وكان الله بكل شى محيطا اى احاط علمه
وقدرته بكل الاشيا ويستفتونك فى النسا اى يطلبون منك الفتوى
فى شان النسا نزلت بسبب سوال قوم من الصحابة عن امر النسا واحكامهن

في الميراث وغير ذلك قل الله يفتيكم فيهن روى عن مالك قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم يسال فلا يجيب حتى ينزل عليه الوحي وما يتلى
عليكم في الكتاب ما في موضع رفع عطف على اسم الله تعالى والمعنى والقرا
يفتيكم فيهن وهو قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا في يتامى النسا اللاتي
لا تؤتونهن ما كتب فرض لهن من الميراث وترغبون ايها الاوليا ان تنكحوهن
اي عن ان تنكحوهن ثم حذفت عن وقيل في ان تنكحوهن ثم حذفت في قال
سعيد بن جبير ومجاهد ترغبون في نكاحها اذا كانت كثيرة المال وحديث
عايشة يقوي حذف عن فان في حديثها وترغبون ان تنكحوهن رغبة احدكم
عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال وفي المستضعفين
الصغار من الولدان ان تعطوهم حقوقهم وان تقوموا لليتامى بالقسط
اي بالعدل في الميراث والمهر وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما
فيجازيكم عليه وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا امراة رفع
باضمار فعل يفسره ما بعده وخافت بمعنى توقعت قال الزجاج المعنى
وان امراة خافت من بعلها دوام النشوز قال النحاس الفرق بين النشوز
والاعراض ان لا يكلمها ولا يتانس بها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما
صلحا امرا يرضيانه وتدوم صحبتهما مثل ان تصبر على تفضيله غيرها
او تترك بعض مهرها فان رضيت بذلك والا فعلى الزوج ان يوفيها
حقها او يفارقها ونزلت الاية بسبب سودة بنت زمعة روى الترمذي
عن ابن عباس قالت خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل يومي منك لعايشة ففعل
فنزلت فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير من الفرقة
وسوء

وسوء العشرة او من المخاصمة فما اصطلحا عليه من شي فهو جائز وعن سعيد
ابن المسيب ان رافع بن خديج كانت تحته خولة بنت مسلمة فكره من
امرها فاراد ان يطلقها فقالت لا تطلقني واقسم لي ما شئت فجرت
السنة بذلك ونزلت الاية وروى البخاري عن عايشة قالت الرجل يكون
عنده المراة ليس بمستكثر فيها يريد ان يفارقها فتقول اجعلك من شاني
في حل فنزلت هذه الاية وقوله والصلح خير لفظ عام يقتضي ان الصلح
الحقيقي الذي تسكن اليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الاطلاق
ويدخل في هذا المعنى جميع ما يقع عليه الصلح بين الرجل وامراته في
مال او وطي او غير ذلك وليس هو من التفضيل بل بيان انه من الخيور
واحضرت اي الزمت الانفس الشح اخبار في ان الشح في كل احد حاضر لا يغيب عنه
وان الانسان لا بد ان يشح بحكم خلقته وجبلته حتى يحمل صاحبه على
بعض ما يكره قال ابن جبير هو شح المراة بالنفقة من زوجها وبقسمه لها
ايامها وقال ابن زيد الشح هاهنا منه ومنها قال ابن عطية وهذا الحسن
فان الغالب على المراة الشح بنصيبها من زوجها والغالب على الزوج الشح
بنصيبه من الشابة والشح الضبط على المعتقدات والارادة في الهمم
والاموال ونحو ذلك فما افرط منه على الدين فهو محمود وما افرط منه
في غيره ففيه بعض المذمة وما صار الى منع الحقوق الشرعية او التي
تقتضيها المروة فهو البخل وهو رذيلة واذا آل البخل الى هذه الاخلاق
المذمومة والشيم اللئيمة لم يبق معه خير مرجو ولا صلاح مامول
وان تحسنوا العشرة وتتقوا النشوز والاعراض وهو خطاب للازواج
من حيث ان للزوج ان يشح ولا يحسن اي ان تحسنوا وتتقوا في عشرة النسا

باقامتكم عليهن مع كراهتكم لصحبتهن واتقاظلمهن فهو افضل لكم فان الله
كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا اى عليما فيجازيكم به
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسآء ولو حرصتم اخبر بنفي الاستطاعة
في العدل بين النسآء وذلك في ميل الطبع في المحبة والجماع والحظ من القلب
فوصف تعالى حالة البشر وانهم بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم الى
بعض دون بعض ثم نهى فقال فلا تميلوا كل الميل الى المحبوبة قال مجاهد
لا تتعمدوا الاسآءة بل الزموا التسوية في القسم والنفقة لان هذا امما
يستطاع فلا يترك المستطاع فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها
اى تذروا غير المحبوبة كالمعلقة اى لا هي مطلقة ولا ذات زوج قاله
الحسن وقال قتادة كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع
احداهما جا يوم القيمة واحد شقيه مايل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون
من امورهن وتتقوا الجور عليهن فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر
لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا اى الزوجان بالطلاق ولم يصطلحا
يغن الله كلا من سعته اى من فضله فليحسنا ظنهما بالله تعالى فقد يقيض الله
للرجل امراة تقر بها عينه وللمراة من يوسع عليها وكان الله واسعا حكيما
مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض
تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
بمعنى الكتب من قبلكم اليهود والنصارى والامر بالتقوى كان عاما
لجميع الامم واياكم يا اهل القران عطف على الذين وان اتقوا الله في به
موضع نصب قال الاخفش اى بان تقوا الله وان تكفروا فان لله ما في
السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات
وما

وما في الارض وكفى بالله وكيلا على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم
ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض الاية فان قيل
ما فايدة التكرير قيل كرر تاكيدا ليتنبه العباد وقيل كرر لفوايد فاخبر
في الاول ان الله يغني كلا من سعته لان له ما في السموات وما في الارض فلا تنفد
خزاينه ثم قال اوصيناكم بالتقوى واهل الكتاب وان تكفروا فان الله غني
عنكم لان له ما في السموات وما في الارض ثم اخبر في الثالث بحفظ خلقه
وتدبيره اياهم بقوله وكفى بالله وكيلا لان له ما في السموات وما في الارض
ان يشا يذهبكم ايها الناس يريد المشركين والمنافقين ويات باخرين
اى بغيركم بدلكم ولما نزلت هذه الاية ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده على ظهر سلمان وقال هم قوم هذا وقيل الاية عامة اى وان تكفروا
فيذهبكم ويات بخلق اطوع لله منكم وفي الاية تخويف وتنبيه لمن كانت له
ولاية او امارة فلا يعدل في رعيته او كان عالما فلا يعمل بعلمه ولا ينصح
للناس ان يذهبه ويات بغيره وكان الله على ذلك قديرا القدرة صفة
ازلية وهي التي يكون بها الفعل ولا يجوز وجود العجز معها والماضي والمستقبل
في صفاته بمعنى واحد وانما خص الماضي بالذكر ليلا يتوهم انه محدث في ذاته
وصفاته من كان يريد بعمله ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة
اى من عمل بما افترضه تعالى عليه طلبا للاخرة اتاه الله ذلك في الاخرة
ومن عمل طلبا للدنيا اتاه الله ما كتب له في الدنيا وليس له في الاخرة
من ثواب لانه عمل لغير الله فلم يطلب الاخرة وهلا طلب الاعلى باخلاصه
له حيث كان مطلبه لا يوجد الا عنده وروى ان المشركين كانوا لا يومنون
بالقيمة وانما يتقربون الى الله تعالى ليوسع عليهم في الدنيا ويدفع عنهم

مكروهها وكان الله سميعا بصيرا بسمع ويبصر يا ايها الذين امنوا كونوا
قوامين بنا مبالغة اي ليتكرر منكم القيام بالقسط شهدا لله اي بالعدل
في شهادتكم ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وشهادة المرء على
نفسه اقراره بالحقوق عليها وذكر الوالدين لوجوب برهما وعظم قدرهما
وثنى بالاقربين اذ هم مظنة المودة والتعصب فالاجنبي من الناس
احرى ان يقام عليه بالقسط ويشهد عليه وشهدا نصب على النعت
لقوامين وان شئت كان خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون نصبا على الحال لله
اي لذات الله ولرضايه وثوابه وقوله ولو على انفسكم متعلق بشهداء
وهذه الشهادة في الحقوق فيقر بها لاهلها فذلك قيامه بالشهادة على
نفسه ان يكن غنيا او فقيرا في الكلام اضمار وهو اسم كان اي ان يكن المشهود
عليه او كل منه ومن المشهود له غنيا فلا يراعى لغناه ولا يخاف منه وان
يكن فقيرا فلا يراعى اشفاقا عليه فالله اولى بهما منكم واعلم بمصالحهما
اي فيما اختار لهما من فقر وغنى وقوله بهما ولم يقل به وان كان او انما تدل
على الحصول الواحد لان المعنى فالله اولى بكل واحد منهما وقال الاخفش
تكون او بمعنى الواو اي ان يكن غنيا وفقيرا فالله اولى بالخصمين كيف ما كانا
وقيل بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير ه
لا اليه فلا تتبعوا الهوى نهي فان اتباع الهوى مهلك يحمل على الشهادة
بغير الحق وعلى الجور في الحكم الى غير ذلك ان تعدلوا اي ان لا تعدلوا عن
الحق او كراهة ان تعدلوا وهو في موضع نصب وان تلووا قرئ تلووا من
لويت فلانا حقه ليا اذا دفعته به وقال العتبي تلووا من اللي في الشهادة
والميل الى احد الخصمين وقرئ تلوا اراد قمتم بالامر واعرضتم من قولك

وليت الامر فيكون في الكلام معنى التوبيخ للاعراض عن القيام بالامر ه
وقيل ان المعنى تلووا الاعراض فالقراءة بضم اللام تفيد معنيين الولاية
والاعراض والقراءة بواوين تفيد الاعراض فقط قال ابن عباس هو في
الخصمين يجلسان بين يدي القاضي فيكون لي القاضي واعراضه لاحدهما
على الاخر فاللي على هذا مطل الكلام وجره حتى يفوت فصل القضاء وانفاذه
للذي يميل القاضي عليه وعن مجاهد وغيره هي في الشهود يلوي الشهادة
بلسانه ويحرفها فلا يقول الحق فيها او تعرضوا عن اداء الحق فيها ولفظ الاية
يعم فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا امنوا
بالله ورسوله نزلت في جميع المؤمنين والمعنى يا ايها الذين امنوا صدقوا
اقيموا على تصديقكم واثبتوا عليه والكتاب الذي نزل على رسوله محمد وهو
القران والكتاب الذي انزل من قبل اي كل كتاب انزل على النبيين وقيل
هو خطاب للمنافقين والمعنى على هذا يا ايها الذين امنوا في الظاهر اخلصوا
لله وقيل غير هذا ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن القصد بحيث
لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين امنوا هم اليهود ثم كفروا ثم امنوا ثم
كفروا ثم ازدادوا كفرا قيل المعنى امنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل ثم
امنوا بعده ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم
ومعنى ازدادوا اصروا على الكفر لم يكن الله ليغفر لهم ما اقاموا عليه
ولا ليهديهم اي يرشدهم سبيلا اي طريقا الى الجنة وقيل لا يخصهم
بالتوفيق كما يخص اولياءه بشر يا محمد المنافقين التبشير الاخبار بما يظهر
اثره على البشرة اي لجعل مكان التبشير العذاب وتقدم القول في البشارة

بان لهم عذابا اليما مولما هو عذاب النار الذين يتخذون الكافرين اوليا
الذين نعت للمنافقين او بدل من دون المومنين لما يتوهمون فيهم من القوة
ايبتغون اي يطلبون عندهم العزة اي الغلبة والاستفهام للانكار اي لا يجدو
عندهم فان العزة لله جميعا اي الغلبة والقوة لله تعالى فلا ينالها الا
اولياوه قال ابن عباس ايبتغون بريد بني قينقاع فان عبد الله بن ابي كان
يواليهم وقد نزل بالبنا للفاعل والمفعول عليكم في الكتاب القران الخطاب
لجميع من اظهر الايمان من محقق ومنافق والمنزل هو قوله تعالى واذا رايت
الذين يخوضون في اياتنا في الانعام وكان المنافقون يجلسون الى احبار
اليهود فيسخرون من القران ان مخففة واسمها محذوف اي انه اذا سمعتم
ايات الله يكفر بها ويستهزء بها اي اذا سمعتم الكفر والاستهزا بايات الله
فاوقع السماع على الايات والمراد سماع الكفر والاستهزا كما تقول سمعت
عبد الله يلام اي سمعت اللوم فيه فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره اي غير الكفر انكم اذا ان قعدتم مثلهم اي في العصيان والضمير
في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزء بها فدل ذلك
على وجوب اجتناب المعاصي اذا ظهر منهم منكر لان من لم يجتنبهم فقد
رضي فعلهم والرضي بالكفر كفر ولهذا يواخذ الفاعل والراضي بعقوبة
المعاصي حتى يهلكوا باجمعهم وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات
ولكنه الزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة كما قيل وكل قرين بالمقارن
يقتدي ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا القاعدين
والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر
بعدها الفعل وافراد مثل لانه كالمصدر او لاستغنا بالاضافة الى

الجمع

الجمع والاصل جامع بالتنوين فحذف استخفافا بمعنى يجمع الذين بدل من
الذين قبله يتربصون بكم يعني المنافقين اي ينتظرون بكم الدواير فان
كان لكم فتح من الله اي غلبة على اليهود وغنيمة قالوا لكم الم نكن معكم
في الدين والجهاد فاعطونا من الغنيمة فان كان للكافرين نصيب من دولة
وظفر قالوا لهم الم نستحوذ نستولي عليكم ونقدر على اخذكم فابقينا كره
او نغلب عليكم حتى هابوكم المسلمين وخذلناهم عنكم يقال استحوذ على
كذا اي غلب عليه واصله الاستيلا وكان القياس استحاذ يستحيذ استحاذة
فجا على الاصل ونمنعكم من المومنين اي بتخذيلنا اياهم عنكم وتفريقنا
اياهم بما يريدونه منكم والاية تدل على ان المنافقين كانوا يخرجون
في الغزوات مع المسلمين ولهذا قال الم نكن معكم وتدل على انهم كانوا
لا يعطونهم الغنيمة ولهذا طلبوها ويحتمل ان يريدوا بقولهم الم نكن
معكم الامتنان على المسلمين اي كنا نعلمكم باخبارهم وكنا انصارا لكم
فالله يحكم بينكم وبينهم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المومنين
سبيلا عن علي رضي الله عنه وقد سيل كيف ذلك وهم يقاتلوننا ويظهرون
علينا احيانا فقال معنى ذلك يوم القيمة يوم الحكم وكذا قال ابن عباس
وقيل المعنى لا يجعل لهم سبيلا يمحو به دولة المومنين ويذهب اثارهم
وقيل لا يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا منه الا ان يتواصوا بالبا طل
ولا يتناهوا عن المنكر ويتقاعدوا عن التوبة فيكون تسليط العدو من
قبلهم وقيل لا يجعل للكافرين على المومنين سبيلا شرعا فان وجد
فبخلاف الشرع وقيل سبيلا بحجة عقلية ولا شرعية يستظهرون بها
وفي الاية دليل على ان الكافر لا يملك العبد المسلم بالشرا ولا ينعقد

البيع بذلك ان المنافقين يخادعون الله باظهارهم خلاف ما ابطنوه
وهو خادعهم تقدم معنى المخادعة والخدع من الله مجازاتهم على خداعهم
اولياءه ورسله فيفتضحون في الدنيا ويعاقبون في الاخره واذا قاموا
الى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل لا يرجون ثوابا
ولا يعتقدون على تركها عقابا والكسل الفتور عن الشيء والتواني فيه
وهو ضد النشاط يراؤن الناس بصلاتهم والريا اظهار الجميل ليراه
الناس لا لاتباع امر الله والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل او للمقابلة ولا
يذكرون الله الا قليلا وصفهم بقلة الذكر عند المراآة وعند الخوف
وقال صلى الله عليه وسلم ذاما لمن اخر الصلاة تلك صلاة المنافقين
يجلس احدهم يراقب الشمس حتى اذا كانت على قرن الشيطان قام فنقر
اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا رواه مالك وغيره وقيل وصفهم بقلة
الذكر لانهم كانوا لا يذكرون الله في الصلاة بقراة ولا تسبيح وانما كانوا
يذكرونه بالتكبير وقيل وصفه بالقلة لان الله لا يقبله وقيل
لعدم الاخلاص فيه او لان المرائي لا يذكر الله الا بحضرة من يراه وهو
اقل احواله مذبذبين بين ذلك اي مترددين بين المومنين والمشركين
لا مخلصين الايمان ولا مصرحين بالكفر لا الى هولاء ولا الى هولاء لا منسوبين
الى المومنين ولا الى الكافرين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق
والصواب يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
المومنين اي لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم اتريدون ان تجعلوا
لله عليكم بموالاتهم سلطانا مبينا برهانا بينا في تعذيبه اياكم باقامته
حجته عليكم اذ قد نهاكم ان المنافقين في الدرك المكان الاسفل من النار

دركات

دركات النار سبع اي طبقاتها والعرب تقول لما تسافل كالبير ادراك
ولما تعالى درج والدرك الاسفل الهاويه لغلظ كفرهم وتمكنهم من اذى
المسلمين وقيل انما كانوا في الدرك الاسفل لان الكافر كفروا ظهر وهولاء
كفروا وستروا وكان ستزهم الكفر كفرا اخر لانهم استخفوا بنظر الله تعالى الى
قلوبهم وعظموا اعين المخلوقين واعلا الدركات جهنم ثم لظى ثم الحطمه ثم
السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاويه وقد يسمى جميعها باسم الطبقة العليا
اعاذنا الله منها بمنه وكرمه وعن ابن مسعود في الدرك الاسفل قال
توابيت من حديد مقفلة في النار تطبق عليهم ولن تجد لهم نصيرا مانعا
من العذاب الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله
استثنا ممن تاب منهم ومن شرط التايب من النفاق ان يصلح في قوله وفعله
ويعتصم بالله اي يجعله ملجا ومعاذا ويخلص دينه لله والا فليس بتايب
وقوله فاولئك مع المومنين اي من المومنين قاله الفرا وقال القتيبي حاد
عن كلامهم غضبا عليهم فقال فاولئك مع المومنين ولم يقل هم المومنون
ولهذا اوقع اجر المومنين في التسويف لانضمام المنافقين اليهم وسوف
يوت الله المومنين اجرا عظيما وهو الجنة وحذفت اليا من يوت في الخط
كما حذفت من اللفظ لسكونها وسكون اللام بعدها ومثله يوم يناد
المناد وسندع الزبانية ويوم يدع الداعي ما يفعل الله بعذابكم
استفهام للنفي او التوبيخ للمنافقين التقدير اي منفعة له في عذابكم
ان شكرتم وامنتم فنبه تعالى انه لا يعذب الشاكر المومن وان تعذيبه
عباده لا يزيد في ملكه وتركه عقوبتهم لا ينقص من سلطانه وانما قدم
الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر

حتى يعرف المنعم فيومن به وكان الله شاكرا عليما اي يشكر عباده على طاعته
ومعناه يثيبهم ويتقبل منهم العمل القليل ويعطي عليه الثواب الجزيل
والشكر في اللغة الظهور يقال دابة شكور اذا ظهرت من السمن فوق
ما تعطى من العلف لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من احد اي يعاقب
عليه الا من ظلم فلا يواخذه بالجهر به وقيل تم الكلام عند قوله من القول
وقوله الا من ظلم استثنا ليس من الاول اي لكن من ظلم فله ان يقول ظلمني فلان
ويجوز ان يكون في موضع رفع ويكون التقدير لا يحب الله ان يجهر احد
بالسوء الا من ظلم اي فلا يكره له الجهر والمعنى لا يحب الله الجهر بالسوء الا
جهر من ظلم بالدعا على الظالم والتظلم منه واختلف في كيفية الجهر بالسو
وما المباح من ذلك فقال الحسن هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه
ولكن ليقل اللهم اعني عليه اللهم حل بيني وبين ما يريد من ظلمي وقال
ابن عباس وغيره المباح لمن ظلم ان يدعو على من ظلمه وان صبر فهو خير له
وقال السدي لا باس لمن ظلم ان ينتصر ممن ظلمه بمثل ظلمه ويجهر له
بالسوء من القول وقيل معنى الا من ظلم الا من اكره على ان يجهر بالسوء من
القول كفرا ونحوه فذلك مباح والاية على هذا في الاكراه قال قطرب
ويجوز ان يكون المعنى الا من ظلم على البدل كانه قال لا يحب الله الا من
ظلم اي لا يحب الظالم وقال مجاهد نزلت هذه الاية في الرجل يمر
بالرجل فلا يضيفه فرخص له ان يقول فيه انه لم يحسن ضيافته وقد
استدل من اوجب الضيافة بهذه قالوا لان الظلم ممنوع منه فدل
على وجوبها وهو قول الليث بن سعد والجمهور على انها من مكارم الاخلاق
وكان الله سميعا عليما تحذير للظالم حتى لا يظلم وللمظلوم حتى

لا

لا يتعدى الحد في الانتصار ان تبدوا تظهروا خيرا من اعمال البر او تخفوه
او تعفوا عن سوء ظلم ندب الى العفو ورغب فيه والعفو من صفات الله تعالى
مع القدرة على الانتقام فان الله كان عفوا قديرا ولم يزل ان الذين
يكفرون بالله ورسله ذكر الكفار من اهل الكتاب اليهود والنصارى
اذ كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبين ان الكفر به كفر بالكل لانه ما من
نبي الا وقد امر قومه بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله اي بين الايمان بالله ورسله فيومنون بالله
ويكفرون برسله وانما كان ذلك كفرا لانه سبحانه فرض على الناس ان
يعبدوه بما شرع لهم على السنة رسله فاذا جحدوا الرسل ردوا عليهم
شرايعهم ولم يقبلوها منهم فكانهم ممتنعين من التزام العبودية
فكان كجحد الصانع سبحانه وجحوده كفر ويقولون نومن ببعض ونكفر
ببعض نومن ببعض الانبيا ونكفر ببعضها وقيل هم اليهود امنوا بموسى
وكفروا بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ويريدون ان يتخذوا بين
ذلك سبيلا اي بين الايمان والجحد طريقا اي دينا مبتدعا بين الايمان
والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف اولئك هم الكافرون حقا اي الكاملون
في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا وحقا تاكيد لمضمون الجملة قبله واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا ذا اهانة وهو عذاب النار والذين امنوا بالله
ورسله كلهم وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم ولم يفرقوا بين احد منهم
دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق
النفي اولئك سوف نوتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف
لتوكيد الوعد والدلالة على انه كاين لا محالة وان تاخر وقرى بالياء على

تلو بن الخطاب وكان الله غفورا لما منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم
يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء اي سالت اليهود محمدا
صلى الله عليه وسلم ان يصعد الى السما وهم يرونه فينزل عليهم كتابا
مكتوبا فيما يدعيه على صدقه دفعة واحدة كما اتى موسى بالتوراة تعنتا
له صلى الله عليه وسلم فقد سالوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر
اي ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر منه وهذا السوال
وان كان من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين عنهم تابعين لهم فاعلم الله
ان اباهم قد عنتوا موسى باكثر من هذا فقالوا ارنا الله جهرة اي عيانا وجهرة
نعت لمحذوف اي روية جهرة فاخذتهم الصاعقة الموت بظلمهم
لعظم ما جاوا به من السوال والظلم بعد ما راوا من المعجزات ثم اتخذوا
العجل الها وفي الكلام حذف اي فاجبناهم فلم ينزجروا ثم اتخذوا العجل
وتقدم معنى ذلك ويأتي في طه من بعد ما جاتهم البينات اي البراهين
والدلالات والمعجزات من اليد والعصا وفلق البحر وغيرها بانه لا معبود
الا الله فعفونا عن ذلك اي عما كان منهم من التعنت ولم نستاصلهم
واتينا موسى سلطانا مبينا اي حجة بينة وقيل تسلطا ظاهرا حيث امرهم
بقتل انفسهم فاطاعوه ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب نقضهم
الميثاق الذي اخذ منهم وهو العمل بما في التوراة وقلنا لهم ادخلوا الباب
سجدا وقد تقدم رفع الجبل ودخولهم الباب في البقرة وسجدا نصب على
الحال وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود باصطياد الحيتان
فيه واخذنا منهم ميثاقا غليظا بذلك وهذا العهد موكد باليمين فسمي
غليظا لذلك فنقضوه فبما نقضهم ميثاقهم خفض بالبا وما زايدة موكدة

والبا

والبا متعلقة بمحذوف التقدير فبنقضهم ميثاقهم لعناهم وحذف لعلم
السامع وقيل متعلق بما قبله والمعنى فاخذتهم الصاعقة بظلمهم وقوله
فبما نقضهم ميثاقهم تفسير ظلمهم الذي اخذتهم الصاعقة من اجله بما بعده
من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبيا وسائر ما بين وانكر ذلك الطبري لان
الذين اخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى والذين قتلوا الانبيا ورموا
مريم بالبهتان كان بعد موسى بزمان قال المهدوي وغيره وهذا لا يلزم
لانه يجوز ان يخبر عنهم والمراد اباوهم وقال الزجاج المعنى فبنقضهم ميثاقهم
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم لان هذه القصة ممتدة الى قوله فبظلم
من الذين هادوا حرمنا ونقضهم الميثاق انه اخذ عليهم ان يبينوا صفة
النبي صلى الله عليه وسلم فنقضوا ذلك وكتموها وكفرهم بايات الله عطف
وكذا وقتلهم الانبيا بغير حق وقولهم للنبي قلوبنا غلف والمراد
بايات الله كتبهم التي حرفوها وغلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية فلا
حاجة بنا الى علم سوى ما عندنا وقيل هو جمع اغلف وهو المغطى بالغلاف
اي قلوبنا في اغطية فلا نفقه ما تقول وغرضهم بهذا درء حجة الرسل
بل طبع الله عليها بكفرهم اي جعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها
التوفيق جزاء لهم على كفرهم كما قال بل لعنهم الله بكفرهم فلا يومنون الا قليلا
اي الا ايمانا قليلا اي ببعض الانبيا وذلك غير نافع لهم وقيل الا قليلا منهم
كعبد الله بن سلام واصحابه ثم كرر وبكفرهم ليخبر انهم كفروا كفرا بعد كفر
وقيل المعنى وبكفرهم بالمسيح فحذف لدلالة ما بعده عليه وكرر البا للفصل
بينه وبين ما عطف عليه والعامل في بكفرهم هو العامل في بنقضهم لانه
معطوف عليه ولا يجوز ان يكون العامل فيه طبع وقولهم على مريم بهتانا عظيما

البهتان العظيم رميها بيوسف النجار وكان من الصالحين منهم والبهتان
الكذب المفرط الذي يتعجب منه **وقولهم** مفتخرين **انا قتلنا المسيح عيسى**
ابن مريم رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزا ونظيره ان
رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويحتمل ان يكون استئنافا فامر الله بمدحه
او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح او بدلا وان ثبت على معنى اعني
وما قتلوه وما صلبوه رد لقولهم **ولكن شبه لهم** المصلوب والمقتول
وهو صاحبهم بعيسى اي القي شبه عيسى عليه وقيل لم يكونوا يعرفون شخصه
وقتلوا الذي قتلوه وهم شاكون فيه كما قال **وان الذين اختلفوا فيه**
لفي شك منه اي لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه
يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم والاخبار قيل انه عنى جميعهم
وقيل لم يختلف فيه الا عوامهم ومعنى اختلافهم قول بعضهم انه اله
وبعضهم هو ابن الله وقيل اختلافهم ان النسطورية قالوا اصلب عيسى
من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وقالت الملكية وقع الصلب والقتل
على المسيح بكماله ناسوته ولاهوته وقيل اختلافهم قولهم ان كان هذا
صاحبنا فاين عيسى وان كان عيسى فاين صاحبنا وقيل غير هذا **ما لهم**
به بقتله **من علم الا اتباع الظن** استثنا ليس من الاول اي لكن يتبعون
فيه الظن الذي تخيلوه **وما قتلوه يقينا** حال موكدة لنفي القتل وقال
ابن عباس والسدي المعنى ما قتلوا ظنهم يقينا كقولك قتلته علما اذا
علمته علما تاما فالها عايدة على الظن قال ابو عبيدة ولو كان المعنى
وما قتلوا عيسى يقينا لقال ما قتلوه فقط وقيل المعنى وما قتلوه قتلا
يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل وما قتلوا الذين شبه
لهم

لهم انه عيسى يقينا فالوقف على هذا على يقينا وقيل وما قتلوا عيسى
فالوقف على وما قتلوه ويقينا نعت لمصدر محذوف فيه تقديران
اي قالوا هذا قولا يقينا او قال الله هذا قولا يقينا والثاني وما علموه
علما يقينا وقيل غير هذا **بل رفعه الله اليه** قال النحاس ان قدرت
المعنى بل رفعه الله اليه يقينا فهو خطأ لانه لا يعمل ما بعد بل فيما قبلها
لضعفها بل رفعه الله اليها الى السما والله تعالى متعال عن المكان وهو رد
وانكار لقتله واثبات لرفعه **وكان الله عزيزا** لا يغلب على ما يريده **حكيما**
فيما دبر لعيسى وغيره **وان من اهل الكتاب احد الا ليومنن به قبل موته**
قال ابن عباس وغيره المعنى ليومنن بالمسيح قبل موته اي الكتابي فالها الاولى
عايدة على المسيح والثانية على الكتابي وذلك انه ليس احد من اهل الكتاب
اليهود والنصارى الا ويومن بعيسى عليه السلام اذا عاين الملك ولكنه
ايمان لا ينفع فاليهودي يقر في ذلك الوقت انه رسول الله والنصراني بانه
كان عبد الله ورسوله وقيل ان الهايين جميعا لعيسى والمعنى ليومنن به
من كان حيا حين نزوله قبل يوم القيمة قاله قتادة وقيل ليومنن به اي
بمحمد صلى الله عليه وسلم وان لم يجر له ذكر لان هذه الاقاصيص نزلت
عليه والمقصود الايمان به والايمان بعيسى يتضمن الايمان بمحمد صلى الله
عليهما وسلم وقيل ليومنن به اي بالله تعالى قبل ان يموت ولا ينفعه **ويوم**
القيمة يكون عيسى عليهم شهيدا اي بتكذيب من كذبه وتصديق من صدقه
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم في ما قصه في قوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية وقدم الظلم على التحريم اذ هو
الغرض الذي قصد الى الاخبار عنه بانه سبب التحريم **وبصدهم عن سبيل الله**

اى انفسهم وغيرهم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم صدا كثيرا
واخذهم الربا وقد نهوا عنه وكان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا
واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة ونحوها وهو تفسير للظلم الذى
تعاطوه واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما مولما لكن الراسخون فى
العلم منهم استثنى مومنى اهل الكتاب وذلك ان اليهود انكروا وقالوا
ان هذه الاشيا كانت حراما فى الاصل وانت تحلها ولم تكن حرمت بظلمنا ٥
فنزل لكن الراسخون والراسخ هو المبالغ فى علم الكتاب الثابت فيه والمراد
عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ونظراهما والمومنون اى من اهلها جرين
والانصار واصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يومنون بما انزل اليك ٥
وما انزل من قبلك من الكتب والمقيمين الصلاة نصب المقيمين على المدح
قال سيبويه هذا باب ما ينتصب على التعظيم ومن ذلك والمقيمين الصلاة
وقال الكسائى والمقيمين معطوف على ما وقيل عطف على الكاف التى
فى قبلك اى من قبلك ومن قبل المقيمين وقيل على الكاف التى فى اليك ٥
وقيل على الها والميم فى منهم والموتون الزكاة والمومنون بالله واليوم
الاخر اولئك سنوتيهم اجرا عظيما هو الجنة انا اوحينا اليك كما
اوحينا الى نوح والنبيين من بعده قال ابن عباس نزلت فى قوم من اليهود
قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله الى احد بعد موسى فكذبهم
الله والوحى اعلام فى خفا عن محمد بن السايب عن ابيه قال اول نبى ٥
بعثه الله فى الارض ادريس واسمه اخنوخ ثم انقطعت الرسل حتى بعث
الله نوحا بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس وقد كان سام
ابن نوح نبيا الى اخره ونوح قال الجواليقى اعجمى معرب قال الحاكم انما

سمى

سمى نوحا لكثرة بكايه على نفسه واسمه عبد الغفار وقال غيره هو نوح
ابن لمك بفتح اللام وسكون الميم زاد الكرمانى ومعناه بالسريانية
الساكن وفى المستدرك عن ابن عباس بين ادم ونوح عشرة قرون ٥
وعنه مرفوعا بعث الله نوحا لاربعين سنة ولبث فى قومه الف سنة
يدعوهم الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس
وفشوا وفى التهذيب للنووى انه اطول الانبيا عمرا وقال الزبير كل نبى
ذكر فى القران من ولد ابرهيم غير ادريس ونوح ولوط وهود وصالح
ولم يكن من العرب انبيا الا خمسة هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد
صلى الله عليه وسلم والنبيين من بعده بينا ولجميع الانبيا ثم قال
واوحينا الى ابرهيم فخص اقواما تشريفا واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان فخص اقواما
تشريفا ثم قال وعيسى وايوب فقدم عيسى على قوم كانوا قبله لان الواو ٥
لا تقتضى ترتيبا وايضا فيه رد على اليهود وفى الاية تنبيه على قدر
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه حيث قدمه فى الذكر على انبيايه
واتينا داود زبورا الزبور كتاب داود وكان مايه وخمسين سورة ٥
ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام وانما هى حكم ومواعظ والزبر الكتابة
وكان داود عليه السلام حسن الصوت فاذا اخذ فى قراة الزبور اجتمع
اليه الانس والجن والطير والوحش لحسن صوته وكان متواضعا ياكل من
عمل يده ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل يعنى بمكة ورسلا منصوب
باضمار فعل اى وارسلنا رسلا ورسلا لم نقصصهم عليك ثم قال
ان الله تعالى لما خص فى كتابه بعض اسما انبيايه ولم يذكر اسما بعض ولمن ذكر

فضل على من لم يذكر قالت اليهود ذكر محمد الانبيا ولم يذكر موسى فنزلت
وكلم الله موسى بلا واسطة تكليما مصدر معناه التاكيد قال النحاس
واجمع النحويون على انك اذا اكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازا فلما قال
تكليما وجب ان يكون كلاما على الحقيقة رسلا مبشرين ومنذرين
نصب على البدل من ورسلا قد قصصناهم ويجوز ان يكون على اضمار
فعل ويجوز ان يكون نصبه على الحال اى مبشرين بالثواب من آمن ومنذرين
بالعقاب من كفر ارسلناهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
فيقولوا ما ارسلت الينا رسولا وما انزلت علينا كتابا وفي الآية دليل
انه لا يجب شي من جهة العقل فلا مجال له في تحسين شي من المحسنات ولا
تقبيح شي من المقبحات ولا ايجاب شي من الواجبات ولا تحريم شي من المحرمات
ولا تحليل شي من المباحات ولو لم يرد الحكم والامر من قبل الله لما وجب
على العقلا معرفة شي من ذلك خلافا للمعتزلة وغيرهم وعن ابى ذر الغفاري
قال قلت يا رسول الله كم كانت الانبيا وكم كان المرسلون قال كانت الانبيا
مائة الف نبي وكان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر خرجه الآجري
وابو حاتم في المسند لكن الله يشهد رفع بالابتدا وفي الكلام حذف دل
عليه الكلام كان الكفار قالوا يا محمد ما نشهد لك فمن يشهد لك فيما تقول
فنزل لكن الله يشهد يبين نبوتك بما انزل اليك من القرآن المعجز ومعنى
انزله بعلمه اى وهو يعلم انك اهل لانزاله عليك والملائكة يشهدون
ذكر شهادة الملائكة ليقابل نفي شهادتهم وكفى بالله شهيدا اى كفى بالله
شاهدا على ذلك ان الذين كفروا يعني اليهود وصدوا عن سبيل الله اى عن
اتباع محمد بقولهم ما نجد صفته في كتابنا وانما النبوة في ولد هرون وداود

وان

وان في التوراة ان شرع موسى لا ينسخ قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم كفروا
ومنعوا الناس عن الاسلام فجمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون
اعرق في الضلال وابعد من الاقلاع عنه ان الذين كفروا بالله وظلموا يعني
اليهود ظلموا محمدا بكتمان نعته وانفسهم اذ كفروا والناس اذ كتموه لم يكن
الله ليغفر لهم هذا فيمن يموت على كفره ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم
خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم وخالدين حال مقدرة
وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس خطاب
لاهل مكة او للكل قد جاءكم الرسول يريد محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق
من ربكم اى بالقرآن وقيل بالدين الحق وقيل بشهادة ان لا اله الا الله وقيل
البا للتعدية اى جاءكم ومعه الحق فهو في موضع الحال فآمنوا خيرا لكم القرا
هو نعت لمصدر محذوف اى ايمانا خيرا لكم ابو عبيدة يكن خيرا لكم
ومنعه البصريون لان كان لا تحذف مع اسمها الا فيما لا بد منه ولانه
يودي الى حذف الشرط وجوابه وقيل المعنى ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه
وان تكفروا به فان لله ما في السموات والارض ملكا وخلقا وعبيدا يعني
وان تكفروا فانه غني عنكم ولا يضره كفركم وكان الله عليما باحوالكم حكيما
فيما دبر يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الغلو التجاوز في الحد ومنه
غلا السعر ويعني بذلك ما ذكره المفسرون غلوا اليهود في عيسى حتى قذفوا
مريم وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربا وقيل المراد بالكتاب الانجيل
ولا تقولوا على الله الا الحق اى لا تقولوا ان له شريكا او ابنا ثم بين حال
عيسى وصفته فقال انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله دل بقوله عيسى
ابن مريم على ان من كان منسوبا بوالدة كيف يكون الها وحق الاله ان يكون قديما

لا محدثا ولم يذكر الله تعالى امراة وسماها باسمها في كتابه العزيز الا مريم
ابنت عمران فانه ذكر اسمها نحوا من ثلاثين موضعا لحكمة وهي ان الملوك
والاشراف لا يذكرون حرايرهم في ملاء ولا يبتذلون اسماهن بل يكنون
عن الزوجة بالعرس والاهل والعيال ونحو ذلك فاذا ذكروا الاما لم يكنوا
عنهن ولم يصونوا عن التصريح باسمايهن فلما قالت النصارى في مريم
ما قالت وفي ابنها صرح الله تعالى باسمها ولم يكن عنها للاموة والعبودية
التي هي صفة لها واذا نكر ذكر عيسى منسوبا للام استشعرت القلوب
ما يجب عليها من اعتقاد نفي الاب عنه وتنزيه الام الطاهرة عن مقالة
اليهود وكلمته القاها اوصلها الى مريم اي هو مكون بكلمة كن فكان بشرا
من غير اب والعرب تسمي الشي باسم الشي اذا كان صادرا عنه وقيل كلمته
بشارة الله تعالى مريم ورسالته اليها على لسان جبريل وروح منه
هذا الذي اوقع النصارى في الاضلال فقالوا عيسى جز منه فجهلوا
وضلوا وعن ذلك اجوبة قال ابي بن كعب خلق الله تعالى ارواح بني ادم
لما اخذ الميثاق عليهم ثم ردها الى صلب ادم وامسك عنده روح عيسى
فلما اراد خلقه ارسل ذلك الروح الى مريم فكان منه عيسى فلهذا قال
وروح منه وقيل هذه الاضافة للتفضيل وان كان جميع الارواح من
خلقه وهذا كما يقال بيت الله وناقة الله وقيل سمي روحا بسبب نفخة
جبريل وسمي النفخ روحا لانه ريح يخرج من الروح وقد ورد ان جبريل نفخ
في درع مريم فحملت منه باذن الله وعلى هذا يكون وروح معطوفه
على المصدر الذي هو اسم الله في القاها التقدير القى الله وجبريل الكلمة
في مريم وقيل وروح منه اي من خلقه كما قال وسخر لكم ما في السموات

وما

وما في الارض جميعا منه اي من خلقه وقيل وروح منه اي رحمة منه
وقيل المعنى وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة
وليس كما زعمتم ابن الله والها معه او ثالث ثلاثة لان ذا الروح مركب
والاله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب اليه وقيل سمي روحا لانه
كان يحيي الاموات والقلوب فامنوا بالله ورسله اي امنوا بان الله تعالى
واحد خالق المسيح ومرسله وامنوا برسله ومنهم عيسى فلا تجعلوه الها
ولا تقولوا ثلاثة اي لا تقولوا الهتنا ثلاثة قال ابن عباس يريد بالتثليث
الله وصاحبته وابنه الفرا وابو عبيدة اي لا تقولوا هم ثلاثة وقيل
التقدير ولا تقولوا هو ثالث ثلاثة فحذف المبتدا والمضاف والنصارى
مع فرقهم مجمعون على التثليث ويقولون ان الله جوهر واحد وله
ثلاثة اقانيم فيجعلون كل اقنوم الها ويعنون بالاقانيم الوجود والحياة
والعلم وربما يعبرون عن الاقانيم بالاب والابن وروح القدس ومحصول
كلامهم يؤول الى التمسك بان عيسى اله بما كان يجريه الله تعالى على يده
من خوارق العادات وهم معارضون بموسى عليه السلام وما كان يجري
على يديه من الامور العظام مثل العصا وفلق البحر والمن والسلوى وغير
ذلك انتهوا عن ذلك خيرا لكم خيرا منصوب عند سيبويه على اضمار
الفعل المتروك اظهاره لانك اذا قلت انته فانت تخرجه من امر وتدخله
في اخر فكانه قال ايتوا خيرا لانه اذا نهاهم عن الشرك فقد امرهم باتيان
ما هو خير لهم وهو التوحيد ومذهب ابي عبيدة المعنى انتهوا يكن خيرا
لكم قال ابن زيد وهذا خطا لانه يضمر الشرط وجوابه وهذا لا يوجد
في كلام العرب ومذهب الفرا انه نعت لمصدر محذوف قال علي بن سليمان

وهذا خطأ فاحش لانه يكون المعنى انتهوا الانتهاء الذي هو خير لكم انما الله
اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد
اي تنزيها عن ان يكون له ولد وولد الرجل مشبه له ولا شبه له عز وجل
له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا بلا شريك والملكية تنافي
المعبودية وعيسى من جملة ما في السموات والارض وما فيهما مخلوق
فكيف يكون عيسى الها وهو مخلوق وكفى بالله وكيلا لا وليا به وفيه
تنبيه على غناه عن خلقه فان الحاجة الى الولد ليكون وكيلا لابيه
والله سبحانه قائم بحفظ الاشيا مستغن عمن يخلفه او يعينه لن
يستنكف المسيح اي لن يانف ويتكبر من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك
لئلا يرى اثره عليك ان يكون له ولد اي من ان يكون عبدا له فان
عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة في عبودية غيره روي ان
وفد نجران قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم تعيب صاحبنا قال ومن
صاحبكم قالوا عيسى قال واي شي اقول فيه قالوا تقول انه عبد الله
قال انه ليس بعيب ان يكون عبد الله فنزلت ولا الملائكة المقربون
عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيد الله
واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبيا وقال هي مساقة لرد النصارى
في رفع عيسى عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف عليه
اعلى درجة منهم حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه
وجوابه ان الاية رد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وهذا
من حسن الاستطراد ذكر الرد على من زعم انها الهة او بنات الله كما رد
قبله على النصارى وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف

المبالغة

المبالغة باعتبار الكثرة دون التفضيل كقولك اصبح الامير لا يخالفه
رئيس ولا مرؤوس وقال البغوي لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام عيسى
بل ردا على الذين يدعون التثليث وقال غيره انما يتوجه القول بتفضيل
الملائكة اذا كانت النصارى يعتقدون فضلية الملائكة وهم انما
يعتقدون الوهيته فكيف يرد عليهم بما يعتقدون انهم دونه
والحق انه لا يلزم من العطف التفضيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
اي يترفع عنها والاستنكاف دون الاستكبار ولذلك عطف عليه
وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق
فسيحشرهم اليه الى المحشر في الاخرة جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ثواب اعمالهم ويزيدهم من فضله
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين
استنكفوا واستكبروا عن عبادته فيعذبهم عذابا اليما مولما ولا يجدون
لهم من دون الله غيره وليا ولا نصيرا يمنع منه وهو تفصيل للمجازاة العامة
المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فيحشرهم جميعا يوم يحشر العباد
للمجازاة او للمجازاة انهم يا ايها الناس قد جاءكم برهان حجة من ربكم وانزلنا
اليكم نورا مبينا البرهان المعجزات والنور القران اي جاءكم دلائل العقل
وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر وقيل البرهان الدين او رسول الله ﷺ
لان معه البراهين او القران فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به
فسيدخلهم في رحمة منه اي ثواب قدره رحمة منه لا قضاء لحق واجب
وفضل اي احسان زايد عليه ويهديهم اليه اي الى الله او الى الموعود
وقيل الى الفضل وقيل الى الفضل والرحمة لانهما بمعنى الثواب صراطا

مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة يستفتونك
اي في الكلالة حذفت لدلالة الجواب عليها وتقدم معناها اول السورة
روي ان جابر بن عبد الله مرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزل في الاحكام قل
الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك مات ليس له ولد اي ولا والد فاكتفى
بذكر احدهما بدليل انه اوجب للاخت النصف وانما يكون ذلك مع فقد
الاب لانه يسقطها وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره
الظاهر وليس له ولد صفة او حال من المستكن في هلك والواو في وله
تحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه
جعل اخاها عصبة وابن الام لا يكون عصبة وهو اي الاخ يرثها ان لم
يكن لها ولد ذكرا كان او انثى اي ويرث جميع المال والا فالمراد به الذكر
اذ البنت لا تحجب الاخ فالمعنى فان كان لها ولد ذكر فلا شي له او انثى فله
ما فضل عن نصيبها فان كانتا اثنتين اي فصاعدا لانها نزلت في جابر
ومات عن اخوات فلهما الثلثان مما ترك الاخ والضمير لمن يرث بالاخوة
وتثنيته محمولة على المعنى وفايدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على
ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اي الورثة
رجالا ونساء فللذكر منهم مثل حظ الانثيين اصله اخوة واخوات
فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي من شانكم
اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق
والصواب كراهة ان تضلوا او قيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول
الكوفيين والله بكل شي عليم ومنه الميراث فهو عالم بمصالح العباد
في

في المحيى والممات سورة المايدة مدنية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفا هو القيام بمقتضى العهد وكذلك
الايفا والعقد العهد الموثق واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر
الانفصال والمعنى اوفوا بمقتضى العقود ومثله واوفوا بعهد الله لان
العقد والعهد قولان قد دخلا الوجود وانقضيا فلا يتصور فيهما
وفا ولا نقض وانما الوفا والنقض بما يترتب عليهما من احكامهما الحسن
يعني بذلك عقود الدين وما عقده المرء على نفسه من بيع وشرا واجارة
ونكاح وطلاق ومزارعة ومصالحة وتمليك وعتق وتدبير وغير ذلك
وكذلك ما عقده على نفسه من طاعة كحج وصيام واعتكاف وما اشبه
ذلك واما نذر المباح فلا يلزم بالاجماع ابن عباس معناه بما احل وما
حرم وبما فرض وبما حد والاية تعم العقود التي عقدها الله على عباده
والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدونه بينهم من عقود المعاملات
مما يجب الوفا به او يحسن ان حمل الامر على المشترك بين الوجوب والندب
احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز
وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه
البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والغنم والحق
بها بقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في
الاجترار وعدم الانياب واضافتها للانعام لملابسة الشبه اي احلت
لكم اكلا بعد الذبح الا ما يتلى عليكم اي الا محرم ما يتلى عليكم لقوله حرمت
عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير
في لكم وقيل من اوفوا وقيل استثنا وفيه تعسف قال البصريون

الا ما يتلى عليكم استثنآ من بهيمة الانعام وغير محلى الصيد استثنآ
منه ايضا والتقدير الا ما يتلى عليكم والا الصيد وانتم محرمون وقيل
مستثنى مما يليه من الاستثنا فيصير بمنزلة قوله انا ارسلنا الى قوم
مجرمين الا آل لوط الاية ولو كان كذلك لوجب اباحة الصيد في الاحرام لانه
مستثنى من المحظور وهذا وجه ساقط والصيد يحتمل المصدر والمفعول
وانتم حرم حال عما استكن في محلى والحرم جمع حرام وهو المحرم **ان الله**
يحكم ما يريد من تحليل وتحريم لا اعتراض عليه **يا ايها الذين امنوا لا تحلوا**
شعاير الله اى معالم دينه بالصيد في الاحرام وقيل مناسك الحج جمع شعيرة
وهو اسم ما يشعر اى يجعل شعارا سمى به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات
الحج واعلام المناسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعاير الله اى دينه
وقيل فرايضه التي حدها للعباد واصلها البدنة تهدى وتجرح سنامها
حتى يسيل منه الدم فيعلم انها هدى وكان المشركون يحجون ويعتمرون
ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فقال تعالى لا تحلوا شعاير
الله **ولا الشهر الحرام** بالقتال فيه او بالنسئ وهو اسم مفرد يدل على الجنس
في جميع الاشهر الحرم والمعنى لا تستحلوا القتال فيها ولا الغارة ولا الاستبدال
بها غيرها فان استبدالها استحلال كما كانوا يفعلونه من النسئ **ولا**
الهدي اى ما اهدى الى الكعبة جمع هدية والجمهور على ان الهدى عام
في جميع ما يتقرب به من الذبايح والصدقات **ولا القلايد** اى ذوات
القلايد من الهدى وعطفها على الهدى للاختصاص لانها اشرف الهدى
او القلايد انفسها والنهى عن احلالها مبالغة في النهى عن التعرض للهدى
ونظيره ولا يبدين زينتهن والقلايد جمع قلادة وهو ما قلد به
الهدى

الهدى من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له
وهى سنة ابرهيم عليه الصلاة والسلام وبقيت في الجاهلية واقرها
الاسلام وهى سنة البقر والغنم **ولا آمين البيت الحرام** اى
قاصدين زيارته **يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا** اى يثيبهم
ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة
له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفايدته استنكار
تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل المعنى يبتغون الارباح
في التجارة ويبتغون مع ذلك رضوان الله في ظنهم وطمعهم روى ان الاية
نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه
كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة
فعلى هذا الاية منسوخة باية السيف وبقوله فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد عامهم هذا فلا يمكن المشرك من الحج ولا يومن في الشهر الحرام وان
اهدى وقلد وحج وقيل الاية محكمة وهى في المسلمين وقد نهى الله سبحانه
وتعالى عن اخافة من يقصد بيته من المسلمين والنهى عام في الاشهر الحرم
وغيرها لكنه خص الشهر الحرام بالذكر تعظيما وتفضيلا وقال مجاهد
لم ينسخ منها الا القلايد كان الرجل يتقلد بشى من لحا الحرم فلا يقرب
فنسخ **واذا حللتم فاصطادوا** اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام
فهو امر اباحة **ولا يجرمنكم** اى ولا يحملنكم او ولا يكسبنكم **شنان قوم**
شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل **ان**
صدوكم عن المسجد الحرام اى لان صدوكم عام الحديبية وقرئ بكسر
الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم **ان تعتدوا**

الخروج الى الباطل والعدل الى الظلم قال ابن زيد لما صدّ المسلمون عن
البيت عام الحديبية مرّ بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال
المسلمون نصدهم كما صدنا اصحابهم فنزلت وتعاونوا على البر والتقوى
اى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على
الاثم والعدوان الاثم الحكم اللازم عن الجراءة والعدوان ظلم الناس
واتقوا الله خافوا عقابه بان تطيعوه ان الله شديد العقاب
فانتقامه اشد قال الماوردى ندب الله سبحانه وتعالى الى التعاون
بالبر وقرنه بالتقوى لان فى التقوى رضى الله وفى البر رضى الناس ومن
جمع بين رضى الله ورضى الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته
حرمت عليكم الميتة اى اكلها وهو بيان ما يتلى عليكم والميتة ما زالت
حياته بغير ذكاة شرعية والدم اى الدم المسفوح لقوله تعالى او دما
مسفوحا وكان الجاهلية يصبونها فى الامعا ويشوونها ولحم الخنزير
تقدم وما اهل لغير الله به اى رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم
اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة اى التى تموت بالخنق وهو حبس
النفس سوا فعل ذلك بها ادمى او اتفق لها ذلك فى حبل او نحوه وذكر
قتادة ان الجاهلية كانوا يخنقون الشاة او غيرها فاذا ماتت اكلوها
والموقوذة اى المضروبة بنحو خشبة او حجر حتى تموت من وقذته
اذا ضربته ومنها المقتولة بقوس البندق والمتردية التى تردت
من علو او فى بير فماتت وسوا تردت بنفسها او ردّاها غيرها وكانت
الجاهلية تاكل المتردى ولم تكن تعتقد ميتة الا ما مات بالوجع ونحوه
دون سبب يعرف فاما هذه الاسباب فكانت عندهم كالذكاة

و

والنطيحة التى نطحتها اخرى فماتت وهى فعيلة بمعنى مفعولة والها فيها
للنقل وان كان حق فعيل لا يذكر فيه الها لانها انما تحذف من فعيلة
اذا كانت صفة لموصوف منطوق به يقال شاة نطيح وامراة قتيل
فان لم يذكر الموصوف اثبتت الها وما اكل السبع اى وما اكل منه
السبع ومات وهو ذو ناب واظفار من الحيوان كالاسد والنمر والذيب
وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم تحل الا ما ذكيتم
اى الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك فهو على الاستثنا
المتصل عند الجمهور فان الذكاة عاملة فيه لان حق الاستثنا ان يكون
مصروفا الى ما تقدم من الكلام ولا يجعل منقطعا الا بدليل يجب التسليم
له وقيل الاستثنا منقطع اى حرمت عليكم هذه الاشيا لكن ما ذكيتم
فهو الذى لا يحرم والذكاة قطع الحلقوم والمرى بمحدد عند الشافعى
لانهما مجرى النفس ومجرى الطعام والشراب الذى لا تكون الحياة الا
بهما وقال مالك بقطع الحلقوم والودجين وما ذبح على النصب ابن فارس
النصب حجر كان ينصب فيعبد ويصب عليه من دما الذبايح وقيل
جمع واحده نصاب وقيل مفرد والجمع انصاب وكانت ثلثمائة وستين
حجرا قال مجاهد وكانت حجارة حوالى مكة يذبحون عليها ويعبدون ذلك
قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام اى لاجلها وقيل على اصلها بتقدير
وما ذبح مسمى على الاصنام وان تستقسموا بالازلام اى وحرم عليكم
الاستقسام بالاقداح وهى قداح الميسر واحدها قدح بكسر القاف
صغير لا ريش له ولا نصل وقيل انهم كانوا اذا قصدوا فعلا ضربوا
ثلاثة قداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الاخر نهانى ربى والثالث

عقل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان
خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم
لهم دون ما لم يقسم وقيل هو استقسام الجزور بالقداح على الانصبا
المعلومة ابن جبير الازلام حصا بيض كانوا يضربون بها وقيل غير
ذلك وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد **ذلكم فسق** اشارة الى الاستقسام
وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق
اليه وافترا على الله ان اريد الله بربي وجهالة وشرك ان اريد به الصنم
او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم والفسق الخروج عن الطاعة
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر
وما يتصل به من الازمنة الاتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد
عصر يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع والمعنى يئسوا من ابطال دينكم
ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيره او من ان تغلبوا عليه بعد
طمعهم في ذلك لما راوا من قوته وقال الضحاك نزلت يوم فتح مكة وذلك
لثمان بقين من رمضان سنة تسع وقيل ثمان ونادى منادي رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا من قال لا اله الا الله فهو آمن ومن اغلق بابه
فهو آمن **فلا تخشوهم** ان يظهروا عليكم **واخشون** واخلصوا الخشية
لي وانا القادر على نصركم **اليوم اكملت لكم دينكم** بالنصر والاظهار
على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على
اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين كان بمكة لم يكن الا فريضة الصلاة وحدها فلما دخل المدينة
انزل الله تعالى الحلال والحرام الى ان حج فلما حج وكمل الدين نزلت

قال

قال ابن عباس ولم ينزل بعدها حكم وقال الجمهور المراد معظم الفرايض
والتحليل والتحريم قالوا وقد نزلت بعد ذلك اية الربا واية الكلالة
وانما كمل معظم الدين وامر الحج اذ لم يكن معهم في تلك السنة مشرك
ولا طاف بالبيت عريان ووقف الناس كلهم بعرفة واليوم قد يعبر
بجزء منه عن جميعه وكذلك عن الشهر والسنة تقول فعلت كذا شهر كذا
وسنة كذا **واتممت عليكم نعمتي** بالهداية والتوفيق او باكمال الدين
وشرايع الاسلام وهدم منار الجاهلية او بفتح مكة كما وعدتكم اذ
قلت ولاتم نعمتي عليكم وهي دخول مكة آمنين **ورضيت لكم الاسلام**
اي اخترته لكم **دينا** من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير او اعلمتكم
برضاي به لكم دينا فانه تعالى لم يزل راضيا بالاسلام لنا دينا وهو
نصب على التمييز وان شيت على المفعول الثاني والاسلام هو الذي فسر
في سوال جبريل بالايمان والاعمال **فمن اضطر** متصل بذكر المحرمات وما
بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق
وحرمتها من الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى
فمن اضطر الى تناول شي من هذه المحرمات **في مخمصة** اي مجاعة **غير متجانف**
لاثم اي غير مايل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا لحد الرخصة
لقوله غير باغ ولا عاد **فان الله غفور رحيم** لا يواخذه باكله فمن دعته
ضرورة الى شي من هذه المحرمات غير متعمد المعصية في مقصد كقاطع
الطريق واكل بقدر زوال الضرورة فلا اثم عليه قاله قتادة والشافعي
يسالونك يا محمد **ماذا احل لهم** لما تضمن السوال معنى القول اوقع على الجملة
وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسالونك بلفظ الغيبة وكل

ذلك سايغ في امثاله والمسئول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم
ما حرم عليهم سالوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات اي الذي لم
تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات
العرب ما لم يرد نص ولا قياس على حرمته وقيل الطيبات ما التذ
آكله وشاربه ولم يكن عليه فيه ضرر في الدنيا ولا في الاخرة ولا يجوز
ان يراد الحلال لانهم سالوا عما يحل لهم فكيف يقول احل لكم الحلال وما
علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير
وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح
كواسر الصيد على اهلها من ذوات الاربع من السباع والكلاب والطير
مكلبين اي معلمين اياه الصيد يقال كلبت الكلب بالتشديد ارسلته
على الصيد والمكلب مودب الجوارح ومضريها بالصيد وقيل مكلبين
اصحاب كلاب وقال الضحاك وما علمتم من الجوارح مكلبين هي الكلاب
خاصة والجمهور على العموم في جواز صيد البازي وغيره من السباع
ولان كل سبع يسمى كلبا وفي الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه
على الحال من علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية
او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم به
الهام من الله تعالى او مكتسب من العقل الذي هو منحة منه او مما
علمكم الله باتباع الصيد بان يرسله صاحبه وينزجر بزجره وينصرف
بدعايه ويمسك عليه ولا ياكل منه ولا خلاف بين العلما في شرطين
ان ياتمر اذا امر وينزجر اذا زجر وشرط الشافعي والجمهور ان يمسك
على صاحبه قال الشافعي المعلم هو الذي اذا اشلاه صاحبه انشلا

واذا

واذا دعاه الى الرجوع رجع اليه ويمسك على صاحبه الصيد ولا
ياكل منه وفعل ذلك مرارا فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه
لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل
انما امسك على نفسه وقال بعض اهل العلم لا يشترط في سباع الطير
لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا واختلف
في من في قوله مما امسكن عليكم قال الاخفش زايدة وخطاه البصريون
لان من لا تزاد في الاثبات وقيل للتبعيض وسبب هذا الاحتمال اختلاف
العلما في جواز اكل الصيد اذا اكل الجارح منه واذكروا اسم الله عليه
الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا
عليه اذا ادركتم ذكاته وقيل المراد عند الاكل القرطبي وهو الاظهر له
واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب ومواخذكم بما جل ودق
وسرعة الحساب هي من حيث كونه تعالى قد احاط بكل شي علما واحصى
كل شي عددا فلا يحتاج الى محاولة عد ولا عقد كما يفعله الحساب فهو
سبحانه وتعالى يحاسب الخلايق دفعة واحدة ويحتمل ان يكون وعيدا
بيوم القيمة وكانه قال ان حساب الله تعالى سريع لكم اتيانه اي يوم
القيمة قريب اليوم احل لكم الطيبات اعادة تاكيدا وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم يتناول الذبايح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود
والنصارى ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحقوا بهم في تقرير الجزية
لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي
نسايهم ولا آكلي ذبايحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه
منهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بتفاصيل الشرع والمحصنات

من المومنات اى الحراير العفايف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى
والمحصنات الحراير من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم حربيات كن او ذميات
فهن حلال ولم يخالف فى ذلك الا ابن عباس وابن عمر والكتابية التى تحل
يهودية او نصرانية لا متمسكة بالزبور وغيره من كتب الانبيا وتحل الكتابية
شروط مذكورة فى الفروع اذا اتيتموهن اجورهن اى مهورهن وتقييد
الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها
التزامها محصنين اعفا بالنكاح غير مسافحين غير مجاهرين بالزنا ولا
متخذى اخدان مسرين بالزنا بهن والخدن الصديق يقع على الذكر
والانثى ومن يكفر بالايمان اى يرتد فقد حبط عمله الصالح قبل ذلك فلا
يعتد به ولا يثاب عليه وهو فى الاخرة من الخاسرين اذا مات عليه
يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع منه وروى
انه لما قال الله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب قال نساء
اهل الكتاب لولا ان الله تعالى رضى ديننا لم يبح لكم نكاحنا فنزلت
ومن يكفر بالايمان الاية اى ومن يكفر بما انزل على محمد وقيل الباء صلة
والمعنى ومن يجحد الايمان يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة اى اذا اردتم
القيام الى الصلاة كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة
الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة
ينبغى ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او المعنى اذا قصدتم
الصلاة لان التوجه الى الشى والقيام اليه قصد له وظاهر الاية
يوجب الوضوء على كل قايم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على
خلافه لما روى انه عليه الصلاة والسلام صلى الخمس بوضوء واحد

يوم

يوم الفتح فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة
محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ
وقيل نزلت الاية رخصة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه كان لا يعمل
عملا الا وهو على وضوء ولا يكلم احدا ولا يرد سلاما على احد فاعلمه الله
تعالى ان الوضوء انما هو للقيام الى الصلاة فقط ونزلت الاية فى
قصة عايشة حين فقدت العقد فى غزوة المريسيع فاغسلوا وجوهكم
اى امروا الما عليها وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين فى
المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم
او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان
كذلك لم يبق لمعنى التحديد مزيد فايدة لان مطلق اليد يشمل وقيل
يفيد الغاية مطلقا واما دخولها فى الحكم او خروجها منه فلا دلالة
لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن فى الاية وكانت متناولة لها فحكم
بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضى خروجها
والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وكقوله واتموا الصيام الى الليل
لكن لما لم تتميز الغاية هنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا
برؤسكم الباء قيل مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت
المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمن الفعل
معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب
بخلاف ما لو قيل امسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم والقول
بان الباء للتبعيض فابه الاصمعى والفارسى وابن مالك ومثله عينا يشرب
بها عباد الله اى منها قال بعض اهل العلم اذا دخلت الباء على متعدد كما

في الاية تكون للتبعيض وعلى غيره كما في قوله تعالى وليطوفوا بالبيت
العتيق تكون للالصاق واختلف العلما في قدر الواجب بعد اتفاقهم
على ان من مسح جميع راسه فقد احسن فقال الشافعي الواجب قدر
ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الراس لانه عليه
الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح
كله اخذا بالاحتياط **وارجلكم** قرئ بالنصب عطفا على وجوهكم
وبالجر على الجوار ونظيره كثير في القراآت والشعر كقوله عذاب يوم اليم
وحور عين بالجر وقولهم جحر ضب خرب وفايدته التنبيه على انه
ينبغي ان يقتصد في صب الما عليها ويغسل غسلا قريبا من المسح وفي
الفصل بينه وبين اخويه ايما الى وجوب الترتيب وعليه الشافعي
وقيل البين في الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن انس انه قال
نزل القران بالمسح وجاءت السنة بالغسل وقيل غير ذلك **الى الكعبين**
اي معهما كما بينته السنة والجمهور على ان الكعبين هما العظمان الناتيان
في جنبي كل رجل **وان كنتم جنبا فاطهروا** اي فاغتسلوا ولما كان الغسل
من الجنابة معلوما قبل الاسلام بقية من دين ابرهيم واسمعيل عليهما
السلام كما بقي الحج والنكاح لم يحتاجوا الى تفسيره بل خوطبوا بقوله
وان كنتم جنبا فاطهروا واما الوضوء فلم يكن معروفا عندهم قبل
الاسلام فلذلك بين اعضاه وكيفيته وسببه الموجب له **وان
كنتم مرضى** مرضا يضره الما **او على سفر** اي مسافرين **او جا احد منكم
من الغايط** اي احدث **او لامستم النسا** سبق مثله **فلم تجدوا ما** بعد
طلبه **فتيمموا** اي اقصدوا **صعيدا طيبا** ترابا طاهرا **فامسحوا بوجوهكم**
و

وايديكم مع المرفقين **منه** ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلاة
والامر بالتيمم تضييقا عليكم **ولكن يريد ليطهركم** اي لينظفكم من الاحداث
والذنوب فان الوضوء يكفر الذنوب ومفعول يريد في الموضعين
محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم
من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف
لان ان لا تقدر بعد المزيدة ومعنى من حرج من ضيق في الدين ومن
مزيدة **وليتم نعمته عليكم** اي ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم
ومكفرة لذنوبكم نعمة عليكم في الدين او ليتم برخصة انعامه عليكم
ببيان عزايمه وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار **لعلكم
تشكرون** نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان
اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب
باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان التهما
مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى
البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة
واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام او ليذكركم المنعم ويرغبكم في
شكره **وميثاقه** عهده **الذي واثقكم به** عاهدكم عليه **اذ قلتم سمعنا
واطعنا** يعني الميثاق الذي اخذ على المسلمين حين بايعهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط
والمكره او ميثاقه ليلة العقبة او بيعة الرضوان وقيل هو الذي
في قوله واذ اخذ ربك من بني ادم قاله مجاهد وغيره ونحو ان لم نذكره

فقد اخبرنا الصادق به فيجوز ان نؤمر بالوفاء به وقيل هو خطاب لليهود
بحفظ ما اخذ عليهم في التوراة والجمهور على الاول واضافه الى نفسه
سبحانه وتعالى كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واتقوا
الله في افشاء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور بما في
القلوب اي بخفاياها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها
الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم
على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة
بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل
كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا
في العدو والولي هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم
الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه
مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع
المومنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير
هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين
وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة
الغيظ وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات وعدا حسنا لهم
مغفرة واجر عظيم هو الجنة وقيل انما وعد ثاني مفعولي وعد استغنا
بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل الجملة في موضع المفعول
فان الوعد ضرب من القول فكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذه من عادته ان يتبع حال احد
الفريقين حال الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمومنين وتطييب

لقلوبهم

لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم روي ان المشركين
راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر
معا فلما صلوا ندموا ان لا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا
قاموا الى العصر فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلاة الخوف والاية
اشارة الى ذلك وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق
سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه وقال
من يمنعك مني فقال الله فسقط سيفه من يده فاخذه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله فنزلت وفي البخاري ان النبي صلى الله
عليه وسلم دعى الناس فاجتمعوا وهو جالس عند النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يعاقبه وقيل نزلت في قوم من اليهود جاءهم النبي صلى
الله عليه وسلم يستقرضهم في دية فهموا بقتله فمنعه الله تعالى منهم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط
اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم
اي منعها ان تمد اليكم ورد قصدها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل
المومنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرايل بما يذكر بعد وتقدم معنى الميثاق وبعثنا افنا فيه التفات
عن الغيبة اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه
ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به وقيل معناه
الامير على قومه وهو اكبر مكانة من العريف روي ان بني اسرايل لما
فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا من ارض

الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا
فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان يأخذ من كل
سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم
النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار
ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وبأسا شديدا فرجعوا
وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من
سبط افرايم بن يوسف ففشى الخبر بين بني اسرائيل حتى اعوج امرهم
وقالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا على ما يأتي **وقال الله اني معكم**
بالنصر والعون قال الربيع بن انس قال ذلك للنقباء وقال غيره ذلك
لجميع بني اسرائيل **لئن** اللام للقسم **اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة وامنتم
برسلي وعزرتموهم** لتعزيرا لتوقير والتعظيم **واقرضتم الله قرضا
حسنا** بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول ومعنى حسنا
طيبة به نفوسكم وقيل تبتغون به وجه الله **لاكفرن عنكم سيئاتكم**
جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ۵
ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك اي بعد
ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم **منكم فقد ضل سواء السبيل**
ضلالا لا شبهة ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ يمكن ان يكون له
شبهة ويتوهم له معذرة وسواء السبيل قصد الطريق فنقضوا الميثاق
قال تعالى **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم** اي طردناهم من رحمتنا او مسخناهم
او ضربنا عليهم الجزية وما صلة لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس من
جهة حسن النظم فالتاكيد بعلامة موضوعة كالتاكيد بالتكرير

و

وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الايات والنذر وقرئ قسية
وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى رديه من قولهم درهم قسي اذا كان
مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة
والمعنى جعلنا قلوبهم غليظة نابية عن الايمان **يحرفون الكلم عن
مواضعه** التي وضعه الله عليها اي يبدلونه وهو استيناف لبيان
قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافترا عليه
ويجوز ان يكون حالا من ضمير لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه اي
محرفين وذلك انهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم واية الرجم
ونسوا حظا اي تركوا نصيبا وافرا **مما ذكروا** امروا **به** في التوراة
من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا
حظهم مما انزل عليهم ولم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فذهبت
بشومه اشيا منها عن حفظهم لما روى ان ابن مسعود قال قد ينسى
المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية **ولا تزال** خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم **تطلع على خائنة منهم** اي خيانة او فرقة خائنة
او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة
اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم قال ابن عباس خائنة معصية
ايمان كذب وفجور وكان من خيانتهم نقضهم العهد بينهم وبين
النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب **الا قليلا منهم** لم يخونوا وهم
الذين امنوا منهم وقيل الاستثنا من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية ۵
فاعف عنهم واصفح اي تابوا وامنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل
مطلق نسخ باية السيف **ان الله يحب المحسنين** تعليل للامر بالصفح ۵

وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخاين احسان فضلا عن غيره
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اى واخذنا من النصارى
ميثاقهم كما اخذنا من قبلهم اليهود وقال ومن الذين قالوا انا نصارى
ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعا لنصرة الله والمعنى اخذنا
ميثاقهم فى التوحيد والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اذ هو مكتوب
فى الانجيل فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا اى فالزمنا من اغرى
بالشى اذا الصق به وقيل هيجنا وقيل الاغرا التحريش وقيل اوقعنا بينهم
العداوة والبغضا الى يوم القيمة بتفرقهم واختلاف اهوايهم فكل
فرقة تكفر الاخرى والمراد فرق النصارى نسطوريه ويعقوبيه
وملكانيه او بينهم وبين اليهود وسوف ينبيهم الله فى الاخرة بما
كانوا يصنعون بالجزا والعقاب يا اهل الكتاب اليهود والنصارى قد
جاكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم فى التورية وبشارة
عيسى باحمد فى الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر
اليه امر دينى من حجة على نبوته ودلالة على صدقه وشهادة برسالته
ويترك ما لم يكن به حاجة الى تبيينه او عن كثير منهم فلا يواخذه بجرمه
قد جاكم من الله نور وكتاب مبين يعنى القران فانه الكاشف لظلمات
الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل المراد بالنور محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل النور الاسلام يهدى به الله وحد الضمير
لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد فى الحكم او اراد الكتاب من اتبع رضوانه
اى من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب

او

او سبيل الله قال الحسن والسدى السلام الله عز وجل والمعنى دين الله
وهو الاسلام ويخرجهم من الظلمات الى النور اى من انواع الكفر الى الاسلام
باذنه اى بتوفيقه او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم اى الى طريق
هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وهم اليعقوبية
فرقة من النصارى وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان
فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا الله واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب
اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لهم لمعتقدهم قل فمن يملك من
الله شيا اى فمن يمنع من قدرته وارادته شيا ان اراد ان يهلك المسيح
ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا اى لا احد يملك ذلك واحتج
بذلك على فساد عقلهم وتقريره ان المسيح مقدور ومقهور قابل للفنا كسائر
الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية او لو كان الها
لقدر على دفع ما ينزل به او بغيره وقد امات امه ولم يتمكن من دفع الموت
عنها ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشا والله على كل
شى شاه قدير والمسيح وامه مخلوقان محصوران وقال ذلك ازاحة لما
عرض لهم من الشبه فى امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من
غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما وينشئ
من اصل ليس من جنسه كادم وكثير من الحيوانات او من اصل يجانسه
من ذكر وحده كخلق حوا او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس
وقال بينهما ولم يقل بينهن لانه اراد النوعين وقالت اليهود والنصارى
اى كل منهم نحن ابناء الله واحباؤه اى نحن اشياع ابنية عزير والمسيح

او المعنى مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم فنحن كابنايه في القرب والمنزلة وهو كابينا في الشفقة والرحمة قال ابن عباس خوّف رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما من اليهود والنصارى عقاب الله فقالوا لا تخاف فانا ابناء الله واحباوه فنزلت **قل لهم فلم يعذبكم بذنوبكم** اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة قال السدي زعمت اليهود ان الله تعالى اوحى الى اسرائيل عليه السلام ان ولدك بكري من الولد وقال غيره وقالت النصارى نحن ابناء الله لان في الانجيل حكاية اذهب الى ابي وابيكم وقيل المعنى نحن ابناء رسل الله فهو حذف مضاف وبالجملة فانهم راوا لانفسهم فضلا عند الله فرد الله عليهم قولهم فلم يكونوا يخلون من احد وجهين اما ان يقولوا هو يعذبنا فيقال لهم فلستم اذا ابناء واحباء فان الحبيب لا يعذب حبيبه او يقولوا لا يعذبنا فيكذبوا ما في كتبهم وما جاءت به رسلهم **بل انتم بشر ممن خلق** اي من جملة من خلقه الله كساير خلقه يحاسبكم على الطاعة والمعصية ويجازي كلا بما عمل **يغفر لمن يشاء** المغفرة له وهم من امن به وبرسوله **ويعذب من يشاء** تعذيبه وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة ساير الناس لا مزية لكم عليهم فلكم ما لهم وعليكم ما عليهم ولا اعتراض عليه **ولله ملك السموات والارض وما بينهما** فلا شريك يعارضه **واليه المصير** المرجع فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساته **يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا** محمد صلى الله عليه وسلم **يبين لكم** الدين

وحذف

وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره وتجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال والمعنى قد جاءكم رسولنا مبينا لكم **على فترة من الرسل** متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي واختلف في قدر تلك الفترة فقيل كان بين موسى وعيسى الف سنة وتسعماية سنة ولم تكن بينهما فترة وانه ارسل بينهما الف نبي من بني اسرائيل سوى من ارسل من غيرهم وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم خمسماية سنة وتسع وستون وقيل ستماية وقيل غير ذلك ولم يكن بينهما نبي **ان تقولوا** اذا عذبتم **ما جاءنا من بشير ولا نذير** متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا بما جاءنا **فقد جاءكم** **والله على كل شيء قدير** فيقدر على الارسال تترا كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام وعلى الارسال على فترة كما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ويقدر على تعذيبكم ان لم تتبعوه وفي الاية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي وكانوا احوج ما يكون اليه **و** اذكر **اذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم** اي منكم **انبياء** فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء **وجعلكم ملوكا** اي وجعل منكم او فيكم او بينكم وقد تكاثر فيهم الملوك بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وقال السدي ملك كل واحد منهم نفسه واهله وماله وقال قتادة انا كنا نتحدث انهم اول من خدم من بني اسرائيل وقيل المعنى وجعلكم ذوي منازل لا يدخل

عليكم الا باذن قال ابن عباس ان الرجل اذا لم يدخل احد بيته الا باذنه
فهو ملك وقال الحسن وغيره ان من كانت له زوجة ودار وخادم فهو
ملك وقيل من استغنى عن غيره فهو ملك وفي الحديث من اصبح امنا
في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا
بحذافيرها واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل
الغمام وانزال المن والسلوى وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم
وقيل المراد كثرة الانبيا فيهم وقيل قلوبا سليمة من الغل والغش
والخطاب من موسى لقومه في قول الجمهور وقال ابن جبير وابو مالك
الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة المطهرة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها قرار الانبيا
ومسكن المومنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وتظاهرت
الاخبار انها قاعدة الجبارين وعن ابن عباس انها اريحا وقيل
الشام كلها التي كتب الله لكم اي امركم بدخولها او قسمها لكم او كتب
في اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ولكن ان امنتم واطعتم لقوله
بعد ما عصوا انها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم اي ولا ترجعوا
مدبرين خوفا من الجبارين وقيل لما سمعوا حال الجبارين من النقبا
بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رئيسا ينصرف بنا
الى مصر وقيل المعنى لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق
بالله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم
على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
اي متغلبين لا تتاتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى

اجبره

ايجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وفي القصة ان بني اسرايل
لما خرجت من مصر امروا بجهاد اهل اريحا من بلاد فلسطين فقالوا
لا علم لنا بتلك الديار فبعث موسى بامر الله تعالى اثني عشر نقيبا من
كل سبط رجلا يتجسسون الاخبار فراوا سكانها الجبابرة من العمالقة
وهم ذو اجسام هايلة حتى قيل ان بعضهم راى هولا النقبا فاخذهم
في كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه وجا بهم الى الملك فنثرهم
بين يديه وقال ان هولا يريدون قتالنا فقال لهم الملك ارجعوا
الى صاحبكم فاخبروه خبرنا وقيل انهم لما رجعوا اخذوا من
عنب تلك الارض عنقودا حمله رجل وقيل حمله خمسة منهم في
خشبة قال الكلبي وكان طول الرجل من الجبارين ثمانين ذراعا وقيل
انهم كانوا من بقايا عاد وقيل من اولاد عيص بن اسحق وكانوا من الروم
وكان معهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة وعشرين الف ذراع
وزيادة فلما رجعوا الى قومهم اذاعوا الخبر بما راوا الا يوشع بن نون
وكالب بن يوقنا فامتنعت بنوا اسرايل من الجهاد وعوقبوا بالتيه على
ما ياتي وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ويسلموها لنا من غير قتال
فان يخرجوا منها فانا داخلون لها اذ لا طاقة لنا بقتالهم فانهم عظام
طوال الاجسام قال رجلان يوشع وكالب من الذين يخافون اي
يخافون الله ويتقونه وقيل كان رجلين من الجبابرة اسلما وصارا
الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرايل والراجع الى الموصول محذوف
اي من الذين يخافونهم بنوا اسرايل انعم الله عليهما بالاسلام واليقين
فهي خبر في موضع رفع صفة لرجلان ويجوز ان تكون دعائية

معترضة بين القول والمقول ادخلوا عليهم الباب اي باب قريتهم اي باغتوهم
وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون
لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها
ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى عليه السلام او من قوله
كتب الله لكم او ما علما من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه
لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين اي مصدقين
بوعده وهذا الخطاب يسمى خطاب التهييج قالوا يا موسى انا لن ندخلها
ابدا ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض وهذا عناد وحيد عن القتال
او اياس من النصر ثم جهلوا صفة الرب تبارك وتعالى فقالوا استهانة
بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون عن القتال وصفوه بالذهاب والانتقال والله متعال عن ذلك
وهذا يدل على انهم كانوا مشبهة وهو معنى قول الحسن لانه قال هو كفر
منهم بالله تعالى وقيل المعنى نصرة ربك لك احق من نصرنا وقتاله
معك ان كنت رسوله اولى من قتالنا وعلى هذا يكون ذلك كفرا منهم
لانهم شكوا في رسالته وقيل المعنى اذهب فقاتل ويعينك ربك وقيل
ارادوا بالرب هرون وكان اكبر من موسى وبالجملة فقد فسقوا قال
موسى رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكية وحزنا الى الله تعالى
لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون
والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق بهما لما كابد من تلون
قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل
نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه على الضمير في لا املك او

على

على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق
فافصل بيننا وبين القوم الفاسقين اي بان تحكم لنا بما نستحقه
وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخلصنا من
صحبتهم قال فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة
يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير
موبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويويد ذلك ما روي
ان موسى سار بعده بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله
وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله
امره بقتال الجبارين فسار بهم يوشع وقتل الجبارين وصار الشام كله
لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا
فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال
انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبارين اولادهم روي انهم
لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المسا فاذا هم
بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل
فيضي لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه
والاكثر ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا ان ذلك كان روحا
لهما وزيادة في درجاتهما وانهما ماتا فيه وقيل لم يكونا معهم لان
التيه عقوبة وكانت سني التيه بعدد ايام العجل كل يوم بسنة وقد
قال فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فان قيل كيف يجوز على جماعة
كثيرة من العقلا ان يسيروا في فراسخ فلا يهتدوا للخروج منها قال
ابو علي قد يكون ذلك بان يحول الله الارض التي هم عليها اذا ناموا ه

فيردهم الى المكان الذى ابتدؤا منه وقد يكون بغير ذلك على طريق
المعجزة الخارقة للعادة واذا كان اربعين ظرفا للتحريم وهو قول
ابن عباس والربيع والسدى كان الوقف على يتيهون فى الارض ومن
قال ان التحريم كان ابدا وان التيه كان اربعين وهو قول عكرمة
وقتادة نصب اربعين بيتيهون فيكون الوقف على محرمة عليهم فلا
تاس على القوم الفاسقين اى لا تحزن عليهم قال امرؤ القيس

وقوفا بها صحبى على مطيهم • يقولون لا تهلك اسى وتجمل •

والخطاب لموسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم
قيل كانوا ستمائة الف وسال موسى ربه عند موته ان يدنيه من
الارض المقدسة رمية بحجر فادناه كما فى الحديث ونبئ يوشع بعد
الاربعين وامر بقتال الجبابرة فسار بمن بقى معه وقاتلهم وكان
يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم وروى
احمد فى مسنده ان الشمس لم تحبس على احد الا على يوشع ليالى سار
الى بيت المقدس واتل عليهم اى اخبر يا محمد قومك نبا ابنى ادم ه
قابيل وهابيل ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها التنبيه من الله
على ان ظلم اليهود ونقضهم المواثيق كظلم ابن ادم لاخيه اى ان هم
هؤلا اليهود بقتلك فقد قتلوا قبلك الانبياء وقتل قابيل هابيل
والشر قديم اى ذكرهم هذه القصة وكانا ابنى ادم لصلبه وذلك
ان الله اوحى الى ادم ان يزوج كل واحد منهما توءم الاخر فسخط منه
قابيل لان توءمته كانت اجمل فقال لهما ادم قربا قربانا فمن ايكما قبل
تزوجها فقبل قربان هابيل وكان قربان قابيل حزمة من سنبل لانه كان

صاحب

صاحب زرع واختارها من ارداء زرعه وكان قربان هابيل كبشا لانه
كان صاحب غنم اخذه من اجود غنمه فتقبل ورفع الى الجنة ولم يزل
يرعى حتى فدى به الذبيح وقيل نزلت نار من السما فاكلته وكان ذلك
علامة القبول قال سعيد بن جبير انما تقبل قربان هابيل لانه كان مؤمنا
فقال قابيل وكان كافرا لاخيه هابيل لا اتركك تمشى على الارض يراك
الناس افضل منى لاقتلنك وقيل لم يكونا من صلب ادم وانما كانا رجلين
من بنى اسرائيل ضرب الله بهما المثل فى ابانة حسد اليهود وكان بينهما خصومة
فتقربا بقربانين ولم تكن القرابين الا فى بنى اسرائيل قال ابن عطية وهذا
وهم وكيف يجهل الدفن احد من بنى اسرائيل والصحيح انهما كانا ابنيه
لصلبه بالحق صفة مصدر محذوف اى تلاوة متلبسة بالحق او حال
من الضمير فى اتل اى متلبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين اذ قربا
قربانا ظرف لنبا او حال منه او بدل على حذف مضاف اى اتل عليهم
نباهما نبا ذلك الوقت والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى
من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم لما يحلى اى يعطى وهو فى الاصل
مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا
فتقبل من احدهما وهو هابيل ولم يتقبل من الاخر قابيل لانه سخط
حكم الله ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال له
لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه قال انما
يتقبل الله من المتقين اى انما اوتيت من قبل نفسك بترك التقوى
لا من قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه
من تقصيره ويجتهد فى تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا فى ازالة

حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مومن
متق قال ابن عطية المراد بالتقوى هاهنا اتقا الشرك باجماع اهل السنه
لئن لام قسم بسطت مددت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى
اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين اى لان قصدت قتلى فانا
لا اقصد قتلك قيل كان هابيل اقوى من قابيل ولكن تحرج من قتله
واستسلم خوفا من الله تعالى قال مجاهد كان الفرض عليهم حينيذ
ان لا يسل احد سيفا وان لا يمتنع ممن يريد قتله وقيل انما تحرى الافضل
قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله
القاتل وفى الخبر اذا كانت الفتنة فكن خير ابنى ادم وقيل المعنى
لا اقصد قتلك بل اقصد الدفع عن نفسى وانما قال ما انا بباسط فى
جواب لين بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من
ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفى بالبا انى اريد ان تبوء
ترجع باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزا الظالمين
تعليل لاءن للامتناع عن المعارضة والمقاومه والمعنى انما استسلم
لك ارادة ان تحمل اثمى لو بسطت اليك يدى واثمك ببسطك يدك
الى وقيل معنى باثمى باثم قتلى وباثمك الذى لم يتقبل من اجله قربانك
وكلاهما فى موضع الحال اى ترجع متلبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله
لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك
ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لى فالمراد بالذات ان
لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته
فان عقاب العاصى جايز واصل باء رجع الى المباه وهى المنزل وفى قوله
فنكون

فتكون من اصحاب النار دليل على انهم كانوا فى ذلك الوقت مكلفين فطوعت
له نفسه قتل اخيه اى فسهلت له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع
وقيل المعنى صورت له نفسه ان قتل اخيه طوع سهل وقيل زينت
فقتله روى انه جهل كيف يقتله فجا ابليس بطاير او حيوان غيره
فجعل يشدخ راسه بحجر وكان ذلك فى ثور جبل بمكة وقيل عند عقبة
حرا وقيل بالبصرة وكان لهابيل يوم قتله قابيل عشرون سنة فاصبح
صار من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقى مدة عمره مطرودا محزونا فبعث
الله غرابا يبحث فى الارض ينبش التراب ليريه كيف يوارى يستر
سوأة اخيه روى انه لما قتله تحير فى امره ولم يدر ما يصنع به اذ
كان اول ميت من بنى ادم فبعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر
فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة وقيل ان الغراب بحثى
فى الارض على طعمة ليخفيها الى وقت الحاجة لانه من عادة الغراب وروى
ان قابيل لما قتل هابيل جعله فى جراب ومشى يحمله فى عنقه مائة سنة
قاله مجاهد وعن مالك انه حمله سنة وقيل حتى اروح ولا يدرى
ما يصنع به الى ان اقتدى بالغراب والضمير فى ليريه لله او للغراب
وكيف حال من الضمير فى يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى والمراد بسوءة
اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع
وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضرى فهذا
اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت عن ان اكون مثل هذا الغراب
فاوارى سوءة اخى لا اهتدى ما اهتدى اليه وقوله فاوارى عطف
على يكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت فاصبح

من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله وتلمذه للغراب
واسوداد لونه وتبري ابويه منه ومكث بعد ذلك ماية سنة لا يضحك
ولم يكن ندمه ندم توبه قال ابن عباس ولو كان ندم توبه لقبل منه
وقيل ان الندم لم يكن نافعا ذلك الوقت وقيل من النادمين على حمله
وروي انه هرب الى ارض عدن من اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت
النار قربان اخيك لانه كان يعبدها فانصب انت نارا تكون لك
ولعقبك فبنا بيت نار فهو اول من عبد النار وفي صحيح مسلم لا تقتل
نفس ظلما الا على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل
ويقال ان ادم دعا عليه فانخسفت به الارض وقيل انه كان على
ذروة جبل فنطحه ثور فوقع وقد تفرقت عروقه ويقال انه اول من يساق
من الادميين الى النار **من اجل ذلك كتبنا على بني اسرايل** اي من جر جريرة
القاتل وسببه قضينا عليهم وتجوز ان يكون قوله من اجل ذلك متعلق
بقوله من النادمين ويكون الوقف على قوله من اجل ذلك وعلى الاول
الاكثر وخص بني اسرايل بالذكر وقد تقدمهم قبلهم امم لانهم كان قتل
النفس فيهم محظور الاثم اول امة نزل عليهم الوعيد في قتل النفس فغلظ
الامر على بني اسرايل بالكتاب بحسب طغيانهم وسفكهم الدما **انه** اي الشان
من قتل نفسا بغير نفس قتلها او بغير قتل نفس توجب الاقتصاص وقد
حرم الله تعالى القتل في جميع الشرايع الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان
وزنا بعد احصان وقتل نفس ظلما **او فساد في الارض** او بغير فساد فيها
كالشرك وقطع الطريق **فكانما قتل الناس جميعا** من حيث انه هتك حرمة
الدما وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع

١٥

سوا في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم واستشكل من حيث ان
عذاب من قتل جميعا اشد من عذاب من قتل واحدا فروي عن ابن عباس ان
المعنى من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن احياه بان
شد عضده ونصره فكانما احيا الناس جميعا وعنه ايضا ان المعنى
فكانما قتل الناس جميعا عند المقتول ومن احياها واستنقذها من
هلكة فكانما احيا الناس جميعا عند المستنقذ وقيل المعنى ان من
قتل نفسا فالمومنون كلهم خصماوه ومن احياها فكانما احيا الناس
جميعا اي يجب على الكل شكره وقيل كان هذا مختصا ببني اسرايل اذ له
تعالى ان يحكم ما يريد قال ابن عطية وعلى الجملة فالتشبيه على من
ما قيل واقع كله والمنتهك في واحد ملحوظ بعين منتهك الجميع
ومثاله رجلان حلفا على شجرتين لا يطعما من ثمرتهما شيا فطعم احدهما
واحدة من ثمر شجرته وطعم الاخر ثمر شجرته كله فقد استويا في الحنث
ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقا حياتها
بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك
بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيايها في القلوب
ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عنها فقوله ومن احياها
مجاز عما ذكر والا فالاحيا حقيقة الذي هو الاختراع انما هو لله تعالى
ولقد جاتهم اي بني اسرايل **رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد
ذلك في الارض لمسرفون** اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد
العظيم وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا
للعهد كي يتحاموا عنها ثم ان كثيرا منهم يسرفون في الارض بالقتل

ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد
عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
اي يحاربون اولياهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما فعبر عن
نفسه العزيزة اكبارا لاذايتهم وتعظيما واصل الحرب السلب والمراد
به هاهنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر
ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او
المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قال ويفسدون فسادا ان يقتلوا
اي من غير صلب قصاصا ان افردوا القتل او يصلبوا اي مع القتل
ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب
حيا ويترك او يطعن حتى يموت ومذهب الشافعي ان الصلب ثلاثا
بعد القتل او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف فتقطع الايدي اليمنى
والارجل اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض اي من
بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة
وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الاية على هذا للتفصيل وقيل
انها للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق وقطع
الطريق هو البروز لاخذ المال او القتل او الارعاب مكابرة اعتمادا
على الشوكة مع البعد عن الغوث وقاطع الطريق كل ملتزم للاحكام
قال الشافعي وانما قطعت اليمنى ثم حسمت ثم رجله اليسرى وحسمت
وخلي سبيله لان هذه الجناية زادت على السرقة بالحرابة ونزلت
الاية على ما قاله الجمهور في العرنيين روى الايمة واللفظ لابي داود
عن انس بن مالك ان قوما من عكل او قال من عرينة قدموا على رسول الله
صل

صلى الله عليه وسلم بلقاح وامرهم ان يشربوا من البانها وابوالها
فاجتووا المدينة فامر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلقاح
وامرهم ان يشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا
راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ النبي
صلى الله عليه وسلم خبرهم من اول النهار فارسل في اثرهم فما ارتفع
النهار حتى جيء بهم فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمرت اعينهم
والقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون وحكى اهل التاريخ انهم قطعوا
ايدي الراعي ورجليه وغرزوا الشوك في عينيه حتى مات وكان هذا
الفعل من المرتدين سنة ست من الهجرة وعن ابن عباس والضحاك انها
نزلت بسبب قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا
في الارض وقال مالك والشافعي وغيرهما الاية نزلت فيمن خرج من المسلمين
يقطعون الطريق واحتجوا بقوله تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم اذ المراد بالتوبة عن قطع الطريق ولو كان المراد للكفار لكانت
توبتهم بالاسلام وهو دافع للعقوبة قبل القدرة وبعدها ذلك
الجزاء المذكور لهم خزي في الدنيا اي ذل وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب
عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء
مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور
رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه
لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد
القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب يا ايها الذين امنوا

اتقوا الله خافوا عقابه بان تطيعوه وابتغوا اليه الوسيله اى اطلبوا
ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك
المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة
فى الجنة وجاهدوا فى سبيله لاعلاء دينه بمحاربة اعدايه الظاهرة
والباطنه لعلكم تفلحون بالوصول الى الله تعالى والفوز بكرامته
ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله
معه ليفتدوا به اى ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة
واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم
ما فى الارض وتوحيد الضمير فى به والمذكور شيان اما لاجرايه مجرى
الاشارة فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو فى ومثله بمعنى
مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما فى حيزه خبر ان والجملة تمثيل
للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم
اى مولم وهو تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم اى دايم وقال وما
هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغه والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم
حكم السارق والسارقة ويتلى عليكم صلة ما خبر مقدم وحكم
السارق مبتدا موخر حذف ما يتلى عليكم وحذف حكم واقيم المضاف
اليه مقامه فارتفع وجملة فاقطعوا مستانفة وعند المبرد جملة
واحدة والفا للسببية دخلت لتضمنها معنى الشرط اذ المعنى
والذى يسرق والتى سرقت والسرقة اخذ مال الغير فى خفية
وانما

وانما توجب القطع اذا كانت من حرز مثلها والماخوذ ربع دينار
او ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع فى ربع دينار
وان يكون السارق بالغا عاقلا وتقطع يده اليمنى فان سرق ثانيا
قطعت رجله اليسرى فان سرق ثالثا قطعت يده اليسرى فان سرق
رابعا قطعت رجله اليمنى فان سرق بعد ذلك عزر والمراد بالايدى
الايمان ويويده قوله تعالى قراة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ
وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء
بتثنية المضاف اليه واليد اسم تمام العضو ولذلك ذهب الخوارج
الى ان القطع من المنكب والجمهور على انه من الرسغ لانه عليه الصلاة
والسلام اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه ونزلت الاية بسبب رجل
سرق ردا صفوان بن امية وذكر السارقة قرينة تدل على انه لم يرد
بالسارق ذلك الرجل فقط وبدا بالسارق قبل السارقة عكس اية
الزنا لان حب المال على الرجال اغلب وشهوة النكاح على النسا اغلب
وجعل الله تعالى حد السرقة قطع اليد لتناولها المال ولم يجعل حد
الزنا قطع الذكر مع مواقعته الفاحشة به لثلاث معان احدها ان
السارق اذا قطعت يده وانزجر بها اعتاض بالباقيه وليس للزانى
مثل ذكره اذا قطع فلم يعتض بغيره اذا قطع وانزجر بقطعه والثانى ان
الحد زجر للمحدود وغيره وقطع اليد ظاهر وقطع الذكر فى الزنا باطن
والثالث ان قطع الذكر فيه ابطال النسل وليس فى قطع اليد ابطاله
جزا بما كسبا نكالا عقوبة لهما من الله منصوبان على المفعول له او المصدر
يقال نكلت به اذا فعلت به ما يجب ان ينكل به عن ذلك الفعل والله عزيز

لايغالب حكيم فيما يفعله فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اى سرقته
واصلح امره بالتقصى عن التبعات والعزم على ان لايعود اليها فان الله
يتوب عليه اى يتجاوز عنه والقطع لايسقط بالتوبة عند الاكثرين
لان فيه حق المسروق منه من القطع ورد المال نعم بيت السنة انه
ان عفى عنه قبل الرفع الى الامام سقط القطع وعليه الشافعي ان الله
غفور رحيم يقبل توبته ولا يعذبه في الاخرة الم تعلم الاستفهام للتقرير
ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
او لكل احد اى لا قرابة بين الله تعالى وبين احد حتى يجب له المحاباة
والحدود تقام على كل من اقترف موجب الحد يعذب من يشا تعذيبه
ويغفر لمن يشا المغفرة له والله على كل شى قدير قدم التعذيب على
المغفرة ايتاء على ترتيب ما سبق ولان استحقاق التعذيب مقدم او
لان المراد به القطع وهو في الدنيا يايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر اى صنع الذين يقعون في الكفر سريعا في اظهاره اذا
وجدوا منه فرصة من للبيان الذين قالوا امنا بافواههم بالسنتهم
ولم تومن قلوبهم اى من المنافقين والبا متعلقة بقالوا لا بامنا
والواو تحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين
قالوا سماعون للكذب خبر محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين
او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدا ومن الذين خبره اى ومن
اليهود قوم سماعون واللام في الكذب اما مزيدة للتاكيد او
لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة
والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك سماعون
لقوم

لقوم اخرين لم ياتوك اى لجمع اخر من اليهود لم يحضروا مجلسك
وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضا والمعنى على الوجهين مصغون
لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهآ ويجوز ان
تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اى سماعون
ليكذبوا القوم اخرين يحرفون الكلم الذى في التوراة من بعد مواضعه
اى يميلون عن مواضعه التى وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او
تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرايه في غير مورده
والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه
او استيناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر محذوف اى هم
يحرفون وكذلك يقولون لمن ارسلوهم ان اوتيتم هذا فخذوه
اى ان اوتيتم هذا المحرف اى الجلد الذى افتاكم به محمد فاقبلوه
وان لم توتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا قبول ما افتاكم به
روى ان شريفا من خيبر زنا بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما
فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم
بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه
وبينهم وقال له انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر
لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق ال فرعون والذى انزل
عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن
قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد

وروى الايمة عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لهم ايتوني باعلم رجلين منكم فجا وابا بني صوريا فنشدهما الله كيف
تجدان امر هذين في التوراة قالا نجد في التوراة اذا شهد اربعة انهم
راواذكره في فرجها كالمرود في المكحلة رجما قال فما يمنعكما ان ترجماهما
قالا ذهب سلطاننا فكرهنا القتل وفي صحيح مسلم مر النبي صلى الله
عليه وسلم بيهودي محموما مجلودا فدعاهم فقال هكذا تجدون حد
الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمايهم فقال انشدك
بالذي انزل التوراة على موسى اهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم
قال لا ولولا انك نشدتني بهذا لم اخبرك حده الرجم ولكن كثر في
اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف
اقمنا عليه الحد قلنا تعالوا فلنجتمع على شي نقيمه على الشريف والوضيع
فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله
يا ايها الرسول لا يحزنك الاية وقيل نزلت في بني قريظة والنضير
كان اذا قتل قرظي نضريا اقتدوا منهم وكان بنوا النضير اذا اقتلوا
من بني قريظة لم يقتدوا منهم وانما يعطونهم الدية فتحاكموا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فحكم بالسوية بين القرظي والنضري فساهم ذلك
ولم يقبلوا وقيل غير ذلك ومن يرد الله فتنته اي ضلالته في
الدنيا وعقوبته في الاخرة او فضيحته فلن تملك له من الله شيا
اي فلن تنفعه او فلن تستطيع له من الله شيا في دفعها اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر بيان منه عز وجل انه قضى عليهم
بالكفر

بالكفر اي لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الطبع عليها والختم كما طهر قلوب
المومنين ولو اراده لكان وفي الاية نص على فساد قول المعتزله لهم في
الدنيا خزي اي هوان بالجزية والخوف من المومنين وقيل هو فضيحتهم
حين انكروا الرجم واحضرت التوراة فوجدوا فيها الرجم ولهم في الاخرة
عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استانف بقوله
ومن الذين والا فللفريقين هم سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون
للسحت اي الحرام كالرشا من سحته اذا استاصله واصله الهلاك
والشدة قال الله تعالى فيسحتكم بعذاب وسمي الحرام سحتا لانه يسحت
الطاعات اي يذهبها او قال الفرا اصله كلب الجوع يقال رجل مسحوت
المعدة اي اكول فكان بالمسترشي واكل الحرام من الشره الى ما يعطى مثل
الذي بالمسحوت المعدة وفي الحديث كل لحم نبت بالسحت فالنار اولى به
وقال بعض العلما من السحت ان ياكل الرجل بجاهه وقال علي رضي الله
عنه السحت الرشوة وحلوان الكاهن فان جاوك لتحكم بينهم فاحكم
بينهم او اعرض عنهم تخيير من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اذا
تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي
لم يجب عليه الحكم وهو قول بعض العلما والاصح وجوبه اذا كان المترافعان
ذميين لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منه فالتخيير منسوخ
بقوله وان احكم بينهم الاية ولو ترافعوا مع مسلم وجب اجماعا وان
تعرض عنهم فلن يضروك شيا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله
يعصمك من الناس وان حكمت بينهم فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل
الذي امرك الله به ان الله يحب المقسطين العادلين في الحكم فيحفظهم

ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله بالرجم
تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في
الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة
الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن
حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف
وان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظير المؤنث
في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك اي ثم يعرضون
عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل
في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما
يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التوراة فيها هدى من الضلالة ونور
يكشف ما استبهم من الاحكام وقيل بيان وتعريف ان محمدا صلى الله عليه
وسلم حق يحكم بها النبيون يعني انبيا بني اسرايل او موسى ومن بعده ان
قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القايل به
وقيل المراد بالنبيين محمد صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بلفظ الجمع الذين
اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين
وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبيا واقتفا هديهم ولان
اليهود قالت ان الانبيا كانوا يهودا وقالت النصارى كانوا نصارى
فبين الله تعالى كذبهم ومعنى اسلموا خضعوا وانقادوا لامر الله فيما
بعثوا به للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم
وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم فيكون اللام بمعنى على اي على الذين
هادوا ومعنى هادوا تابوا من الكفر والربانيون والاحبار عبادهم
وعلماوهم

وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم وهو عطف على النبيون
والرباني هو الذي يسوس الناس بالعلم ويربيهم بصغاره قبل كباره
وقيل هو العالم الحكيم وقال ابن عباس الاحبار الفقها والحبر الرجل
العالم وهو ماخوذ من التحبير وهو التحسين وقال مجاهد الربانيون
فوق الاحبار بما استحفظوا اي استودعوه من كتاب الله اي بسبب
امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما
محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء اي رقبا لا يتركون ان
يغيروا او شهدا يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا وقال ابن عباس
شهدا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم انه في التوراة واظهار الرجم
وقيل شهدا على الكتاب بانه من عند الله او انه حق فلا تخشوا الناس
واخشون فيه نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا
فيها خشية ظالم او مراقبة كبير والخطاب لليهود ويدخل فيه
بالمعنى كل من كتم حقا وجب عليه ولم يظهره ولا تشتروا باياتي اي
ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا من الدنيا تاخذونه على
كتمانها وهو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به
منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا
بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم
لانكارهم وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز
ان يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى
الامتناع عن الحكم به ملايمة لها او لطايفة كما قيل هذه في المسلمين
لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى

وكتبنا عليهم اي فرضنا على اليهود فيها اي في التوراة ان النفس
بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف
والاذن بالاذن والسن بالسن قرأ الكسائي بالرفع على انها جمل
معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم
النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة يقعان على الجمل
كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف
مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن
قيل من قرأ بالرفع قطع ذلك مما قبله ولم يجعله مما كتب عليهم في
التوراة ومن قرأ بالنصب في ذلك لم يقف لان الاسماء كلها داخلة
فيما عملت فيه ان وهي كلها مما كتب عليهم في التوراة وكذلك قوله
والجروح قصاص اي ذات قصاص وقراءة الكسائي ايضا بالرفع ووافقه
ابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فيقتص مما امكن
كاليد والرجل والذكر ونحو ذلك وما لا يمكن ففيه الحكومة فبين الله
تعالى في هذه الاية انه سوى بين النفس والنفس في التوراة فخالفوا
فكانت دية النضيري اكثر من دية القرظي وكان النضيري لا يقتل
بالقرظي ويقتل به القرظي فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالسوا فقالت بنوا النضير قد حططت منا فنزلت وكتبنا عليهم
فيها الاية وكان شرعهم القصاص او العفو وما كان فيهم الدية
فمن تصدق من المستحقين به اي بالقصاص اي فمن عفى عنه فهو اي فالتصدق
كفارة له اي للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل الضمير للجاني اي بان
مكن من نفسه سقط عنه ما لزمه ولا يواخذ بجنايته في الاخرة لانه
يقوم

يقوم مقام اخذ الحق منه واجر المتصدق عليه ومن لم يحكم بما انزل الله
من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على اثارهم اي واتبعناهم
على اثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين
بعيسى بن مريم مفعول ثاني عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه
قبله من التوراة لما فيها من الاحكام واتيناه الانجيل فيه هدى من
الضلالة ونور بيان في موضع النصب على الحال ومصدقا لما بين
يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين
اي هاديا وواعظا للمتقين وخصهم بالذكر لانهم المنتفعون بهما وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله فيه قرئ بكسر اللام وفتح الميم على التعليل
اي ولاجل الحكم بما فيه اتيناه الانجيل وقرئ على الامر اي وليحكم اهل
الانجيل بما فيه في ذلك الوقت اما الان فهو منسوخ وقيل هو امر للنصارى
الان بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فان فيه وجوب الايمان به
والنسخ انما هو في الفروع لا في الاصول ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الفاسقون اي الخارجون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا
به وانزلنا اليك يا محمد الكتاب بالحق اي القران مصدقا لما بين يديه
قبله من الكتاب اي من جنس الكتب المنزلة واللام الاولى للعهد والثانية
للجنس ومهيمنا عليه اي رقيبا على ساير الكتب تحفظه عن التغيير
ويشهد لها بالصحة والثبات فاحكم بينهم اي بين اهل الكتاب اذا ترافعوا
اليك بما انزل الله اي بما انزل الله اليك وهو نسخ للتخيير في قوله فاحكم
بينهم او اعرض عنهم وقيل المعنى فاحكم بينهم ان شئت ولا تتبع اهواءهم
عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فمن صلة لا تتبع لتضمنه

معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواهم مائلا عما جاءك **لكل**
جعلنا منكم ايها الناس **شرعة** اي شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه
بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الى الحياة الابدية والشريعة
ما شرع الله تعالى لعباده من الاحكام **ومنهاجا** اي طريقا واضحا في
الدين وقيل الطريق المستمر ابن عباس شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا
واستدل بها على انا غير متعبدين بالشرايع المتقدمة وهذا في الشرايع
والعبادات والاصل التوحيد لا اختلاف فيه **ولو شاء الله لجعلكم امة**
واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل
ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء اجتماعكم
على الاسلام لاجبركم عليه **ولكن** فرقكم فرقا **ليبلوكم** ليختبركم **فيما اتاكم**
من الشرايع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين
معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون
في العمل **فاستبقوا الخيرات** اي فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة
لفضل السبق والتقدم والمعنى سارعوا الى الطاعات **الى الله مرجعكم**
جميعا بالبعث وهو استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد
ووعيد للمبادرين والمقصرين **فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** من امر
الدين بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر **وان احكم بينهم**
بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على
الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان تكون جملة بتقدير وامرنا
ان احكم **ولا تتبع اهواهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك**
اي ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل اشتمال اي

احذر

احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك قال ابن عباس
اجتمع قوم من الاحبار منهم ابن صوريا وكعب بن اسد وشاس بن عدي
وغيرهم وقالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فانما هو بشر
فاتوه وقالوا قد عرفت يا محمد انا احبار اليهود وان اتبعناك لم يخالفنا
احد من اليهود وان بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فاقض لنا
عليهم حتى نؤمن بك فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وتاتي الفتنة
بمعنى الاختبار وبمعنى الشرك وبمعنى العبرة وبمعنى الصد والرد كما في
هذه الاية قيل والبعض هنا بمعنى الكل وحملوا عليه ايضا قوله تعالى
ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه ابن العربي والصحيح ان بعض على بابها
في هذه الاية وان المراد به الحكم الذي كانوا ارادوه او المراد به الرجم **وان**
تولوا اي ابوا واعرضوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره **فاعلم انما يريد**
الله ان يصيبهم بالعقوبة في الدنيا **ببعض ذنوبهم** يعني ذنب التولي
عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة يجازيهم
على جميعها في الاخرى وهذا مع عظمه واحد من جملتها وفيه دلالة
على التعظيم كما في التنكير **وان كثيرا من الناس لفاسقون** لمتمردون
في الكفر معتدون فيه **افحكم الجاهلية يبغون** الذي هو الميل والمداهنة
في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى
وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى
وقرئ تبغون بالخطاب لاهل الكتاب على معنى قل لهم وبالغيب اخبارا
عنهم والاستفهام للانكار **ومن** اي لا احد **احسن من الله حكما لقوم**

يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما فى قوله هيت لك اى هذا الاستفهام
لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشيا
بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين امنوا ٥
لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم
معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايما الى علة النهى اى فانهم
متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الكفر ولجماعهم
على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اى ومن والاهم منكم فانه
من جملتهم وهذا تشديد فى وجوب مجانبتهم وقيل المراد بالذين
امنوا المنافقون اى يا ايها الذين امنوا بظاهرهم وكانوا يوالون
المشركين ويخبرونهم باسرار المسلمين وقيل نزلت فى عبادة بن الصامت
وعبد الله بن ابى تبرا عبادة من موالاة اليهود وتمسك بها ابن ابى
وقال اخاف ان تدور الدوائر ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى
الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المومنين بموالاة اعدائهم فترى
الذين فى قلوبهم مرض ضعف اعتقاد يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون
فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة
يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان من جدب
او غلبة او بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار ولا يتم امر محمد ٥
وروى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرا الى الله ورسوله من
ولايتهم واولى الله ورسوله فقال ابن ابى انى رجل اخاف الدواير
لا ابرا من موالى فنزل فعسى الله ان ياتى بالفتح لرسوله على اعدائه

واظهار

واظهار المسلمين او امر من عنده بقطع اصلهم بالقتل والاجلاء او الامر
باظهار اسرار المنافقين وقتلهم قاله الحسن السدى هو الجزية وقيل
الخصب والسعة للمسلمين فيصبحوا اى هولا المنافقون على ما اسروا
فى انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول صلى
الله عليه وسلم فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم وقيل فيصبحوا
نادمين على توليهم الكفار اذا راوا نصر الله للمومنين او عاينوا عند الموت
فبشروا بالعذاب ولما اجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير
اشتد ذلك على المنافقين وجعل المنافق يقول لقريبه المومن اذا راى
عداوته لليهود هذا جزاوهم منك قد اشبعوا بطنك فلما قتلت
قريظة اشتد الامر على المنافقين فجعلوا يقولون اربعمايه حصدوا
فى ليلة فيعجب المومنون من ظهور نفاق القوم ويقول الذين امنوا قرى بالرفع
على انه كلام مبتدا ويويده قراة يقول بغير واو مرفوعا على انه جواب
قايل يقول فماذا يقول المومنون حينيذ وقرى بالنصب عطفا على
ان بالمعنى وكانه قال فعسى الله ان ياتى بالفتح ويقول الذين امنوا ٥
او يجعله بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى اهولاء الذين اقسموا بالله
جهد ايمانهم انهم لمعكم اى يقوله المومنون بعضهم لبعض تعجبا من حال
المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود ٥
فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم
لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على
الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل
واقيم المصدر مقامه حبطت اعمالهم الصالحة اى بطلت بنفاقهم

فاصبحوا صاروا خاسرين الثواب وقيل خسروا في موالاة اليهود فلم
تحصل لهم ثمره بعد قتل اليهود واجلائهم وهو اما من جملة المقول او
من قول الله شهادة بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب اي ما احبط
اعمالهم وما اخسرها يا ايها الذين امنوا من يرتد اي يرجع الى الكفر منكم
عن دينه قرئ من يرتدد على الاصل وهو كذلك في الامام وقرئ بالادغام
وهذا من الكائنات التي اخبر الله بها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب
في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج
وكان رئيسهم ذو الخمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده
ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غدها واخبر به صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة واتى الخبر
في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد
رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجابه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
وقد حاربه ابو بكر بجند من المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو اسد
قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالدا فهرب الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر
سبع فرق وكفى الله امرهم على يده قال ابن اسحق لما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارتدت العرب وكانوا في ردتهم على قسمين قسم نبذ
الشريعة كلها وخرج عنها وقسم نبذ وجوب الزكاة واعترف بوجوب

غيرها

غيرها فقاتل الصديق جميعهم وبعث اليهم خالدا فقتلهم وسباهم
على ما هو مشهور فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم من اليمن
لما روي انه عليه الصلاة والسلام اشار الى ابي موسى الاشعري وقال
قوم هذا رواه الحاكم في صحيحه وقيل الفرس لانه عليه الصلاة والسلام
سئل عنهم فضرب على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين
جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة
وبجيلة وثلاثة الاف من احياء الناس وقال الحسن وغيره نزلت في ابي بكر
الصديق واصحابه السدي في الانصار وقيل هو اشارة الى قوم لم
يكونوا موجودين في ذلك الوقت وكانت عامة فتوح العراق في زمن
عمر على يدي قبائل اليمن والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله
بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادته الهدى والتوفيق لهم في الدنيا
وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه
اذلة على المؤمنين نعت لقوم اي عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل واستعماله
مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم
وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين اي شداد
متغالبين من عزه اذا غلبه يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم او
حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون
بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او
حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون
في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود ذلك اشارة الى ما تقدم
من الاوصاف وهي محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين وشدتهم على الكافرين

فضل الله يوتيه من يشا يمنحه ويوفقه له والله واسع كثير الفضل عليم
بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفر
عقبه بمن هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اوليآؤكم للتنبيه
على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمومنين على التبع وروى
ان عبد الله بن سلام قال يا رسول الله ان قوما من قريظة والنضير قد
هجرونا واقسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة اصحابك لبعد
المنازل فنزلت الاية فقال رضينا بالله وبرسوله وبالمومنين اوليا
والذين امنوا عام في جميع المومنين ابن عباس نزلت في ابي بكر الصديق
وقيل في علي الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم راكعون
صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز رفعه
ونصبه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلاتهم وزكاتهم
وقيل حال مخصوصة بيوتون اي يوتون الزكاة في حال ركوعهم في
الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه روي انها نزلت في
علي حين ساله سايل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه قال
الطبري وهذا يدل على ان العمل القليل لا يبطل الصلاة ويدل على
ان صدقة التطوع تسمى زكاة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا
اي ومن يتخذهم اوليا او من فوض امره الى الله وامتثل امر رسوله
ووالى المومنين او ومن يتول القيام بطاعة الله ونصر رسوله والمومنين
فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر
موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكانه قال ومن يتول هولا فهم
حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم

وتشريفا

وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هولا فانه حزب
الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم قال الحسن
حزب الله جنده وقيل انصاره يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزؤا اي مهزوا به ولعبا من للبيان الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار المشركين اوليا نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن
الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهم
ورتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايما الى العلة
وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وروى
ابن عباس ان قوما من اليهود والمشركين ضحكوا من المسلمين وقت سجودهم
فنزلت وقرى بخفض الكفار بمعنى ومن الكفار وقرى بالنصب قال
النحاس والنصب اوضح فنهاهم الله تعالى ان يتخذوا اليهود والمشركين
اوليا واعلمهم ان الفريقين اتخذوا دين المومنين هزؤا ولعبا ومن نصب
عطف على الذين الاول اي لا تتخذوا هولا وهولا فالموصوف بالهزو
واللعب في هذه القراة اليهود لا غير وكلاهما في قراة الخفض موصوف
بالهزو واللعب والكفار وان عم اهل الكتاب مطلق على المشركين خاصة
لتضاعف كفرهم واتقوا الله بترك المناهي ومنها موالاتهم ان كنتم
مومنين صادقين في ايمانكم لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل
ان كنتم مومنين بوعده ووعيده والذين اذا ناديتم الى الصلاة
بالاذان اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلاة او المناداة وفيه
دليل على ان الاذان مشروع للصلاة قال الكلبي اذا اذن المؤذن
وقام المسلمون الى الصلاة قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وكانوا

يضحكون اذا ركع المسلمون وسجدوا وقالوا في حق الاذان لقد
ابتدعوا شيا لم نسمع به فيما مضى من الامم فمن اين لك صياح كصياح
البعير فما اقبحه من صوت وما اسمجه من امر والندا الدعا برفع
الصوت وهو في الشرع قول مخصوص يعلم به وقت الصلاة قال
العلما ولم يكن الاذان بمكة قبل الهجرة وانما كانوا ينادون الصلاة
جامعة فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وفرضت القبلة
الى الكعبة امر بالاذان وكان صلى الله عليه وسلم قد اهمه امر الاذان
حتى اريه عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب وابو بكر الصديق وقد
كان صلى الله عليه وسلم سمع الاذان ليلة الاسرا فوق السما **ذلك**
الاتخاذ **بانهم** اي بسبب انهم **قوم لا يعقلون** فان السفه يودي الى
الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه **قل يا اهل الكتاب هل تنقمون**
منا اي هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم
اذا كافاه **الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل** اي الايمان
بالكتب المنزلة كلها **وان اكثركم فاسقون** عطف على ان امنا وكان المستثنى
لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا
الايمان وانتم خارجون منه او ان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون
فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل
وبان اكثركم وليس هذا مما ينكر وقيل غير ذلك قال ابن عباس جا
نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع الى النبي
صلى الله عليه وسلم فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال نؤمن بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل الاية فلما ذكر عيسى

يجحدوا

يجحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة
منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت **قل هل انبيكم بشر من ذلك** اي من
اهل ذلك الدين المنقوم **مثوبة عند الله** اي جزا ثابتا عنده والمثوبة
مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ها هنا موضعها على طريقة
قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر وقيل
المعنى بشر من نقمكم علينا وقيل من شر ما تريدون لنا من المكروه **من لعنه**
الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على
حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين
من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله
من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات
ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار
اهل مايدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم
قردة وشيوخهم خنازير **وعبد الطاغوت** عطف على صلة من وقرئ
عبد الطاغوت على البنا للمفعول ورفع الطاغوت ومعناه صار
معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرا عابد الطاغوت و
عبد الطاغوت على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على
انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التا للاضافة عطفه على القردة
والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله
وقيل الشيطان وراعى في منهم معنى من وفي من قبله لفظها **اوليك**
اي الملعونون **شر مكانا** جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرهم
وقيل لان مكانهم النار واما المومنون فلا شر في مكانهم وقال الزجاج

اولئك شر مكانا على قولكم واضل عن سواء السبيل قصد الطريق
بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل
الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال
او هو في مقابلة قولهم لا نعلم دينا شرا من دينكم واذا جاؤكم قالوا امنا
نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او في عامة
المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من
عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان
من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا والله
اعلم بما كانوا يكتمون من نفاقهم وكفرهم وفيه وعيد لهم وترى
كثيرا منهم اي من اليهود او من المنافقين يسارعون يقعون في الاثم
اي الحرام سريعا وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان
الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان
ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام كالرشى خصه بالذكر
للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون اي لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت اي الحرام خصه
بالذكر للمبالغة تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا
دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض اي
هلا يزجرهم الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود
قاله الحسن وقيل الكل في اليهود ثم وبخ علماءهم فقال لبئس
ما كانوا يصنعون وهو ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث
ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروٍّ وتحري اجادة

ولذلك

ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية
لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان
جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك
مقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه
الى اثبات غل يد وغل او بسط وقيل معناه انه فقير لقوله تعالى
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال عكرمة
قايل هذا فنحاص بن عازورا واصحابه وكان لهم اموال فلما كفروا
بمحمد صلى الله عليه وسلم قل مالهم فقالوا ان الله بخيل ويد الله
مقبوضة عنا في العطا فالقايل بعضهم واشترك فيه الاخرون
لانهم رضوا به وقيل لما قال قوم هذا ولم ينكر الباقون صار
كانهم باجمعهم قالوا هذا وقال الحسن المعنى يد الله مقبوضة
عن عذابنا وقيل غير ذلك قال تعالى غلت ايديهم اي امسكت عن
فعل الخيرات ولعنوا بما قالوا دعا عليهم بالبخل والنكد او بالفقر
والمسكنة او بغل الايدي حقيقة فغللوا اسارى في الدنيا
ومسحبين في الاخرة الى النار فتكون المطابقة من حيث اللفظ
وملاحظة الاصل والمقصود بذلك تعليمنا بل يداه مبسوطتان
ثني اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان
غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح
الدنيا والاخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق
كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق
اخرى على حسب مشيته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة

وضيق في ذات يد وقيل المراد باليدين نعمتا الدنيا الظاهرة
والباطنة كما قال واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وروى
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فيه النعمة
الظاهرة ما حسن من خلقك والباطنة ما ستر عليك من سيئ
عملك وقيل نعمتا المطر والنبات السدى بل قوتاه بالثواب
والعقاب بخلاف مقالة اليهود ان يده مقبوضة عن عذابنا
واليد في كلام العرب تكون للجارحة كقوله تعالى وخذ بيدك
ضغثا وهذا محال على الله تعالى وتكون للنعمة تقول العرب كم يد
لي عند فلان وتكون للقوة قال تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد
اى القوة وتكون بمعنى الملك والقدرة قال تعالى قل ان الفضل
بيد الله وتكون صلة قال تعالى مما عملت ايدينا انعاما اى مما
عملنا وقال تعالى او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اى الذي له
عقدة النكاح وتكون بمعنى التاييد والنصر قال صلى الله عليه
وسلم يد الله مع القاضي وتكون عبارة عن البركة ومنه الحديث
يد الله بين الشريكين وتكون لاضافة الفعل الى المخبر عنه تشريفا
وتكريما ومنه قوله تعالى لما خلقت بيدي ومثله ما روى انه
تعالى كتب التوراة بيده وغرس دار الكرامة لاهل الجنة وقيل
غير ذلك **وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا**
وكفرا اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون
من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذا الصالح للاصحا
والقينا بينهم العداوة والبغضا الى يوم القيمة فلا تتوافق
قلوبهم

قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم والمراد اليهود والنصارى قاله مجاهد
وقيل فرق اليهود فهم متباغضون فيما بينهم وهم ابغض خلق الله
الى الناس **كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله** اى كلما ارادوا حرب
الرسول واهاجوا شرا واجمعوا امرهم عليه ردهم الله وشتت جمعهم
وقيل ان اليهود لما افسدوا وخالفوا امر الله كتاب الله التوراة
ارسل الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فارسل الله عليهم بطرس
الرومي ثم افسدوا فبعث الله عليهم المجوس ثم افسدوا فبعث الله
عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا او ذكر النار مستعار
ويسعون في الارض فسادا اى للفساد او مفسدين وهو اجتهادهم
في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم او يسعون في
ابطال الاسلام وذلك من اعظم الفساد **والله لا يحب المفسدين** فلا
يجازيهم الا شرا **ولو ان اهل الكتاب امنوا** بمحمد وما جا به **واتقوا**
ما عددنا من معاصيهم **لكفرنا عنهم سيئاتهم** التي فعلوها ولم نواخذهم
بها **ولادخلناهم جنات النعيم** اى ولجعلناهم من الداخلين فيها
وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام
يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم **ولو**
انهم اقاموا التوراة والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما
والعمل بمقتضاهما وعدم تحريفهما **وما انزل اليهم من ربهم** يعني ساير
الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل عليهم
او القرآن **لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم** اى لوسعت عليهم ارزاقهم
بان تفيض عليهم بركات من السما والارض او تكثر ثمرة الاشجار وغلة

الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون
ما تساقط على الارض وقال ابن عباس وغيره يعنى المطر والنبات وغير
ذلك ويتبين بذلك ان ما كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور
الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم
خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم
الذين امنوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كالنجاشي وسلمان وعبد الله
ابن سلام اقتصدوا فلم يقولوا فى عيسى ومحمد الا ما يليق بهما وقيل
متوسطة فى عداوته فلم يكونوا من الموذين وكثير منهم ساء ما يعملون
اى بيس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اى ما اسوا عملهم وهو المعاندة
وتحريف الحق والاعراض عنه او الافراط فى العداوة يايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك اى جميع ما انزل عليه غير مراقب احدا
ولا خايف مكروها وان لم تفعل اى وان لم تبلغ جميعه كما امرتك
فما بلغت رسالته اى فما اديت شيا منها لان كتمان بعضها تضييع
ما ادى منها كترك بعض اركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به
او كانك ما بلغت شيا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث
ان كتمان البعض والكل سوا فى الشناعة واستجلاب العذاب وقرئ
رسالاته بالجمع على ارادة جميع ما ارسل به من التوحيد والاحكام
وقرئ بالافراد وهى تدل ايضا على الجمع لانه اسم جنس والله يعصمك
من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادى
وازاحة لمعاذيره والمعنى يمنعك من القتل والاسر فاما عوارض الاذى
فلا وسبب نزولها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان نازلا تحت شجرة
فجاه

فجاه اعرابى فاخترط سيفه وقال للنبى صلى الله عليه وسلم من يمنعك
منى فقال الله فذعرت يد الاعرابى وسقط السيف من يده وضرب براسه
الشجرة حتى انتثر دماغه ذكره المهدوى وروت هذه القصة فى الصحيح
وان غورث بن الحارث صاحب القصة وان النبى صلى الله عليه وسلم
عفا عنه فرجع الى قومه وقال جيتكم من عند خير الناس وقيل المعنى
اظهر التبليغ لانه كان فى اول الاسلام يخفيه خوفا من المشركين فامر
باظهاره فى هذه الاية واعلمه الله انه يعصمه من الناس واعلمه الله انه
يعصمه من الناس وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تحرس
حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يايها الناس فقد
عصمنى الله من الناس والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم
الكافرين اى لا يمكنهم مما يريدون بك وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال بعثنى الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الى ان
لم تبلغ رسالتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت ولعل المراد بالتبليغ
ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار
الالاهية ما يحرم افشاوه قل يا اهل الكتاب لستم على شى من الدين
اى دين يعتد به ويصح ان يسمى شيا لانه باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل
وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها ناطقة بالايمان بمن صدقه
المعجزة امره بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من
فروعها وعن ابن عباس قال جا جماعة من اليهود الى النبى صلى الله
عليه وسلم فقالوا الست تقر ان التوراة حق من عند الله قال بلى

فقالوا انا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك من القران طغيانا وكفرا لكفرهم به فلا تأس
على القوم الكافرين اى فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما
تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المومنين مندوحة
عنهم لك وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم وليس بنهى عن الحزن
لانه لا يقدر عليه ولكنه نهى عن التعرض للحزن ان الذين امنوا والذين
هادوا والصابيون والنصارى سبق معنى الاية والصابيون رفع على
الابتدا وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابيون
كذلك كقوله • فانى وقيار بها لغريب • وقوله الا فاعلموا انا وانتم •
بغاة ما بقينا في شقاق • وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابيون
مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم
الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى
معطوفا عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه
ما بعده كقوله • نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف •
فان راض خبر انت والا لقال راضون ولا يجوز عطفه على محل ان
واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان
الخبر خبر المبتدا او خبر ان معا فيجتمع عليه عاملان وقد جوزه
الكوفي بناء على ان رفع خبر ان ليس بها بل بما كان قبلها فلا يلزم
اجتماع العاملين ولا اختلاف رافعين ولا على الضمير في هادوا
لعدم التاكيد والفصل وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع
الرفع

الرفع بالابتدا وقيل غير ذلك من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا
في محل الرفع بالابتدا وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة
خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اى من امن منهم او النصب
على البدل من اسم ان لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل على الايمان بالله
ورسله وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا امر دينهم
كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم مما يخالف هواهم من الشرايع
ومشاق التكاليف فريقا منهم كذبوا وفريقا يقتلون كزكريا ويحيى
وهو جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول
منهم وانما جيء يقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم
ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رءوس الاى وحسبوا ان لا تكون
فتنة اى وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء
وتكذيبهم اغترارا بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وانما اغتروا بطول
الامهال وقرى لا يكون بالرفع على ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه
لا يكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيلا له منزلة
العلم لتمكنه في قلوبهم وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه وقرى
بالنصب بجعل ان ناصبة للفعل وحسب على بابها من الشك وما
كان كذلك جاز فيه الوجهان فعموا عن الدين والدلايل والهدى
وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم
اى ثم تابوا فتاب الله عليهم وقيل المعنى فوقعت بهم الفتنة فتابوا
فتاب الله عليهم بكشف القحط او بارسال محمد صلى الله عليه وسلم •

يخبرهم بان الله يتوب عليهم ان امنوا فهذا بيان تاب الله عليهم
اي يتوب الله عليهم ان امنوا وصدقوا لا انهم تابوا على الحقيقة **ثم
عموا وصموا** كرة اخرى **كثير منهم** بدل من الضمير او فاعل والواو
علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدا محذوف اي العمى
والصم كثير منهم **والله بصير بما يعملون** فيجازيهم وفق اعمالهم **لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني
اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم** اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقي وخالقكم **انه من يشرك بالله** في عبادته او فيما يختص به من
الصفات والافعال **فقد حرم الله عليه الجنة** اي يمنع من دخولها
كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين **وماواه النار**
فانها دار المشركين **وما للظالمين من انصار** اي وما لهم من احد
ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم
ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون تمام
كلام عيسى وان يكون من كلام الله تعالى نبه على انهم قالوا ذلك
تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه
فما ظنك بغيره واذا كان المسيح يقول يا رب يا الله فكيف يدعو
نفسه ام كيف يسالها **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة**
اي احد ثلاثة وهو حكاية عما قالته النسطورية منهم والملكانية
منهم القايلون بالاقانيم الثلاثة لانهم يقولون ابن واب
وروح القدس اله واحد ولا يقولون ثلاثة الهة وهو معنى مذهبهم
وانما يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم وما كان هكذا صح ان
يحكى

يحكى عنهم بالعبارة اللازمة وما سبق قول اليعقوبية القايلين
بالاتحاد **وما من اله الا اله واحد** اي وما في الموجودات واجب
مستحق العبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات الا اله موصوف
بالوحدانية متعال عن الشركة ومن مزيدة للاستغراق **وان لم
ينتهوا عما يقولون** من التثليث ويوحدوا **ليمسن الذين كفروا منهم
عذاب اليم** اي ليصيبن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين
كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على
كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم يقلع عنه
ولذلك عقبه بقوله **افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه** اي يتوبون
بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرون بالتوحيد
والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد
والمعنى فليتوبوا اليه وليسالوه ستر ذنوبهم **والله غفور رحيم**
يغفر لهم ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم **ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت** مضت **من قبله الرسل** اي ما هو الا رسول
كالرسل قبله خصه الله بايات كما خصهم بها فان احيى الموتى على
يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان
خلقه من غير اب فقد خلق ادم من غير اب وام وهو اغرب فان
كان الها فليكن كل رسول الها **وامه صديقة** مبالغة في الصدق
كساير النسا اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبيا **كانا ياكلان
الطعام** ويفتقران اليه افتقار الحيوانات فهو مولود مربوب ومن
ولدته النسا وياكل الطعام فهو مخلوق محدث كساير المخلوقين ولم يدفع

هذا احد منهم فمتى يصلح المربوب لان يكون ربا وقولهم كان ياكل
بناسوته لا بلاهوته فهذا منهم مصير الى الاختلاط ولا يتصور
اختلاط الاله بغير الاله قال بعض المفسرين في قوله كانا ياكلان الطعام
كناية عن الغايط والبول فقد بين تعالى اقصى حال عيسى وامه
من الكمالات ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس
يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبيه ويقتضي
ان يكون من عداد المركبات الكاينة ثم عجب ممن يدعي الربوبية
لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم
الايات ثم انظر انى يوفكون اى كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله
وثم لتفاوت ما بين العجبين اى بياننا للايات عجيب واعراضهم
عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله اى غيره ما لا يملك لكم
ضرا ولا نفعا او عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه
لا يملكه من ذاته وهو زيادة في البيان اى انتم مقرون ان عيسى
كان جنينا في بطن امه لا يملك لاحد ضرا ولا نفعا واذ قد اقررتم
ان عيسى كان في حال من الاحوال لا يسمع ولا يعلم ولا يضر ولا ينفع
فكيف تتخذونه الها وقدم الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من
تحري النفع والاستفهام للانكار والله هو السميع العليم بالاقوال
والعقايد فيجازي عليها ومن كانت هذه صفته فهو الاله على الحقيقة
قل يا اهل الكتاب اليهود والنصارى لا تغلوا في دينكم غير الحق
اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه
فتزعموا انه لغير مرسل وقيل الخطاب للنصارى خاصة والغلو

مجاوزة

مجاوزة الحد ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل اى من قبل ان
تضلوا يعني اسلافهم وقال الحسن ومجاهد يعني اليهود واضلوا
كثيرا من الناس متبعيهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سوا السبيل
اى عن قصد الطريق الذى هو الاسلام وهو طريق محمد صلى الله عليه
وسلم بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة
الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به
الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرايل على لسان داود وعيسى
ابن مريم اى لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقال مجاهد
وقتادة وغيرهما لعنهم مسخهم قردة وخنازير ابن عباس لعنوا
على لسان داود اصحاب السبت مسخوا قردة والذين على لسان
عيسى الذين كفروا بالمايدة بعد نزولها مسخوا خنازير قيل وكانوا
خمسة الاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك
اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدايهم ما حرم
الله عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اى لا ينهى بعضهم
بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن
منكر ارادوا فعله وتهيئوا له لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب
من سوء فعلهم موكد بالقسم ترى كثيرا منهم اى من اهل الكتاب
قيل كعب بن الاشرف واصحابه مجاهد يعني المنافقين يتولون
الذين كفروا اى يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وللمومنين لبيس ما قدمت لهم انفسهم اى لبيس شيا قدموا
ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون

هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله هو الخلود في العذاب
او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبيس شيا ذلك لان كسبهم
السخط والخلود ولو كانوا يومنون بالله والنبي يعني نبيهم
وان كانت الاية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم
اى الكفار اوليا اذ الايمان يمنع من ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون
اى خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن يا محمد اشد الناس
عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف
كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن
التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبيا ومعاداتهم لهم واللام للقسم ه
ودخلت النون على قول الخليل وسيبويه فرقا بين الحال والمستقبل
وعداوة نصب على البيان ولتجدن اقربهم موده للذين امنوا
الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة
اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم
قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه
او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع
والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان
كانت في كافر والقسيسين واحده قس وهو العالم من قس اذا تتبع
الشي وطلبه والقس انصار يس من روسا النصارى في الدين
والعلم والرهبان جمع راهب والترهب التعبد في صومعة وانما
مدحوا بهذا لتمسكهم بشرعهم الى ان جا الناسخ واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول من القران ترى يا محمد اعينهم تفيض من الدمع عطف
على

على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم
ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تابيهم عنه والفيض انصباب
عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من
فرط البكا كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتدا
والثانية لتبيين ما عرفوا يقولون ربنا امنا صدقنا بذلك او
بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين اى من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته
او من امته الذين هم شهدا على الامم يوم القيمة ومعنى فاكتبنا
فاجعلنا وما لنا لا نومن بالله وما جانا من الحق ونطمع ان
يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين المومنين الجنة وهو استفهام
انكار واستبعاد لانتفا الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في
الانخراط مع الصالحين وهو جواب سايل قال لم امنتم او لمن عيرهم
بالاسلام من اليهود ونطمع عطف على نومن او خبر محذوف
والواو للحال اى ونحن نطمع فاثابهم الله بما قالوا اى عن اعتقاد
كما تقول هذا قول فلان اى معتقده جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا
النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور فاجاب
سوالهم وحقق طمعهم وروي ان الايات نزلت في النجاشي واصحابه
لما قدم عليهم المسلمون في الهجرة الاولى خوفا من المشركين وفتنتهم
وكانوا ذوي عدد ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المد
بعد ذلك فلم يقدروا على الوصول اليه وحالت بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب فلما كانت وقعة بدر ه

وقتل الله فيها صناديد الكفار فقال كفار قريش ان ثاركم بارض الحبشة فاهدوا الى النجاشي وابعثوا اليه رجلين من ذوي رايكم لعله يعطيكم من عنده فتقتلوهم بمن قتل ببدر فبعث كفار قريش عمرو بن العاصي وعبد الله بن ابي ربيعة بهدايا فسمع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث عمرو بن امية الضمري وكتب معه كتابا الى النجاشي فقدم على النجاشي فقرا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين وارسل الى الرهبان والقسيسين وجمعهم ثم امر جعفر ان يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم فقاموا من عنده تفيض اعينهم من الدمع وامنوا بالقران وعن ابن اسحق قال قدم على النبي صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا من النصارى من الحبشة وهو بمكة فوجدوه في المجلس فكلموه وسايلوه ورجال من قريش في انديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسئلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الله تعالى وتلى عليهم القران فلما سمعوه فاضت اعينهم من الدمع ثم استجابوا له وامنوا به وصدقوه فلما قاموا من عنده اعترضهم ابو جهل في نفر من قريش وقالوا خيبكم الله من ركب بعثكم من وراكم من اهل دينكم ترتادون لهم فتاتوهم بخبر الرجل فلم يطمين مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه ما نعلم ركبا احمق منكم فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم وقيل ان جعفر واصحابه قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل

الشام منهم بحيرا الراهب فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا حين سمعوا القران وامنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فنزلت فيهم الايات والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتدا عما حد الله تعالى بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم وما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله داعية الى القصد بينهما اي لا تشددوا فتحرموا حلالا ولا ترخصوا فتحلوا حراما قاله الحسن وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صايمين قايمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا يقربوا النسا والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم امر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النسا فمن رغب

عن سنتي فليس مني فنزلت **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** اي كلوا
مما احل لكم وطاب مما رزقكم فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال
منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة
بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول او من
العايد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع
الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فايدة زايدة والمراد هنا بالاكل
التمتع من اكل وشرب ولبس وركوب ونحو ذلك وخص الاكل بالذكر
لانه اعظم المقصود **واتقوا الله الذي انتم به مومنون لا يواخذكم**
الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد الحلف كقول الرجل
لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي رضي الله عنه وقيل الحلف
على ما يظن انه كذلك وانه لم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله عنه
وتقدم القول فيه وفي ايمانكم صلة يواخذكم او اللغو لانه مصدر
او حال منه ومعنى في ايمانكم من ايمانكم قال ابن عباس سبب نزولها
القوم الذين حرموا طيبات المطاعم والملابس والمناكح على انفسهم
وحلفوا على ذلك فلما نزل لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا كيف
نصنع بايماننا فنزلت وروي ان عبد الله بن رواحة كان له ايتام
وضيف فانقلب من شغله بعد ساعة من الليل فقال اعشيتم
ضيفي فقالوا انتظرناك فقال لا اكله الليلة وقال ضيفه وما انا
بالذي ياكل وقال ايتامه ونحن لا ناكل فلما راى ذلك اكل واكلوا ثم
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اطعت الرحمن وعصيت
الشيطان فنزلت الاية **ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان** اي بما وثقتم

الايمان

الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يواخذكم بما عقدتم اذا
حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ عقدتم بالتخفيف
وعاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل **فكفارته** اي فكفارة نكثه اي الفعلة
التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بغير
الصوم قبل الحنث وهو عند الشافعي خلافا للحنفية لقوله عليه
الصلاة والسلام من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليكفر
عن يمينه وليات الذي هو خير **اطعام عشرة مساكين من اوسط**
ما تطعمون اهليكم اي من اقصده في النوع او القدر وهو مد
لكل مسكين عند الشافعي ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب
لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما
من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام وعن ابن عباس قال
كان الرجل يقوت اهله قوتا فيه سعة وكان الرجل يقوت اهله
قوتا فيه شدة فنزل من اوسط ما تطعمون اهليكم **او كسوتهم** عطف
على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ما ينطلق عليه الاسم وقيل
يشترط ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء وازار
او تحرير رقبة اي اعتاق انسان وشرط الشافعي رضي الله عنه فيها
الايمان قياسا على كفارة القتل فلا تجزي الكافرة ولا التي فيها شرك
ولا التي فيها عيب يخل بالعمل على ما هو مبين في محله ومعنى او ايجاب
احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين وبدا
بالطعام لانه كان الافضل في بلاد الحجاز لغلبة الحاجة اليه ولا بد
من تمليك المساكين ما يخرج لهم ودفعه اليهم وعند ابي حنيفة

لو غداهم وعشاهم جاز فمن لم يجد اي واحدًا منها فصيام ثلاثة ايام
اي فكفارته صيام ثلاثة ايام او فعليه صيام وتجزي متفرقة
خلافا لابي حنيفة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم
اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنّوا بها ولا تبذلوها لكل امر
او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بان تكفروها اذا
حنثتم كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اي اعلام شريعته
لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا
التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر المسكر الذي
يخامر العقل والميسر القمار والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة
والازلام قداح الاستقسام وسبق بيانها رجس خبيث اي قذر
تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف
او للمضاف المحذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر رجس من عمل
الشيطان لانه سبب من تسويله وتزيينه وقيل هو الذي كان عمل
مبادي هذه الامور بنفسه فاقتدي به فاجتنبوه الضمير للرجس
او لما ذكر او لتعاطي او لعمل الشيطان ومعنى اجتنبوه ابعدوه واجعلوه
ناحية لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى
اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان صدّر الجملة بانما وقرنهما
بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان وامر
بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرتجى من الفلاح ثم قرر ما فيهما اي يبعد
من المفاسد الدينيه والدنيوية المقتضية للتحريم بقوله انما
يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر

و

ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح
ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب
والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه
الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر
بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان
من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتها
بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف فقال
فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية
وان الاعذار قد انقطعت والاستفهام للامر ولما علم عمر رضي الله عنه
ان هذا وعيد شديد زايد على معنى انتهوا قال انتهينا والعداوة
في الخمر ما يحدثه السكر من الخصومة وفي الميسر خروج المال عن المقمور
فيوجب ذلك معاداة القامر وروي ان قبيلتين من الانصار
شربوا الخمر وانتشوا فعبث بعضهم ببعض فلما اصحوا راى بعضهم
في وجه بعض اثار ما فعلوا وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغاين
فجعل الرجل يقول لو كان اخي بي رحيما ما فعل هذا فحدثت بينهم
الضغاين فانزل الله انما يريد الشيطان الاية واطيعوا الله واطيعوا
الرسول فيما امرا به واحذروا عما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم
اي خالفتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ اي الابلاغ المبين اي فاعلموا
انكم لن تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم
انفسكم وللمرسل ان يعاقب ويثيب بحسب ما يعصى او يطاع ليس
على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا من الخمر

والميسر قبل التحريم أو مما لم يحرم عليهم لقوله إذا ما اتقوا وآمنوا
وعملوا الصالحات أي اتقوا المحارم وثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحة
ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا أي ثم استمروا
وثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أي وتحروا الأعمال الجميلة واشتغلوا
بها روي أنه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف بإخواننا
الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت وفي البخاري عن
أنس قال كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة فنزل تحريم الخمر فأمر مناديا
ينادي ألا إن الخمر قد حرمت فقال أبو طلحة اخرج فانظر ما هذا الصوت
قال فخرجت فقلت هذا مناد ينادي ألا إن الخمر قد حرمت فقال اذهب
فأهرقها وكان الخمر من الفضيخ لعله نبيذ التمر قال فجرت في سكك فقال
بعض القوم قتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله ليس على الذين
آمنوا الآية وليس في الآية تكرير التقوى ويحتمل أن يكون هذا التكرير
باعتبار الأوقات الثلاثة أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال
الإنسان التقوى بينه والإيمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس
وبينه وبين الله ولذلك بدل الإيمان بالإحسان في الكرة الثالثة
إشارة إلى ما قال عليه الصلاة والسلام في تفسيره أو باعتبار
المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقى فإنه
ينبغي أن يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا
للنفس عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات صونا لها عن الخسة
وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل الاتقاء الأول اتقوا الشرك
وآمنوا بالله ورسوله والثاني اتقوا الكبائر وازدادوا إيمانا

والثالث

والثالث اتقوا الصغائر وأحسنوا تنفلوا وقال ابن جرير الاتقاء
الأول هو الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة
به والعمل والثاني الاتقاء بالثبات على التصديق والثالث الاتقاء
بالإحسان والتقرب بالنوافل والله يحب المحسنين أي يثيبهم
أو فلا يؤاخذهم بشيء وفيه أن من فعل ذلك صار محسنا ومن صار
محسنا صار لله محبوبا يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من
الصيد تناله أيديكم ورماحكم الابتلاء الاختبار وكان الصيد
أحد معايش العرب العاربة وكانت الوحش تغشاهم في رحالهم
بحيث يتمكنون من صيدها أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم فابتلاهم
الله فيه مع الإحرام والحرم كما ابتلى بني إسرائيل أن لا يعتدوا في السبت
وقيل نزلت عام الحديبية أحرم بعض الناس مع النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يحرم بعضهم وكان إذا عرض صيد اختلف فيه أحوالهم
وأفعالهم واشتبهت أحكامه عليهم فنزلت والتقليل والتحقير
في بشيء للتنبيه على أنه ليس من العظائم التي تدحض الأقدام كالابتلاء
ببذل الأنفس والأموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عندما هو
أشد منه واختلف في المخاطب بهذه الآية فقيل المحلون قاله مالك
وقيل المحرمون قاله ابن عباس والمراد صيد البر خاصة وأراده
بالصيد المصيد لقوله تناله أيديكم ورماحكم وهو بيان لحكم
صغار الصيد وكباره فالصغار تنال بالأيدي والكبار بالرماح
وخص الأيدي بالذكر لأنها معظم المتصرف في الاصطياد وفيها تدخل
الجوارح والحبالات وما عمل باليد من فخاخ وشباك وخص الرماح

بالذكر لانهما اعظم ما يجرح به الصيد وفيهما يدخل السهم ونحوه ٥
ليعلم الله من يخافه بالغيب اى ليتميز الخايف من عقابه وهو غايب
منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخاف لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم
واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم **فمن اعتدى بعد ذلك**
اى بعد ذلك الابتلا او النهى بالصيد **فله عذاب اليم** فالوعيد لاحق
به فان من لا يملك نفسه جاشه فى مثل ذلك ولا يراعى حكم الله تعالى
فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه **يا ايها الذين
امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم** اى محرمون بحج او عمرة جمع حرام
ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يوكل
لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويويده قوله عليه الصلاة والسلام
خمس يقتلن فى الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب
العقور وفى رواية اخرى والحية بدل العقرب واختلف فى ان هذا
النهى هل يلغى حكم الذبح فيلتحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنى
او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب والخطاب
لكل مسلم عام فى الرجال والنسا والاحرار والعبيد وروى ان
ابا اليسر عمرو بن مالك الانصارى كان محرما بعمرة عام الحديبية
فقتل حمار وحش فنزلت الاية فيه فحرم الله تعالى على المحرم فى
الصيد كل فعل يكون مفيتا للروح **ومن قتله منكم متعمدا** ذاكرا
لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل ما يقتله واكثر اهل العلم على ان
ذكره ليس لتقييد وجوب الجزا فان اتلاف العامد والمخطى واحد فى
ايجاب الضمان بل لقوله فمن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت
فيمن

فيمن تعمد وعن ابن عباس انما التكفير فى العمد وانما غلظوا فى الخطا لئلا
يعود وعن احمد لا شى على المخطى والناسى وقال الزهرى وجب الجزاء
فى العمد بالقران وفى الخطا والنسيان بالسنة **فجزاء مثل ما قتل من
النعم** برفع الجزا والمثل قراءة الكوفيين بمعنى فعليه او فواجبه
جزا مماثل وقرا الباقون باضافة المصدر الى المفعول او اقحام مثل
والمعنى فعليه ان يجزى جزا مماثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار
الخلقة والهيئة عند مالك والشافعى والقيمة عند ابى حنيفة ٥
والنعم الابل والبقر والغنم **يحكم به** اى الجزا رجلان **ذوا عدل منكم**
صفة جزا ويحتمل ان يكون حالا من الضمير فى خبره ومنه اذا اضفته
او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى
نظر واجتهاد تحتاج المماثلة فى الخلقة والهيئة لهما فان الانواع
تتشابه كثيرا فافتقر الحكم بالمثل الى عدلين ومنكم معناه من اهل دينكم
هديا حال من الهاء فى به او من جزا وان نون لتخصيصه بالصفة او بدل
من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه **بالغ الكعبة** وصف به
هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق
وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث يشا ومعنى الاية
انه يفعل به ما يفعل بالهدى من الاشعار والتقليد ويرسل من الحل
الى مكة ولم يرد الكعبة عينها اذ الهدى لا يبلغها اذ هى فى المسجد
فهو من باب اطلاق الجزء على الكل وقال الشافعى لا يحتاج الهدى الى
الحل **او كفارة** عطف على جزا **طعام مساكين** عطف بيان او بدل
او خبر محذوف اى هى طعام والمعنى عند الشافعى او ان يكفر بطعام

مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين
مدا او عدل ذلك صياما اي وما ساواه من الصوم فيصوم عن
طعام كل مسكين يوما وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز لعدل
والعدل بالفتح والكسر بمعنى المثل وقال الفرا عدل الشي بالكسر مثله
من جنسه وبالفتح مثله من غير جنسه وهل يعتبر في اخراج الطعام
قيمة النظير او قيمة الصيد وبالاول قال الشافعي واحمد وبالثاني
ابو حنيفة ومالك ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزا
او الاطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه حرمة
الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل
ومنه الطعام الوبيل والمرعى الوبيل هو الذي يتاذى به بعد اكله
والذوق هنا استعارة وحقيقته انما هو في حاسة اللسان عفا الله
عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية وقيل التحريم او في هذه
المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه اي فهو ينتقم الله منه
وليس فيه ما يمنع الكفارة على العايد كما حكي عن ابن عباس وقيل
ينتقم منه بالكفارة وقيل في الاخرة اذا كان مستحلا ويكفر وعن سعيد
ابن جبير يحكم عليه في اول مرة فاذا عاد لم يحكم عليه وقيل له اذهب
ينتقم الله منك اي ذنبك اعظم من ان يكفر والله عزيز اي منيع في
ملكه ولا يمتنع عليه ما يريده ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل
لكم ايها الناس حلالا كنتم او محرمين صيد البحر اي ما صيد منه
مما لا يعيش الا في الما واضيف الى البحر لما كان منه وهو حلال اكله لقوله
عليه الصلاة والسلام هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة

لايحل

لا يحل منه الا السمك وطعامه اي ما قذفه او نضب عنه وقيل
الضمير للصيد وطعامه اكله وعن ابن عباس طعامه ما ملح منه
وبقي وقيل طعامه ملحه الذي ينعقد من مايه وساير ما فيه من نبات
وغيره متاعا لكم اي تمتيعا لكم وهو نصب على المصدر وللسيارة اي
ولسيارتكم المسافرين يتزودونه قديدا وقيل المقيم والمسافر وحرم
عليكم صيد البر من الوحش الماكول وهو ما صيد فيه او الصيد فيه
فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه
مدخل والجمهور على حله لقوله عليه الصلاة والسلام لحم الصيد
حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين
واتقوا الله الذي اليه تحشرون تشديد وتنبيه وذكر الحشر
مبالغة في التحذير جعل الله الكعبة اي صيرها وسميت كعبة
لتكعبها البيت الحرام المحرم عطف بيان على جهة المدح او ه
المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر
معاشهم ومعادهم يلوذ به الخايف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه
التجار وتتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم
والشهر الحرام والهدي والقلايد المراد بالشهر الحرام الشهر الذي
يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنايه وقيل اسم جنس
والمراد الاشهر الاربعة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب فقرر الله
في قلوب العرب حرمتها وكانوا لا يروعون فيها نفسا ولا يطلبون فيها
دما ثار يسر الله لهم بالالهام او شرعا على السنة الرسل الكرام الهدي
والقلايد فكانوا اذا اخذوا بعيرا مثلا واشعروه او علقوا عليه

نعلاً او فعل ذلك الرجل بنفسه من التقليد لم يروعه احد حيث
لقيه حتى جاء الله بالاسلام وبيّن الحق لمحمد صلى الله عليه وسلم
فانتظم الدين في سلكه وعاد الحق الى نصابه فاسند جعل الامانة
اليه وانبئ وجوبها للخلائق عليه ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر
من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في
السموات وما في الارض فان شروع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها
وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه فهو يعلم
تفاصيل امور السموات والارض ويعلم مصالحكم ايها الناس قبل
وبعد فانظروا لطفه بالعباد حال كفرهم وان الله بكل شيء عليم تعميم
بعد تخصيص اعلموا ان الله شديد العقاب لاعدائه وان الله غفور
رحيم لاوليائه وهو وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ
عليها او لمن اصرّ عليه ولمن اقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد
في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق
لكم عذر في التفريط وليس على الرسول الهداية والتوفيق وانما عليه
البلاغ وقد اتى به واصل البلاغ البلوغ وهو الوصول والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون اي ما تظهرونه وما تسترونه من تصديق
وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب عام في نفي
المساواة عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها
رغب به في صالح العمل وحلال المال وقيل الخبيث الحرام والطيب
الحلال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة
دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير

فالخبيث

فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة وان كثر
والطيب وان قل نافع جميل العاقبة والخطاب لكل معتبر ولذلك
قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر
وايثار الطيب وان قل لعلكم تفلحون اي راجين ان تبلغوا الفلاح ه
يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان
لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان
تسألوا عنها في زمان نزول القرآن تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان
ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء
اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل فيه غير ذلك
عفا الله عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ
روي انه لما نزل ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك أكل عام
فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا
ولو قلت نعم لوجب ولو وجب لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت
او استئنافا اي عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها
وروى البخاري عن انس قال قال رجل يا رسول الله من ابي قال ابوك فلان
قال فنزلت وفيه قال لا تسألوني عن شيء الا اخبرتكم به ما دمت في
مقامي هذا فقام اليه رجل فقال اين مدخلي يا رسول الله قال النار
فقام عبد الله بن حذافة فقال من ابي يا رسول الله قال ابوك حذافة
الى آخره ولما قال من ابي يا رسول الله قال ابوك حذافة قالت له امه
ما سمعت بابن اعق منك امنت ان تكون امك قارفت ما يقارف

نسا الجاهلية فتفضحهما على اعين الناس فقال والله لو الحقني بعبد
اسود للحقته به وفي الحديث ان الله حرم عليكم عقوق الامهات
ووأد البنات ومنعًا وهات وكره لكم ثلاثا قيل وقال وكثرة السوال
واضاعة المال رواه مسلم قال كثير من اهل العلم المراد بقوله وكثرة
السوال التكثير من السوال في المسائل الفقهية تنطعا وتكلفا فيما
لم ينزل والاغلوطات وقد كان السلف يكرهون ذلك ويقولون
اذا نزلت النازلة وفق المسئول لها وقيل المراد السوال عما لا يعني
من احوال الناس بحيث يودي ذلك الى كشف عوراتهم ولذلك قال
اهل العلم من قدم اليه طعام فلا يسال عنه من اين هو او عرض
عليه ما يشتريه فلا يسال من اين هو وتحمل امور الناس على السلامة
والصحة وفي قوله تعالى وان تسالوا عنها بعد قوله لا تسالوا عن اشيا
غموض لانه في اول الاية نهى عن السوال وفي قوله وان تسالوا عنها اباحه
قيل المعنى وان تسالوا عن غيرها مما مست الحاجة اليه فحذف
المضاف قال الجرجاني الكناية في عنها ترجع الى اشيا اخر وفي الايتين
استخدام وهو كما قال السكاكي وغيره ان يوتى بلفظ له معنيان فاكثر
مرادا به احد معانيه ثم يوتى بضميره مرادا به المعنى الاخر لان قوله
قد سالها قوم من قبلكم اي اشيا اخر لان الاولين لم يسالوا عن الاشيا
التي سال الصحابة عنها وقيل المعنى عن مسئلتكم فلا تعودوا **والله غفور**
حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير **قد سالها**
قوم من قبلكم انبياءهم **ثم اصبحوا بها كافرين** اي بسببها حيث
لم ياتمروا بما سالوا وجحدوا وذلك كسوال قوم صالح الناقة واصحاب

عيسى

عيسى المائدة وقيل الضمير في سالها للمسئلة التي دل عليها تسالوا به
ولذلك لم يعد بعن ولا اشيا بحذف الجار وقوله من قبلكم متعلق
بسالها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا
حالا منها ولا خبرا عنها ولا يعارض هذا قوله تعالى فاسالوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون لان الذي امر الله به عباده هو ما تقرر وثبت
مما يجب العمل به والذي جا عنه النهي هو ما لم يتعبد الله عباده به
ولم يذكره في كتابه **ما جعل الله من بحيرة ولا سايبة ولا وصيلة**
ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة
خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا
تركب ولا تحلب وكان الرجل يقول ان شفيت فناقتي سايبة ويجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت انثى فهي لهم وان ولدت
ذكرا فهو لالهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا
يذبح الذكر واذا نتج من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم
يمنعوه من ما ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره وعن سعيد بن المسيب
البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحتلبها احد من الناس
والسايبة ما يسيبونها لالهتهم وقال ابن اسحق البحيرة هي ابنة
السايبة والسايبة الناقة اذا تابعت عشرة اناث ليس بينهن
ذكر لم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما
نتجت بعد ذلك من انثى شقت اذنها وخلي سبيلها مع امها كامها
وقال الشافعي اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اناثا بحرت اذنها فحرمت
والسايبة البعير يسيب بنذر يكون على الرجل وقال ابو عبيدة

وقد يسيبون غير الناقة وكانوا اذا اسيبوا العبد لم يكن عليه ولآ
وقال ابن عزيز الوصيلة في الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة
ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبح فاكل منه الرجال والنساء
وان كانت انثى تركت في الغنم وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها
فلم تذبح وكان لحمها محرما على النسا ولبن الانثى حراما على النسا الا
ان يموت منهما شي فياكله الرجال والنسا والحامي الفحل اذا ركب ولد
ولده وقيل كان الفحل من الابل اذا انقضى ضرابه جعلوا عليه من ريش
الطواويس وسيبوه وقيل غير ذلك ومعنى ما جعل ما شرع ووضع
ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة **ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب** بتحريم ذلك ونسبته اليه
واكثرهم لا يعقلون اى الحلال من الحرام والامر من النهى او لا يعقلون
ان ذلك افترا ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف
بطلان ذلك ولكن يمنعه حب الرياسة وتقليد الآبا ان يعترفوا به
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول اى الى حكمه
من تحليل ما حرمتم **قالوا حسبنا** كافينا **ما وجدنا عليه اباءنا** من
الدين والشريعة وهذا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد
وان لا سند لهم سواه **اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون**
الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى
احسبهم ما وجدوا عليه اباهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى
ان الاقتدا انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة
فلا يكفي التقليد **يايها الذين امنوا عليكم انفسكم** اى احفظوها

والزموا اصلاحها **لا يضركم من ضل اذا اهتديتم** اى لا يضركم الضلال
اذا كنتم مهتدين ومن الاهتدا ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال
عليه الصلاة والسلام من راى منكرا واستطاع ان يغيره بيده
فليغيره بيده الى اخره والاية نزلت لما كان المومنون يتحسرون
على الكفرة ويتمنون ايمانهم وروى ابو داود والترمذي عن قيس
قال خطبنا ابو بكر الصديق فقال انكم تقرون هذه الاية وتتلونها
على خلاف تاويلها يايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من
ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الناس اذا راوا الظالم ولم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم
الله بعذاب من عنده وفي الحديث عن ابي ثعلبة الخشني قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال ايتمروا بالمعروف
وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة
واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك امر
العامة فان من وراءكم اياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر
للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وعن ابن مسعود
ليس هذا بزمان هذه الاية قولوا الحق ما قبل منكم فاذا رد عليكم
فعليكم انفسكم وقال بعض اهل العلم تضمنت الاية اشتغال الانسان
بخاصة نفسه وتركه التعرض لمعايب الناس والبحث عن احوالهم فانهم
لا يسيلون عن حاله فلا يسال عن حالهم وتجوز ان يكون اريد به الزمان
الذي تعذر فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فينكر بقلبه ويشتغل
باصلاح نفسه وفي حديث غريب اذا كان راس مايتين فلا تامرن

بمعروف ولا تنه عن منكر وعليك بخاصة نفسك قال العلماء انما قال عليه
الصلاة والسلام ذلك لتغير الزمان وفساد الاحوال وقلة المعينين
وقيل كان الرجل اذا اسلم قال له الكفار سفهت اباك وضللتهم
وفعلت وفعلت فنزلت وقيل غير ذلك الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم
بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يواخذ
بذنب غيره يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة
بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد او الوصية واضافتها الى الظرف على
الاتساع اذا حضر احدكم الموت اى اذا شارفه وظهرت اماراته وهو
ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية
مما لا ينبغي ان يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز
ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اى من اقاربكم او من
المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن
فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع
اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة
الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما اى توقفونهما صفة لآخران والشرط
بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فائدته
الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر
فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين
فقال تحبسونهما من بعد الصلاة صلاة العصر لانه وقت اجتماع
الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلاة
فيقسمان يحلفان بالله ان ارتبتم اى ارتاب الوارث منكم ويقولان

لا

لا نشتري به ثمنا اى لا نستبدل بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف
بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى اى ولو كان المقسم له قريبا منا
وجوابه محذوف اى لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اى الشهادة التي
امر الله باقامتها انا اذا لمن الاثمين اى ان كتمنا فان عثر اى فان اطلع
بعد حلفهما على انهما استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف في الشهادة
بان وجد عندهما مثلا ما اتهما به وادعيا انهما ابتاعاه من الميت او
اوصى لهما به فآخران اى فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين
استحق عليهم اى من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرئ استحق بالبناء
للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو
خبر محذوف اى هما الاوليان او خبر آخران او مبتدا خبره آخران
او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرئ الاولين جمع اول على انه
صفة للذين او بدل منه اى من الاولين الذين استحق عليهم فيقسمان
بالله ويقولان لشهادتنا احق من شهادتهما اى اصدق منها واولى
بان تقبل وما اعتدينا اى وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين
الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان
المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او
دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما كان
في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب من الورثة
اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما
كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت على كذبهما وصدق
ما ادعوه والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف

الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ه
ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق
الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روى ان تميما الداري ه
وعدي بن عدي خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ه
ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض
بديل فدوّن مامعه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به
واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا
منه انا من فضة قيمته ثلثماية مثقال منقوشا بالذهب فغيباه
فاصابت اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء
في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولم يكن
لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزل فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي رفاعة
السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك
اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى اقرب الى ان ياتوا اي الشهود
او الاوصيا بالشهادة على وجهها اي على نحو ما تحملوها من غير تحريف
ولا خيانة فيها او اقرب الى ان يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي
ان ترد اليمين على المدعيين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة
واليمين الكاذبة فيغرموا فلا يكذبوا وانما جمع الضمير لانه حكم يعم
الشهود كلهم واتقوا الله بترك الخيانة واسمعوا ما توصون به سمع اجابة

والله

والله لا يهدي القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا وتسمعوا كنتم قوما
فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او
الى طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول
واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا
خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر فيقول للرسل ماذا اجبتم ه
حين دعوتم الى التوحيد اي اي اجابة اجبتم او باي شي اجبتم فحذف
الجار وهذا السوال لتوبيخ قومهم كما ان سوال الموؤدة لتوبيخ الوايد
ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما ليس نعلمه انك انت علام الغيوب
ما غاب عن العباد فتعلم ما نعلم بما اجابونا واظهروا لنا وما لم
نعلم مما اضمروا في قلوبهم او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم
للخاتمة وقيل المعنى لا علم لنا الا ما علمتنا فحذف وقيل انهم يذهلون
من هول ذلك ويفزعون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثيب اليهم
عقولهم ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها الزجر عن الاظهار
خلاف الابطان في وصية او غيرها مما ينبئ ان المجازي عليه عالم به
اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بشكرها
بدل من يوم يجمع او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك اي قويتك وهو ظرف
لنعمتي او حال منه بروح القدس هو جبريل عليه السلام او بالكلام
الذي يحيى به الدين وقيل هي الروح المقدسة الطاهرة التي خصه
الله بها تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا او تكلمهم
في الطفولية والكهولية على سوا والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال
الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل قبل الساعة

فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل
واذ تخلق من الطين كهيئة صورة الطير والكاف اسم بمعنى مثل مفعول
باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني بارادتي وتبرئ الاكمه والابرص
باذني واذ تخرج الموتى من قبورهم احيا باذني وسبق بيانه واذ كففت
بني اسرايل عنك يعني اليهود حين هموا بقتلك اذ جيتهم بالبينات
اي الدلالات والمعجزات وهي المذكورة في الاية فقال الذين كفروا منهم
ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جيت به الا سحر وقرى الا ساحر
فالاشارة الى عيسى واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي
ان امنوا بي وبرسولي عيسى يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة
قالوا امنا بهما واشهد باننا مسلمون اي مخلصون اذ قال الحواريون
يا عيسى بن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على
ان ادعاهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا
مايدة من السما لم يكن بعد عن تحقق واستحكام معرفه وقيل هذه
الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة
وقيل المعنى هل يستطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع
كاستجاب بمعنى اجاب وقرى تستطيع ربك اي سوال ربك والمعنى
هل تسأله ذلك من غير صارف والمايدة الخوان اذا كان عليه الطعام
قال لهم عيسى اتقوا الله من امثال هذا السوال ان كنتم مومنين بكمال
قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعايكم الايمان قالوا نريد ان ناكل
منها اي نريد سوالها لاجل ان ناكل منها وهو تمهيد عذر وبيان لما
دعاهم الى السوال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمين قلوبنا بانضمام

علم

علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته وقيل انهم ارادوا
الاكل منها للحاجة الداعية اليها وذلك ان عيسى كان اذا خرج اتبعه
خمسة الاف واكثر بعضهم اصحابه وبعضهم كانوا يطلبون منه ان
يدعو لهم لمرض كان بهم او علة فخرجوا الى موضع من مفازة ولم يكن
معهم نفقة فجاعوا فقالوا للحواريين قولوا لعيسى حتى يدعو لنا بان
ينزل علينا مايدة من السما فجاءه سمعون راس الحواريين واخبره
بذلك فقال عيسى اتقوا الله وقيل المعنى ناكل منها فننال بركتها
لا الحاجة دعتهم اليها الماوردي وهذا اشبه لانهم لو احتاجوا
لم ينهوا عن السوال ونعلم اي نزداد علما ان قد صدقتنا في ادعاء
النبوة وان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا
استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال
عيسى بن مريم لما راى لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون
عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مايدة من
السما تكون لنا عيدا اي تكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل
العيد السرور العايد لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة الجار اي عيدا
لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه
النصارى عيدا ابن عباس ياكل منها اخر الناس كما ياكل اولهم واية
منك اي اية كاينة منك على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا
المايدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين اي خير من يرزق لانه
خالقه ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها بالتخفيف والتشديد
عليكم اجابة لسوالكم فمن يكفر بعد اي بعد نزولها منكم فاني اعذبه

عذابا اى تعذيبا لا اعذبه الضمير للمصدر او العذاب ان اريد به
ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اى من عالمى
زمانهم او العالمين مطلقا لانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب
بمثل ذلك غيرهم قال ابن عباس ان عيسى قال لبنى اسرايل صوموا
ثلاثين يوما ثم اسالوا الله ما شيتم فصاموا وقالوا يا روح الله ادع
الله ان ينزلها علينا فاقبلت الملايكة بمايدة يحملونها عليها
سبعة ارغفة وسبعة احوات فوضعوها بين ايديهم فاكل منها
اخر الناس كما اكل اولهم وعن سلمان الفارسى قال لما سالت الحواريون
عيسى بن مريم المايدة قام فوضع ثياب الصوف ولبس ثياب المسوح
والزق القدم بالقدم ووضع يده اليمنى على اليسرى وطاطا راسه
وارسل عينيه يبكى حتى جرى الدمع على لحيته ثم قال اللهم ربنا انزل
علينا مايدة من السما فنزلت سفرة حمرا بين غمامتين من فوقها
ومن تحتها والناس ينظرون اليها فقال عيسى اللهم اجعلها رحمة
ولا تجعلها فتنة فهبطت بين يدى عيسى وعليها منديل مغطى فخر
عيسى ساجدا والحواريون وهم يجدون لها رايحة طيبة فقال عيسى
ايكم اعبد واوثق بالله فليكشف عن هذه السفرة فقال الحواريون
يا روح الله انت احق واولى فتوضا عيسى وصلى ودعا ثم كشف عنها
فاذا عليها سمكة مشوية ليس فيها شوك تسيل بالدسم وقد
نضد حولها من كل البقول ما عدا الكراث وعند راسها ملح وخل
وعند ذنبها خمسة ارغفة وفى رواية على واحد منها زيتون
وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس
قديد

قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الجنة
فقال عيسى ما اخوفنى ان تعذبوا فقال شمعون واله اسرايل ما اردت
بذلك سوا ولكن يا روح الله لو كان معها اية اخرى فقال عيسى يا سمكة
احيى باذن الله فاضطربت السمكة طرية تبصبص عيناها ففزع
الحواريون فقال عيسى ما لى اراكم تسالون عن الشى فان اعطيتموه
كرهتموه ثم قال لقد نزلت من السما وما عليها طعام من طعام الدنيا
ولا من طعام الجنة ولكن ابتدعه الله بالقدرة البالغة ثم قال
يا سمكة عودى كما كنت فعادت مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله
كن اول الاكل منها فقال معاذ الله انما ياكل منها من طلبها فابت
الحواريون فدعا عيسى الفقرا والمساكين والمرضى والزمنا والعميان
فقال كلوا من رزقكم فاكلوا حتى صدروا عن سبعة الاف وثلثمايه
فبرى كل سقيم واستغنى كل فقير حتى الممات فلما راى ذلك الناس
ازدحموا عليها حتى لم يبق احد الا اكل منها فضغط بعضهم بعضا فلما
راى ذلك عيسى جعلها نوايب بينهم وكانت تنزل يوما بعد يوم
فنزلت اربعين يوما وفى رواية لما عادت مشوية بعد ان حييت
طارت المايده فعصوا بعدها فمسخوا قردة وفى رواية اوحى الله تعالى
الى عيسى عليه السلام ان اجعل مايدتى فى الفقرا والمرضى دون الاغنيا
والاصحا فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثماية وثمانون رجلا
وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت
المايدة من السما خبزا ولحما وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا فخانوا
وادخروا فمسخوا قردة وخنازير وقال مجاهد لم تنزل المايدة وانما

هذا ضرب مثل وقيل وعدهم الاجابة فلما قال فمن يكفر بعد منكم
فاني اعذبه الاية استعفوا وقالوا لا نريد نزولها قال الحسن والجمهور
على نزولها وهو الصواب وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة
عن حقايق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن
وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقايق لم يستعدوا للوقوف عليها
فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى لا تتمكنوا
من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السوال والحوا فيه فسال لاجل
اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة
فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله
ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى بن مريم
ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ
الكفرة وتبكيتهم ليكون انكاره بعد السوال ابلغ في التكذيب واشد
في التوبيخ والتقريع وقول اخر انه قصد بهذا السوال تعريفه ان
قومه غيروا بعده وادعوا عليه ما لم يقله ومن دون الله صفة
لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه
تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة او القصور
فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا
ان عبادتهما توصل الى عبادة الله وكانه قيل اتخذوني وامي
الهين متوصلين بنا الى الله تعالى قال سبحانك اي تنزيها لك
من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي
ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وبدا بالتسبيح قبل الجواب

لامرين

لامرين احدهما تنزيها له عما اضيف اليه والثاني خضوعا لعزته
وخوفا من سطوته وروي ان عيسى عليه السلام لما قيل له انت
قلت للناس الاية اخذته الرعدة من ذلك القول حتى سمع صوت
عظامه والجمهور ان هذا القول يكون يوم القيمة وقال السدي
وغيره حين رفع الى السماء ان كنت قلته فقد علمته رد ذلك
الى علمه تعالى وقد كان عالما به انه لم يقله تعلم ما في نفسي ولا
اعلم ما في نفسك اي تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه
ولا اعلم ما تخفيه في معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة
وقيل المراد بالنفس الذات قال الماوردي النفس في اللغة
تطلق على معان الدم ونفس الحيوان وهما مستحيلان في حقه
تعالى ومنها الذات وله تعالى ذات في حقيقته وهو المراد بقوله
ذكرته في نفسي ومنها الغيب لقوله تعلم ما في نفسي انك انت
علام الغيوب تقرير للجملتين منطوقة ومفهومة ما قلت لهم
الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل
عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل
منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم
منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او
اعني ولا يجوز ابداله مما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول
القول ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى
وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى
بعده الا ان يوول القول بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا ما امرتني

به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا
عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان
فلما توفيتني بالرفع الى السما لقوله اني متوفيك ورافعك الي
والتوفي اخذ الشي وافيا والموت نوع منه قال الحسن الوفاة
في كتاب الله على ثلاثة اوجه وفاة الموت ووفاة النوم وهو
الذي يتوفاكم بالليل ووفاة الرفع كنت انت الرقيب عليهم اي
المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد
الى الدلايل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات وانت
على كل شي شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك
اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك
المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم
عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب
الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة فان عذبت فعدل وان غفرت
فتفضل منك وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه
لذاته وقيل قال ذلك على وجه الاستعطاف لهم والرافة بهم كما
يستعطف السيد لعبده وقيل قاله على وجه التسليم لامره وهو
يعلم انه لا يغفر للكافر وقيل الضمير من الها والميم في ان تعذبهم
لمن مات منهم على الكفر وفي تغفر لهم لمن تاب منهم قبل الموت وهذا
حسن وقال انك انت العزيز الحكيم ولم يقل انت الغفور الرحيم
على ما يقتضيه القصد من التسليم لامره والتفويض لحكمه ولو قال

فانك

فانك انت الغفور الرحيم لاوهم الدعا بالمغفرة لمن مات على شركه
والتقدير ان تبقهم على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فانهم عبادك
وان تهدهم الى توحيدك وطاعتك وتغفر لهم فانت العزيز الذي
لا يمتنع عليك ما تريده والحكيم فيما تفعله تضل من تشا وتهدي
من تشا فالعزيز الحكيم اليق من الغفور الرحيم لمكان عمومه فانه
يجمع الشرطين قال الله هذا اي يوم القيمة يوم ينفع الصادقين
صدقهم اي صدقهم في الدنيا فاما في الاخرة فلا ينفع وصدقهم
في الدنيا يحتمل ان يكون في العمل لله وان يكون تركهم الكذب عليه
وعلى رسله وقري يوم بالرفع خبر هذا اي هذا اليوم يوم ينفع
الصادقين وقري بالنصب على الظرف اي قال الله في ذلك اليوم
وخبر هذا محذوف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا رضي الله عنهم بطاعته ورضوا عنه بثوابه ذلك الفوز
العظيم بيان النفع والفوز العظيم الظفر الذي عظم خيره وكثر
وارتفعت منزلة صاحبه لله ملك السموات والارض بخزاين
المطر والنبات والرزق وغيرها وما فيهن وهو على كل شي
قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه
فاخبر تعالى ان ملك السموات والارض له دون عيسى وامه
ودون ساير المخلوقين ويجوز ان يكون المعنى الذي له ملك
السموات والارض يعطي الجنات المتقدم ذكرها للمطيعين من عباده
ولم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلا وقال وما فيهن اتباعا لهم غير
اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة

العبود به وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق

متناول للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم سورة الانعام

مكيه غير ست ايات او ثلاث من قوله قل تعالوا اتل اخرج الدارمي

وغيره عن عمر بن الخطاب موقوفا الانعام من نواجب القران ٭

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد اي الوصف بالجميل ثابت

لله وهل المراد بذلك الاعلام للايمان به او الثنا به او هما احتمالات

افيدها الثالث الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى

حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد

او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات

دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة

الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها ومعنى خلق اخترع

وتكون بمعنى قدر وفي الاية دليل على حدوث السموات والارض

وخصهما بالذكر لانهما اعظم المخلوقات للناظرين وجعل الظلمات

والنور اي انشاهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد

ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التصيير ولذلك عبر

عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما

كما زعمت الثنوية فذكر بعد خلق الجواهر الاعراض لكن الجوهر

لا يستغنى عنه وما لا يستغنى عن الحادث فهو حادث وجمع الظلمات

لكثرة اسبابها والاجرام الحايلة او لان المراد بالظلمة الضلال

وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وقال الجمهور المراد

سواد الليل وضيا النهار وقال الحسن الكفر والايمان وتقديم الظلمات

على

على النور لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد

النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف

العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم مع قيام هذا

الدليل بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله

حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون

فينكرون نعمته ويكفرون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشيا

اسبابا للتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفروا وعلى قوله خلق على

معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا

يقدر على شي منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان ٭

والبا على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون

عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون

والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به

فثم دالة على قبح فعل الكافرين ولو وقع العطف بالواو في هذا ونحوه

لم يلزم التوبيخ كلزومه بثم هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم

منه فانه المادة الاولى وان ادم الذي هو اصل البشر خلق منه

او المعنى خلق اباكم فحذف المضاف وقيل ان النطفة خلقها الله

تعالى من طين على الحقيقة ثم قلبها وفي الحديث ما من مولود الا

وقد ذر عليه من تراب حفرته القرطبي وعلى هذا يكون كل انسان

مخلوق من طين وما مهين كما اخبر في سورة المومنين فتنتظم الايات

والاحاديث ويرتفع الاشكال والتعارض ثم قضى اجلا مفعول

قضى واجل مسمى عنده ابتدا وخبر الضحاك اجلا اجل الموت

واجل مسمى اجل القيمه للحسن وغيره قضى اجلا يعني الدنيا من يوم
خلقك الى ان تموت واجل مسمى يعني الاخرة وقيل قضى اجلا هو ما تعرفه
من اوقات الاهله والزروع وما اشبهها واجل مسمى اجل الموت
لا يعلمه الانسان وقيل الاول قبض الارواح في النوم والثاني قبضها
عند الموت والاجل كما يطلق لاخر المده يطلق لجملتها واجل نكره
خصت بالصفه ولذلك استغني عن تقديم الخبر والاستيناف به
لتعظيمه ولذلك نكر واخبر بانه عنده فلا مدخل لغيره فيه بعلم
ثم انتم ايها الكفار تمترون اى تشكون في انه اله واحد وقيل
تمارون في ذلك اى تجادلون جدال الشاكين وثم لاستبعاد امترايهم
بعد ان ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من
قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقايها ما شا كان اقدر
على جمع تلك المواد واحيايها ثانيا فالاية الاولى دليل التوحيد
والثانية دليل البعث واصل المري استخراج اللبن من الضرع
وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم
الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غيره او المعظم او المتفرد
بالتدبير كقوله وهو الذي في السما اله وفي الارض اله او بقوله
يعلم سركم وجهركم ما تسرون وما تجهرون به بينكم والجملة خبر
ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما
كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او
ظرف مستقر وقع خبرا يعني انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما
ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان
صلته

صلته لا تتقدم والقاعدة تنزيه الله تعالى عن الحركة والانتقال
وشغل الامكنه ويعلم ما تكسبون تعملون من خير وشر فيثيب
عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال
الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح والكسب لفعل لاجتلاب نفع
او دفع ضر ولهذا لا يقال لفعل الله كسب وما تاتيهم اى اهل مكة
من اية من ايات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانيه
للتبعيض اى ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات
كانشقاق القمر ونحوه او اية من ايات القران الا كانوا عنها معرضين
تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
يعني القران وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين
عن الايات كلها كذبوا بما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما
اعرضوا عن القران وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف لا يعرضون
عن غيره ولذلك رتب عليه الفا فسوف ياتيهم انبا ما كانوا به
يستهزون اى سيظهر لهم عواقب ما كانوا به يستهزون عند
نزول العذاب بهم في الدنيا او هو ما نالهم يوم بدر او الاخره او
ظهور الاسلام وارتفاع امره وقيل الحق محمد صلى الله عليه وسلم
والانبا الاخبار كقولك اصبر فسوف ياتيك الخبر الم يروا في اسفارهم
الى الشام وغيرها كم اهلكنا من قبلهم من قرن اى من اهل زمان والقرن
مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنه وقيل ثمانون وقيل
القرن اهل عصر فيه نبي او فايق في العلم قلت المدة او كثرت
وقيل مائة سنة وعليه اكثر اصحاب الحديث وكم خبريه بمعنى كثير

في موضع نصب باهلكنا الا بقوله الم يروا الان لفظ الاستفهام
لا يعمل فيه ما قبله وانما يعمل فيه ما بعده من اجل ان له صدر
الكلام مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا واعطيناهم من القوى
والالات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم اى
ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل مكة وما لم نعطكم
من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وهو
خروج من الغيبة الى الخطاب قال اهل البصرة اخبر عنهم بقوله الم يروا
وفيهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم خاطبهم معهم والعرب
تقول قلت لعبد الله ما اكرمه وقلت له ما اكرمك وارسلنا السما
عليهم اى المطر او السحاب مدرارا اى متتابعا وهو المطر الكثير وعبّر
عنه بالسما لانه من السما ينزل وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم
اى من تحت اشجارهم ومنازلهم ومنه قول فرعون وهذه الانهار
تجرى من تحتى والمعنى وسعنا عليهم النعم فعاشوا في الخصب والريف
بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اى بتكذيبهم الانبيا
فالذنوب سبب الانتقام وزوال النعم والمعنى لم يغن عنهم ذلك
شيا وانشانا اى احدثنا واوجدنا من بعدهم قرنا اخرين بدلا منهم
والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشى مكانهم
اخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك
كتابا في قرطاس اى مكتوبا في رق فلمسوه بايديهم وتخصيص
اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت
ابصارنا لانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدى
لرفع

لرفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السما والمعنى
لو نزلنا يا محمد بمراى منهم كما زعموا وطلبوا كلاما مكتوبا في قرطاس
وعاينوه ومسوه باليد كما اقترحوا وبالغوا في ميزه وتقليبه جسا
بايديهم ليرتفع كل ارتياب ويزول عنهم كل اشكال لقال الذين كفروا
ان ما هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وهذه الاية جواب لقولهم
حتى تنزل علينا كتابا نقروه وقالوا لولا انزل عليه ملك اى هلا
انزل على محمد ملك يكلمنا انه نبى كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضى الامر بهلاكهم وهو جواب لقولهم وبيان
لما هو المانع مما اقترحوه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه
كما اقترحوا ولم يومنوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك
فيمن قبلهم ابن عباس لو راوا الملك على صورته لماتوا اذ لا يطيقون
رويته وقال مجاهد وعكرمة لقامت الساعة ثم لا ينظرون يمهلون
لتوبة او معذرة بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه اى المنزل اليهم
ملكا لجعلناه اى الملك رجلا اى على صورته ليتمكنوا من رويته
وللبسنا عليهم ما يلبسون اى مثل جبريل في صورة دحيه الكلبى
فان القوة البشريه لا تقوى على روية الملك في صورته وانما راهم
كذلك الافراد من الانبيا بقوتهم القدسيه وللبسنا عليهم ما يلبسون
جواب محذوف اى ولو انزلناه وجعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا
عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقيل
المعنى لا يستطيعون ان يروا الملك في صورته الا بعد التجسم لان
كل جنس يانس بجنسه وينفر من غير جنسه فلو جعل الله الرسول

الى البشر ملكا لنفروا منه ودا خلهم من الرعب من كلامه ما يكفهم
عن كلامه ويمنعهم من سواله فلا تعم المصلحة ولو نقله عن صورة
الملكية الى صورتهم ليسكنوا اليه ويانسوا به لقالوا لست ملكا ٥
وانما انت بشر فلا نومن بك وقال الزجاج المعنى وللبسنا على روسائهم
كما يلبسون على ضعفائهم فاعلم الله انه لو انزل ملكا في صورة رجل
لوجدوا سبيلا الى اللبس كما يفعلون وقال للبسنا بالاضافة الى
نفسه على جهة الخلق وقال ما يلبسون فاضاف اليهم على جهة
الاكتساب ثم عزى نبيه بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون اى نزل بهم واحاط الذى
كانوا به يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او نزل بهم وبال استهزائهم
فكذلك تحيق بمن استهزا بك قل لهم سيروا في الارض ثم انظروا
كيف كان عاقبة المكذبين اى كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال
كى تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ٥
ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك هاهنا والعاقبة اخر الامر
والمكذبين هم من كذب الحق واهله قل لمن ما في السموات والارض
خلقا وملكا وهو سوال تبكيت قل لله تقرير له وتنبيه على انه
المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره وقيل المعنى
فان قالوا لمن هو فقل لله واذا ثبت انه له ما في السموات والارض وانه
خالق الكل اما باعترافهم او بقيام الحجة عليهم فالله قادر على ان
يعاجلهم بالعقاب ولكنه كتب على نفسه الرحمة اى وعدها فضلا
منه وكرما فلذلك امهل وعلى هنا لتاكيد التفضيل لا للايجاب
والاستحقاق

والاستحقاق وكذا في نحو قوله ان علينا حسابهم لتاكيد المجازاة
وذكر النفس عبارة عن وجوده وارتفاع الوسايط ومعنى الكلام
الاستعطاف منه تعالى للمتولين عنه الى الاقبال عليه والمراد
بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم
بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم
الى يوم القيمة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم
النظر اى ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على
شرككم وقيل الى بمعنى في اى في يوم القيمة لا ريب شك فيه اى
في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو
الفطرة الاصلية والعقل السليم ومعنى خسروا انفسهم اهلكوها
بتركهم الايمان وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اى
انتم الذين او على الابتدا والخبر فهم لا يومنون والفا للدلالة
على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم وله تعالى عطف على لله ٥
ما سكن في الليل والنهار اى ثبت او حل وقيل معناه هدى ٥
واستقر والمراد ما سكن وما تحرك فحذف لعلم السامع وخص
الساكن بالذكر لان ما يعمه السكون اكثر مما تعمه الحركة وقيل
من السكنى والمعنى ما اشتمل عليه من كل شي فهو ربه وخالقه
ومالكه ونزلت لما قال المشركون قد علمنا انه ما يحملك على
ما تفعل الا الحاجة فنحن نجمع لك من اموالنا حتى تصير اغنانا
فاخبرهم ان جميع الاشيا لله وهو السميع لكل مسموع العليم بكل
معلوم فلا يخفى عليه شي ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على

اقوالهم وافعالهم قل لهم اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا
لا لاتخاذ الولي والمراد بالولي المعبود او الناصر فاطر السموات
والارض اى مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى
اتاني اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اى ابتداتها
وجره على الصفة لله بمعنى الماضي وهو يطعم ولا يطعم اى يرزق
ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ بعكس الاول
على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات
والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانيه وقرئ بيناءهما للفاعل
على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى الله يقبض
ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لله من هذه الامة
لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين به اى وقيل
لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي
عذاب يوم عظيم بعبادة غيره مبالغة اخرى في قطع اطماعهم
وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض
بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة والخوف
توقع المكروه ابن عباس اخاف بمعنى اعلم من يصرف بالبنا للمفعول
عنه يومئذ يوم القيمة اى يصرف العذاب وقرئ يصرف على ان
الضمير فيه لله والمفعول محذوف فقد رحمه نجاه وانعم عليه
وذلك اى الصرف والرحمة الفوز المبين النجاة البينة وان
يمسسك الله بضر اى ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له اى فلا
قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير اى بنعمة كصحة وغنى
فهو

فهو على كل شي قدير اى فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر
غيره على رفعه لقوله فلا راد لفضله والمس والكشف من صفات
الاجسام وهو هنا مجاز وتوسع وهو القاهر اى الغالب الذي لا يعجزه
شي فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبه والقدره وفي القهر
معنى زايد ليس في القدرة وهو منع غيره من بلوغ المراد وهو الحكيم
في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل لهم اى شي اكبر
شهادة تمييز محول عن الابتدا نزل حين قال قريش يا محمد لقد سالنا
عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفه
فارنا من يشهد لك بانك رسول الله والشي يقع على كل موجود قل الله
اى الله اكبر شهادة اى ان لم تقولوه لا جواب غيره ثم ابتدا شهيد
بيني وبينكم اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب
لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شي شهادة والمعنى انفراده
بالربوبيه وقيام البراهين على توحيده اكبر شهادة واعظم فهو
شهيد بيني وبينكم على ما قلته وادعيته في الرسالة واوحي الي
هذا القران لانذركم به اى بالقران واكتفى بذكر الانذار عن ذكر
البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل
مكة وساير من بلغه من الاسود والاحمر من الثقلين او لانذركم ايها
الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القران
تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعده وانه لا يواخذ بها من لم يبلغه
اينكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى استفهام توبيخ وانكار قل
لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اى بل اشهد انه لا اله الا

هو وانني برئ مما تشركون معه من الاصنام الذين اتيناهم الكتاب
يعني اليهود والنصارى يعرفونه اي يعرفون رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحليته المذكورة في التوراة والانجيل كما يعرفون ابناهم
بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم
لا يومنون به لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اي لا احد
اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه او بقولهم
الملائكة بنات الله وهولاء شفعاؤنا عند الله او كذب بآياته
كأن كذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكراو وهم جمعوا
بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم
على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون بذلك فضلا ممن
لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا
للامر على معنى واذكر وقيل معناه انه لا يفلح الظالمون في الدنيا
ويوم نحشرهم ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي الهتكم التي
جعلتموها شركاء الله الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركا فحذف
المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين
الهتهم حينئذ ويحتمل ان يشاهدوها ولكن لما لم تنفعهم كانها
غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته
وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب
اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب ولانهم
قصدوا به الخلاص وقرئ لم يكن بالياء وفتنتهم بالرفع على انه الاسم
وبالنصب على ان الاسم ان قالوا اي قولهم وقرئ بالتاء بالرفع والنصب

والله ربنا بالجر نعت وبالنصب ندا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون
عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون
ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين
عند انفسنا وهو لا ينافي قوله تعالى انظر يا محمد كيف كذبوا على
انفسهم اي بنفي الشرك عنها وضل عنهم ما كانوا يفترونه من الشركا
وقال ابن عباس يغفر الله لاهل الاخلاص ذنوبهم ولا يتعاظمه ذنب
فاذا راى المشركون ذلك قالوا ربنا يغفر الذنوب ولا يغفر الشرك
فتعالوا نقول انا كنا اهل ذنوب ولم نكن مشركين فيختم على افواههم
فتنطق ايديهم وتشهد ارجلهم فعند ذلك عرف المشركون ان الله لا يكتم
حديثا وقال الزجاج تاويل هذه الاية لطيف جدا لانه تعالى اخبر
بقصص المشركين وافتتانهم بشركهم ثم اخبر ان فتنتهم لم تكن حين
راوا الحقايق الا ان انتفوا من الشرك ونظيره هذا ان ترى انسانا
يحب غاويا فاذا وقع في هلكة تبرا منه فيقول ما كانت محبتك اياه
الا ان تبرات منه وقال الحسن هذا خاص في المنافقين جروا على
عادتهم في الدنيا فكذب المشركين في قولهم ان عبادة الاصنام
تقربهم الى الله زلفى وظنوا ذلك وظنهم الخطا لا يعذرهم ولا يزيل
عنهم اسم الكذب وكذب المنافقين اعتذارهم بالباطل ومعنى ضل
تلاشى وبطل او غاب والمراد بالنظر هنا نظر الاعتبار ومنهم من
يستمع اليك حين تتلوا القران والمراد ابو سفيان والوليد والنضر
وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها

بينه ما ادري ما يقول الا انه تحرك لسانه ويقول اساطير الاولين
مثل ما احدثكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه
حقا فقال ابو جهل كلا وجعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية جمع
كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه اي كراهة ان او لئلا يفقهوه
اي فعلنا بهم ذلك مجازاة على كفرهم وفي اذانهم وقرا اي ثقلا يمنع
من استماعه او لا يسمعونه سماع قبول وان يروا كل اية لا يومنوا
بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك
اي بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي تقع
بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان
ما هذا القران الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث
خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم وتجوز
ان يكون حتى جارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك جواب
ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل كالاضاحيك والاعاجيب
جمع اسطوره بالضم واسطاره او اسطار جمع سطر واصله بمعنى
الخط وعن ابن عباس مجادلتهم قولهم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون
ما قتل الله وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القران او الرسول
والايمان به وينأون عنه بانفسهم اي يتباعدون او ينهون عن
التعرض لرسول الله وينأون عنه فلا يومنون به كابي طالب والنهي
الزجر والناي البعد وان يهلكون الا انفسهم اي وما يهلكون
بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم
ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اي لو تراهم

حين

حين يوقفون على النار اي يعاينونها او يطلعون عليها او
يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا او اسوأ
حالا او منظرا عجيبا او هايلا وما كان مثله فحذف الجواب
ليذهب الوهم الى كل شي فيكون ابلغ وترك الخطاب مع معين
الى غيره ليعم الخطاب كل مخاطب على سبيل البدل فهو لم يرد
مخاطبا معينا قصدا الى تفظيع حالهم اي تناهت حالهم في
الظهور الى حيث يمتنع خفاوها فلا تختص براء دون اخر
وحينيذ فلا يختص به مخاطب بل كل من يتاتى منه الروية
له مدخل في ذلك وقيل المعنى ولو ترى يا محمد فقالوا يا للتنبيه
ليتنا نرد الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المومنين
برفع الفعلين استيناف كلام منهم على وجه الاثبات فيكون
غير داخل في التمني قال سيبويه وهذا كقولك دعني ولا اعود
اي انا لا اعود تركتني ام لم تتركني فاستدل ابو عمرو على خروجه
من التمني بقوله وانهم لكاذبون لان الكذب لا يكون في التمني انما
يكون في الخبر او هو عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون
في حكم التمني واجاب الزمخشري عن استدلال ابي عمرو بانه
متضمن معنى العدة فيتعلق به الكذب والمعنى وانهم لكاذبون في
الدنيا في انكارهم البعث وتكذيبهم الرسل وقرئ بنصب نكذب
ونكون جوابا للتمني فهما داخلان في التمني على معنى انهم تمنوا الرد
وترك التكذيب والكون مع المومنين وقرئ برفع الاول على العطف
ونصب الثاني على الجواب قال تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من

قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم
ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبايح اعمالهم او من قولهم والله ما كنا
مشركين بشهادة جوارحهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا
لامنوا ولو ردوا اى الى الدنيا فرضا بعد الوقوف والظهور لعادوا
لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم
من الايمان وقيل كانوا اذا وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم
خافوا واخفوا ذلك الخوف لئلا يفطن به ضعفاؤهم فيظهر يوم
القيمة ولهذا قال الحسن بدا لبعضهم ما كان تخفيه عن بعض وقيل
المعنى بدا لهم جزا كفرهم الذي كانوا تخفونه وقالوا ان ما هي الا حياتنا
الدنيا والضمير للحياة وما نحن بمبعوثين وهو ابتدا اخبار عنهم عما
قالوه في الدنيا وهم منكروا البعث وقال ابن زيد هو داخل في قوله
ولو ردوا لعادوا وقالوا اى لعادوا الى الكفر واشتغلوا بلذة الحال
وهذا يحمل على المعاند او على ان الله يلبس عليهم بعد ما عرفوه
وهذا سايغ في العقل ولو ترى اذ وقفوا اى عرضوا او حبسوا على
ربهم اى على ما يكون من امر الله فيهم وقيل على بمعنى عند اى عند
ملايكته وجزايه وحيث لا سلطان فيه لغير الله او المعنى عرفوه
حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه جواب قايل قال ماذا قال
ربهم حينيذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث
وما يتبعه من الثواب والعقاب وقيل جواب لو محذوف لعظم
شان الوقوف كما تقدم قالوا بلى وربنا اقرار موكد باليمين لانجلا
الامر غاية الانجلا وقيل ان الملايكة تقول لهم بامر الله فيقولون

بلى

بلى وربنا انه لحق قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون به في الدنيا
اى بسبب كفركم او بدله قد خسر الذين كذبوا بلقا الله اذ فاتهم
النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقا الله البعث وما يتبعه
حتى اذا جاتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية
له بغتة اى فجاة ونصبها على الحال او المصدر فانه نوع من المجيء
وسميت القيامة بالساعة لسرعة الحساب فيها قالوا يا حسرتنا
اى تعالى فهذا اوانك فاحضري وقع النداء على الحسره وليست بمناد
ولكنه يدل على كثرة التحسر ومثله يا للعجب وللحسرة شدة التالم
وقيل هو تنبيه للناس على عظيم ما يحل بهم من الحسره على ما فرطنا
فيها اى قصرنا في الحياة الدنيا اضمرت وان لم تجر ذكرها للعلم بها
او في الساعة اى في شانها والايمان بها وقال الطبري الها راجعة
للصفقة وترك ذكرها لدلالة الكلام عليها لان الخسران لا يكون
الا في صفقة بيع وقيل فرطنا في التقدمة لها واصله التقدم ومنه
الفارط اى المتقدم للما فالمعنى قدمنا العجز وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام فهو مجاز وتوسع
وتشبيه بمن يحمل ثقلا وقيل تاتيهم عند البعث في اقبح شي صورة
وانتنه ريحا فتركبهم الا ساء ما يزرون اى بيس شي يزرونه
وزرهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها والاشتغال
بها الا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دايمة
ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم وما هي الا حياتنا الدنيا قال
ابن عباس هذه حياة الكافر لانه يزجيها في غرور وباطل فاما

جياة المومن فتنطوى على اعمال صالحة فلا تكون لعبا ولهوا وللدار
الاخرة اى الجنة لبقائها وخلوص منافعها ولذاتها خير للذين
يتقون الشرك فان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وسميت
الاخرة لتاخرها عنا والدنيا لدنوها منا وقرئ ولدار الاخرة
بلام واحده والاضافة على تقدير حذف المضاف اى ولدار الحياة
الاخره افلا يعقلون ان الامر هكذا فيزهدوا فى الدنيا او اى
الامرين خير وقرئ بالتا على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين
على الغايبين قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون لك من التكذيب
قد لزيادة الفعل وكثرته كقوله
ولكنه قد يهلك المال نايله • والهاء فى انه للشان فانهم لا يكذبونك
فى السر او الحقيقة لعلمهم انك صادق وقرئ لا يكذبونك بالتخفيف
من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون اى ولكنهم يجحدون ايات الله ويكذبونها
فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او
جحدوا لتمرنهم على الظلم والبا لتضمين الجحود معنى التكذيب قال
ابو ميسره مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى جهل واصحابه
فقالوا يا محمد والله ما نكذبك وانك عندنا الصادق ولكنا
نكذب ما جيت به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك
ليس بنفى تكذيبهم مطلقا والتنكير للتعظيم والتكثير معا اى رسل
عظام ذو عدد كثير فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذايهم
فتاس

فتاس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا اى عوننا فسياتيك ما وعدت به
وفيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله اى لمواعيده
فما وعد الله به لا يقدر احد ان يدفعه فلا خلف لوعده ولا نقض
لحكمه ولكل اجل كتاب وقد قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين الايات وقال تعالى لاغلبن انا ورسلى ولقد جاءك من نبا
المرسلين اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم ما يسكن به قلبك
وان كان كبر اى عظم وشق عليك اعراضهم عنك وعن الايمان بما جيت
به لحرصك عليهم فان استطعت اى قدرت ان تبتغى نفقا اى سربا
ومنه النافقا لجحر اليربوع فى الارض او سلما فى السما فتاتيهم باية
اى منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم اية مما اقترحوا او
مصعدا تصعد فيه الى السما فتنزل منها اية اخرى وفى الارض صفة
لنفقا وفى السما صفة لسلما ويجوز ان يكون متعلقين بتبتغى او
حالين من المستكن وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل
والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه
وانه لو قدر ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السما لاتى بها
رجا ايمانهم فامر الله نبيه ان لا يشتد حزنه عليهم اذ كانوا لا يومنون
كما انه لا يستطيع هذا فالمعنى انك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله
ولو شا الله لجمعهم على الهدى اى ولو شا الله هدايتهم لوفقهم للايمان
حتى يومنوا ولكن لم تتعلق به مشيته والمعتزلة اولوه بانه لو شا
لاتاهم باية ملجية ولكنه لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من
الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر والمعنى لا تحزن

على كفرهم فتقارب حال الجاهلين وقيل الخطاب له والمراد امته
فان قلوب المسلمين كانت تضيق من كفرهم واذايتهم انما يستجيب الذين
يسمعون اى انما تجيب دعاك الى الايمان الذين يسمعون سماع اصغا
وتفهم وهم المومنون الذين يقبلون ما يسمعون فينتفعون به
والموتى يبعثهم الله فى الاخرة وهم الكفار الذين هم بمنزلة الموتى فى
عدم السماع وقيل هم كل من مات يبعثهم الله الى الحساب ثم اليه
يرجعون يردون للجزا وقالوا اى كفار مكة لولا نزل عليه اية من ربه
اى اية مما اقترحوه كالناقة والعصا والمايده او اية اخرى سوى
ما انزل من الايات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل لهم
ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية تضطرهم الى
الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الله قادر على انزالها او ان انزالها يستجلب عليهم البلا لوجوب
هلاكهم ان جحدوها وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وكان فى
علم الله تعالى ان يخرج من اصلابهم اقواما يومنون ولم يرد استيصالهم
وقال الزجاج طلبوا ان يجمعهم على الهدى جمع الجاء وما من صلة
دابة فى الارض تدب على وجهها ولا طاير يطير بجناحيه فى الهوى
وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها فان العرب تستعمل الطيران
لغير الطير الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها
واجالها وخص بالذكر ما فى الارض دون ما فى السما لانه الذى يعرفونه
ويعاينونه وقيل مثلنا فى التسبيح والدلالة على وحدانيته تعالى
والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره

ليكون

ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل اية وجمع الامم وقال
ابو هريرة هى امثال الناس على معنى انها تحشر غدا حتى يقتص للجما
من القرنا وقال سفيان بن عيينة ما صنف من الدواب والطير
الا وفى الناس شبه منهم فمنهم من يعدو كالاسد ومنهم من يشره
كالخنزير ومنهم من يعوى كالكلب ومنهم من يزهو كالطاوس وغير
ذلك ما فرطنا تركنا فى الكتاب من شيء يعنى اللوح المحفوظ فانه
مشتمل على ما يجرى فى العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان
ولا جماد او القران فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين
مفصلا او مجملا يتلقى بيانه من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن
الاجماع والقياس الذى ثبت بالنص ومن زايدة وشى فى موضع
المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى بفى الى
الكتاب ثم الى ربهم يحشرون يعنى الامم كلها فيقتص لبعضها من
بعض ثم يقول كونوا ترابا وعن ابن عباس حشرها موتها وبه قال
الضحاك ويدل للاول حديث مسلم لتودن الحقوق الى اهلها يوم
القيمة حتى يقاد للشاة الجلحا من الشاة القرنا وتحشر البهايم قال
ابوذر رواه ابو هريرة والحسن وغيرهم وهو الاصح للاية وللخبر
وفى التنزيل واذا الوحوش حشرت وقال جماعة هذا الحشر للكفار
وما تخلل كلام معترض والذين كذبوا باياتنا القران صم لا يسمعون
مثل هذه الايات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته
سماعا تتاثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق وكل امة من الدواب
وغيرها تهتدى لمصالحها والكفار لا يهتدون فى الظلمات خبر ثالث

اي خابطون في ظلمات الكفر وظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد
ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر وقال ابو علي يجوز ان يكون
المعنى صم وبكم في الاخرة فيكون حقيقة وفي القيمة ظلمة من يشا الله
يضلله اي من يشا الله اضلاله يضله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة
ومن يشا هدايته يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى
ويحمله عليه قل يا محمد لاهل مكة ارايتكم استفهام تعجيب اي اخبروني
والكاف حرف خطاب اكد به الضمير لا محل له من الاعراب لانك تقول
ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون
لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل ولزم في الاية ان يقال ارايتموكم بل
الفعل معلق او الفعل محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها
ان اتاكم عذاب الله في الدنيا كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها
ويدل عليه اغير الله تدعون لا وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان
الاصنام الهة تنفعكم وجوابه محذوف اي فادعوه والاية في محاجة
من اعترف ان له صانعا من المشركين اي انتم عند الشدايد ترجعون
الى الله وسترجعون يوم القيمة اليه ايضا فلم تصرون على الشرك
في حال الرفاهية وكانوا يعبدون الاصنام ويدعون الله في صرف
العذاب بل اياه تدعون اضراب عن الاول وايجاب للثاني اي بل
تخصونه بالدعا كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة
التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه عنكم
من الضر وغيره ان شا ان يتفضل عليكم ولا يشا في الاخرة وتنسون
ما تشركون اي وتتركون الهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول انه

القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله
ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك ومن زايدة وفيه اضمار اي
رسلا وفيه اضمار اخر اي فكفروا وكذبوا فاخذناهم بالباسا اي بالشدة
والفقر والضرا الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما وقيل
الباسا المصايب في الاموال والضرا في الابدان لعلهم يتضرعون اي
يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم فلولا فهلا اذ جاهم باسنا عذابنا
تضرعوا فلم يتضرعوا انفى تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم
ويجوز ان يكونوا تضرعوا تضرع من لم يخلص او تضرعوا حين لابسهم
العذاب وهو غير نافع ولكن قست قلوبهم اي صلبت وغلظت وهي
عبارة عن الاصرار على المعصية وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون
اي اغراهم بالمعاصي وحملهم عليها فاصروا عليها وهو استدراك
على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة
قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا تركوا
ما ذكروا به من الباسا والضرا ولم يتعظوا به فتحنا بالتخفيف
والتشديد عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مزاوجة عليهم
بين نوبتي الضرا والسرا وامتحانا لهم بالشدة والرخا الزاما للحجة
وازاحة للعلة او مكرا بهم لما انه عليه الصلاة والسلام قال
مكر بالقوم ورب الكعبة حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم
وبطروا واشتغلوا بالنعم عن المنعم والقيام بحقه وظنوا ان ذلك هم
العطا لا يبيد وانه دال على رضى الله عنهم اخذناهم بغتة اي استاصلناهم
فجاة وهي الاخذ على غرة من غير تقدمة امارة فاذا هم مبلسون اي

متحسرون ايسون والمبلس الباهت الحزين الايس من الخير وقيل
الذى لا يحير جوابا لشدة ما نزل به فقطع دابر القوم الذين ظلموا
اى اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره اذا تبعه والحمد لله رب
العالمين على اهلاكهم ونصر الرسل فان هلاك الكفار والعصاة
من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم واعمالهم نعمة جليلة
يجب ان يحمد عليها وقيل هو تعليم للمومنين قل ارايتم يا اهل مكة ان
اخذ الله سمعكم وابصاركم اى اصمكم و وحد السمع لانه مصدر يدل
على الجمع وختم على قلوبكم بان يغطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من
اله غير الله ياتيكم به اى بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد
هذه المذكورات ثم قيل المراد المعانى القايمة بهذه الجوارح وقد
يذهب الله الجوارح والاعراض جميعا فلا يبقى شيا ومن رفع بالابتدا
وخبرها اله وغير صفة له وكذلك ياتيكم ومخرجها مخرج الاستفهام
والجملة التى هى منها فى موضع مفعولى ارايتم ومعنى ارايتم اعلمتم او
اخبرونى انظر كيف نصرف الايات الدالة على وحدانيتنا نكررها
تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب
وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون اى
يعرضون عنها فلا يومنون وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف
الايات وظهورها قال ابو سفيان عجبت لحلم الله عنا وقد بدا له
صدقا عن كل حق منزل قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير
مقدمة او جهرة بتقدمها امارة توذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا
قاله الحسن هل يهلك اى ما يهلك به هلاك سخط و تعذيب

الا

الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثنا المفروغ منه والظلم
هنا الشرك اى ما يهلك الا انتم لشرككم وما نرسل المرسلين الا
مبشرين المومنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم
ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن امن بهم واصلح ما يجب اصلاحه على
ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت
الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا
لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بالتعريف عن التوصيف
بما كانوا يفسقون اى بسبب خروجهم عن الطاعة قل لهم لا اقول لكم
عندى خزاين الله اى مقدوراته او خزاين رزقه ولا انى اعلم الغيب
ما غاب عنى ولم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول
ولا اقول لكم انى ملك اى من جنس الملايكة او اقدر على ما يقدرون
عليه ان ما اتبع الا ما يوحى الى تبرا عن دعوى الالوهية والملايكة
وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر رد الاستبعادهم دعواه
وظاهره انه لا يقطع امرا الا اذا كان فيه وحى والصحيح ان الانبياء
يجوز منهم الاجتهاد والقياس على النصوص قل هل يستوى الاعمى
والبصير مثال للضال والمهتدى او الجاهل والعالم افلا تتفكرون
فى ذلك فتومنون او فتميزوا بين ادعا الحق والباطل او انه لا يستوى
الاعمى والبصير وانذر به الضمير لما يوحى الى اى القران او الله وقيل
اليوم الاخر الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المومنون المفرطون
فى العمل او المجوزون للحشر مومنا كان او كافرا دون الجازمين باستحا
ليس لهم من دونه اى غيره ولى ينصرهم ولا شفيع يشفع لهم وجملة النفى

في موضع الحال من ان يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال
وقيل هو رد على اليهود والنصارى في زعمهما ان اباءهم تشفع لهم
والمشركين حيث جعلوا اصنامهم شفعاء لهم عند الله فاعلم الله
ان الشفاعة لا تكون للكفار ومن قال الاية في المومنين قال
الشفاعة تكون باذن الله لعلهم يتقون اي لكي يتقوا الله باقلاعهم
عما هم فيه وعمل الطاعات ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي بعدما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين
وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم لو طردت هولاء الاعبد يعنون فقرا المسلمين كعمار
وصهيب وخباب وسلمان وبلال جلسنا اليك وحادثناك فقال
ما انا بطارد المومنين قالوا فاقمهم عنا اذا جينا قال نعم وهم بذلك
وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر ماذا يصيرون فدعا
عليا ليكتب فقام الفقرا وجلسوا ناحية فنزلت الاية وكان النبي
صلى الله عليه وسلم انما مال الى ذلك طمعا في اسلامهم واسلام
قومهم وراى ان ذلك لا يفوت اصحابه شيا ولا ينقص لهم قدرا
فنهاه الله عما هم به من الطرد لا انه اوقع الطرد والمراد بذكر
الغداة والعشي الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر وقال ابن عباس
يحافظون على الصلاة المكتوبة في الجماعة وقيل المراد الذكر
وقراة القران وقرى بالغدوة بالواو وهما لغتان يريدون بعبادتهم
وجهه تعالى لا اشيا من اعراض الدنيا وهو حال من يدعون اي يدعون
ربهم مخلصين فيه وتقييد الدعا بالاخلاص تنبيه على انه ملاك
الامر

الامر وخص الغداة والعشي بالذكر لان الشغل غالب فيهما على الناس
ومن كان في وقت الشغل مقبلا على العبادة كان في وقت الفراغ اعمل
ما عليك من حسابهم من شي وما من حسابك عليهم من شي اي ليس
عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان
لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم
لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل
ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
لا تواخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد
المومنين طمعا فيه واذا كان الامر كذلك فاقبل عليهم وجالسهم ولا
تطردهم مراعاة لحق من ليس على مثل حالهم في الدين والفضل فتطردهم
اي فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي اي فان
فعلت كنت ظالما وحاشاه من وقوع ذلك وانما هذا بيان للاحكام
ولئلا يقع مثل ذلك من غيره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك يصبر نفسه معهم كما امره في قوله واصبر نفسك على
ما ياتي وكان لا يقوم حتى يكونوا هم الذين يبتدئون القيام وكذلك
فتنا بعضهم ببعض اي ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس
في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض اي الشريف بالوضيع
والغني بالفقير فقدمنا هولاء الضعفا على اشراف قريش بالسبق الى
الايمان ليقولوا اي الشرفا والاغنيا منكرين اهولاء من الله عليهم
من بيننا اي اهولاء من الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم
دوننا ونحن الاكابر والروسا وهم المساكين والضعفا وهو انكار

لان يخص هولا من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان
خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا يتضمن
معنى خذلنا وقال النحاس هذا من المشكل لانه يقال كيف فتنوا ليقولوا
لانه ان كان انكارا فهو كفر منهم وفي هذا جوابان احدهما ان المعنى
اختبر الاغنيا بالفقراء ان تكون مرتبتهم واحدة عند النبي صلى الله
عليه وسلم ليقولوا على سبيل الاستفهام لا على سبيل الانكار اهولا
من الله عليهم من بيننا والجواب الاخر انهم لما اختبروا بهذا فال
عاقبته الى ان قالوا هذا على سبيل الانكار وصار مثل قوله فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قال تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين
اي بمن يقع منهم الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله ه
بلى فهو استفهام تقرير واذا جاءك الذين يومنون باياتنا فقل لهم
سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يومنون هم الذين
يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقران واتباع الحجج بعدما وصفهم
بالمواظبة على العبادة وامران يبداهم بالتسليم او يبلغ سلام الله
اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا
بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب
ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله تعالى بالسلامة في الدنيا
والرحمة في الاخرة وقيل ان قوما جاوا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيا فانصرفوا
فنزلت وقال ابن عباس نزلت الاية في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي
ومعنى كتب قضى واوجب ذلك بخبره الصادق ووعده الحق
نحو طلب

نحو طلب العباد على ما يعرفون من ان من كتب شيا فقد اوجبه
وقيل كتب ذلك في اللوح المحفوظ انه اي الشان من عمل منكم سوءا
استيناف بتفسير الرحمة وقرئ بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع
الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد
كعمر فيما اشار اليه او متلبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يودي
الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل وقال مجاهد بجهالة لا يعلم
حلالا من حرام وقيل من آثر العاجل على الاخرة فهو الجاهل ثم تاب
رجع من بعده اي من بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم
على ان لا يعود فانه الله غفور له رحيم به فتحه من فتح الاول على
اضمار مبتدا او خبر اي فامره او فله الغفران وكذلك اي ومثل
ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات اي ايات القران في صفة
المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل
المجرمين قرئ بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتتوضح يا محمد سبيلهم
فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل قال الزجاج ه
والخطاب له خطاب لامته وقرئ بالرفع على معنى ولتتبين سبيلهم
وقرئ بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويونث ولم يذكر
سبيل المومنين قيل هو مثل سرابيل تقيكم الحر وقيل انه اذا استبان
سبيل المجرمين فقد بان سبيل المومنين وقيل ولتستبين سبيل
المجرمين فتجتنب قل اني نهيت اي صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة
وانزل علي في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله اي
عن عبادة ما تدعون من دون الله او ما تدعونها الهة اي تسمونها

قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهى
وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع
الحجة ولا يقلد والمعنى لا اتبع اهواكم فيما طلبتموه من عبادة هذه
الاشيا وفى طرد من اردتم طرده قد ضللت اذا اى ان اتبعت هواكم
فقد ضللت وما انا من المهتدين اى فى شى من الهدى حتى اكون من
عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل انى على بينة اى على بيان او
دلالة واضحة وهى التى تفصل الحق عن الباطل وقيل المراد بها القران
والوحى او الحجج العقلية او ما يعمها من ربى اى من معرفته وانه لا معبود
سواه وكذبتم به الضمير لربى اى كذبتم به حيث اشركتم به
غيره او للبينة باعتبار المعنى لانها فى معنى البيان وقيل بالقران وقيل
بالعذاب ما عندى ما تستعجلون به يعنى العذاب الذى استعجلوه
بقولهم فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم فانهم
لفرط تكذيبهم يستعجلون نزوله استهزا وقيل ما عندى الايات
التى يقترحونها ان ما الحكم الا لله فى ذلك وفى غيره ومنه تعجيل
العذاب وتاخيره يقص الحق اى القضا الحق او يصنع الحق ويدبره
واصل القضا الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع
الباطل وقرى يقص اى يقول من قص الاثر او قص الخبر كما قال نقص
عليك احسن القصص وهو خير الفاصلين اى الحاكمين او القاضين
والفصل لا يكون الا قضا قل لهم لو ان عندى اى فى قدرتى ومكنتى
ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم اى لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربى وانقطع ما بينى وبينكم والاستعجال طلب تعجيل الشى

قبل وقته

قبل وقته والله اعلم بالظالمين فى معنى الاستدراك كانه قال
ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغى ان يوخذ وبمن ينبغى ان يمهل
وعنده مفاتح الغيب اى خزاينه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما
يتوصل به الى المغيبات من المفاتح الذى هو جمع مفتح بالكسر وهو
المفتاح وهو عبارة عن كل ما يحل غلقا محسوسا كان كالقفل على
البيت او معقولا كالنظر وفى الاية استعارة عن التوصل الى
الغيوب فالله تعالى عنده علم الغيب وبيده الطرق الموصلة
اليه لا يملكها الا هو فمن يشا اطلعه عليها وفى البخارى مفاتح الغيب
خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم ما تغيض الارحام الا الله ولا يعلم
ما فى غد الا الله ولا يعلم متى المطر الا الله ولا يدرى باى ارض
تموت نفس الا الله وقيل المراد بالمفاتح خزاين الرزق وقيل
غير هذا مما يتضمنه معنى الحديث ووقت انقضا الاجال وخواتم
الاعمال لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما فى تعجيلها وتاخيرها
فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه
دليل على انه تعالى يعلم الاشيا قبل وقوعها ويعلم ما فى البر
والبحر خصهما بالذكر لانهما اعظم المخلوقات المجاورة للبشر وقيل ل
يعلم ما فى البر من النبات والحب والنوى وما فى البحر من الدواب
ورزق ما فيهما وقيل البر القفار والبحر القرى التى على الانهار
وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة فى احاطة علمه
بالجزييات وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من
زرع على الارض ولا ثمار على الشجر ولا حبة فى ظلمات الارض الا عليها

مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم رزق فلان بن فلان وحكى النقاش
عن جعفر بن محمد الورقة يراد بها السقط من اولاد بني ادم والحبة
يراد بها الذي ليس يسقط والرطب يراد به الحي واليابس الميت
فما من ورقة تسقط من ورق الشجر الا يعلم متى تسقط واين تسقط
وكم تدور في الهوى ولا حبة في ظلمات الارض اي بطونها وقيل
الصخرة التي هي اسفل الارضين ولا رطب ولا يابس معطوفات
على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثنا الاول بدل
الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به
اللوح المحفوظ وكان ذلك مكتوبا في اللوح لتعتبر الملايكة بذلك
وقيل كتبه لتعظيم الامر اي اعلموا ان الذي ليس فيه ثواب ولا
عقاب مكتوب فكيف بما فيه ثواب وعقاب وهو الذي يتوفاكم
بالليل اي ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما
بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض
الشي بتمامه والذي ينام كانه استوفي حركاته في اليقظة ويقال
ان الروح اذا خرج من البدن في المنام تبقى فيه الحياة فلهذا تكون
فيه الحركة والتنفس فاذا انقضى عمره خرج روحه وتنقطع حياته
فلا يتحرك ولا يتنفس وقال بعضهم لا يخرج منه الروح وانما
يخرج منه الذهن والاصح ان هذا امر لا يعلم حقيقته الا الله
تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم فيه وخص الليل
بالنوم والكسب بالنهار جريا على المعتاد ثم يبعثكم اي يوقظكم
اطلق البعث ترشيحا فيه اي في النهار ليقضى اجل مسمى اي ليبلغ
المتيقظ

المتيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ابن جريج ثم يبعثكم فيه اي في
المنام وفي الاية تقديم وتاخير والتقدير وهو الذي يتوفاكم
بالليل ثم يبعثكم بالنهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الاهم الذي
من اجله وقع البعث في النهار ثم اليه مرجعكم بالموت والبعث
ثم ينبيكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة
والمعنى تلقون كالجيف بالليل وتكسبون الاثام بالنهار وانه
تعالى مطلع على احوالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي
قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى
الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزايهم على اعمالهم ثم
اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبيكم بما كنتم تعملون بالجزا وقد
دل على الحشر والنشر بالبعث لان النشاة الثانية منزلتها
بعد الاولى كمنزلة اليقظة بعد النوم فمن قدر على احدهما قدر
على الاخرى وهو القاهر مستعليا فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
اي ملايكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه
ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رووس الاشهاد
كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد
على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين
عليه وقيل حفظة تحفظكم من الافات ويقال انهما ملكان بالليل
وملكان بالنهار يكتب احدهما الخير والاخر الشر ويقال لكل انسان
خمسة اثنان بالليل واثنان بالنهار وواحد لا يفارقه وسياتي
لهذا مزيد بيان في الرعد ان شا الله تعالى حتى اذا جا احدكم الموت

توفته رسلنا اي ملك الموت واعوانه قرى على تانيث الجماعه
وقرى توفاه على تذكير الجمع ويقال ان اعوان ملك الموت يسلون
الروح من الجسد حتى اذا كان عند قبضها قبضها ملك الموت وقال
الكلبي يقبض ملك الموت الروح من الجسد ثم يسلمها الى ملايكة
الرحمة ان كان مومنا والى ملايكة العذاب ان كان كافرا وهم لا يفرطون
بالتواني والتاخير اي لا يقصرون فيما يومرون ثم ردوا اي الخلق الى الله
الى حكمه وجزايه مولاهم اي الذي يتولى امرهم الحق الثابت العدل اي
لا يحكم الا بالحق الا له الحكم اي القضا والفصل يومئذ لا حكم لغيره
فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلايق في مقدار حلب شاة
لا يشغله حساب عن حساب قل يا محمد لاهل مكة من ينجيكم من ظلمات
البر والبحر اي من شدايدهما في اسفاركم استعيرت الظلمة للشدة
لمشاركتها في الهول وقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب
او من الخسف في البر والغرق في البحر حين تدعونه تضرعا وخفية
اي معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا لئن لام قسم انجيتنا من هذه
الشدايد لنكونن من الشاكرين اي المومنين على ارادة القول اي اذا
لخطاتم الطريق وخفتم الهلاك دعوتموه وتقولون لئن انجيتنا
وقرى انجانا اي الله ليوافق قوله تدعونه قل الله ينجيكم بالتخفيف
والتشديد منها ومن كل كرب سواها والمعنى فان قالوا من ينجينا
قل الله ينجيكم ثم انتم تشركون به اي تعودون الى الشرك ولا توفون
بالعهد وانما وقع تشركون موقع لا تعبدون تنبيها على ان من اشرك
في عبادة الله فكانه لم يعبده راسا والكرب الغم ياخذ بالنفس

قل

قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح
ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف
بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم
سفلتكم وعبيدكم اي حكامكم الظلمة وعبيد السوء او يلبسكم
شيعا اي يخلطكم فرقا مختلفين على اهوا شتى فينشب القتال بينكم
وذلك بتخليط امرهم وافتراق امرايهم على طلب الدنيا وقيل
المعنى يلبس عليكم امركم فحذف احد المفعولين وحرف الجر وقيل
يقوي عدوكم حتى يخالطكم فاذا خالطكم فقد لبسكم شيعا ويذيق
بعضكم باس بعض اي يقاتل بعضكم بعضا والاية عامة في المسلمين
والكفار وقيل في الكفار خاصة ولما نزلت قال صلى الله عليه
وسلم هذا اهون وايسر ولما نزل ما قبله قال اعوذ بوجهك رواه
البخاري وروى مسلم سالت ربي ان لا يجعل باس امتي بينهم
فمنعنيها وفي حديث لما نزلت قال اما انها كاينة ولم يات
تاويلها بعد انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد او نبين
لهم الحجج والدلالات لعلهم يفقهون بطلان ما هم عليه من الشرك
والمعاصي وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقران وهو الحق
الواقع لا محاله او الصدق قل لهم لست عليكم بوكيل اي بحفيظ
وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب واجازيكم انما انا منذر والله
هو الحفيظ وهذا قبل امره بالقتال لكل نبا اي خبر يريد ما
العذاب والايعاد به مستقر اي وقت استقرار ووقوع وقيل
المعنى لكل عمل جزا وذكر الثعلبي انه راى في بعض التفاسير ان

هذه الاية نافعة من وجع الضرس اذا كتبت على كاغد ووضع على وجع
الضرس **وسوف تعلمون** عند وقوعه في الدنيا او في الاخرة الزجاج
وتجوز ان يكون وعيدا بما ينزل بهم في الدنيا السدي استقر
يوم بدر ما كان يعدهم به من العذاب **واذا رايت الذين يخوضون**
في اياتنا بالتكذيب والاستهزاء والطعن فيها **فاعرض عنهم** اي فلا
تجالسهم وقم عنهم **حتى يخوضوا في حديث غيره** ذكر الضمير على
معنى الايات لانها القران والخوض اصله في الماء ثم استعمل في غمرات
الاشيا التي هي مجاهل تشبيها بغمرات الماء فامر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يعرض عن المشركين اعراض منكر واذا استهزوا
بالقران **واما** فيه ادغام ان الشرطية في ما المزيدة **ينسينك الشيطان**
بان يشغلك حتى تنسى النهي **فلا تقعد بعد الذكرى** اي بعد ان تذكره
مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعهم دلالة على انهم
ظلموا بوضع التكذيب والاستهزا موضع التصديق والاستعظام
وما على الذين يتقون اي وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم **من**
حسابهم من شيء اي شي مما يحاسبون عليه من قبايح اعمالهم واقوالهم
ولكن ذكرى اي ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض
وغيره من القبايح ويظهروا كراهتها ويحتمل ان ينصب على المصدر
والرفع على ولكن عليهم ذكرى **لعلهم يتقون** اي يجتنبون ذلك حياء
وكراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى
لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تثلم بمجالستهم وروي ان المسلمين
قالوا لين كنا نقوم كلما استهزوا بالقران لم نستطع ان نجلس بالمسجد

ونطوف

ونطوف فنزلت **وذر** اي اترك **الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا**
اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا
واجلا كعبادة الصنم وتحريم البحاير والسوايب واتخذوا
دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم
الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب وقيل لعبا
ولهوا باطلا وفرحا قال الكلبي ان الله تعالى جعل لكل قوم عيدا
يعظمونه ويصلون فيه لله وكل قوم اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا
الا امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم اتخذوه صلاة وذكرا
والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون
تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا قتادة هذا منسوخ
بقوله اقتلوا المشركين فهو محمول على الامر بالكف عنهم وترك
التعرض لهم **وغرتهم الحياة الدنيا** حتى انكروا البعث **وذكر** عظ
به اي بالقران الناس **ان تبسل نفس بما كسبت** عملت مخافة
ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها قاله مجاهد وغيره ابن عباس
تبسل تحبس قال زهير ٭ وفارقتني برهن لا فكاك له ٭
يوم الوداع فقلبي مبسل علق ٭ واصل الابسال والبسل المنع
ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع
لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام والابسال التسليم
الى الهلاك **ليس لها من دون الله** اي غيره **ولي** ناصر **ولا شفيع** يدفع
عنها العذاب **وان تعدل كل عدل** اي وان تفد كل فدا والعدل الفدية
لانها تعادل المفدى **لا يوخذ منها** ما تفتدي به وقيل الفعل مسند

الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه
المفدى به قال ابن هشام منها في موضع رفع اي لا يكون اخذ
منها ولو قدر ما هو المتبادر من ان في يؤخذ ضميرا مستترا
هو القائم مقام الفاعل لم يستقم لان ذلك الضمير عائد حينئذ
على كل عدل وكل عدل حدث والاحداث لا تؤخذ وانما تؤخذ
الذوات فان قدرت لا يؤخذ بمعنى لا يقبل صح ذلك اولئك الذين
ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة
وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم هو الماء الحار الذي بلغ
نهاية الحرارة وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل
لذلك والمعنى هم بين ماء يغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم
بسبب كفرهم قل اندعوا اي انعبد من دون الله ما لا يضرنا ولا
ينفعنا اي ما لا يقدر على ضرنا ونفعنا ونرد على اعقابنا اي نرجع
الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام
وقيل المعنى ما لا ينفعنا ان دعوناه ولا يضرنا ان تركناه ونرد
على اعقابنا نعقب بالشر بعد الخير قاله المبرد والاستفهام
للانكار كالذي استهوته الشياطين اي كالذي ذهبت به
مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب
وقرئ استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من
فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته او على المصدر اي ردا
مثل رد الذي استهوته في الارض حيران اي متحيرا ضالا عن الطريق
وهو نصب على الحال من الهاء ولم ينصرف لان مؤنثه حيرى والحيران
هو

هو الذي لا يهتدي لجهة امره قال ابن عباس مثل عابد الصنم
مثل من دعاه الغول فيتبعه فيصبح وقد القته في مضلة مهلكة
فهو حائر في تلك المهامه له اصحاب اي لهذا المستهوى رفقة
يدعونه الى الهدى اي يهدونه الطريق المستقيم او الى الطريق
المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا اي يقولون
له ائتنا اي هلم الينا وتابعنا فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام
للانكار وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق كان ابواه
يدعوانه الى الاسلام ويابى وهو شقيق عايشة شهد بدرا واحدا
مع قومه كافرا ثم اسلم وحسن اسلامه وصحب النبي صلى الله عليه
وسلم في هدنة الحديبية قل ان هدى الله الذي هو الاسلام
هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من
جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اي امرنا
بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل زائدة وان اقيموا الصلاة
واتقوه تعالى عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلاة
او بان اقيموا وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة للحساب وهو
الذي خلق السموات والارض بالحق اي قائما بالحق والحكمة ويوم
يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله
الحق يوم يقول كن كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق
للسموات والارضين وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم
منصوب بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف اي
واذكر يوم يقول للشيء كن فيكون وهو يوم القيمة يقول للخلق

قوموا فيقوموا وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى
وحين يقول كن فيكون التكوين حشر الاموات واحياوها وقال
الفرا كن فيكون يقال انه للصور خاصة اى ويوم يقول للصور
كن فيكون وقيل المعنى يكون جميع ما اراد من موت الناس
وحياتهم وله الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار والصور قرن من نور ينفخ فيه النفخة الاولى للفنا
والثانية للانشا وليس جمع صورة كما زعم بعضهم اى ينفخ فى صور
الموتى وفى التنزيل ثم نفخ فيه اخرى ولم يقل فيها والامة مجمعة على
ان الذى ينفخ فى الصور اسرافيل عليه السلام عالم الغيب والشهادة
ما غاب وما شوهد ورفع عالم صفة للذى ويجوز ان يرتفع على
اضمار مبتدا وهو الحكيم فى خلقه الخبير بباطن الاشيا كظاهرها
واذكر اذ قال ابرهيم لابيه ازر هو عطف بيان لابيه وفى كتب
التاريخ ان اسمه تارح بتا مثناة ورا مفتوحة وحا مهملة وقيل
هما علمان له كاسرايل ويعقوب وقيل العلم تارح وازر وصف
وقيل انه ذم فى لغتهم كانه قال لابيه يا مخطى ولعل منع صرفه
لانه اعجمى او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم
على فاعل كعامر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم
عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم
ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد ازر ثم قال
اتتخذ اصناما الهة تفسيرا وتقريرا والاستفهام فيه معنى
الانكار انى اراك وقومك باتخاذها فى ضلال عن الحق مبين

ظاه

ظاهر الدلالة وكذلك اى كما اريناه البصيرة فى دينه واريناه
اضلال ابيه وقومه نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض
اى ملكهما وقيل عجايبها وبدايعها ليستدل بذلك على وحدانيتنا
والملكوت اعظم الملك والتا فيه للمبالغة قيل كشف الله له
عن السموات السبع فنظر اليهن حتى انتهى الى العرش وفرجت له الارضون
فنظر اليهن وراى مكانه فى الجنة وقال الضحاك اراه من ملكوت السموات
ما قصه من الكواكب ومن ملكوت الارض البحار والجبال والاشجار
ونحو ذلك مما استدل به وقيل جعل حين ولد فى سرب وجعل
رزقه فى اطراف اصابعه فكان يمصها وكان نمرود راى رويا
فعبرت له بان ملكه يذهب على يد مولود يولد فامر بعزل الرجال
عن النسا وقيل امر بقتل كل مولود ذكر وكان ازر من المقربين عند
نمرود فارسله يوما فى بعض حوايجه فواقع امراته فحملت بابرهيم
فحملها الى بعض الشعاب حتى ولدت ابرهيم وجعل فى سرب فى
الارض ووضع على بابه صخرة لئلا يفترسه سبع وكانت امه
تختلف اليه فترضعه وشب فكان على سنة مثل ثلاث سنين فلما
خرج من السرب قال لامه من ربى قالت انا قال ومن ربك قالت
ابوك قال ومن ربه قالت نمرود قال ومن ربه فلطمته وعلمت
انه الذى يذهب ملكهم على يديه وكان بين الطوفان ومولد
ابرهيم الف ومايتا سنة وثلاثة وستون وذلك بعد خلق ادم
بثلاثة الاف وثلثماية وثلاثون وليكون من الموقنين بها اى
اريناه ذلك ليستدل وليكون او فعلنا ذلك ليكون وجملة وكذلك

ومابعدها اعتراض او عطف على قال فلما جن عليه الليل اى ستره بظلامه راى كوكبا قال لقومه هذا ربى تفصيل وبيان لذلك قيل راى ذلك من شق الصخرة الموضوعة على راس السرب وقيل لما اخرجه ابوه من السرب كان وقت غيبوبة الشمس فراى الغنم والابل والخيل فقال لابد لها من رب فراى المشترى او الزهرة ثم القمر ثم الشمس وكان ذلك اخر الشهر قيل وكان ابن سبع سنين وقال ابن اسحق ابن خمس عشرة سنة قيل وكان هذا منه فى مهلة النظر وحال الطفولية وقيل قيام الحجة وفى تلك الحال لا يكون كفر ولا ايمان وروى عن ابن عباس انه لما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى فعبده حتى غاب عنه وكذلك القمر والشمس فلما تم نظره قال انى برئ مما تشركون واستدل بالافول لانه اظهر الايات على الحدوث وقال قوم هذا لا يصح وغير جائز ان يكون لله تعالى رسول ياتى عليه وقت من الاوقات غير عارف بالله تعالى والجواب انه قال هذا ربى على قولكم لانهم كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وقيل هو على معنى الاستفهام والتوبيخ والمعنى اهذا ربى والمحققون على انه خبر وان مثل ذلك يقوله من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكى كلامه ثم يكر عليه بالابطال فلما افل اى غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية فلم ينجع فيهم ذلك فلما راى القمر بازغا مبتدئا بالطلوع قال هذا ربى فلما افل

قال

قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال وقيل معنى وان لم يهدنى ثبتنى على الهداية لانه قد كان مهتديا وفيه تعريض لقومه بانهم على ضلال فلما راى الشمس بازغة نصب على الحال لانه من رؤية العين قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث او هذا ربى على معنى الطالع وقيل الشخص وقيل الضوء هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال ابن عباس افلت زالت عن كبد السما قال كعب بن مالك فتغير القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تافل ولما قويت عليهم الحجة ولم يرجعوا قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة المحوجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرا عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت عليه الممكنات فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين به اى قصدت بعبادتى وتوحيدى لله وحده وذكر الوجه لانه اظهر ما يعرف به صاحبه وحنيفا معناه مائلا الى الحق وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السما حين حاول الاستدلال وحاجه قومه اى خاصموه فى التوحيد وجادلوه قال اتحاجونى بالتشديد والتخفيف فى النون وحذف احدى النونين

وهي نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء اي تجادلونني
في الله اي في وحدانيته وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون
به اي لا اخاف معبودا تكم في وقت ما لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع
الا لكن ان يشاء ربي شيئا اي يصيبني بمكروه من جهتها فيكون ٥
ولعله جواب لتخويفهم اياه من الهتهم ان تصيبه بسوء ان تركها
وفيه تهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما اي وسع علمه
كل شيء وكانه علة للاستثنا اي احاط بها علما فلا يبعد ان يكون
في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح
والفاسد والقادر والعاجز فتؤمنون وكيف اخاف ما اشركتم
به ولا يتعلق به ضر ولا نفع ولا تخافون انتم من الله انكم اشركتم
بالله في العبادة وهو حقيق ان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك
للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور والعاجز والقادر الضار
النافع انكر عليهم تخويفهم اياه بالاصنام وهم لا يخافون الله عز
وجل ما لم ينزل به عليكم سلطانا اي ما لم ينزل باشراكه كتابا
او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدون
او المشركون ولم يقل اينا اي انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه
ان كنتم تعلمون من الاحق به اي وهو نحن فاتبعوه او المعنى تعلمون
ما نحو ان نخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا يخلطوا ايمانهم بظلم
اولئك لهم الامن من العذاب وهم مهتدون استيناف منه او
من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم هنا الشرك لما
روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم
نفسه

نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال
لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس
الايمان به ان تصدق بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق
الاشراك به وقيل المعصية وتلك مبتدا ويبدل منه حجتنا
اشارة الى ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه
الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني الى وقال
مجاهد هي قوله الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم والخبر
اتيناها ابرهيم اي ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه
متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اي ٥
اتيناها ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم
والحكمة والامامة والملك قرئ درجات بالتنوين بوقوع الفعل
على من لانه المرفوع في الحقيقة وقرئ بغير تنوين على الاضافة
فالفعل واقع على الدرجات واذا رفعت فقد رفع صاحبها ان
ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده
له ووهبنا له اسحق ويعقوب ابنه جزا له على الاحتجاج في الدين
وبذل النفس فيه كلا هدينا اي كل واحد منهم ونوحا هدينا من قبل
اي من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه ٥
وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم لان ٥
الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية
ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية
والتي بعدها والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوحا وقال

ابن عباس هولآء الانبيا جميعا مضافون الى ابرهيم وان كان فيهم
من لم يلحقه ولادة من جهته من قبل اب ولا ام لان لوطا ابن اخي ابرهيم
وعد عيسى من ذرية ابرهيم وانما هو ابن البنت داود وسليمان
ابنه وايوب بن اموص بن اسباط بن عيص بن اسحق ويوسف بن يعقوب
وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين اي ونجزي المحسنين جزاء
مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم
وزكريا ويحيى ابنه وعيسى وهو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية
تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون
البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي
موسى وقال الضحاك كان من ولد اسمعيل وقال العتيبي من سبط
يوشع بن نون كل منهم من الصالحين اي الكاملين في الصلاح وهو
الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل ابن ابرهيم واليسع
اللام زايدة هو اليسع بن اخطوب وقال وهب كان صاحبا
للياس وكان قبل زكريا ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن هاران
ابن اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل على
فضلهم على من عداهم من الخلق ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم
عطف على كلا او نوحا ومن للتبعيض اي فضلنا كلا منهم او هدينا
هولا وبعض ابائهم وذرياتهم واخوانهم فان فيهم من لم يكن نبيا
ولا مهديا واجتبيناهم اخترناهم عطف على هدينا او فضلنا
وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك
هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل
عل

على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي ولو اشرك هولآء الانبيا
مع فضلهم وعلو شانهم فرضا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اي لكانوا
كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها ولكن عصمتهم اولئك الذين
اتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على
ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلثة
هولاء يعني قريشا او كفار عصرك فقد وكلنا بها اي بمراعاتها
او بالايمان بها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبيا المذكورون
ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبي وكل من امن به او
الفرس وقيل الملايكة قال النحاس والاول اشبه بالمعنى لانه قال بعد
اولئك الذين هدى الله يريد الانبيا المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده
اي فاختص طريقتهم بالاقتدا وهو طلب موافقة الغير في فعله والمراد
بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع
المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي
بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه الصلاة والسلام متعبد
بشرع من قبله وقيل المعنى اصبر كما صبروا والهاء في اقتده للوقف
ومن اثبتها في الدرج ساكنة اجرى الوصل مجرى الوقف وقرئ بحذفها
في الوصل خاصة وباشباعها على انها كناية المصدر وقرئ بكسرها
بغير اشباع قل لاهل مكة لا اسالكم عليه اجرا اي على التبليغ او
القران جعلا من جهتكم كما لم يسال من قبلي من النبيين وهذا من
جملة ما امر بالاقتدا بهم ان هو اي التبليغ او القران الا ذكرى
للعالمين الا للانس والجن اي الا تذكيرا وعظة لهم وقال فبهداهم

فاضاف الهداية اليهم لوقوعها بهم وقال ذلك هدى الله لانه
الخالق لها وما قدروا الله حق قدره اى وما عرفوه حق معرفته
فى الرحمة والانعام على العباد وقيل ما عرفوه فيما وجب له
واستحال عليه وجاز ابن عباس ما امنوا انه على كل شى قدير الحسن
ما عظموه حق عظمته اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء حين
انكروا الوحى وبعثة الرسل وذلك من عظايم رحمته وجلايل نعمته
والقايلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القران
بدليل بعض كلامهم والزامهم بقوله قل لهم من انزل الكتاب الذى
جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراة الجمهور تجعلونه قراطيس
تبدونها وتخفون كثيرا بالتا ومن قرا باليا فحملا على قالوا وما
قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتوراة وذمهم على تجزيتها
بابدا بعض يحبون ابداه بختوه وكتبوه فى ورقات متفرقه واخفا
بعض لا يشتهونه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك كره
بعض العلما كتب القران فى اجزا وروى ان مالك بن الصيف وقيل
فنحاص جا يخاصم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم انشدك بالذى انزل التوراة على موسى اما تجد فى التوراة
ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال ما انزل
الله على بشر من شى فقال له اصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى
فقال والله ما انزل الله على بشر من شى وقال ابن عباس وغيره
يعنى مشركى قريش والزامهم بانزال التوراة لانها كانت من المشهورات
الشايعه عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب
و

وعلمتم ايها اليهود على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا
انتم ولا اباوكم زيادة على ما فى التوراة وبيانا لما التبس عليكم
وعلى ابايكم الذين كانوا اعلم منكم وقيل الخطاب لمن امن من قريش
قل الله اى انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا
بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون
على الجواب ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون اى فى اباطيلهم فلا عليك
بعد التبليغ والزام الحجة ويلعبون حال من ذرهم الاول والظرف
صلة ذرهم او يلعبون وقيل غير ذلك ومعنى الكلام التهديد وقيل
هو من المنسوخ بالقتال وهذا القران كتاب انزلناه مبارك اى كثير
الفايدة والنفع مصدق الذى بين يديه يعنى التوراة او الكتب
الذى قبله فانه يوافقها بنفى الشرك واثبات التوحيد ولتنذر
ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولتنذر او علة
لمحذوف اى ولتنذر ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك
لانها قبلة اهل القرى وحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل
ان الارض دحيت من تحتها او لانها اول مكان وضع للناس وقرى
لينذر باليا فالضمير للكتاب ومن حولها اهل المشرق والمغرب
وجميع الافاق والذين يومنون بالاخرة يومنون به وهم على
صلاتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف العاقبه ولا
يزال الخوف يحمله على النظر والتدبير حتى يومن بالنبى والكتاب
والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها
عماد الدين وعلم الايمان ومن اى لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا

فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما
كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله
ابن سعد بن سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي
فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم
انشاناه خلقا اخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا
من تفصيل خلق الانسان فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك
نزلت فشك عبد الله وقال ان كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما
اوحي اليه ولين كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد ولحق بالمشركين قال
ابو عمر واسلم عبد الله ايام الفتح وحسن اسلامه ولم يظهر عليه شي
ينكر عليه بعد ذلك وهو احد النجبا الكرما من قريش ومات في صلاة
الصبح قبل اجتماع الناس على معاوية سنة ست وسبع وثلاثين
ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشا لقلنا مثل
هذا وقيل نزلت في النضر بن الحارث لانه عارض القران فقال
والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا فاللاقمات
لقما ومعنى سانزل اقول ولو ترى يا محمد اذ الظالمون المذكورون
حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات
الموت اي سكراته وشدايده من غمره الموت اذا غشيه والملائكة
باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم وقيل بالعذاب والمطارق عن
الحسن وغيره اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من
اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها
من ايدينا ان امكنكم وهو توبيخ وقيل اخرجوها كرها لان نفس

المومن

المومن تنشط للخروج ونفس الكافر تنتزع انتزاعا والجواب محذوف
لعظم الامر اي لرايت امرا عظيما فظيعا اليوم يريد وقت الاماتة او
الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون
اي الهوان واضافته اليه لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله
غير الحق كادعا الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي وكنتم
عن اياته تستكبرون تتكبرون فلا تتاملون فيها ولا تومنون بها
وتانفون عن قبولها ويقال لهم اذا بعثوا لقد جيتمونا للحساب والجزا
فرادى اي منفردين عن الاموال وساير ما اثرتموه من الدنيا او عن الاعوان
والاوثان التي زعمتم انها شفعاوكم وهو جمع فرد والالف للتانيث
ككسالى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها
في الانفراد او حال ثانية ان جوزنا التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى
اي مشبهين ابتدا خلقكم عراة حفاة غرلا بهما ليس معكم شي وتركتم
ما خولناكم اي ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة
والخول ما اعطاه للانسان من العبيد والنعم وراء ظهوركم اي خلفكم
بغير اختيار كم وما قدمتم منه شيا يقال لهم توبيخا وما نرى معكم
شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم اي عندكم شركاء اي شركا لله في
استحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم
والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف
اسند اليه الفعل اتساعا والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له
قراة النصب على اضمار الفاعل اي وصلكم لدلالة ما قبله عليه والذي
يقوي جعل بين اسما دخول من عليه في قوله ومن بيننا وبينك حجاب

والاضافة هذا فراق بيني وبينك وضل عنكم اي ضاع وبطل وذهب
ما كنتم تزعمون في الدنيا انهما شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله
فالق الحب والنوى بالنبات والنخل وقيل المراد به الشق الذي
في الحنطة والنوى عد من عجايب صنعه ما يعجز عن ادنى شي منه الهمم
والمعنى يشق النواة الميتة فيخرج منها ورقا اخضر وكذلك الحب له
ويخرج من الورق الاخضر نواة ميتة وحبة وهذا معنى يخرج الحي
من الميت ومخرج الميت من الحي وقيل يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات
مما لا ينمو كالنطفة والحب ومخرج ذلك من الحيوان والنبات وذكره
بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان
له ذلكم الله اي ذلكم المحيي المميت والفالق المخرج هو الله الذي يحق له
العبادة فانى تؤفكون اي فمن اين تصرفون عن الحق مع ما ترون من قدرة
الله وقيام البرهان فالق الاصباح اي شاق عمود الصبح عن ظلمة
الليل او عن بياض النهار والصبح والصباح اول النهار وكذلك
الاصباح وهو في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصباح سمي به
الصبح والمعنى شاق الضياء عن الظلام وكاشفه وقيل المعنى خالق النهار
وجاعل الليل سكنا يسكن اليه من التعب بالنهار للاستراحة فيه
من سكن اليه اذا اطمان اليه او يسكن فيه الخلق من قوله ليسكنوا فيه
وقرئ جاعل موافقة لقوله فالق وقرئ وجعل على ان فالق بمعنى فلق
فعطف جعل عليه والشمس والقمر عطفا على محل الليل والاحسن
نصبهما بجعل مقدرا حسبانا على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات
او بحساب يتعلق به مصالح العباد ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر
حسب

حسب بالفتح وقيل حسبانا ضياء والحسبان النار كما قال ويرسل
عليها حسبانا من السماء ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك
التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز في ملكه الذي قهرهما
وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير
الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم اي خلقها لكم لتهتدوا بها
في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل في البر والبحر في الاسفار
واضافها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات
على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها
بقوله لكم قد فصلنا الايات الدالة على قدرتنا اي بيناها فصلا
فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم
من نفس واحدة هو ادم عليه السلام فمستقر قرئ بفتح القاف
ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع
في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرئ
بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اي فمنكم قار
ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا
الايات لقوم يفقهون ما يقال لهم وذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان
امرها ظاهر ولان حساب النجوم مختص بالعلماء وناسب ختمها بيعلمون
وذكر مع تخليق بني ادم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم
بين احوال المختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق
نظر فان الفقه فهم الاشياء الدقيقة وهو الذي انزل من السماء ماء اي
من السحاب ومن جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به اي بالماء

نبات كل شيء بنبت او من كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة
في انبات الانواع المختلفة بماء واحد كما في قوله تعالى تسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الاكل **فاخرجنا منه** اي من النبات او
من الماء **خضرا** اي شيئا اخضر يقال اخضر وخضر وهو الخارج من
الحبة والخضر رطب البقول ابن عباس يريد القمح والشعير والسلت
والذرة وساير الحبوب **نخرج منه** اي من الخضر **حبا متراكبا** مركب
بعضه بعضا كالسنبل **ومن النخل من طلعها قنوان** اي واخرجنا من
النخل من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون
من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصله من طلع
النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو والاعذاق جمع
عذق بكسر العين وهي الكباسة وهي عنقود النخل والطلع الكفرى قبل
ان ينشق عن الاغريض **دانية** اي قريبة من المتناول يناله القايم والقاعد
الزجاج منها دانية ومنها بعيدة فحذف مثل سرابيل تقيكم الحر
وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها وزيادة النعمة فيها **وجنات**
من اعناب عطف على نبات كل شيء **والزيتون والرمان** عطف على نبات
او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين **مشتبها** و رفعهما
وغير متشابه ثمرها حال من الرمان او من الجميع اي ذلك متشابه
وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم وقال قتادة
وغيره مشتبها في النظر وغير متشابه في الطعم **انظروا** يا مخاطبين
الى ثمره اي الى ثمر كل واحد من ذلك وقرئ بضم الثاء والميم جمع ثمرة
كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب **اذا اثمر** اي اذا اخرج ثمره كيف

يكون

يكون ضئيلا لا ينتفع به **وينعه** اي والى حال نضجه كيف يعود ضخما
ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت
وقال ابن الانباري الينع جمع يانع كراكب وركب وتاجر وتجر قال الشاعر
اذا ما مشت وسط النساء تاودت ... كما اهتز غصن ناعم النبت يانع
والمراد نظر اعتبار لا نظر ابصار **ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون**
اي دلالات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس
المختلفة والانواع المتفقة من اصل واحد وتنقلها من حال الى حال
لا يكون الا باحداث قادر حكيم يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه
حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد
يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال
وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة
بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين
لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاصنام بتسويلهم وتحريضهم
او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار
كما هو راي الثنوية والجن مفعول اول وشركاء مفعول ثان مثل
وجعلكم ملوكا قاله النحاس وقيل مفعولا جعل لله شركاء والجن بدل
من شركاء **وخلقهم** حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم
دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق **وخرقوا له** افتعلوا وافتروا
له وقرئ بالتشديد للتكثير **بنين وبنات** فقالت اليهود عزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب بنات الله
بغير علم اي من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا

وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم **سبحانه**
وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا **بديع السموات والارض**
اي مبدعهما من غير مثال سبق فكيف تجوز ان يكون له ولد ورفعه
على الخبر والمبتدا محذوف او على الابتدا وخبره **انى يكون له ولد** اي
من اين او كيف يكون له ولد **ولم تكن له صاحبة** يكون منهما الولد
وخلق كل شي من شانه ان يخلق فهو عموم معناه الخصوص اي خلق
العالم ولا يدخل في ذلك كلامه ولا غيره من صفات ذاته ومثله
ورحمتي وسعت كل شي ولم يدخل في ذلك ابليس ولا من مات كافرا
ومثله تدمر كل شيء ولم تدمر السموات والارض **وهو بكل شي عليم**
لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية
استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات
والارض وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبراة عنها لاستمرارها
وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد
ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة ٥
والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل
ما عداه مخلوق ولا يكافئه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات
ولا كذلك غيره بالاجماع **ذلكم** اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات
وهو مبتدا **الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شي** اخبار مترادفة
وتجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا **فاعبدوه**
حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة
وهو على كل شيء وكيل اي هو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها
اليه

اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح ماربكم ورقيب على اعمالكم
فيجازيكم عليها **لا تدركه** اي لا تحيط به **الابصار** جمع بصر وهي حاسة
النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها فالمعنى لا تحيط به ولا تحده
كما تدرك ساير المخلوقات وهذا مخصوص فان الروية ثابتة قال
ابن عباس لا تدركه الابصار في الدنيا ويراه المومنون في الاخرة
وقيل لا تدركه الابصار المخلوقة في الدنيا كما في الصحيحين انكم ترون
ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ولكنه يخلق لمن يريد كرامته بصرا يراه
به كمحمد صلى الله عليه وسلم اذ رويته تعالى في الدنيا جايزة عقلا
وهو يدرك الابصار اي لا يخفى عليه شي الا يراه ويعلمه وانما خص الابصار
لتجنيس الكلام قال الزجاج وفيه دليل على ان الخلق لا يدركون الابصار
اي لا يعرفون كيفية حقيقة البصر وما الشي الذي صار به الانسان
يبصر من عينيه دون ان يبصر من غيرهما من ساير اعضايه **وهو اللطيف**
اي الرفيق باوليايه **الخبير** بعباده واللطف في العمل الرفق فيه واللطف
من الله التوفيق والعصمة وقال ابو العاليه المعنى لطيف باستخراج الاشيا
خبير بمكانها فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون
من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار
لانه الخبير **قد جاكم بصاير من ربكم** جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر
للبدن سميت بها الدلالة لان بها تنجلي الحق لها وتبصرها ووصفها
بالمجي لتفخيم شانها اذ كانت بمنزلة الغايب المتوقع حضوره للنفس
كما يقال جات العافية **فمن ابصر** اي ابصر الحق وامن به **فلنفسه** ابصر فان
نفعها والمعنى من استدل وتعرف فنفسه نفع **ومن عمي** عن الحق وضل

فعليها وباله اي ومن لم يبصر ضل فصار بمنزلة الاعمى فعلى نفسه يعود
ضرر عماه وما انا عليكم بحفيظ اي انما انا منذر والله هو الحفيظ
عليكم يحفظ عليكم اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا الكلام ورد على
لسان الرسول صلى الله عليه وسلم الزجاج نزل هذا قبل فرض
القتال وكذلك نصرف الايات اي ومثل ذلك التصريف نصرف
وهو اجرا المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل
الشي من حال الى حال والكاف في موضع نصب وليقولوا دارست اي
وليقولوا دارست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة
والتعليم وقرئ دارست كفاعلت اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم
وقرئ درست من الدروس اي قدمت هذه الايات وعفت كقولهم
اساطير الاولين والمعنى عفت ومضت عليها دهور وكانت من
اساطير الاولين فاحييتها وقرئ درست اي كتب الماضين وجيت
بهذا منها وهذا قول المشركين ولنبينه اللام على اصله لان التبيين
مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقران وان لم
يذكر لكونه معلوما او للمصدر اي للتصريف لقوم يعلمون خصهم بالذكر
لانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك اي القران بالتدين
به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال موكدة من ربك
بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم
ولا تلتفت الى رايهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض
على ما يعم ما يكف عنهم ولو شا الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا
وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر فان مراده واجب الوقوع

وما جعلناك عليهم حفيظا اي رقيبا فتجازيهم باعمالهم وما انت
عليهم بوكيل تقوم بامورهم او تجبرهم على الايمان وهذا قبل ان يومر
بالقتال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي ولا تذكروا الهتهم
التي يعبدونها بما فيها من القبايح فيسبوا الله عدوا اي تجاوزا عن
الحق الى الباطل بغير علم اي على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به روي
انه عليه الصلاة والسلام كان يطعن في الهتهم فقالوا لتنتهين
عن سب الهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها
فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة
اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يودي الى الشر شر
وعبر عن الاصنام بالذين وهي لا تعقل على معتقد الكفرة فيها كذلك
زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم
عليه توفيقا وتخذيلا اي كما زينا لهولا اعمالهم زينا لكل امة
عملهم ابن عباس لاهل الطاعة الطاعة واهل الكفر الكفر ثم الى
ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه
واقسموا بالله اي كفار مكة جهد ايمانهم مصدر في موضع الحال
وجهد اليمين اشدها وهو بالله اي حلفوا بالله غاية ايمانهم والداعي
لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في طلب الايات واستحقار ما راوا منها لين جاتهم اية من
مقترحاتهم ليومنن بها وذلك ان المشركين كانوا يعتقدون ان الله
هو الاله الاعظم وان هذه الالهة انما يعبدونها ظنا منهم انها
تقربهم الى الله زلفى وكانوا يحلفون بابايهم وباصنامهم وكانوا يحلفو

بالله ويسمونه جهد اليمين وسبب الاية ان قريشا قالوا يا محمد تخبرنا بان
موسى ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتى عشرة عينا وان عيسى
كان يحيى الموتى وان ثمود كانت لهم ناقة فاتنا ببعض هذه الايات
حتى نصدقك فقال اى شى تحبون قالوا اجعل لنا الصفا ذهبا
او ابعث لنا بعض موتانا لنسأله احق ما تقول او ارنا الملايكة
يشهدون لك فوالله ان فعلته لنتبعنك اجمعين فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو فجاءه جبريل فقال ان شيت اصبح ذهبا
ولين ارسل الله اية ولم يصدقوا عندها ليعذبنهم وان شيت تركتهم حتى
يتوب تايبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تايبهم
فنزلت قل انما الايات عند الله اى قل يا محمد الله القادر على
الاتيان وانما ياتي بها ان شا وليس شى منها بقدرتي وارادتي وانما
انا نذير وما يشعركم اى وما يدريكم استفهام انكار انها اى الاية
المقترحة اذا جاءت لا يومنون اى لا تدرون انهم لا يومنون وفيه
تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه انها اذا جاءت لا يومنون بها
وقيل لا مزيدة وقرى انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون
منهم ثم اخبر بما علم منهم والخطاب للمومنين فانهم كانوا يتمنون
مجى الاية طمعا في ايمانهم وقيل للمشركين اذ قرى لا تومنون بالتا
وقرى انها بالفتح قال الخليل انها بمعنى لعلها وان في كلام العرب
بمعنى لعل كثير وقيل لانها اذا جاءت اى يمنعنا من الاتيان بالاية
انهم لا يومنون اذا جاءت ونقلب افيدتهم عطف على لا يومنون اى
وما يشعركم انا نحن نقلب قلوبهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم
عن

عنه فلا يبصرونه فلا يومنون بها كما لم يومنوا به اى بما انزل من الايات
اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون اى وندعهم في ضلالهم متحيرين
لا نهديهم هداية المتقين وقيل المعنى ونقلب افيدتهم وابصارهم
يوم القيمة على لهب النار وحر الجمر كما لم يومنوا به في الدنيا ونذرهم
في الدنيا ونمهلهم ولا نعاقبهم فبعض الاية في الاخرة وبعضها في الدنيا
وقيل غير ذلك ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة فراوهم عيانا وكلمهم
الموتى بان احييناهم اياهم وحشرنا عليهم كل شى سالوه من الايات قبلا
قرى بكسر القاف وفتح البا اى مقابلة عن ابن عباس وغيره وقيل معاينة
فشهدوا بصدقك وقرى بضم القاف والبا ومعناه ضمنا فيكون
جمع قبيل بمعنى كفيل الاخفش هو بمعنى قبيل اى جماعة جماعة او فوجا
فوجا ما كانوا ليومنوا لما سبق عليهم القضا بالكفر الا ان يشا الله
استثنا من اعم الاحوال اى لا يومنون في حال من الاحوال الا حال مشية الله ايمانهم
وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون
الحق وقيل يجهلون انه لا يجوز اقتراح الايات بعد ان راوا اية
واحدة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اى كما جعلنا هولا اعداك وهو
دليل على ان عداوة الكفرة للانبيا بفعل الله تعالى وخلقه شياطين
الانس والجن اى مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولى
جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه وفيه
تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية يوحي بعضهم الى بعض اى
يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض
الانس الى بعض زخرف القول اى الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه

وسماه وحيا لانه انما يكون خفية في المعنى يزين بعضهم الى بعض
الاعمال القبيحة غرورا مفعول له او مصدر في موضع الحال والغرور
الباطل ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة
الانبيا وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحا او الزخرف
او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون اي
وكفرهم وفيه معنى التهديد وهذا قبل الامر بالقتال ولتصغى اليه
افئدة قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف على غرورا ان جعل علة
او متعلق بمحذوف اي ليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة
لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم
يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والضمير لما له الضمير
في فعلوه ويقال اصغيت الانا اذا املته ليجتمع ما فيه واصله
الميل الى الشي لغرض وفي الحديث فاصغى لها الانا يعني للهرة
وليرضوه لانفسهم وليقترفوا اي وليكتسبوا ما هم مقترفون
من الاثام فيعاقبوا عليه افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل
لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق من
المبطل نزلت لما طلبوا من النبي ان يجعل بينه وبينهم حكما وغير
مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكم ابلغ من حاكم ولذلك
لا يوصف به غير العادل اذ لا يستحق التسمية بحكم الا من يحكم بالحق
لانها صفة مدح والحاكم صفة جارية على الفعل فقد يسمى بها من
يحكم بغير الحق وهو الذي انزل اليكم الكتاب اي القران المعجز مفصلا
اي مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه

تنبيه

تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره مغن عن سائر الايات او المعنى
وهو الذي كفاكم مؤنة المسيلة في الايات بما انزله اليكم من الكتاب
المفصل والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
تاييد لدلالة الاعجاز على ان القران حق منزل من عند الله يعلم اهل
الكتاب اليهود والنصارى به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه
الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماهم وانما وصف
جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لا يعلم فهو متمكن بادنى تامل
وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب كسلمان وصهيب وعبد الله بن
سلام وقرئ منزل بالتخفيف والتشديد فلا تكونن من الممترين اي
الشاكين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم
به فيكون من باب التهييج او هو خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والخطاب لامته وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت
على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمات ربك اي بلغت
الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد
وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال
والمفعول له لا مبدل لكلماته بنقض او خلف اذ لا احد يبدل شيا
منها بما هو اصدق واعدل ولا احد يقدر ان يحرف شيا كما فعل
بالتوراة على ان المراد بها القران فيكون ضمانا لها من الله تعالى
بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها
ويبدل احكامها وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به او القران وهو
السميع لما يقولون العليم بما يضمرون وان تطع اكثر من في الارض

اى اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او تباع الهوى وقيل الارض ارض
مكة يضلوك عن سبيل الله اى عن الطريق الموصل اليه فان الضال
فى غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال ان ما يتبعون الا الظن
وهو ظنهم ان اباهم كانوا على الحق او جهالهم وارآهم الفاسدة
فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون اى تحدسون
او يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل
عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحاير او
يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك
هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى اعلم بالفريقين
فيجازى كلا منهم ومن موصولة او موصوفة فى محل النصب بفعل دل
عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر فى مثل ذلك او استفهامية
مرفوعة بالابتدا والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين
تحرمون الحلال وتحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه
لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم باياته مومنين
فان الايمان بها يقتضى استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه
ونزلت بسبب ان ناسا اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا انا
ناكل ما نقتل ولا ناكل مما قتل الله وقال عطا فى هذه الاية امر
بذكر الله على الشراب والذبح وكل مطعوم وما لكم الا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه اى واى غرض لكم فى ان تتحرجوا عن اكله
وما يمنعكم عنه او ما المانع من اكل ما سميتم عليه ربكم وان قتلتموه

بايديكم

بايديكم وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت
عليكم الميتة فقد فصل لكم الحرام من الحلال وازيل عنكم اللبس والشك
وقرئ فصل وحرم على البنا للمفعول وعلى البنا للفاعل الا ما اضطررتم
اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا
ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقرى بضم اليا وبفتحها ان
باهوايهم بغير علم اى بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم
والمراد المشركين حيث قالوا ما ذبح الله بسكينه خير مما ذبحتم
بسكاكينكم ولا يعلمون ان الحكمة فى الذبح اخراج ما حرم الله علينا
من الدم بخلاف من مات حتف انفه ولذا شرعت الذكاة فى موضع
مخصوص ليكون الذبح فيه سببا لجذب كل دم فى الحيوان بخلاف
غيره من الاعضا ان ربك هو اعلم بالمعتدين اى المجاوزين الحق
الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه اى
ما يعلن منه وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا
فى الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون
فى الاخرة ما كانوا يقترفون اى يكتسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه ظاهر فى تحريم متروك التسمية عمدا او سهوا واليه
ذهب داود وعن احمد مثله وبه قال ابن سيرين وابن عمر ونافع
وابو ثور وقال غيرهم المعنى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
بان مات او ذبح على اسم غيره والا فما ذبحه المسلم ولم يسم فيه
عمدا او نسيانا فهو حلال وبه قال ابن عباس وعليه الشافعى ولقوله
عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله

عليه وبذلك قال ابو هريرة والحسن وعطا وابن المسيب وغيرهم
وانما لم تحرم لاية حرمت عليكم الميتة الى قوله الا ما ذكيتم
فاباح المذكى ولم يذكر التسمية واما قوله وانه لفسق فالذى
تقتضيه البلاغة انه ليس معطوفا للتباين التام بين الجملتين
اذ الاولى فعلية انشائية والثانية اسمية خبرية ولا يجوز ان
يكون جوابا لوجود الواو وفرق ابو حنيفة ومالك بين العمد
والسهو واولوه بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله
وانه لفسق فان الفسق ما اهل به لغير الله قال النحاس ولا يسمى
فاسقا اذا كان ناسيا والضمير لما وتجوز ان يكون للاكل الذى دل
عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون يوسوسون الى اوليائهم
من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون مما قتلتم انتم وجوارحكم
وتدعون ما قتله الله وهو يويد التاويل بالميتة وقال عكرمه
عنى بالشياطين في هذه الاية مردة الانس من مجوس فارس
والمجادلة دفع القول على طريق الحجة بالقوة وتكون حقا في نصرة
الحق وباطلا في نصرة الباطل وان اطعتموهم في استحلال ما حرم
انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه
في دينه فقد اشرك قال ابن العربي انما يكون المومن بطاعة
المشرك مشركا اذا اطاعه في الاعتقاد فاما اذا اطاعه في الفعل
وعقده سليم مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص وانما
حسن حذف الفا فيه لان الشرط بلفظ الماضى او من كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس مثل به من هداه

الله

الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات يتامل بها
في الاشيا فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل ابن عباس او من
كان كافرا فهديناه نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقال زيد
ابن اسلم فاحييناه عمر كمن مثله في الظلمات ابو جهل والصحيح
العموم في كل مومن وكافر وقيل ميتا بالجهل فاحييناه بالعلم
والنور عبارة عن الهدى والايمان وقيل القران وقيل هو
النور المذكور في قوله يسعى نورهم بين ايديهم الاية والظلمات
الكفر والجهل وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف
لا من مثله في الظرف للفصل وهو مثل لمن بقى على الضلالة لا يفارقها
بحال كذلك اى كما زين للمومنين اعمالهم زين للكافرين ما كانوا
يعملون اى زين لهم الشيطان عبادة الاصنام واوهمهم انهم
افضل من المسلمين وكذلك اى وكما جعلنا فساق مكة اكابرها
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها بالصد عن الايمان
وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقدير
المفعول الثاني اى في كل قرية اكابر مجرميها بدل وتجوز ان يكون
مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف
جاز فيه الافراد والمطابقة وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على
استتباع والمكر بهم قال مجاهد يريد العلما وقيل الروساء
والعظما والمكر الحيلة في مخالفة الاستقامة واصله الفتل
فالماكر يفتل عن الاستقامة اى يصرف عنها قال مجاهد كانوا
اجلسوا على كل عقبة اربعة ينفرون الناس عن اتباع النبى

صلى الله عليه وسلم كما فعل من قبلهم من الامم السالفة بانبيائهم
وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله تحيق بهم وما يشعرون
بذلك لفرط جهلهم واذا جاءتهم اية على صدق النبي صلى الله عليه
وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار
قريش لما روى ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا
لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر مالا وقال
ابو جهل زاحمنا بنو عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا
منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا
وحي كما ياتيه وقيل المعنى لن نؤمن حتى نكون انبيا نؤتى كما
اوتي موسى وعيسى من الايات الله اعلم حيث يجعل رسالاته
استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما
هي بفضايل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده يجتبي لرسالته
من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وهولاء
ليسوا اهلها وحيث ليس ظرفا هنا بل هو اسم نصب نصب المفعول
به على الاتساع اي الله اعلم اهل الرسالة ولا يجوز ان يعمل اعلم
في حيث لان المعنى يكون على ذلك الله اعلم في هذا الموضع وذلك
لا يجوز ان يوصف به الباري تعالى وانما موضعها نصب بفعل
مضمر دل عليه اعلم اي يعلم وقرئ رسالته بالجمع والافراد
سيصيب الذين اجرموا بقولهم ذلك صغار اي ذل وحقارة بعد
كبرهم فكان الذل يصغر الى المرء نفسه وقيل من الصغر وهو
الرضى بالذل والصاغر الراضي بالضيم عند الله يوم القيمة وقيل

تقديره

تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون اي بسبب
مكرهم جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه اي يعرفه طريق
الحق يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفسح فيه مجاله وهو
كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة
عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين
سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المومن فينشرح له وينفسح
فقالوا اهل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود
والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان
يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله
الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بالكسر اي شديد الضيق
وبالفتح وصفا بالمصدر مبالغة وقيل بالفتح جمع حرجه وهي شدة
الضيق الزجاج الحرج اضيق الضيق وقيل بالفتح ذا حرج وبالكسر
اسم فاعل كدنف كانما يصعد وفي قراءة يصاعد وفيها ادغام التا
في الصاد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا
يقدر عليه فان صعود السما مما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على
ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عليه الصعود وقيل المعنى كانما
يتصاعد الى السما نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل
يصعد يتصعد وقرئ يصعد بسكون الصاد مخففا من الصعود
وهو الطلوع وبالتشديد معناه يتكلف ما لا يطيق شيا بعد شيء
كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس
على الذين لا يومنون اي يجعل العذاب والخذلان عليهم فوضع

الظاهر موضع المضمر للتعليل والرجس في اللغة النتن وقيل المعنى
يجعل الله اللعنة في الدنيا والعذاب في الاخرة وقيل الشيطان
اي تسليطه على الذين لا يومنون وهذا اشارة الى البيان الذي جاء
به القران او الى الاسلام او الى التوفيق او الذي انت عليه يا محمد
صراط ربك اي الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقته الذي
اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه وهو حال موكدة كقوله وهو
الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا
بينا الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل
ما تحدث من خير او شر فهو بقضايه وخلقه وانه عالم باحوال
العباد حكيم عادل فيما يفعل فيهم لهم دار السلام اي دار الله اضاف
الجنة الى نفسه تعظيما لها او المعنى دار السلامة من المكاره او دار
تحيتهم فيها سلام عند ربهم اي في ضمانه يوصلهم اليها بفضله
او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم اي مواليهم
وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم ويوم نحشرهم بالنون
وقرئ بالياء اي الله جميعا نصب باضمار اذكر او نقول المضمر لمن
نحشر من الثقلين يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس
اي من اغوايهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم
كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياوهم من الانس الذين
اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن
بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان
اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا

يعودون

يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس
اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت
لنا اي البعث وهو اعتراف منهم بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع
الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال الله على لسان الملايكة
النار مثواكم اي منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل
فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شا
الله الا الاوقات التي ينتقلون فيها من النار الى الزمهرير او الى
الحميم فانهما خارجها كما قال تعالى ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقيل
الا ما شا الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم
وقال الزجاج الا ما شا الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار
مدتهم في الحساب وقال ابن عباس الاستثنا لاهل الايمان اي
من في علم الله انهم يومنون فما بمعنى من ان ربك حكيم في افعاله
عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك اي كما متعنا عصاة الانس
والجن بعضهم ببعض نولي بعض الظالمين بعضا اي نكل بعضهم الى
بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اوليا بعض وقرنا
في العذاب كما كانوا في الدنيا ابن زيد نسلط ظلمة الجن على ظلمة
الانس وقيل نسلط بعض الظلمة على بعض فيذله ويهلكه وهذا
تهديد للظالم ان لم يمتنع من ظلمه سلط الله تعالى عليه ظالما اقوى
منه ابن عباس اذا اراد الله بقوم شرا ولى امرهم شرارهم بما كانوا
يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل
منكم الرسل من الانس خاصة ولكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح

ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يخرج من الملح دون العذب
وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم
ابن عباس رسل الجن هم الذين بلغوا قومهم ما سمعوا من الوحي كما قال
ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم اياتي وينذرونكم اي يخوفونكم
لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم
والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وقيل
شهدنا بانهم بلغوا وغرتهم الحياة الدنيا قيل هو خطاب من الله تعالى
للمومنين اي ان هولا غرتهم الحياة الدنيا اي خدعتهم وظنوا انها
تدوم وخافوا زوالها ان امنوا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
كافرين اي اعترفوا بكفرهم قال مقاتل هذا حين شهدت عليهم
الجوارح بالشرك وقيل هو ذم لهم على سوء نظرهم وخطا رايهم فانهم
اغتروا بالحياة الدنيويه واللذات المخدعة واعرضوا عن الاخرة
بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم
بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم
ذلك اشارة الى رسال الرسل وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك
ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم منها واهلها غافلون تعليل
للحكم وان مصدريه او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء
كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب ظلم
فعلوه او متلبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول
والمعنى انما فعلنا هذا بهم لاني لم اكن اهلك اهل القرى بظلمهم اي
بشركهم قبل ارسال الرسل اليهم فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير

ولكل

ولكل من الثقلين درجات اي مراتب مما عملوا اي من اعمالهم من خير او
شر او من جزايها او من اجلها وفي هذا ما يدل على ان المطيع من الجن
في الجنة والعاصي منهم في النار كالانس وهذا اصح ما قيل في ذلك
والمعنى ولكل عامل بطاعة درجات في الثواب ولكل عامل بمعصية
درجات في العقاب وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل
او قدر ما يستحق به من ثواب وعقاب وقرى بالياء والتاء والغفلة
ان يذهب الشي عنك لاشتغالك بغيره وربك الغني عن العباد
والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف لكمالهم ويمهلهم على
المعاصي وقيل ذو الرحمة باوليايه واهل طاعته وفيه تنبيه
على ما سبق ذكره من ان الارسال ليس لنفعه بل للترحم على العباد ان
يشاء يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشا يذهبكم يا اهل
مكة او ايها العصاة بالاماتة او الاستيصال بالعذاب ويستخلف
من بعدكم ما يشاء من الخلق او خلقا اخر امثل منكم واطوع كما
انشاكم من ذرية قوم اخرين اذهبهم قرنا بعد قرن لكنه ترحما
عليكم انما توعدون من البعث واحواله لات اي لكاين لا محالة
وما انتم بمعجزين اي فايتين طالبكم وقيل بغالبين قل لهم يا قوم اعملوا
على مكانتكم اي على غاية تمكنكم واستطاعتكم او على ناحيتكم وجهتكم
التي انتم عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل بما كنت
عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر
مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله
بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد لا ياتي منه الا الشر.

المامور به فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل
من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله
لها هذه الدار فمحلها الرفع وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون
اى فسوف تعرفون الذى تكون له العاقبة وفيه مع الانذار
انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه
محق وقرئ باليا لان تانيث العاقبة غير حقيقى انه لا يفلح الظالمون
وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فايدة وجعلوا اى
مشركوا العرب لله مما ذرا اى خلق من الحرث اى الزرع والانعام
نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركاينا فما كان لشركايهم
فلا يصل الى الله الى جهته وما كان لله فهو يصل الى شركايهم
روى انهم كانوا يعينون شيا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى
الضيفان والمساكين وشيا منها لالهتهم ينفقونه على سدنتها
ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوه لله ازكى بدلوه لالهتهم
وان راوا ما لالهتهم ازكى تركوه لها وفى الكلام حذف وهو وجعلوا
لاصنامهم نصيبا دل عليه ما بعده وكان هذا مما زينه الشيطان
وسوله لهم قال ابن عباس جعلوا لله جزا ولشركايهم جزا فاذا
ذهب ما لشركايهم بالانفاق عليها وعلى سدنتها عوضوا منه
ما لله واذا ذهب ما لله بالانفاق لم يعوضوا منه شيا وقالوا
الله مستغن عنه وشركاونا فقرا وفى قوله مما ذرا تنبيه على فرط
جهالتهم فانهم اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شى ثم
رجحوه عليه بان جعلوا الزاكى له وفى قوله بزعمهم تنبيه على ان
ذلك

ذلك مما اخترعوه لم يامر الله به والزعم الكذب وقرى بالفتح والضم
وهما لغتان ساء ما يحكمون اى ساء الحكم حكمهم وكذلك اى ومثل
ذلك التزيين فى قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
بالواد ونحرهم لالهتهم شركاوهم من الجن او من السدنة وهو فاعل
زين قال مجاهد وغيره زينت لهم قتل البنات مخافة العيلة
والفقر وسمى الشياطين شركا لانهم اطاعوهم فى معصية الله وقيل
كان الرجل فى الجاهلية يحلف بالله لئن ولد له كذا غلاما لينحرن
احدهم كما فعله عبد المطلب وقرا ابن عامر زين بالبنا للمفعول الذى
هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركا باضافة القتل اليه
مفصولا بينهما بمعموله حكاه ابو عبيد عن ابن عامر واهل الشام
قال النحاس فاما ما حكاه ابو عبيد فلا يجوز فى كلام ولا شعر
وانما اجاز النحويون التفريق بين المضاف والمضاف اليه بالظرف
لانه لا يفصل فاما الفصل بغير الظرف فلحن ونحوه عن مكى وقال
ابن حمدان قراة ابن عامر لا تجوز فى العربية وهى زلة عالم واذا زل
العالم لم يجز اتباعه وانما اجازوا فى الضرورة للشاعر ان يفرق
بين المضاف والمضاف اليه بالظرف لانه لا يفصل كقوله

كما خط الكتاب بكف يوما * يهودى يقارب او يزيل

وقول الاخر * لما رات ساتيدما استعبرت * لله در اليوم من لامها

قال القشيرى وقال قوم هذا قبيح وهذا محال لانه اذا ثبت بالتواتر
عن النبى صلى الله عليه وسلم فهو الفصيح لا القبيح وقد ورد ذلك
فى كلام العرب وفى مصحف عثمان شركايهم بالياء واضيف لقتل

في هذه القراة الى الشركا لان الشركا هم الذين زينوا ذلك ودعوا
اليه فالفعل مضاف الى فاعله كما هو الاصل لكنه فرق بين المضاف
والمضاف اليه وقدم المفعول وتركه منصوبا على حاله اذ كان متاخرا
في المعنى واخر المضاف اليه وتركه مخفوضا على حاله اذ كان متقدما
وقال غيره الذين تعرضوا الانكار قراة ابن عامر على قسمين منهم من ضعفها
ومنهم من جهل قاريها فلا نتكلم الاول لو اعذره ولا نتكلم الا الثاني
لتجهيله مثل ابن عامر وتخطيئته اياه مع ثبوت قراته ورفع قدره
وصحة ضبطه وتحقيقه فمن خطا مثل هذا فهو الذي يستحق اللوم
واذا ثبتت القراة فلا وجه للرد والانكار وقال المهدوي قراة
ابن عامر هذه على التفرقة بين المضاف والمضاف اليه ومثله
قول الشاعر • فزججتها بمزجة • زج القلوص ابي مزاده •
ولا يضر اضافة القتل الى الشركا لامرهم به ليردوهم اي ليهلكوهم
بالاغوا وليلبسوا عليهم دينهم اي وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من
دين اسمعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام
للتعليل ان كان التزيين من الشيطان وللعاقبة ان كان من السدنة
ولو شا الله ما فعلوه اي ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركا المزينين
او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراهم وما يفترونه
من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لالهتهم انعام وحرث
حجر اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي الواحد والكثير والذكر
والانثى واصله المنع لا يطعمها الا من نشا من خدمة الاوثان وغيرهم
من الرجال دون النسا بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها
فلا

فلا تركب كالبحاير والسوايب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها
عند ذبحها وانما يذكرون اسما الاصنام عليها وقيل لا يحجون على
ظهورها قاله ابو وايل افترا عليه نصب على المصدر لان ما قالوه
تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على
الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا
يفترون عليه اي بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام
المحرمة يعنون اجنة البحاير والسوايب وقال ابن عباس هو اللبن ٥
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا اي حلال للذكر خاصة دون
الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركا اي فالذكور
والاناث فيه سوا وتانيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة وقيل
انها للمبالغة في الخلوص مثل علامة وهي بالرفع خبر المبتدا الذي هو
ما وقيل انما يرجع الى الالبان والاجنة فجا التانيث على المعنى
والتذكير على اللفظ ولهذا قال ومحرم على اللفظ وقال فيه لان
المراد بالميتة الحيوان وقرئ ميتة بالنصب خبر يكن وبالرفع على ان
كان تامة وقرئ بتذكير يكن وتانيثه لان التانيث في الميتة غير
حقيقي سيجزيهم الله وصفهم اي جزا وصفهم الكذب على الله في
التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم في صنعه
بخلقه عليم قد خسر الذين قتلوا بالتخفيف والتشديد اولادهم
سفها بريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي
والفقر وكان من العرب من يقتل ولده خشية الاملاق ومنهم من
يقتله سفها بغير حجة وهم ربيعة ومضر يقتلون بناتهم لاجل

الحمية ومنهم من يقول الملائكة بنات الله فالحقوا البنات بالبنات ٥
بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازقا ولادهم لا هم ٥
وحرموا ما رزقهم الله من البحاير ونحوها افتراء على الله قد ضلوا
وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشا خلق جنات
اى بساتين من الكروم معروشات اى مرفوعات على ما يحملها ٥
وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقال ابن عباس
معروشات ما انبسط على الارض مما يعرش كالكروم والزرع
والبطيخ وغير معروشات ما قام على ساق مثل النخل وساير
الاشجار وعنه ايضا المعروشات ما انبته ورفعه الناس
وغير معروشات ما خرج في البوادي والجبال من الثمار يدل عليه
قراءة مغروسات وغير مغروسات بالغين المعجمة والسين المهملة
وانشا النخل والزرع مختلفا اكله اى ثمره الذي يوكل في الهيئة والكيفية
والطعم والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في
حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد
منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشا اى انشاها
مقدرا فيها الاختلاف وقد بين ذلك سيبويه بقوله مررت برجل
معه صقر صايدا به غدا والزيتون والرمان متشابها وغير
متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون وفي الطعم ولا يتشابه
بعضه وفي هذا دليل على ان المتغيرات لا بد لها من مغير ودليل
على المنة علينا فلو شا اذ خلقنا ان لا يخلق لنا غذا واذا خلقه
ان لا يكون جميل المنظر طيب الطعم واذ خلقه كذلك ان لا يكون سهل

الجنا

الجنا ودليل على القدرة في ان الما الذي من شانه الرسوب يصعد
بقدرة الواحد علام الغيوب من اسافل الشجرة الى اعاليها حتى
اذا انتهى الى اخرها تشافيه اوراق ليست من جنسها وثمر خارج من
صفته الجرم الوافر واللون الزاهر والجنا الجديد والطعم اللذيذ
فاين الطبايع واجناسها واين الفلاسفة واناسها هل في قدرة ٥
الطبيعة ان تتقن هذا الاتقان الغريب وترتب هذا الترتيب
العجيب كلا لا يتم ذلك في العقول الا بحي عالم قدير مريد ووجه
اتصال هذا بما قبله ان الكفار لما افتروا على الله واشركوا وحللوا
وحرموا دلهم على وحدانيته تعالى بانه خالق الاشيا وانه جعل
هذه الاشيا ارزاقا لهم كلوا من ثمره اى من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر
وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فايدته رخصة المالك في الاكل
منه قبل ادا حق الله واتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق
به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والاية
مكية وقوله كلوا واتوا امران الاول مباح وفيه معنى الامتنان ٥
والثاني واجب ولا يمتنع اقتران المباح والواجب وبدا بذكر نعمة
الاكل قبل الامر بايتا الحق ليتبين ان الابتدا بالنعم كان من فضله
قبل التكليف وقال انس بن مالك وابن عباس والحسن وابن زيد
وغيرهم هي الزكاة المفروضة العشر ونصف العشر وقال عطا
وحماد وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم هي حق في المال سوى
الزكاة امر به ندبا وقيل منسوخ بالزكاة وقال به السدي والنخعي
وغيرهما والامر بايتايها يوم الحصاد ليهتم به حينيذ حتى لا يوخر

عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرئ
بفتح الحاء وكسرها لغتان **ولا تسرفوا** في التصدق بكله لقوله
ولا تبسطها كل البسط والمقصود من الاية لا تاخذوا الشيء
بغير حقه وتضعوه في غير حقه والاسراف في اللغة الخطا وفي
النفقة التبذير وقال مجاهد لو كان ابو قبيس ذهبا لرجل فانفقه
في طاعة الله لم يكن مسرفا ولو انفق درهما واحدا في معصية كان
مسرفا وقال اياس بن معاوية ما جاوزت به امر الله فهو سرف
وقيل لحاتم لا خير في السرف فقال ولا سرف في الخير القرطبي
ويرد هذا لما ورد عن ابن عباس ان ثابت بن قيس عمد الى خمسماية
نخلة فجذها ثم قسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيا فنزلت
ولا تسرفوا اي لا تعطوا كله السدي لا تعطوا اموالكم فتقعدوا فقرا
انه لا يحب المسرفين المتجاوزين ما حد لهم اي لا يرتضي فعلهم **ومن
الانعام حمولة وفرشا** عطف على جنات اي وانشا من الانعام
ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره
وصوفه ووبره وقيل الحمولة تختص بالابل وقيل ما احتمل عليه
من بعير او حمار او بغل والفرش الغنم ابن زيد الحمولة ما يركب
والفرش ما يوكل لحمه ويحلب مثل الغنم والفصلان والعجاجيل
سميت فرشا للطافة اجسامها وقربها من الفرش وهي الارض
وفعولة اذا كان بمعنى الفاعل استوى فيه المذكر والمونث يقال
رجل فروقة وامراة فروقة للجبان والخايف واذا كان بمعنى
المفعول فرق بين المذكر والمونث كالحلوبة والركوبة والحمولة

كلوا مما رزقكم الله اي كلوا مما احل لكم منه وهو امر امتنان **ولا تتبعوا
خطوات الشيطان** في التحليل والتحريم من عند انفسكم **انه لكم عدو مبين**
اي ظاهر العداوة **ثمانية ازواج** اصناف بدل من حمولة وفرشا
او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او حال من ما بمعنى مختلفة
او متعددة والزوج ما معه اخر من جنسه يزاوجه فيقال
للذكر زوج وللانثى زوج وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول يعني
ثمانية افراد **من الضان اثنين** اي زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو
بدل من ثمانية والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع
ضاين كتاجر وتجر **ومن المعز** بالفتح والسكون **اثنين** التيس
والعنز وهو جمع ماعز كصاحب وصحب والضان ذوات الصوف
من الغنم والمعز ذوات الشعور والاذناب القصار **قل** يا محمد لمن حرم
ذكور الانعام تارة واناثها اخرى ونسب ذلك الى الله **آلذكرين**
ذكر الضان وذكر المعز **حرم** الله عليكم **ام الانثيين** منهما ونصب
الذكرين والانثيين بحرم وزيدت مع الف الوصل مدة ليفرق بين
الاستفهام والخبر **اما اشتملت عليه ارحام الانثيين** اي او ما حملت
اناث الجنسين ذكرا كان او انثى **نبئوني بعلم** اي بامر معلوم يدل على
ان الله حرم شيا من ذلك **ان كنتم صادقين** في دعوى التحريم عليه
**ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين** كما سبق والمعنى قل لهم ان كان الله
تعالى حرم الذكور فكل ذكر حرام وان كان حرم الاناث فكل انثى حرام
وان كان حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين فكل مولود حرام

ذكرا كان او انثى وكلها مولود فكلها اذا حرام لوجود العلة فان كان
فالمراد انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما
تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا تحرمون ذكور الانعام تارة واناثها
تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله تعالى حرمها وتركت
الاية في مالك بن عوف واصحابه حيث قالوا ما في بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا فنبه الله عز وجل
نبيه عليه الصلاة والسلام والمومنين بهذه الاية على فساد
قولهم وانتقاض علتهم وان ما فعلوه من ذلك افترا على الله ام كنتم
شهداء اي بل اكنتم شهداء حاضرين اذ وصاكم الله بهذا لحين وصاكم
بهذا التحريم اذ انتم لا تومنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال
ذلك الا المشاهدة لا بل انتم كاذبون فيه فمن اي لا احد اظلم ممن
افترى على الله كذبا بان نسب اليه تحريم ما لم تحرم والمراد كبراوهم
المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة الموسس له ليضل الناس بغير
علم بذلك ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الى
اي في القران او فيما اوحي الى مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم
انما يعرف بالوحي لا بالهوى محرما اي طعاما محرما على طاعم
يطعمه الا ان يكون بالياء والتاء ميتة اي الا ان يكون الطعام
ميتة بالنصب وقري بالرفع مع التحتانية او دما مسفوحا عطف
على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا
كالدم في العروق لا الكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس اي
فان الخنزير او لحمه حرام او قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث

او

اوفسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل
لغير الله به اي ذبح على اسم غيره والجملة صفة له موضحة وانما سمي
ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا
مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى
ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر اي فمن دعته الضرورة الى تناول
شي من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان
ربك غفور رحيم لا يواخذه والاية محكمة لانه يدل على انه لم يجد
فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود
التحريم في شي اخر ومعنى الاية قل لا اجد فيما اوحي الى الا هذه الاشيا
لا ما تحرمونه بشهوتكم والاية مكية ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت
محرم غير هذه الاشيا ثم نزلت سورة المايدة بالمدينة وزيد
في المحرمات كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة والخمر
وغير ذلك وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ونظيره نكاح المراة
على عمتها وعلى خالتها مع قوله واحل لكم ما وراء ذلكم وقيل
الاية منسوخة بقوله عليه الصلاة والسلام اكل كل ذي ناب
من السباع حرام وقيل محكمة ولا يحرم الا ما فيها وهو قول ابن عمر
وعايشة وقال الطبري بنى عليها الشافعي تحليل كل مسكوت عنه
اخذا من هذه الاية الا ما دل عليه الدليل وقيل ان الاية جواب
لمن سال عن شي بعينه فوقع الجواب مخصوصا وهذا مذهب الشافعي
قال الشافعي ان الكفار لما حرموا ما احل الله واحلوا ما حرم الله

وكانوا على المضادة والمحاده جآت الاية مناقضة لفعلهم فكانه
قال لا حلال الا ما حرمتموه ولا حرام الا ما حللتموه وذلك نازل
منزلة من تقول له لا تاكل اليوم حلاوة فيقول لا اكل اليوم الا
الحلاوة والغرض المضادة لا النفي والاثبات على الحقيقة
وقال ابو عمرو يلزم على قول من قال لا يحرم الا ما فيها ان لا يحرم
ما لم يذكر اسم الله عليه ويستحل الخمر المحرمه وغير ذلك مما
حرم بعد نزولها وعلى الذين هادوا اليهود حرمنا كل ذي ظفر
وهو كل ما لم تفرق اصابعه كالابل والنعام والاوز والبط
والسباع وقال ابن زيد الابل فقط وقيل ذي ظفر اي مخلب وحافر
وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن
البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما اي الشحوم الثروب
وشحوم الكلي والاضافه لزيادة الربط والثروب جمع ثرب
وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش وقال ابن جريج حرم عليهم
كل شحم غير مختلط بعظم او على عظم واحل لهم شحم الجنب والالية
لانه على العصعص الا ما حملت ظهورهما اي الا ما علقت بظهور
منه فما في موضع نصب على الاستثنا وظهورهما رفع بحملت
او الحوايا اي او ما اشتملت على الامعا جمع حاويه او حاويا
كقاصعا وقواصع وهي في موضع رفع عطف على الظهور اي
او حملت حواياهما وعلى هذا تكون الحوايا من جملة ما احل او
ما اختلط بعظم منه هو شحم الاليه لاتصاله بالعصعص
وما في موضع نصب على ما حملت ايضا هذا اصح ما قيل فيه
وهو

وهو قول الكسآي والفرا وقيل ان الاستثنا في التحليل انما هو
ما حملت ظهورهما خاصة وقوله او الحوايا او ما اختلط معطوف
على المحرم وعن ابن عباس الحوايا المباعر ذلك اي التحريم او الجزا
جزيناهم به ببغيهم اي بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النسا
وانا الصادقون في الاخبار والوعد والوعيد فاخبر الله تعالى
انه كتب تحريم هذا عليهم في التوراة ردا لكذبهم في قولهم ان الله
تعالى لم يحرم علينا شيا وانما حرمنا على انفسنا ما حرم اسرائيل
على نفسه فكذبهم الله ونصه في التوراة حرمت عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وكل دآبة ليست مشقوقة الحافر وكل حوت ليس فيه
سفاسق اي بياض ثم نسخ الله ذلك كله بشريعة محمد صلى الله عليه
وسلم واباح لهم ما كان محرما عليهم فان كذبوك فيما جيت به
فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا
بامهاله فانه لا يهمل وفيه تلطف بدعايهم الى الايمان ولا يرد
باسه عذابه عن القوم المجرمين حين نزل او ذو رحمة واسعة
للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد باسه
لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه
لازب بهم لا يمكن رده عنهم وهو في الاخره وقيل في الدنيا وظاهر
الاية العموم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع
مخبره يدل على اعجازه لو شا الله ما اشركنا نحن ولا اباونا
ولا حرمنا من شيء اي لو لم يرض شركنا الحال بيننا وبينه ولا فعلنا
نحن ولا اباونا من تحريم البحيرة والسايبة وظنوا ان هذا متمسك لهم

لما الزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما كانوا عليه او المعنى لوشا الله ه
لا رسل الرسل الى ابائنا فنهوهم عن الشرك وعن تحريم ما احل ه
وارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار
عن ارتكاب هذه القبايح بارادة الله اياها منهم فتعلقوا بالمشية
وتركوا الامر فمشية الله تعالى تعم الكائنات وامره لا يعم مراداته
فليس للانسان ان يتعلق بالمشية بعد ورود الامر كذلك
كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من
الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف باونا
على الضمير في اشركنا من غير تاكيد للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا
عذابنا الذي انزل عليهم بتكذيبه قل هل عندكم من علم اي من امر
معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم من ان الله راض بذلك فتخرجوه
لنا اي فتظهروه لنا اي لا علم عندكم ان تتبعون الا الظن اي
ما تتبعون في ذلك الا الظن وان ما انتم الا تخرصون اي تكذبون
فيه على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل
ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الاية فيه قل ان لم تكن لكم حجه فلله
الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة
على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى
القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شا هداكم
لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شا هداية قوم
واضلال اخرين فحجة الله تعالى تبيينه انه الواحد وارساله
الرسل فبين التوحيد بالنظر في المخلوقات وايد الرسل بالمعجزات

ولزم

ولزم امره كل مكلف فاما علمه وارادته وكلامه فغيب لا يطلع
عليه الا من ارتضى من رسول ويكفي في التكليف ان يكون العبد
بحيث لو اراد ان يفعل ما امر به امكنه وانما ذم الله هولاء في قولهم
لوشا الله ما اشركنا الاية لانهم قالوا ذلك على جهة الهزء واللعب
كما قالوا لوشا الرحمن ما عبدناهم ولو قالوه على جهة التعظيم
والاجلال والمعرفة بالله لما عابهم لان الله تعالى يقول ولوشا الله
ما اشركوا وما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله ولوشا لهداكم اجمعين
ومثله كثير قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا
اي قدوتكم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجه ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم
وهلم اسم فعل لا ينصرف عند اهل الحجاز وفعل يونث ويجمع عند
بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت
الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام
فحذفت الهمزة بالقا حركتها على اللام وهو بعيد لان هل
لا يدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية ولازما كقوله هلم الينا
والمعنى قل لهولا المشركين احضروا شهداكم على ان الله حرم ما حرمتم
فان شهدوا فلا تشهد معهم اي فلا تصدقهم وبين لهم فساده
فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطله ولا تتبع اهواء
الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان
مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجه لا يكون الا مصدقا
بها والذين لا يومنون بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون
اي يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله

لمن كان في سفل فاتسع فيه بالعموم اتل اي اقرا ما حرم ربكم منصوب
باتل وما تحتمل الخبريه والمصدريه ويجوز ان تكون استفهاميه
منصوبه بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اتل اي شي حرم ربكم
عليكم متعلق بحرم او اتل والاول اولى عند البصريين لقربه
والثاني اولى عند الكوفيين لسبقه ان لا تشركوا به شيا ان
لا تشركوا في موضع نصب بتقدير فعل من لفظ الاول اي اتل عليكم
ان لا تشركوا اي تحريم الاشراك ولا قيل نافيه وقيل ناهيه
وقيل زايده وشيا يحتمل المصدر والمفعول ويحتمل وقيل
ان مفسره وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا ووضعه
موضع النهي عن الاساة اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك
الاساة في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما والاحسان اليهما
برهما وصيانتهما وامتثال امرهما وترك السلطنة عليهما ولا
تقتلوا اولادكم من املاق اي من اجل فقر ومن خشيته كما قال
تعالى خشية املاق والمراد واد البنات وقد كان منهم من
يفعل ذلك بالاناث والذكور خشية الفقر وقيل الاملاق
الجوع نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلونه
لاجله واحتجاج عليهم ولا تقربوا الفواحش اي كباير الذنوب
او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله
ظاهر الاثم وباطنه وقيل الفواحش كل ما عظم وما بطن
ما عقد عليه القلب من المخالفة ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن وترك الصلاة

والحرابة

والحرابة بشرطها والالف واللام في النفس لتعريف الجنس ذلكم
المذكور وصاكم به اي بحفظه والضمير في وصاكم يعود على الله
والوصية الامر المؤكد لعلكم تعقلون اي ترشدون فان كمال
العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي
بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله وذلك بحفظ اصوله
وتثمير فروعه حتى يبلغ اشده بان يحتلم وهو جمع شدة كنعمة
وانعم وقيل مفرد والمراد قوته وقد تكون في البدن وقد تكون
في المعرفه بالتجربه ولا بد من حصول الوجهين وقد جا بيان حال
اليتيم في سورة النسا فقال تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا
النكاح فجمع بين قوة البدن وهو بلوغ النكاح وقوة المعرفة
بايناس الرشد وخص اليتيم بهذا الشرط لغفلة الناس عنه
وافتقاد الآبا لابنايهم فكان الاعتنا بفقيد الاب اولى وليس
بلوغ الاشد مما يبيح قرب ماله بغير الاحسن لان الحرمة في حق
البالغ ثابته والمعنى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
على الابد حتى يبلغ اشده فاذا بلغ اشده واونستم منه الرشد
فادفعوا اليه ماله ففي الكلام حذف واوفوا الكيل والميزان
بالقسط اي بالعدل والتسويه في الاخذ والعطا عند البيع
والشرا لا نكلف نفسا الا وسعها اي الا ما يسعها ولا يعسر عليها
وذكره عقيب الامر معناه ان ايفا الحق عسر فعليكم بما في وسعكم
وهذا يقتضي ان هذه الاوامر انما هي فيما يقع تحت قدرة البشر
من التحفظ والتحرز وما لا يمكن الاحتراز عنه من تفاوت ما بين

الكيلين ولا تدخل تحت قدرة البشر فعفو عنه كالخطا في الكيل
والوزن والله يعلم صحة نيته فلا يواخذه عليه واذا قلتم
في حكم او غيره كشهادة فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى اي ولو كان
المقول له او عليه وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة
العدل وتادية احكام الشرع وجميع ما انعقد بين انسانين
واضيف ذلك العهد الى الله من حيث امره بحفظه والوفا به
ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون اي تتعظون به وان هذا صراطي
مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات
التوحيد والنبوة وبيان الشريعة ومستقيما نصب على الحال
ومعناه مستويا بلا اعوجاج فيه قرئ بالكسر على الاستيناف وقرئ
بالفتح والتخفيف وبالفتح والتشديد بتقدير اللام على انه علة
لقوله فاتبعوه ولا تتبعوا السبل اي الاديان المختلفة او الطرق التابعة
للهوى فان مقتضى الحق واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف
الطبايع والعادات فتفرق فيه حذف احدى التائين بكم عن سبيله
اي فتفرقكم وتزيلكم عن اتباع الوحي واقتفاء البرهان والمراد
بسبيله ما طرقه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه
ونهايته الجنة وتشعبت منه طرق فمن سلك الجادة نجا ومن
خرج الى تلك الطرق افضت به الى النار وهذه السبل تعم اليهودية
والنصرانية والمجوسية وساير اهل الملل واهل البدع والضلال
من اهل الاهوا ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق
عن الحق ثم اتينا موسى الكتاب التوراة عطف على وصاكم وثم

للتراخي

للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل وصاكم به
قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب تماما
للكرامة والنعمة على الذي احسن اي على كل من احسن القيام قال
مجاهد تماما على المحسن المومن وقال الحسن كان فيهم محسن وغير
محسن فانزل الله الكتاب تماما على المحسنين وقيل تماما على الذي
احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام او تماما على ما احسنه
اي ما اجاده من العلم والشرايع اي زيادة على علمه اتماما له
وقال الربيع تماما على احسان موسى من طاعته لله وتفصيلا
لكل شيء اي وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو
عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى
ورحمة لعلهم اي لعل بني اسرايل بلقاء ربهم يومنون اي بالبعث
للجزا وهذا كتاب يعني القران انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه
يا اهل مكة واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما
فيه لتكونوا راجين الرحمة فلا تعذبون ان تقولوا اي كراهة ان
تقولوا وهو علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طايفتين من
قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي
المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان مخففة
واسمها محذوف اي انه كنا عن دراستهم اي قراءتهم لغافلين لا ندري
ما هي ولا نعرف مثلها اذ ليست بلغتنا ولم يقل عن دراستهما
لان كل طايفة جماعة او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا

ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب
على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم اى حجة واضحة اى فقد
زال العذر بمجىء محمد صلى الله عليه وسلم والبينة والبيان واحد
وهدى ورحمة لمن اتبعه فمن اى لا احد اظلم ممن كذب بآيات الله
بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها فان كذبتم فلا احد اظلم
منكم وصدف عنها اى اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزى
الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب اى شدته بما كانوا
يصدفون اى باعراضهم وصدهم هل ينظرون ما ينتظرون
يعنى اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم
لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم بالتاء والياء الملائكة
اى ملائكة الموت والعذاب او يأتى ربك اى امره بالعذاب ه
ابن عباس امر ربك فيهم بالقتل او غيره وقد يذكر المضاف اليه
والمراد المضاف كقوله واسئل القرية وقيل هذا من المتشابه
الذى لا يعلمه الا الله وقيل المراد كل آية اى آيات القيمة
والهلاك الكلى لقوله او يأتى بعض آيات ربك الدالة على الساعة
يوم يأتى بعض آيات ربك هو طلوع الشمس من مغربها بين بهذا
انهم يمهلون فى الدنيا فاذا ظهرت الساعة فلا امهال وقيل
اتيان الله مجيئه لفصل القضا بين خلقه فى الموقف كما قال
وجاء ربك والملك صفا صفا وليس مجيئه تعالى حركة وانتقالا
ولا زوالا تعالى الله عن ذلك والذى عليه ائمة اهل السنة انهم
يقولون يجىء وينزل ويأتى ولا يكيفون لانه ليس كمثله شىء وفى

صحيح

صحيح مسلم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او
كسبت فى ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال
ودابة الارض وعن صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة
مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه وعن
حذيفة والبرا بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا
نتذاكر الساعة فقال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات
الدخان • ودابة الارض • وخسفا بالمشرق • وخسفا
بالمغرب • وخسفا بجزيرة العرب • والدجال • وطلوع
الشمس من مغربها • ويأجوج ومأجوج • ونزول عيسى •
ونار تخرج من عدن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل
كالمحتضر اذا صار الامر عيانا او كسبت فى ايمانها خيرا عطف
على امنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة
ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو
دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا
الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين
على معنى لا ينفع نفسا خلت من ايمانها والعطف على لم تكن
بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان كسبت
فيه خيرا • السيوطى لم تكن امنت من قبل الجملة صفة نفس

او نفسا لم تكن كسبت في ايمانها خيرا طاعة اي لا ينفعها توبتها
كما جا في الحديث قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا
اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينيذ لنا الفوز
وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم اي بددوه فامنوا ببعض
وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام
افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاويه
الا واحدة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقه
كلها في الهاويه الا واحده وتفترق امتي على ثلاث وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحده وقال مجاهد المراد اليهود
والنصارى فانهم قد وصفوا بالتفرق قال تعالى وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاتهم البينة وقيل عنى
المشركين عبد بعضهم الصنم وبعضهم الملايكه الى غير ذلك
وقيل كل من ابتدع وفي الخبر ان الذين فرقوا دينهم هم اهل
البدع والشبهات واهل الضلالة من هذه الامه وقرى
فارقوا من المفارقه اي تركوا وباينوا دينهم الذي امروا به
وكانوا شيعا اي فرقا واحزابا بشيع كل فرقة اماما لست منهم
في شي اي من السوال عنهم وعن تفرقهم او انت برى منهم فاوجب الله
برائته منهم وهو كقوله عليه الصلاة والسلام من غشنا فليس
منا اي نحن برآ منه وقيل المعنى لست من عقابهم في شي
انما عليك الانذار وقيل هو نهي عن التعرض لهم فهو منسوخ
باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاهم فينبيهم بما كانوا

يفعلون فيجازيهم بالعقاب من جا بالحسنة قيل هي لا اله
الا الله فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا
من الله وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جا الوعد
بسبعين وبسبعمايه وبغير حساب وحسن التانيث
في عشر امثالها لما كان الامثال مضافا الى مونث والمضاف
الى المونث اذا كان اياه في المعنى حسن فيه ذلك نحو يلتقطه
بعض السيارة وقولهم ذهبت بعض اصابعه وقيل هو
من باب مراعاة المعنى لان الامثال في المعنى مونث لان
مثل الحسنة حسنه ومن جا بالسيية فلا يجزى الا مثلها في
قضية العدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقا
قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد
الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذا المعنى
وهداني صراطا او مفعول بفعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما
فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار
الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة ملة ابرهيم عطف بيان
لدينا حنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين عليه قل ان
صلاتي ونسكي اي عبادتي كلها وقرباني او حجي والنسك جمع
نسيكه وهي الذبيحه قال مجاهد وغيره المعنى فذبحي في الحج والعمره
وقال الحسن نسكي ديني وتقديم الصلاة على النسك من عطف
العام على الخاص وافراد الاول بالذكر اهتماما بشانه ومحياى
ومماتي اي وما انا عليه من حياتي وما اموت عليه من الايمان

والطاعة اوطاعات الحياه والخيرات المضافة للممات كالوصيه
والتدبير لله رب العالمين لا شريك له اى خالصا له لا اشرك
فيه غيرا ومقصود الاية افعالى واحوالى لله لا لغيره كما
تشركون انتم وبذلك امرت اى وبذلك القول والاخلاص
امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام
امته وقيل لانه اول الخلق اجمع معنى كما فى الحديث نحن
الاخرون الاولون يوم القيمه ونحن اول من يدخل الجنه
وفى الحديث كنت اول الانبيا فى الخلق واخرهم فى البعث قل
اغير الله ابغى ربا الها لا اطلب غيره فاشرك فى عبادتى وهو
جواب عن دعايهم له الى عبادة الهتهم روى ان الكفار قالوا
للنبى صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد الى دينتا واعبد الهتنا
واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها فى دنياك
واخرتك فنزلت وهو استفهام تقتضى التوبيخ وغير نصب
بابغى وربا تمييز وهو رب كل شى حال فى موقع العله للانكار
والدليل له وكل ما سواه مربوب مثلى لا يصلح للربوبيه ولا
تكسب كل نفس ذنبا الا عليها فلا ينفعنى فى ابتغاء رب غيره
ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اى لا تحمل حاملة ثقل اخرى
والاية نزلت فى الوليد بن المغيره كان يقول اتبعوا سبيلى وانا
احمل اوزاركم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما
كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغى وتمييز المحق من

المبطل

المبطل وهو الذى جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا
او خلفا الله فى ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب
عام او خلفا الامم السالفه على ان الخطاب للمومنين ورفع
بعضكم فوق بعض درجات فى الشرف والغنا والخلق والرزق
والقوه والبسطة والفضل والعلم ليبلوكم فيما اتاكم من الجاه
والمال ومعنى ليبلوكم ليختبركم اى ليظهر منكم ما يكون غايته
الثواب والعقاب ولم يزل تعالى يعلمه غيبا فابتلى الموسر
بالغنا وطلب منه الشكر وابتلى المعسر بالفقر وطلب منه
الصبر وقيل المعنى ليبلو بعضكم ببعض ثم خوفهم فقال ان ربك
سريع العقاب لان ما هو ات قريب او لانه يسرع اذا اراده
وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف
ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببنا المبالغة
واللام المؤكده تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض
كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها والله اعلم
وكان الفراغ من تعليق هذا الربع الاول صبيحة الاحد
الثانى والعشرين من شهر جمادى الاولى من شهور
سنة خمسين بعد الالف من الهجرة
النبويه على صاحبها افضل
الصلاة وازكى السلام